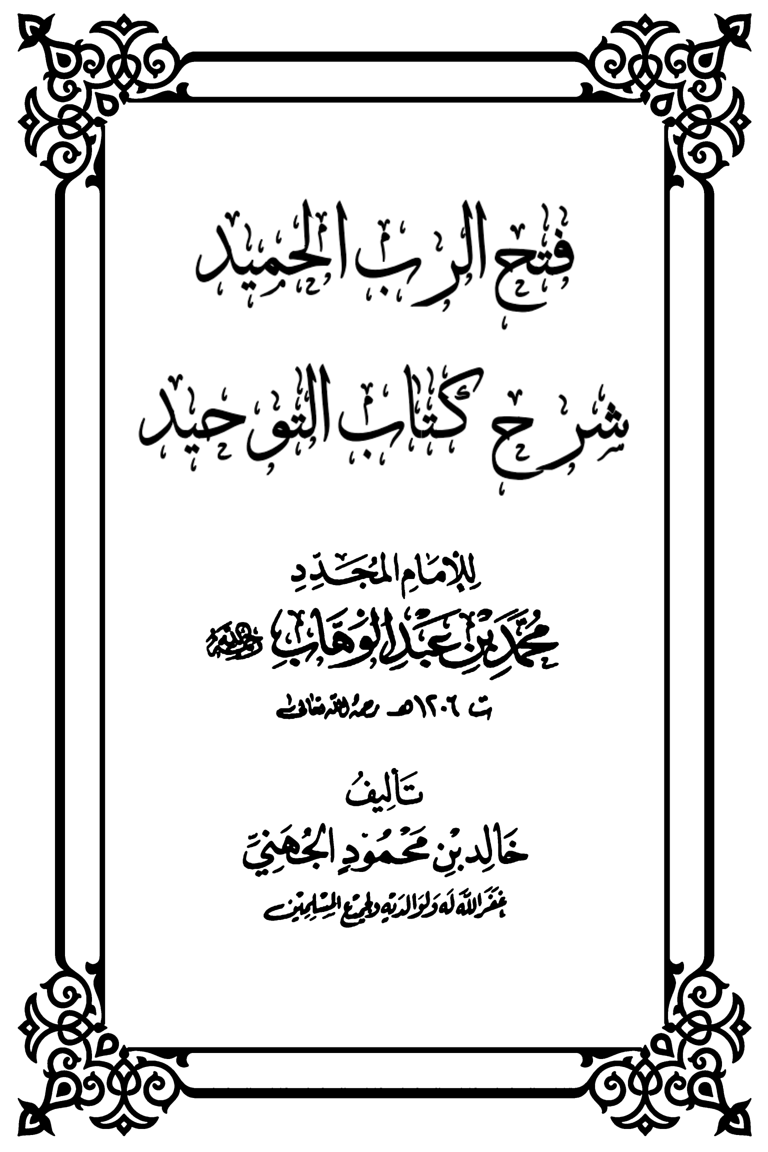


فتح الرب الحميد شرح كتاب التوحيد

للإمام المجدد

محمد بن عبد الوهاب رحمه الله

ت ١٢٠٦هـ رحمه الله تعالى

تأليف

خالد بن محمود الجهني

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين


بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إن الحمدَ لله، نحمدُه، ونستعينُه، ونستغفرُه، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا، ومن سيئاتِ أعمالِنا، من يهدِه اللهُ فلا مضلَّ له، ومن يضللْ فلا هاديَ لهُ، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أن محمدًا عبدُه ورسولُه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد؛ فإن أصدق الحديث كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، وخيرَ الهدي هديُ محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلَّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلَّ ضلالةٍ في النارِ؛ وبعدُ..

فإن كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ نال مكانة عظيمة عند أهل العلم حتىٰ قيل: إنه قطعة من صحيح الإمام البخاري، وذلك لما اشتمل عليه من بيان فضل التوحيد، وأهميته، وبيان الشرك وأنواعه، والسبل المفضية إليه علىٰ نهج الإمام البخاري في صحيحه، وقد شرحه كثير من أهل العلم والفضل في شتىٰ أقطار المعمورة.

وأردت أن أشرحه شرحًا وافيًا بمقصوده بعيدًا عن التفريعات التي تجعل

الطالب في وادٍ والكتاب في وادٍ آخر، فاستعنت بالله ﷻ، واستخرته ﷻ في ذلك فيسره لي، فله الحمد وله المنة.

وقد اعتمدت في شرحه على أمات كتب التفاسير، وكتب شروح السنة، كما استفدت من شروحات الكتاب السابقة لا سيما كتاب «**فتح المجيد شرح كتاب التوحيد**» للشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى.

وأسأل الله أن يتقبله مني، وسائر أعمالي، ويجعلها لي ذخرًا يوم أن نلقاه.

وكتب

خالد بن محمود الجهني

١/٥/١٤٣٥هـ




اسمه ونسبه:

هو الإمام العلامة الشيخ محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن محمد بن أحمد بن راشد بن بريد بن محمد التميمي(١).

مولده:

وُلد رَحِمَهُ ٱللَّهُ سنة ١١١٥ هـ في بلدة العيينة من أرض نجد، ونشأ فيها(٢).

طلبه للعلم:

قرأ القرآن قبل بلوغه العشر، وكان حاد الفهم، سريع الإدراك يتعجب أهله من فطنته وذكائه، ثم اشتغل بالعلم وجَدَّ في طلبه، وبعد بلوغه قدّمه والده إماما في الصلاة، ثم حج، وأقام بها شهرين، ثم رجع إلىٰ بلده واشتغل بالقراءة علىٰ مذهب الإمام أحمد، ثم رحل إلىٰ البصرة والحجاز مرارًا، ورحل إلىٰ الأحساء فسمع من مشايخها(٣).

شيوخه:

أخذ العلم عن عدة مشايخ أجلاء وعلماء فضلاء، من أشهرهم(٤):

١- أبوه الشيخ عبد الوهاب بن سليمان.

٢- الشيخ عبد الله بن إبراهيم بن سيف النجدي.

---

(١) انظر: «مشاهير علماء نجد»، للشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف، صـ (١٦).

(٢) انظر: «مشاهير علماء نجد»، صـ (١٦-١٧).

(٣) انظر: «مشاهير علماء نجد»، صـ (١٧).

(٤) انظر: «مشاهير علماء نجد»، صـ (١٧).

٣- الشيخ العالم محمد حياة السندي المدني.

دعوته:

عند ما انتقل والد الشيخ إلىٰ حُرَيْمَلاء التي كان يعمل فيها قاضيا بدأ الشيخ ينشر الدعوة إلىٰ التوحيد جاهرا؛ وذلك سنة ١١٤٣هـ، ثم غادرها بسبب تآمر نفر من أهلها عليه لقتله، ثم توجه إلىٰ العُيَيْنَة وعرض دعوته إلىٰ أميرها عثمان بن معمر الذي قام معه بهدم القبور، والقباب، وأعانه علىٰ رجم امرأة زانية جاءته معترفة بذلك، فلما كثر القيل والقال من أهل البدع والضلال شكوا إلىٰ شيخهم رئيس بني خالد فكتب إلىٰ عثمان يأمره بقتله أو إجلائه، فأمر بإجلائه، فخرج الشيخ منها وهاجر إلىٰ الدرعية فنزل ضيفا علىٰ عبد الله بن سويلم، ثم انتقل إلىٰ تلميذه الشيخ أحمد بن سويلم، وكان عليها الأمير محمد بن سعود، وكان كغيره من الأمراء يسمعون عن الشيخ، ولم يسمعوا منه.

علمت زوجة الأمير بقدوم الشيخ، وكان قد هداها الله، وسمعت بدعوته، فقالت لزوجها الأمير: إن هذا الرجل غنيمة ساقها الله لك، فأكرمه وعظمه واغتنم نصرته، فما زالت به حتىٰ أقنعته؛ فقال لها: قولوا له يأتيني، فقالت: إذا طلبته قال الناس: يريد أن يعذبه، أو يقتله، ولكن اذهب إليه أنت كي يقدره الناس، فذهب إلىٰ الشيخ، فعرض الشيخ عليه دعوته فشرح الله ﷻ صدره للدعوة، ومن ذلك الوقت قامت الدعوة في الدَّرْعِيَّة، وجلس الشيخ للتدريس، وصار الطلاب يتوافدون علىٰ الشيخ؛ فنفع الله بالشيخ الناس في البلاد شرقًا وغربًا[(١)].

مؤلفاته:

صنف الشيخ محمد بن عبد الوهاب مصنفات كثيرة، من أشهرها[(٢)]:

١- كتاب التوحيد فيما يجب من حق الله علىٰ العبيد.

---

(١) انظر: «مشاهير علماء نجد»، صـ (١٨-٢٥).

(٢) انظر: السابق، صـ (٢٦).

٢- أصول الإيمان.

٣- فضل الإسلام.

٤- كشف الشبهات.

٥- مسائل الجاهلية.

٦- مختصر زاد المعاد.

ثناء العلماء عليه:

قال سليمان أخو الإمام محمد بن عبد الوهاب: «كان عبد الوهاب أبوه - أي: محمد- يتعجب من فهمه وإدراكه قبل بلوغه، ويقول: لقد استفدت من ولدي محمد فوائد من الأحكام»[(١)].

وأنشد العلامة الأمير محمد بن إسماعيل الصنعاني فيه قصيدة أثنىٰ عليه فيها بقيامه بالتوحيد وبإلزامه من تحت يده إقامة شعائر الإسلام[(٢)].

وأثنىٰ عليه العلامة الشوكاني، فقال: «**من العلماء المحققين العارفين بالكتاب والسنة**»[(٣)].

وأثنىٰ عليه الألوسي، فقال: شديد التعصب للسنة كثير الإنكار علىٰ من خالف الحق من العلماء الآمرين بالمعروف الناهين عن المنكر[(٤)].

وقال ابن بدران: «**ولما امتلأ وطابه من الآثار وعلم السنة وبرع في مذهب أحمد أخذ ينصر الحق، ويحارب البدع، ويقاوم ما أدخله الجاهلون في هذا الدين الحنفي والشريعة السمحاء... ولم يزل مثابرا علىٰ الدعوة إلىٰ دين الله**

---

(١) انظر: «حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب»، للشيخ إسماعيل بن محمد بن ماحي السعدي، صـ(١٣١).

(٢) انظر: «حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب»، صـ(١٣١).

(٣) انظر: «حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب»، صـ(١٣٣).

(٤) انظر: «حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب»، صـ(١٣٨).

تعالىٰ حتىٰ توفاه الله تعالىٰ»[1].

وقال: «**فأصبح ابن عبد الوهاب ذا شهرة طبقت العالم الإسلامي وغيره معدودا من الزعماء المؤسسين للمذاهب الكبرىٰ والمغتربين بفكرهم أفكار الأمم**»[2].

وفاته:

توفي الشيخ في الدَّرْعِيَّة سنة ١٢٠٦هـ يوم الاثنين آخر شهر شوال، وصلي عليه في بلدة الدرعية، ورثاه جمع من العلماء منهم الإمام محمد بن علي الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[3].



---

(١) **انظر**: «المدخل»، لابن بدران، صـ (٤٤٧).

(٢) **انظر**: «الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي»، للشيخ محمد بن الحسن الحجوي (٢/ ٤٤٦).

(٣) **انظر**: «مشاهير علماء نجد»، صـ (٢٦).

مميزات الكتاب، وأهم موضوعاته، وسبب تأليفه

امتاز الكتاب عن غيره بمميزات عدة، منها:

١- انتهج الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ نهج الإمام البخاري في صحيحه من حيث ذكر الأبواب والتراجم، ثم ذكر الآيات والأحاديث الدالة عليها تحتها، حتىٰ قيل: إن كتاب التوحيد قطعة من صحيح الإمام البخاري.

٢- سهولة العبارة، وسلاسة الأسلوب، ورصانة الألفاظ.

٣- التفصيل في ذكر أبواب توحيد العبادة.

من أهم الموضوعات التي اشتمل عليها الكتاب:

١- بيان توحيد العبادة وبيان ضده، وهو الشرك.

٢- بيان الشرك الأكبر، والأصغر، وصورهما.

٣- بيان كيفية حماية جناب التوحيد.

٤- بيان جملة من توحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات(١).

سبب تأليف الكتاب:

ألف الشيخ محمد بن عبد الوهاب هذا الكتاب في البصرة لمَّا رحل إليها، وكان سبب تأليفه ما رأىٰ من شيوع الشرك الأكبر، والأصغر، ثم لمَّا قدم نجدًا حرر الكتاب، وأكمله(٢).

---

(١) انظر: «التمهيد لشرح كتاب التوحيد»، للشيخ صالح آل الشيخ، صـ (٧-٨).

(٢) انظر: السابق، صـ (٨).

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى:

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمدُ للهِ، وصلى اللهُ على محمدٍ وعلى آلهِ وسلم.

كتابُ التوحيدِ

وقولُ الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ٥٦﴾ [الذاريات:٥٦].

وقولُه: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل:٣٦].

وقولُه: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ٢٣ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ٢٤﴾ [الإسراء:٢٣-٢٤].

وقولُه: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء:٣٦].

وقولُه: ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ١٥١ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۖ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ١٥٢ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ١٥٣﴾ [الأنعام:١٥١-١٥٢].

الشَّرْح

قَوْلُهُ: «بِسْمِ اللهِ»: افتتح المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ كتابه بالبسملة اقتداء بالكتاب العزيز، وتأسيا بالنبي ﷺ في مراسلاته، ومكاتباته، كما جاء في كتابه لهرقل عظيم الروم[(١)]، والمعنىٰ: بسم الله أكتب، وبدأ بها تبركا، واستعانة بالله تعالىٰ، فالباء هنا للتبرك، وقيل: للاستعانة[(٢)].

قَوْلُهُ: «الرَّحْمَنِ الرَّحِيْمِ»: اسمان مشتقان من الرحمة علىٰ وجه المبالغة، ورحمن أشد مبالغة من رحيم[(٣)]، الرحمن: معناه المتصف بالرحمة الواسعة، وهو اسم خاص بالله عَزَّوَجَلَّ[(٤)]؛ والرحيم: معناه ذو الرحمة الواصلة[(٥)].

قال ابن القيم: «الرحمن دال علىٰ الصفة القائمة به سبحانه والرحيم دال علىٰ تعلقها بالمرحوم فكان الأول للوصف، والثاني للفعل، فالأول دال أن الرحمة صفته، والثاني دال علىٰ أنه يرحم خلقه برحمته، وإذا أردت فهم هذا فتأمل قوله: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب:٤٣]، ﴿إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[التوبة:١١٧]، ولم يجئ قط رحمن بهم، فعلم أن الرحمن هو الموصوف بالرحمة، ورحيم هو الراحم برحمته»[(٦)]

قَوْلُهُ: «الحمدُ»: الحمد هو الثناء علىٰ المحمود مع المحبة، والتعظيم له، والألف واللام لاستغراق كل المحامد لله تعالىٰ[(٧)].

قَوْلُهُ: «للهِ»: الله علم علىٰ الذات الإلهية، مشتق من أَلِهَ يُأْلَهَ أُلُوهَةً، بمعنىٰ

---

(١) **متفق عليه:** رواه البخاري (٧)، ومسلم (١٧٧٣)، من حديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.
(٢) **انظر:** «فتح الباري بشرح صحيح البخاري»، لابن حجر (١/ ٨).
(٣) **انظر:** «تفسير ابن كثير» (١/ ١٢٤).
(٤) **انظر:** «لسان العرب»، مادة «رحم».
(٥) **انظر:** السابق، مادة «رحم».
(٦) **انظر:** «بدائع الفوائد»، لابن القيم (١/ ٢٤).
(٧) **انظر:** «لسان العرب»، مادة «حمد».

عبد يعبد عبادة، فالله: إله بمعنىٰ مألوه: أي معبود، واللام لاختصاص المحامد كلها لله تعالىٰ مُلْكًا، واستحقاقًا، والمعنىٰ: أن المستحق لجميع أنواع المحامد هو الله جل ذكره[1].

قَـوْلُـهُ: «وصلى اللهُ على محمدٍ»: أصح ما قيل في صلاة الله ﷻ علىٰ نبيه ﷺ ثناؤه عليه في الملأ الأعلىٰ؛ قال أبو العالية: «صَلاةُ اللهِ: ثَنَاؤُهُ عَلَيْهِ عِنْدَ المَلائِكَةِ، وَصَلاةُ المَلائِكَةِ الدُّعَاءُ»[2].

وصلاة الملائكة عليه الدعاء[3]، كما تقدم في كلام أبي العالية، ومنه حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «المَلائِكَةُ تُصَلِّي عَلَىٰ أَحَدِكُمْ مَا دَامَ فِي مُصَلَّاهُ الَّذِي صَلَّىٰ فِيهِ، مَا لَمْ يُحْدِثْ[4]، تَقُولُ: اللهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللهُمَّ ارْحَمْهُ»[5].

قَـوْلُـهُ: «وعلى آلِهِ»: آل النبي ﷺ هنا هم أتباعه علىٰ دينه إلىٰ يوم القيامة.

قَـوْلُـهُ: «وسلم»: أي من الشرور والآفات، والسلام له معنيان: أحدهما: التحية، والثاني: السلامة من الآفات والشرور[6]، وهذا امتثال لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ۝٥٦﴾[الأحزاب:٥٦].

قَـوْلُـهُ: «كتابُ التوحيدِ»: الكتاب: لغة: مصدر سمي به المكتوب، كالخلق بمعنىٰ المخلوق، يقال: اكتب بغلتك وهو أن يضم شفرَيْها بحلقة، ومن ذلك

---

(١) **انظر:** «تاج العروس»، و«مختار الصحاح»، مادة «أله».

(٢) **انظر:** صحيح البخاري (٦/ ١٢).

(٣) **انظر:** «جلاء الأفهام»، لابن القيم، صـ(١٥٩).

(٤) **ما لم يحدث:** أي ما لم يحصل منه ما ينقض الوضوء، أو يمنع من الصلاة.

(٥) **متفق عليه:** رواه البخاري (٤٤٥)، ومسلم (٦٤٩).

(٦) **انظر:** «تهذيب اللغة»، مادة «سلم».

سميت الكتيبة؛ لأنها تكتبت فاجتمعت، ومنه قيل: كتبت الكتاب؛ لأنه يجمع حرفا إلىٰ حرف[١].

واصطلاحًا: اسم لجنس من الأحكام، ونحوها تشتمل علىٰ أنواع مختلفة[٢].

والتوحيد لغة: مصدر وحد يوحد توحيدًا، بمعنىٰ أفرد يفرد إفرادًا[٣]؛ واصطلاحًا: هو إفراد الله بالخلق والتدبير والسيادة والملك، وإفراده بالعبادة، وبالأسماء والصفات.

وسمي دين الإسلام توحيدًا؛ لأن مبناه علىٰ أن الله واحد في ملكه وأفعاله لا شريك له، وواحد في ذاته وصفاته لا نظير له، وواحد في إلهيته وعبادته لا ند له[٤].

وقد ورد لفظ التوحيد في السنة المطهرة، فعن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: لَمَّا بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ إِلَىٰ نَحْوِ أَهْلِ اليَمَنِ قَالَ لَهُ: **«إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَىٰ قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَىٰ أَنْ يُوَحِّدُوا اللهَ تَعَالَىٰ...»**[٥].

وعن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، في صفة حجة النبي ﷺ، قال: فَأَهَلَّ بِالتَّوْحِيدِ **«لَبَّيْكَ اللهُمَّ، لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ، إِنَّ الحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ، وَالمُلْكَ لا شَرِيكَ لَكَ»**[٦].

---

(١) **انظر:** «كتاب العين»، و«تهذيب اللغة»، و«لسان العرب»، مادة «كتب».

(٢) **انظر:** «المطلع»، للبعلي، صـ (٥).

(٣) **انظر:** «مقاييس اللغة»، مادة «وحد».

(٤) **انظر:** «تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد»، لسليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، صـ (١٧).

(٥) **متفق عليه:** رواه البخاري (٧٣٧٢)، ومسلم (١٩)، وهذ اللفظ للبخاري؛ ولفظ مسلم: «فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ».

(٦) **صحيح:** رواه مسلم (١٢١٨).

فائدة: أنواع التوحيد:

التوحيد ثلاثة أقسام[١]:

أحدها: توحيد الربوبية؛ وهو إفراد الله بالخلق والتدبير والسيادة والمُلك؛ ومعنىٰ هذا أن نعتقد أن الخالق هو الله لا خالق سواه؛ وأن نعتقد أن المدبر هو الله لا مدبر لأمر الكون إلا الله ﷻ؛ وأن نعتقد أن السيد هو الله لا سيد سواه؛ وأن نعتقد أن المالك هو الله لا مالك إلا الله.

ومن الأدلة على ذلك:

قوله تعالىٰ: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾[الأعراف:٥٤].

وقوله تعالىٰ: ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾[فاطر:٣].

وقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾﴾[يونس:٣١].

وقوله تعالىٰ: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾﴾[الفاتحة:٤].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[آل عمران:١٨٩].

وقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ﴾[المؤمنون:٨٨].

وقوله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾﴾[الإخلاص:٢].

والعرب تسمي أشرافها الصمد، قال أبو وائل: «هُوَ السَّيِّدُ الَّذِي انْتَهَىٰ سُؤْدَدُهُ»[٢].

الثاني: توحيد الإلهية؛ وهو إفراد الله بالعبادة، ومن الأدلة عليه:

قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾﴾[البقرة:٢١].

---

(١) **انظر:** «شرح العقيدة الطحاوي»، لابن أبي العز الحنفي (١/ ٢٤).

(٢) **انظر:** صحيح البخاري (٦/ ١٨٠).

وقوله تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ﴾[الأنعام:١٠٢].

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: لَمَّا بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ إِلَىٰ نَحْوِ أَهْلِ اليَمَنِ قَالَ لَهُ: «**إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَىٰ قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَىٰ أَنْ يُوَحِّدُوا اللهَ تَعَالَىٰ...**»[(١)].

الثالث: توحيد الأسماء والصفات وهو إفراد الله بما سمىٰ ووصف به نفسه في كتابه، وبما سماه ووصفه به رسوله ﷺ في سنته، ومن الأدلة عليه:

قوله تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾[الأعراف:١٨٠].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ للهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ**»[(٢)].

ومن العلماء من قسم التوحيد قسمين:

أحدهما: توحيد علمي اعتقادي وهو نوعان: أحدهما: توحيد الربوبية، والثاني: توحيد الأسماء والصفات.

الثاني: توحيد عملي قصدي وهو توحيد الألوهية.

قال ابن القيم: «التوحيد نوعان: نوع في العلم والاعتقاد، ونوع في الإرادة والقصد، ويسمىٰ الأول: التوحيد العلمي، والثاني: التوحيد القصدي الإرادي، لتعلق الأول بالأخبار والمعرفة، والثاني بالقصد والإرادة.

وهذا الثاني أيضًا نوعان: توحيد في الربوبية، وتوحيد في الإلهية، فهذه ثلاثة أنواع.

---

(١) **متفق عليه:** رواه البخاري (٧٣٧٢، ومسلم (١٩))، وهذ اللفظ للبخاري؛ ولفظ مسلم: «فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ اللهِ عَزَّوَجَلَّ».

(٢) **متفق عليه:** رواه البخاري (٢٧٣٦)، ومسلم (٢٦٧٧).

فأما توحيد العلم: فمداره علىٰ إثبات صفات الكمال، وعلىٰ نفي التشبيه والمثال، والتنزيه عن العيوب والنقائص»[(١)].

قَولُه: «وقول الله تعالى»: تجوز بالرفع، والجر؛ بالرفع علىٰ الابتداء، وبالجر علىٰ العطف.

قَولُه: «﴿ وَمَا خَلَقْتُ ﴾»: أي وما أوجدت؛ وأصل الخلق التقدير[(٢)].

قَولُه: «﴿ٱلْجِنَّ﴾»: الجيم والنون أصل واحد، وهو الستر والتستر؛ فَالجَنَّةُ ما يصير إليه المسلمون في الآخرة، وهو ثواب مستور عنهم اليوم، والجنة: البستان، وهو ذاك؛ لأن الشجر بورقه يستر؛ والجن سموا بذلك؛ لأنهم متسترون عن أعين الخلق؛ قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ [الأعراف:٢٧][(٣)].

قَولُه: «﴿وَٱلْإِنسَ﴾»: الإنس خلاف الجن، وهم جماعة الناس، وسموا لظهورهم، يقال: آنست الشيء: إذا رأيته، ومنه قوله الله تعالىٰ: ﴿فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا﴾ [النساء:٦]، والهمزة والنون والسين أصل واحد، وهو ظهور الشيء، وكل شيء خالف طريقة التوحش[(٤)].

قَولُه: «﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾»: أي إلا ليوحدون؛ فأما المؤمن فيوحده في الشدة والرخاء، وأما الكافر فيوحده في الشدة والبلاء دون النعمة والرخاء[(٥)].

والعبادة: لغة: التذلل والخضوع؛ يقال: طريق معبد أي مذلل[(٦)].

---

(١) انظر: «مدارج السالكين»، لابن قيم الجوزية (١/ ٤٨-٤٩).
(٢) انظر: «النهاية في غريب الحديث» (٢/ ٧٠).
(٣) انظر: «مقاييس اللغة»، مادة «جن».
(٤) انظر: «مقاييس اللغة»، و«تهذيب اللغة»، مادة «أنس».
(٥) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٢٨٨).
(٦) انظر: «لسان العرب»، و«تاج العروس» مادة «عبد».

وشرعًا: عرفها ابن تيمية فقال: «**هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال، والأعمال الظاهرة والباطنة.**

فالصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، وصدق الحديث، وأداء الأمانة، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، والوفاء بالعهود، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والجهاد للكفار والمنافقين، والإحسان إلىٰ الجار واليتيم والمسكين وابن السبيل والمملوك من الآدميين والبهائم، والدعاء، والذكر، والقراءة، وأمثال ذلك من العبادة.

وكذلك حب الله ورسوله، وخشية الله، والإنابة إليه، وإخلاص الدين له، والصبر لحكمه، والشكر لنعمه، والرضا بقضائه، والتوكل عليه، والرجاء لرحمته، والخوف لعذابه، وأمثال ذلك هي من العبادة لله»[(١)].

فكل ما يحبه الله من الأقوال والأعمال ظاهرة كانت أو باطنة يسمىٰ عبادة.

والأقوال الظاهرة: هي أقوال اللسان: كالشهادتين، والتسبيح، والتهليل، ورد السلام.

والأقوال الباطنة: هي أقوال القلب، كاليقين، والتصديق.

والأعمال الظاهرة: هي أعمال الجوارح، كالصلاة، و الصيام، والزكاة، والنذر.

والأعمال الباطنة: هي أعمال القلب، كالخوف، والرجاء، والمحبة، والخشية، والإنابة.

وعرفها ابن كثير، فقال: «**عبارة عما يجمع كمال المحبة، والخضوع، والخوف**»[(٢)].

وقال ابن القيم: «**التعبد هو غاية الحب مع غاية الذل، يقال: عبده الحبُّ أي**

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوىٰ»، لابن تيمية (١٠/ ١٤٩-١٥٠)

(٢) انظر: «تفسير ابن كثير» (١/ ١٣٤).

ذلله وطريق معبد بالأقدام أي مذلل وكذلك المحب قد ذلله الحب ووطَّأه، ولا تصلح هذه المرتبة لأحد غير الله عَزَّوَجَلَّ ولا يغفر الله سبحانه لمن أشرك به في عبادته ويغفر ما دون ذلك لمن شاء، فمحبة العبودية هي أشرف أنواع المحبة، وهي خالص حق الله علىٰ عباده»[1].

ولا تسمىٰ العبادة عبادة حتىٰ تجمع بين المحبة والذل.

قال ابن القيم: «العبادة تجمع أصلين: غاية الحب بغاية الذل والخضوع، والعرب تقول: طريق معبد أي مذلل، والتعبد: التذلل والخضوع، فمن أحببته ولم تكن خاضعا له، لم تكن عابدا له، ومن خضعت له بلا محبة لم تكن عابدا له حتىٰ تكون محبا خاضعًا»[2].

فائدة: العبودية نوعان[3]:

أحدهما: عامة، عبودية أهل السماوات والأرض كلهم لله، برهم وفاجرهم، مؤمنهم وكافرهم، فهذه عبودية القهر والملك، ومنها قوله تعالىٰ: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ٩٣﴾ [مريم:٩٣]، فهذا يدخل فيه مؤمنهم وكافرهم.

وقال تعالىٰ: ﴿وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمۡ أَضۡلَلۡتُمۡ عِبَادِي هَٰٓؤُلَآءِ أَمۡ هُمۡ ضَلُّواْ ٱلسَّبِيلَ ١٧﴾[الفرقان:١٧]، فسماهم عباده مع ضلالهم، لكنها تسمية مقيدة بالإشارة، وأما المطلقة فلم تجئ إلا لأهل النوع الثاني، كما سيأتي بيانه إن شاء الله.

الثاني: خاصة، وهي عبودية الطاعة والمحبة، واتباع الأوامر، ومنها قوله تعالىٰ: ﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ٦٨﴾[الزُّخرف:٦٨].

---

(١) **انظر:** «روضة المحبين ونزهة المشتاقين»، لابن القيم، صـ(٥٣).

(٢) **انظر:** «مدارج السالكين»، لابن القيم (١/ ٩٥-٩٦).

(٣) **انظر:** «مدارج السالكين»، لابن القيم (١/ ١٢٥-١٢٦).

وقوله تعالىٰ: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ۝١٧ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝١٨﴾ [الزُّمَر:١٧-١٨].

فالخلق كلهم عبيدُ ربوبيته، وأهل طاعته ووَلايته هم عبيد إلهيته؛ ولا يجيء في القرآن إضافة العباد إليه مطلقا إلا لهؤلاء.

قَولُهُ: «وقوله: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا﴾»: أي أرسلنا؛ وأصل البعث: إثارة الشيء وتوجيهه، يقال: بعثته فانبعث، فالبعث ضربان:

أحدهما: بشريٌّ، كبعث البعير إذا أثرتُه وسيَّرته، وبعث الإنسان في حاجة.

الثاني: إلهي، وهو إحياء الموتىٰ، ومنه قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ﴾ [الروم:٥٦]، يعني: يوم الحشر، وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا﴾ [النحل:٣٦]، نحو: ﴿أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا﴾ [المؤمنون:٤٤][1].

قَولُهُ: «﴿فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا﴾»: أي في كل قرن من الناس وطائفة رسولا[2].

قَولُهُ: «﴿أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾»: أي وحدوا الله واصرفوا له العبادة، وابتعدوا عن الطاغوت؛ فكل الرسل يدعون إلىٰ عبادة الله، وينهون عن عبادة ما سواه، فلم يزل تعالىٰ يرسل إلىٰ الناس الرسل بذلك منذ حدث الشرك في بني آدم، في قوم نوح الذين أرسل إليهم نوح، وكان أول رسول بعثه الله إلىٰ أهل الأرض إلىٰ أن ختمهم بمحمد ﷺ الذي طبقت دعوته الإنس والجن في المشارق والمغارب، كما قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ۝٢٥﴾ [الأنبياء:٢٥][3].

والطاغوت: لغة: مشتق من الطغيان، وكل شيء يجاوز القدر فقد طَغَىٰ[4].

---

(١) **انظر**: «المفردات في غريب القرآن»، للأصفهاني، صـ(١٣٢).

(٢) **انظر**: «تفسير ابن كثير» (٤/ ٥٧٠).

(٣) **انظر**: «تفسير ابن كثير» (٤/ ٥٧٠).

(٤) **انظر**: «كتاب العين»، مادة «طغى».

وشرعًا: هو كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع؛ فطاغوت كل قوم من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله، أو يعبدونه من دون الله، أو يتبعونه على غير بصيرة من الله، أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة لله[(١)].

قَوْلُهُ: «وقوله: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ﴾»: أي أمر بذلك، وأوجب، وألزم، ووصىٰ[(٢)].

قَوْلُهُ: «﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾»: أي بأن لا تعبدوا إلا إياه؛ لأن العبادة غاية التعظيم فلا تحق إلا لمن له غاية العظمة، ونهاية الإنعام[(٣)].

قَوْلُهُ: «﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا﴾»: أي وأمر بالوالدين إحسانا برا بهما، وعطفا عليهما[(٤)].

قَوْلُهُ: «﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾»: أي لا تُسْمِعهما قولًا سيئًا، حتىٰ ولا التأفيف الذي هو أدنىٰ مراتب القول السيئ[(٥)].

قال أبو عبيدة: أصل التُّف، والأُفّ الوسخ علىٰ الأصابع إذا فتلْتَها[(٦)].

قال مجاهد في هذه الآية: «إذا بلغا عندك من الكبر ما يبولان فلا تتقذرهما، ولا تقل لهما: أُفٍّ حين تميط عنهما الخلاء والبول كما كانا يميطانه عنك صغيرا»[(٧)].

قَوْلُهُ: «﴿وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾»: أي ولا تزجرهما[(٨)]، ولا يصدر منك إليهما فعل قبيح[(٩)].

---

(١) انظر: «إعلام الموقعين»، لابن القيم (١/ ٤٠).
(٢) انظر: «المفردات في غريب القرآن»، صـ(٦٧٤)، و«تفسير ابن عطية» (٣/ ٤٤٧).
(٣) انظر: «تفسير الألوسي» (٥/ ١٤٦).
(٤) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ١٢٦).
(٥) انظر: «تفسير ابن كثير» (٥/ ٦٤).
(٦) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ١٢٦).
(٧) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ١٢٧).
(٨) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ١٢٧).
(٩) انظر: «تفسير ابن كثير» (٥/ ٦٤).

قوله: «﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾»: لما نهاه عن القول القبيح والفعل القبيح، أمره بالقول الحسن والفعل الحسن فقال: ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ أي وقل لهما قولا لينا طيبا حسنا بتأدب وتوقير وتعظيم[1].

قال مجاهد: «لا تسمِّهما، ولا تكنهما، وقل لهما: يا أبتاه يا أماه»[2].

قوله: «﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ﴾»: أي تواضع لهما بفعلك[3]، وألن جانبك لهما واخضع لهما؛ قال عروة بن الزبير: ألن لهما حتى لا تمتنع عن شيء أحباه[4].

قوله: «﴿مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾»: أي من الشفقة[5].

قوله: «﴿وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾»: أي وقل: رب ارحمهما في كبرهما، وعند وفاتهما[6] كما ربياني صغيرا، أراد إذا كانا مسلمين[7].

فائدة: القضاء نوعان[8]:

أحدهما: قضاء كوني قدري عام، ويدخل فيه كل المخلوقات، ولا يمكن لأحد أن يتخلف عنه؛ ومنه قوله تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ﴾ [سبأ:١٤]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ﴾[الزُّمَر:٦٩].

الثاني: قضاء شرعي ديني خاص بالمؤمنين، وهو المتعلق بأوامر الله الشرعية، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟﴾ [الإسراء:٢٣]؛ أي أمر

---

(١) **انظر:** السابق (٥/ ٦٤).

(٢) **انظر:** «تفسير الثعلبي» (٦/ ٩٣).

(٣) **انظر:** «تفسير ابن كثير» (٥/ ٦٤).

(٤) **انظر:** «تفسير البغوي» (٣/ ١٢٧).

(٥) **انظر:** السابق (٣/ ١٢٧).

(٦) **انظر:** «تفسير ابن كثير» (٥/ ٦٤).

(٧) **انظر:** «تفسير البغوي» (٣/ ١٢٧).

(٨) **انظر:** «مجموع الفتاوىٰ» (١٨/ ١٣٢)، و«شفاء العليل»، لابن القيم (١/ ٢٨٠).

وشرع، ولو كان قضاء كونيا لما عُبد غير الله.

قَولُهُ: «وقوله: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾»: أي وحدوه وأطيعوه[١]، وذِلُّوا لله بالطاعة، واخضعوا له بها، وأفردوه بالربوبية، وأخلصوا له الخضوع والذلة، بالانتهاء إلىٰ أمره، والانزجار عن نهيه[٢].

قَولُهُ: «﴿وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾»: أي ولا تجعلوا له في الربوبية والعبادة شريكًا تعظمونه تعظيمكم إياه[٣]؛ وشيئًا نكرة في سياق النهي تفيد العموم[٤]؛ أي عموم الشرك.

قال ابن كثير في تفسير الآية: **«يأمر تبارك وتعالىٰ بعبادته وحده لا شريك له؛ فإنه هو الخالق الرازق المنعم المتفضل علىٰ خلقه في جميع الآيات والحالات، فهو المستحق منهم أن يوحدوه، ولا يشركوا به شيئًا من مخلوقاته»**[٥].

قَولُهُ: «وقوله: ﴿قُلۡ﴾»: أي يا محمد، لهؤلاء العادلين بربهم الأوثان والأصنام، الزاعمين أن الله حرم عليهم ما هم محرِّموه من حروثهم وأنعامهم، علىٰ ما ذكرت لك في تنزيلي عليك[٦].

قَولُهُ: «﴿تَعَالَوۡاْ﴾»: أي أيها القوم[٧]؛ وذلك أن المشركين سألوا وقالوا: أي شيء الذي حرم الله تعالىٰ؟[٨].

قَولُهُ: «﴿أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡ﴾»: أي أقرأ ما حرم ربكم

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ٦١٤).
(٢) انظر: «تفسير الطبري» (٨/ ٣٣٤).
(٣) انظر: «تفسير الطبري» (٨/ ٣٣٤).
(٤) انظر: «روضة الناظر»، لابن قدامة (٢/ ٦٦٨).
(٥) انظر: «تفسير ابن كثير» (٢/ ٢٩٧).
(٦) انظر: «تفسير الطبري» (١٢/ ٢١٥).
(٧) انظر: «تفسير الطبري» (١٢/ ٢١٥).
(٨) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ١٧٠).

عليكم حقا ويقينا لا ظنا وكذبا كما تزعمون[١]، ولكن وحيًا من الله أوحاه إليّ، وتنزيلا أنزله عليّ[٢].

قَولُهُ: «﴿أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ﴾»: أي لا تشركوا بالله شيئًا من خلقه، ولا تعدلوا به الأوثان والأصنام، ولا تعبدوا شيئًا سواه[٣].

قَولُهُ: «﴿وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗاۖ﴾»: أي وأوصىٰ بالوالدين إحسانًا، وحذف «أوصىٰ» و«أمر»، لدلالة الكلام عليه ومعرفة السامع بمعناه[٤].

قَولُهُ: «﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُم مِّنۡ إِمۡلَٰقٖ﴾»: أي لا تَئِدوا بناتكم فتقتلوهن خشية الفقر علىٰ أنفسكم بنفقاتهم[٥].

والإملاق، مصدر من قول القائل: أملقت من الزاد، فأنا أُملِقُ إملاقًا، وذلك إذا فني زاده، وذهب ماله، وأفلس[٦].

قَولُهُ: «﴿نَّحۡنُ نَرۡزُقُكُمۡ وَإِيَّاهُمۡۖ﴾»: فإني رازقكم وإياهم[٧]، ليس عليكم رزقهم، فتخافوا بحياتهم علىٰ أنفسكم العجزَ عن أرزاقهم وأقواتهم[٨].

قَولُهُ: «﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا﴾»: أي ولا تقربوا الظاهرَ من الأشياء المحرّمة عليكم التي هي علانية بينكم[٩].

قَولُهُ: «﴿وَمَا بَطَنَۖ﴾»: أي الذي تأتونه سرًّا في خفاء لا تجاهرون به،

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ١٧٠).
(٢) انظر: «تفسير الطبري» (١٢/ ٢١٥).
(٣) انظر: «تفسير الطبري» (١٢/ ٢١٥).
(٤) انظر: «تفسير الطبري» (١٢/ ٢١٥).
(٥) انظر: «تفسير الطبري» (١٢/ ٢١٧)، و«تفسير البغوي» (٢/ ١٧٠).
(٦) انظر: «تفسير الطبري» (١٢/ ٢١٥).
(٧) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ٢١٧).
(٨) انظر: «تفسير الطبري» (١٢/ ٢١٥).
(٩) انظر: «تفسير الطبري» (١٢/ ٢١٨).

فإن كل ذلك حرام، وكان أهل الجاهلية يستقبحون الزنا في العلانية ولا يرون به بأسا في السر، فحرم الله تعالىٰ الزنا في العلانية والسر[(١)].

قوله: «﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾»: أي لا يجوز قتل المؤمن والمعاهَد إلا بالحق، أي إلا بما أبيح قتله من ردة أو قصاص أو زنا يوجب الرجم[(٢)]؛ فعَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، يَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ، إِلَّا بِإِحْدَىٰ ثَلاثٍ: النَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالثَّيِّبُ الزَّانِي، وَالمَارِقُ مِنَ الدِّينِ التَّارِكُ لِلْجَمَاعَةِ**»[(٣)]؛ فذلك الحق الذي أباح الله جل ثناؤه قتل النفس التي حرم علىٰ المؤمنين قتلها به[(٤)].

قوله: «﴿ذَلِكُمْ﴾»: أي الذي ذكرت[(٥)] من الأمور التي عهد إلينا فيها ربُّنا أن لا نأتيها وأن لا ندعَها، هي الأمور التي وصَّانا والكافرين بها أن نعمل جميعًا بها[(٦)].

قوله: «﴿وَصَّاكُمْ بِهِ﴾»: أي أمركم به[(٧)].

قوله: «﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾»: أي لتعقلوا ما وصاكم به ربكم[(٨)].

قوله: «﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾»: يعني ولا تقربوا ماله إلا بما فيه صلاحه وتثميره[(٩)].

---

(١) **انظر**: «تفسير الطبري» (١٢/ ٢١٨-٢١٩).

(٢) **انظر**: «تفسير الطبري» (٢/ ٢٢٠)، و«تفسير البغوي» (٢/ ١٧٠).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٨٧٨)، ومسلم (١٦٧٦).

(٤) **انظر**: «تفسير الطبري» (١٢/ ٢٢١).

(٥) **انظر**: «تفسير البغوي» (٢/ ١٧٠).

(٦) **انظر**: «تفسير الطبري» (١٢/ ٢٢١).

(٧) **انظر**: «تفسير البغوي» (٢/ ١٧٠).

(٨) **انظر**: «تفسير الطبري» (١٢/ ٢٢١).

(٩) **انظر**: «تفسير الطبري» (١٢/ ٢٢١).

قَولُه: «﴿حَتَّىٰ يَبۡلُغَ أَشُدَّهُۥ﴾»: أي ولا يأخذ من ربحه شيئًا، حتىٰ يبلغ الحلم؛ فإن الأَشُدّ جمع شَدٍّ، والشد القوة، وهو استحكام قوة شبابه وسنه(١).

قَولُه: «﴿وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ﴾»: أي لا تبخسوا الناس الكيلَ إذا كِلْتُموهم، والوزنَ إذا وزنتموهم، ولكن أوفوهم حقوقهم، وإيفاؤهم ذلك: إعطاؤهم حقوقهم تامة(٢).

قَولُه: «﴿بِٱلۡقِسۡطِ﴾»: يعني بالعدل(٣).

قَولُه: «﴿لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا﴾»: لا نكلف نفسًا، من إيفاء الكيل والوزن(٤).

قَولُه: «﴿إِلَّا وُسۡعَهَا﴾»: أي طاقتها في إيفاء الكيل والميزان، لم يكلف المعطي أكثر مما وجب عليه ولم يكلف صاحب الحق الرضا بأقل من حقه حتىٰ لا تضيق نفسه عنه، بل أمر كل واحد منهما بما يسعه مما لا حرج عليه فيه(٥).

قال الطبري في تفسير الآية: «وذلك أن الله جل ثناؤه علم من عباده أن كثيرًا منهم تَضيق نفسه عن أن تطيب لغيره بما لا يجبُ عليها له، فأمر المعطي بإيفاء رب الحق حقَّه الذي هو له، ولم يكلِّفه الزيادة، لما في الزيادة عليه من ضيق نفسه بها، وأمر الذي له الحق، بأخذ حقه، ولم يكلفه الرضا بأقل منه، لما في النقصان عنه من ضيق نفسه، فلم يكلف نفسًا منهما إلا ما لا حرج فيه ولا ضيق»(٦).

قَولُه: «﴿وَإِذَا قُلۡتُمۡ فَٱعۡدِلُواْ﴾»: أي وإذا حكمتم بين الناس فتكلمتم فقولوا

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١٢/ ٢٢١-٢٢٢).
(٢) انظر: «تفسير الطبري» (١٢/ ٢٢١-٢٢٢).
(٣) انظر: «تفسير الطبري» (١٢/ ٢٢١-٢٢٢).
(٤) انظر: «تفسير الطبري» (١٢/ ٢٢٥).
(٥) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ١٧١).
(٦) انظر: «تفسير الطبري» (١٢/ ٢٢٥).

الحق بينهم، واعدلوا وأنصفوا ولا تجوروا[١]، واصدقوا في الحكم والشهادة[٢].

قَولُه: «﴿وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾»: أي ولو كان المحكوم والمشهود عليه ذا قرابة[٣]، ولا تحملنكم قرابة قريب أو صداقة صديق حكمتم بينه وبين غيره أن تقولوا غير الحق فيما احتكم إليكم فيه[٤].

قَولُه: «﴿وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟﴾»: أي وبوصية الله التي أوصاكم بها فأوفوا؛ وإيفاء ذلك: أن يطيعوه فيما أمرهم به ونهاهم، وأن يعملوا بكتابه وسنة رسوله ﷺ، وذلك هو الوفاء بعهد الله[٥].

قَولُه: «﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ﴾»: أي قل يا نبينا ﷺ للعادلين بالله الأوثان، والأصنام من قومك: هذه الأمور التي ذكرت لكم في هاتين الآيتين هي الأشياء التي عهد إلينا ربنا، ووصاكم بها ربكم، وأمركم بالعمل بها[٦].

قَولُه: «﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾»: أي تتعظون[٧]، ولتتذكروا عواقبَ أمركم، وخطأ ما أنتم عليه مقيمون، فتنزجروا عنها، وترتدعوا وتُنيبوا إلىٰ طاعة ربكم[٨].

قال ابن عباس: «هذه الآيات محكمات في جميع الكتب، لم ينسخهن شيء وهن محرمات علىٰ بني آدم كلهم، وهن أم الكتاب من عمل بهن دخل الجنة، ومن تركهن دخل النار»[٩].

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١٢/ ٢٢٥).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ١٧١).

(٣) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ١٧١).

(٤) انظر: «تفسير الطبري» (١٢/ ٢٢٥).

(٥) انظر: «تفسير الطبري» (١٢/ ٢٢٥-٢٢٦).

(٦) انظر: «تفسير الطبري» (١٢/ ٢٢٥).

(٧) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ١٧١).

(٨) انظر: «تفسير الطبري» (١٢/ ٢٢٦).

(٩) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ١٧١).

قَولُه: «﴿وَأَنَّ هَٰذَا﴾»: أي هذا الذي وصيتكم به في هاتين الآيتين[(١)].

قَولُه: «﴿صِرَٰطِي﴾»: أي طريقي، وديني[(٢)].

قَولُه: «﴿مُسۡتَقِيمٗا﴾»: أي مستويًا قويمًا لا اعوجاج به عن الحق، والمعنىٰ: وأَتْلُ عليكم أن هذا صراطي مستقيمًا[(٣)].

قَولُه: «﴿فَٱتَّبِعُوهُ﴾»: أي فاعملوا به، واجعلوه لأنفسكم منهاجًا تسلكونه[(٤)].

قَولُه: «﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ﴾»: أي ولا تسلكوا طريقًا سواه، ولا تركبوا منهجًا غيره، ولا تبغوا دينًا خلافه، من الطرق المختلفة التي عدا هذا الطريق، مثل اليهودية والنصرانية وسائر الملل، وقيل: الأهواء والبدع[(٥)].

قَولُه: «﴿فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ﴾»: أي فتميل بكم[(٦)].

قَولُه: «﴿عَن سَبِيلِهِۦ﴾»: أي عن طريقه ودينه الذي شرعه لكم وارتضاه، وهو الإسلام الذي وصّىٰ به الأنبياء، وأمر به الأمم قبلكم[(٧)].

عَنْ عَبدِ الله بنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: خَطَّ لنا رَسُولُ اللهِ ﷺ خطًّا، ثُمَّ قَالَ: **«هذا سَبيلُ اللهِ»، ثُمَّ خَطَّ خُطوطًا عنْ يَمينِهِ وعنْ شِمالِهِ، ثُمَّ قَالَ: «هذهِ سُبُلٌ متفرقةٌ علىٰ كلِّ سبيلٍ منها شَيْطانٌ يدعُو إليهِ»، ثُمَّ قرأَ ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا**

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ١٧١).
(٢) انظر: «تفسير الطبري» (١٢/ ٢٢٨، و«تفسير البغوي» (٢/ ١٧١).
(٣) انظر: «تفسير الطبري» (١٢/ ٢٢٨، و«تفسير البغوي» (٢/ ١٧١).
(٤) انظر: «تفسير الطبري» (١٢/ ٢٢٨).
(٥) انظر: «تفسير الطبري» (١٢/ ٢٢٨-٢٢٩)، و«تفسير البغوي» (٢/ ١٧١).
(٦) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ١٧١).
(٧) انظر: «تفسير الطبري» (١٢/ ٢٢٩).

فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾[الأنعام:١٥٣][1].

قَوْلُهُ: «﴿ذَلِكُمْ﴾»: أي الذي ذكرت[2].

قَوْلُهُ: «﴿وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾»: أي لتتقوا الله في أنفسكم فلا تهلكوها، وتحذروا ربكم فيها فلا تُسْخطوه عليها، فيحل بكم نقمته وعذابه[3].

---

(١) صحيح: رواه أحمد (٤١٤٢)، وابن ماجه (١١)، وصححه أحمد شاكر.

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ١٧١).

(٣) انظر: «تفسير الطبري» (١٢/ ٢٢٩).

قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: «مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى وَصِيَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ الَّتِي عَلَيْهَا خَاتَمُهُ، فَلْيَقْرَأْ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ﴾»[1].

وعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كُنْتُ رَدِيفَ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى حِمَارٍ فَقَالَ لِي يَا مُعَاذُ؟ أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللهِ عَلَى العِبَادِ، وَمَا حَقُّ العِبَادِ عَلَى اللهِ؟ قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: حَقُّ اللهِ عَلَى العِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ، وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَحَقُّ العِبَادِ عَلَى اللهِ أَنْ لَا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَفَلَا أُبَشِّرُ النَّاسَ؟ قَالَ: لَا تُبَشِّرْهُمْ، فَيَتَّكِلُوا»[2] أَخْرَجَاهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ.

الشَّرْح

قَوْلُهُ: «قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: «مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى وَصِيَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ الَّتِي عَلَيْهَا خَاتَمُهُ، فَلْيَقْرَأْ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ﴾»»: أي من أراد أن ينظر إلىٰ الوصية التي كأنها كتبت وختم عليها، ثم طويت فلم تغير ولم تبدل، تشبيهًا لها بالكتاب الذي كتب، ثم خُتم عليه، فلم يزد فيه ولم ينقص؛ لأن النبي ﷺ كتبها وختم عليها وأوصىٰ بها، فإن النبي ﷺ لم يوص إلا بكتاب الله، كما قال ﷺ: «وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ، كِتَابُ اللهِ»[3][4].

قَوْلُهُ: «وعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كُنْتُ رَدِيفَ النَّبِيِّ ﷺ»»: الرديف: الراكب خلف الراكب بإذنه، ورِدْف كل شيء مؤخَّره، وأصله من

---

(١) ضعيف: رواه الترمذي (٣٠٧٠)، وقال: حسن غريب، وضعفه الألباني.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٢٨٥٦)، ومسلم (٣٠).

(٣) صحيح: رواه مسلم (١٢١٨).

(٤) انظر: «تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد»، صـ(٤٤).

الركوب على الرِّدف وهو العَجُز[١].

قَولُه: «عَلَى حِمَارٍ»: في رواية «يُقَالُ لَهُ: عُفَيْرٌ»[٢].

قَولُه: «فقالَ لي: يا معاذُ أتدري ما حقُّ اللهِ على العبادِ؟»: الحق كل موجود متحقق، أو ما سيوجد لا محالة؛ ويقال للكلام الصدق حق؛ لأن وقوعه متحقق لا تردد فيه؛ فحق الله تعالىٰ على العباد معناه ما يستحقه عليهم متحتما عليهم[٣].

قَولُه: «وما حقُّ العباد على الله؟»: معناه أنه متحقق لا محالة[٤]؛ وهو حق تفضل منه سبحانه وتعالى.

قَولُه: «قلتُ: اللهُ ورسولُه أعلمُ»: فيه حُسن أدبه في القول وفي العلم برده لما لم يُحط بحقيقته إلىٰ علم الله ورسوله ﷺ[٥].

قَولُه: «قالَ: حقُّ اللهِ على العبادِ أن يعبدُوه، ولا يشركُوا به شيئًا»: المراد بالعبادة عمل الطاعات واجتناب المعاصي، وعطف عليها عدم الشرك؛ لأنه تمام التوحيد والحكمة في عطفه على العبادة أن بعض الكفرة كانوا يدعون أنهم يعبدون الله ولكنهم كانوا يَعبدون آلهة أخرىٰ فاشتُرط نفي ذلك[٦].

قَولُه: «وحقُّ العبادِ على اللهِ»: أي حقا عُلِم من جهة الشرع لا بإيجاب العقل، فهو كالواجب في تحقق وقوعه أو هو علىٰ جهة المقابلة والمشاكلة[٧].

---

(١) انظر: «شرح صحيح مسلم» (١/ ٢٣٠) و«فتح الباري بشرح صحيح البخاري» (١٠/ ٣٩٨).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٢٨٥٦)، ومسلم (٣٠).

(٣) انظر: «شرح صحيح مسلم» (١/ ٢٣١).

(٤) انظر: «شرح صحيح مسلم» (١/ ٢٣١).

(٥) انظر: «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» (١١/ ٣٤٠).

(٦) انظر: «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» (١١/ ٣٣٩).

(٧) انظر: «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» (١٣/ ٣٥٥).

قال القرطبي: «حق العباد علىٰ الله ما وعدهم به من الثواب والجزاء، فحق ذلك ووجب بحكم وعده الصدق، وقوله الحق الذي لا يجوز عليه الكذب في الخبر ولا الخلف في الوعد؛ فالله سبحانه وتعالىٰ لا يجب عليه شيء بحكم الأمر إذ لا آمر فوقه ولا حكم للعقل؛ لأنه كاشف لا موجِب»[(١)].

قَـوْلُـهُ: «أَنْ لَا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا»: اقتصر علىٰ نفي الإشراك؛ لأنه يستدعي التوحيد بالاقتضاء ويستدعي إثبات الرسالة باللزوم إذ من كذب رسول الله ﷺ، فقد كذب الله، ومن كذب الله فهو مشرك، أو هو مثل قول القائل: من توضأ صحت صلاته أي مع سائر الشرائط، فالمراد من مات حال كونه مؤمنا بجميع ما يجب الإيمان به[(٢)].

قَـوْلُـهُ: «قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَفَلَا أُبَشِّرُ النَّاسَ؟ قَالَ: لَا تُبَشِّرْهُمْ، فَيَتَّكِلُوا»: من الاتكال، وهو الاعتماد؛ أي إن أخبرتهم يتكلوا؛ كأنه قال: لا تخبرهم؛ لأنهم حينئذ يتكلون علىٰ الشهادة المجردة، فلا يشتغلون بالأعمال الصالحة، وفي رواية «ينْكلوا» بسكون النون من النكول، وهو الامتناع يعني يمتنعوا عن العمل اعتمادا علىٰ مجرد القول بلا إله إلا الله محمد رسول الله[(٣)].

قال العلماء: «يؤخذ من منع معاذ من تبشير الناس؛ لئلا يتكلوا أن أحاديث الرُّخَص لا تشاع في عموم الناس؛ لئلا يقصُر فهمهم عن المراد بها وقد سمعها معاذ فلم يزدد إلا اجتهادا في العمل وخشية لله عَزَّوَجَلَّ، فأما من لم يبلغ منزلته، فلا يؤمن أن يقصِّر اتكالا علىٰ ظاهر هذا الخبر»[(٤)].

قَـوْلُـهُ: «أَخرجَاهُ فِي الصَّحيحينِ»: أي البخاري، ومسلم في صحيحيهما؛

---

(١) **انظر:** «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» (١١/ ٣٣٩).
(٢) **انظر:** «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» (١/ ٢٢٨).
(٣) **انظر:** «عمدة القاري شرح صحيح البخاري»، للعيني (٢/ ٢٠٦-٢٠٧).
(٤) **انظر:** «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» (١١/ ٣٤٠).

وهما أصح الكتب بعد كتاب الله العزيز، وأول من صنف الصحيح البخاري أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي مولاهم، وتلاه أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري القُشيري[(١)].



(١) انظر: «مقدمة ابن الصلاح» (١/ ١٧-١٨).

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: الحِكْمَةُ فِي خَلْقِ الجِنِّ وَالْإِنْسِ.

الثَّانِيَةُ: أَنَّ العِبَادَةَ هِيَ التَّوْحِيدُ، لِأَنَّ الخُصُومَةَ فِيهِ.

الثَّالِثَةُ: أَنَّ مَنْ لَمْ يَأْتِ بِهِ لَمْ يَعْبُدِ اللهَ فَفِيهِ مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣﴾ [الكافرون:٣].

الرَّابِعَةُ: الحِكْمَةُ فِي إِرْسَالِ الرُّسُلِ.

الخَامِسَةُ: أَنَّ الرِّسَالَةَ عَمَّتْ كُلَّ أُمَّةٍ.

السَّادِسَةُ: أَنَّ دِينَ الأَنْبِيَاءِ وَاحِدٌ.

السَّابِعَةُ: المَسْأَلَةُ الكَبِيرَةُ أَنَّ عِبَادَةَ اللهِ لَا تَحْصُلُ إِلَّا بِالْكُفْرِ بِالطَّاغُوتِ فَفِيهِ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّـٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [البقرة:٢٦٥].

الثَّامِنَةُ: أَنَّ الطَّاغُوتَ عَامٌّ فِي كُلِّ مَا عُبِدَ مِنْ دُونِ اللهِ.

التَّاسِعَةُ: عِظَمُ شَأْنِ الثَّلَاثِ آيَاتِ المُحْكَمَاتِ فِي سُورَةِ الأَنْعَامِ عِنْدَ السَّلَفِ، وَفِيهَا عَشْرُ مَسَائِلَ أَوَّلُهَا النَّهْيُ عَنْ الشِّرْكِ.

الْعَاشِرَةُ: الآيَاتُ المُحْكَمَاتُ فِي سُورَةِ الإِسْرَاءِ وَفِيهَا ثَمَانِيَةَ عَشَرَ[1] مَسْأَلَةً، بَدَأَهَا اللهُ بِقَوْلِهِ: ﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ۝٢٢﴾ [الإسراء:٢٢]، وَخَتَمَهَا بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ۝٣٩﴾ [الإسراء:٣٩]، وَنَبَّهَنَا اللهُ سُبْحَانَهُ عَلَى عِظَمِ شَأْنِ هَذِهِ المَسَائِلِ بِقَوْلِهِ: ﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ﴾ [الإسراء:٣٩].

الحَادِيَةَ عَشْرَةَ: آيَةُ سُورَةِ النِّسَاءِ الَّتِي تُسَمَّى آيَةَ الحُقُوقِ العَشْرَةِ بَدَأَهَا اللهُ

(١) هكذا بالأصل؛ والصواب ثماني عشرة.

تَعالَى بِقَوْلِهِ: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾[النساء:٣٦].

الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ: التَّنْبِيهُ عَلَى وَصِيَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ عِنْدَ مَوْتِهِ.

الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ: مَعْرِفَةُ حَقِّ اللهِ عَلَيْنَا.

الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ: مَعْرِفَةُ حَقِّ العِبَادِ عَلَيْهِ إِذَا أَدَّوْا حَقَّهُ.

الخَامِسَةَ عَشْرَةَ: أَنَّ هَذِهِ المَسْأَلَةَ لَا يَعْرِفُهَا أَكْثَرُ الصَّحَابَةِ.

السَّادِسَةَ عَشْرَةَ: جَوَازُ كِتْمَانِ العِلْمِ لِلْمَصْلَحَةِ.

السَّابِعَةَ عَشْرَةَ: اسْتِحْبَابُ بِشَارَةِ المُسْلِمِ بِمَا يَسُرُّهُ.

الثَّامِنَةَ عَشْرَةَ: الخَوْفُ مِنَ الاتِّكَالِ عَلَى سَعَةِ رَحْمَةِ اللهِ.

التَّاسِعَةَ عَشْرَةَ: قَوْلُ المَسْئُولِ عَمَّا لَا يَعْلَمُ «اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ».

العِشْرُونَ: جَوَازُ تَخْصِيصِ بَعْضِ النَّاسِ بِالْعِلْمِ دُونَ بَعْضٍ.

الحَادِيَةُ وَالْعِشْرُونَ: تَوَاضُعُهُ ﷺ لِرُكُوبِ الحِمَارِ مَعَ الإِرْدَافِ عَلَيْهِ.

الثَّانِيَةُ وَالْعِشْرُونَ: جَوَازُ الإِرْدَافِ عَلَى الدَّابَّةِ[(١)].

الثَّالِثَةُ وَالْعِشْرُونَ: فَضِيلَةُ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ.

الرَّابِعَةُ وَالْعِشْرُونَ: عِظَمُ شَأْنِ هَذِهِ المَسْأَلَةِ[(٢)].

الشَّرْح

قَوْلُهُ: «الْأُولَى: الحِكْمَةُ فِي خَلْقِ الجِنِّ وَالْإِنْسِ»: أي العبادة لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ۝٥٦﴾[الذاريات:٥٦].

قَوْلُهُ: «الثَّانِيَةُ: أَنَّ العِبَادَةَ هِيَ التَّوْحِيدُ، لِأَنَّ الخُصُومَةَ فِيهِ»: أي بين الأنبياء وأقوامهم؛ لأن الكفار كانوا مقرين بتوحيد الربوبية؛ قال تعالىٰ: ﴿وَلَئِن

(١) في إحدىٰ النسخ الخطية زيادة: «إذا كانت تطيق ذلك».

(٢) في إحدىٰ النسخ الخطية: «المسائل».

سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزُّخرُف:٨٧]، وقال تعالىٰ: ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَـٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَإِيَّـٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٥١﴾﴾ [النحل:٥١].

قَوْلُهُ: «أَنَّ مَنْ لَمْ يَأْتِ بِهِ لَمْ يَعْبُدِ اللهَ فَفِيهِ مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٣﴾﴾»: أي من لم يأت بتوحيد الإلهية لم يكن موحدا.

قَوْلُهُ: «الرَّابِعَةُ: الحِكْمَةُ فِي إِرْسَالِ الرُّسُلِ»: أي التوحيد وعبادة الله؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّـٰغُوتَ﴾ [النحل:٣٦].

قَوْلُهُ: «الخَامِسَةُ: أَنَّ الرِّسَالَةَ عَمَّتْ كُلَّ أُمَّةٍ»: لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا﴾ [النحل:٣٦].

قَوْلُهُ: «السَّادِسَةُ: أَنَّ دِينَ الأَنْبِيَاءِ وَاحِدٌ»: أي التوحيد؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّـٰغُوتَ﴾ [النحل:٣٦].

قَوْلُهُ: «السَّابِعَةُ: المَسْأَلَةُ الكَبِيرَةُ أَنَّ عِبَادَةَ اللهِ لَا تَحْصُلُ إِلَّا بِالْكُفْرِ بِالطَّاغُوتِ فَفِيهِ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّـٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾»: لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّـٰغُوتَ﴾ [النحل:٣٦].

قَوْلُهُ: «الثَّامِنَةُ: أَنَّ الطَّاغُوتَ عَامٌّ فِي كُلِّ مَا عُبِدَ مِنْ دُونِ اللهِ»: أي كل ما عُبِد من دون الله وهو راضٍ فهو طاغوت.

قَوْلُهُ: «التَّاسِعَةُ: عِظَمُ شَأْنِ الثَّلَاثِ آيَاتِ المُحْكَمَاتِ»: أي ليست منسوخة.

قَوْلُهُ: «فِي سُورَةِ الأَنْعَامِ عِنْدَ السَّلَفِ، وَفِيهَا عَشْرُ مَسَائِلَ أَوَّلُهَا النَّهْيُ عَنْ الشِّرْكِ»: كما قال تعالىٰ: ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [الأنعام:١٥١].

قوله: «العاشرة: الآيات المحكمات في سورة الإسراء وفيها ثمانية عشر[(١)] مسألة، بدأها الله بقوله: ﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ۝٢٢﴾ [الإسراء:٢٢]، وختمها بقوله: ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ۝٣٩﴾ [الإسراء:٣٩]»: أي تلومك نفسك ويلومك الله والخلق؛ ﴿مَّدْحُورًا﴾ قال ابن عباس وقتادة: مطرودا[(٢)].

قوله: «ونبهنا الله سبحانه على عظم شأن هذه المسائل بقوله: ﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ﴾ [الإسراء:٣٩]»: أي هذا الذي أمرناك به من الأخلاق الجميلة، ونهيناك عنه من الصفات الرذيلة، مما أوحينا إليك يا محمد لتأمر به الناس[(٣)].

قوله: «الحادية عشرة: آية سورة النساء التي تسمى آية الحقوق العشرة بدأها الله تعالى بقوله: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾»: أي فيها أن التوحيد لا ينفع إلا مع نبذ الشرك.

قوله: «الثانية عشرة: التنبيه على وصية رسول الله ﷺ عند موته»: كما في حديث ابن مسعود رضي الله عنه، وقد مر.

قوله: «الثالثة عشرة: معرفة حق الله علينا»: كما في حديث معاذ رضي الله عنه أن نعبد الله، ولا نشرك به شيئًا.

قوله: «الرابعة عشرة: معرفة حق العباد عليه إذا أدوا حقه»: كما في حديث معاذ رضي الله عنه ألا يعذب الله من لا يشرك به شيئًا.

قوله: «الخامسة عشرة: أن هذه المسألة لا يعرفها أكثر الصحابة»: لأن معاذا رضي الله عنه قال للنبي ﷺ: أفلا أبشر الناس؟ قال: «لا تبشرهم فيتكلوا».

---

(١) هكذا بالأصل؛ والصواب ثماني عشرة.

(٢) انظر: «تفسير ابن كثير» (٥/ ٧٧).

(٣) انظر: «تفسير ابن كثير» (٥/ ٧٧).

قَوْلُهُ: «السَّادِسَةَ عَشْرَةَ: جَوَازُ كِتْمَانِ العِلْمِ لِلْمَصْلَحَةِ»: وهي الاتكال وترك العمل الصالح.

قَوْلُهُ: «السَّابِعَةَ عَشْرَةَ: اسْتِحْبَابُ بِشَارَةِ المُسْلِمِ بِمَا يَسُرُّهُ»: كما في قول معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**أفلا أبشر الناس**».

قَوْلُهُ: «الثَّامِنَةَ عَشْرَةَ: الخَوْفُ مِنْ الاتِّكَالِ عَلَى سَعَةِ رَحْمَةِ اللهِ»: لقول النبي ﷺ لمعاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**لا تبشِّرهم فيتكلوا**».

قَوْلُهُ: «التَّاسِعَةَ عَشْرَةَ: قَوْلُ المَسْئُولِ عَمَّا لَا يَعْلَمُ «اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ»»: لقول معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**الله ورسوله أعلم**»، ولم ينكر عليه النبي ﷺ.

وهذا فيما يعلمه النبي ﷺ من مسائل الشرع، وما أطلعه الله عليه من الغيب، أما ما لم يطلعه الله عليه من الغيبيات، فلا يقال ذلك، وإنما يقال: الله أعلم.

قَوْلُهُ: «العِشْرُونَ: جَوَازُ تَخْصِيصِ بَعْضِ النَّاسِ بِالْعِلْمِ دُونَ بَعْضٍ»: كما خص النبي ﷺ معاذا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بهذه البشارة.

قَوْلُهُ: «الحَادِيَةُ وَالْعِشْرُونَ: تَوَاضُعُهُ ﷺ لِرُكُوبِ الحِمَارِ مَعَ الإِرْدَافِ عَلَيْهِ»: كما فعل ﷺ مع معاذ.

قَوْلُهُ: «الثَّانِيَةُ وَالْعِشْرُونَ: جَوَازُ الإِرْدَافِ عَلَى الدَّابَّةِ»: بشرط أن تطيقه.

قَوْلُهُ: «الثَّالِثَةُ وَالْعِشْرُونَ: فَضِيلَةُ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ»: لأن النبي ﷺ خصه بهذه البشارة، وأردفه على حماره.

قَوْلُهُ: «الرَّابِعَةُ وَالْعِشْرُونَ: عِظَمُ شَأْنِ هَذِهِ المَسْأَلَةِ»: أي البشارة التي بشر بها النبي ﷺ معاذًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.



[١] باب فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب

وقول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٨٢﴾ [الأنعام:٨٢].

عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَالْجَنَّةَ حَقٌّ، وَالنَّارَ حَقٌّ أَدْخَلَهُ اللهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ»[١] أَخْرَجَاهُ.

وَلَهُمَا فِي حَدِيثِ عِتْبَانَ: «فَإِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ»[٢].

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «قَالَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَا رَبِّ عَلِّمْنِي شَيْئًا أَذْكُرُكَ وَأَدْعُوكَ بِهِ، قَالَ: قُلْ يَا مُوسَى: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، قَالَ: يَا رَبِّ كُلُّ عِبَادِكَ يَقُولُونَ هَذَا؟ قَالَ: يَا مُوسَى لَوْ أَنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ وَعَامِرَهُنَّ غَيْرِي وَالْأَرَضِينَ السَّبْعَ فِي كِفَّةٍ وَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ فِي كِفَّةٍ، مَالَتْ بِهِنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»[٣]. رَوَاهُ ابْنُ حِبَّانَ، وَالْحَاكِمُ، وَصَحَّحَهُ.

وَلِلتِّرْمِذِيِّ، وَحَسَّنَهُ عَنْ أَنَسٍ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «قَالَ اللهُ تَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ آتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا، ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٣٤٣٥)، ومسلم (٢٨).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٤٢٥)، ومسلم (٣٣).

(٣) رواه النسائي في «الكبرى» (١٠٦٠٢)، وابن حبان في «صحيحه» (٦٢١٨)، والحاكم في «المستدرك» (١٩٣٦)، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه»، وضعفه الألباني، ووافقه شعيب الأرنؤوط.

لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً»[(١)].

الشَّرْح

قَوْلُهُ: «بابٌ»: أي هذا باب فضل التوحيد، والباب معروف، وقد يطلق علىٰ الصنف، والباب: ما يدخل منه إلىٰ المقصود، ويتوصل به إلىٰ الاطلاع عليه[(٢)].

قَوْلُهُ: «فضلِ التوحيدِ»: أي بأنواعه الثلاثة؛ ألوهية، وربوبية، وأسماء وصفات.

قَوْلُهُ: «وما يكفِّرُ منَ الذنوبِ»: أي وبيان ما يكفر من الذنوب؛ وهذا من عطف الخاص علىٰ العام؛ فمن أعظم فضائل التوحيد أنه يكفر الذنوب.

قَوْلُهُ: «وقولُ اللهِ تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾»: أي هؤلاء الذين أخلصوا العبادة لله وحده لا شريك له، ولم يشركوا به شيئًا هم الآمنون يوم القيامة، المهتدون في الدنيا والآخرة[(٣)].

عَنْ عَبْدِ اللهِ بن مَسعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: ٨٢] شَقَّ ذَلِكَ عَلَىٰ المُسْلِمِينَ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّنَا لَا يَظْلِمُ نَفْسَهُ؟ قَالَ: «لَيْسَ ذَلِكَ إِنَّمَا هُوَ الشِّرْكُ أَلَمْ تَسْمَعُوا مَا قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان:١٣]»[(٤)].

قال النووي: «فالصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ حملوا الظلم علىٰ عمومه والمتبادر إلىٰ الأفهام منه، وهو وضع الشيء في غير موضعه، وهو مخالفة الشرع فشق عليهم

---

(١) صحيح: رواه الترمذي (٣٥٤٠)، وقال: حسن صحيح، وأحمد (٢١٣١٥)، وصححه الألباني.
(٢) انظر: «المطلع»، صـ (٦).
(٣) انظر: «تفسير ابن كثير» (٣/ ٢٦٤).
(٤) متفق عليه: رواه البخاري (٣٤٢٩)، ومسلم (١٢٤).

إلىٰ أن أعلمهم النبي ﷺ بالمراد بهذا الظلم، قال الخطابي: إنما شق عليهم؛ لأن ظاهر الظلم الافتيات بحقوق الناس وما ظلموا به أنفسهم من ارتكاب المعاصي، فظنوا أن المراد معناه الظاهر، وأصل الظلم وضع الشيء في غير موضعه ومن جعل العبادة لغير الله تعالىٰ فهو أظلم الظالمين»(١).

قَولُهُ: «عنْ عُبَادَةَ بنِ الصامتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «منْ شهِدَ أن لا إله إلا اللهُ»»: أي من تكلم بهذه الكلمة عارفًا لمعناها، عاملًا بمقتضاها باطنًا وظاهرًا، كما دل عليه قوله: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد:١٩]، وقوله: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ [الزُّخرُف:٨٦]، أما النطق بها من غير معرفة لمعناها ولا عمل بمقتضاها، فإن ذلك غير نافع بالإجماع؛ وفي الحديث ما يدل علىٰ هذا، وهو قوله: «من شهد»، إذ كيف يشهد وهو لا يعلم، ومجرد النطق بشيء لا يسمىٰ شهادة به(٢).

ومعنى لا إله إلا الله: لا معبود بحق سوىٰ الله؛ «لا إله» نافيا جميع الآلهة الباطلة التي تعبد من دون الله تبارك وتعالى؛ و«إلا الله» مثبتا الإلهية لله تبارك وتعالى؛ فلا يستحق العبادة إلا الله؛ قال تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ۝٦٢﴾ [الحج:٦٢].

قال ابن رجب: «الإله هو المعبود الذي يطاع، فلا يعصىٰ خشية وإجلالا ومهابة ومحبة ورجاء وتوكلا ودعاء، والمعاصي كلها قادحة في هذا التوحيد، لأنها إجابة لداعي الهوىٰ وهو الشيطان، قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَفَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الجاثية:٢٣]، قال الحسن وغيره: هو الذي لا يهوىٰ شيئًا إلا ركبه، فهذا ينافي الاستقامة علىٰ التوحيد»(٣).

---

(١) انظر: «شرح صحيح مسلم» (٢/ ١٤٣).
(٢) انظر: «تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد»، صـ(١/ ٥٢).
(٣) انظر: «جامع العلوم والحكم»، لابن رجب الحنبلي (١/ ٥٠٩).

قَولُه: «وحدَه»: تأكيد للإثبات «إلا الله».

قَولُه: «لا شريكَ له»: تأكيد للنفي «لا إله».

قَولُه: «وأن محمدًا عبدُه»: فيه رد علىٰ أهل الإفراط الذين غلوا في حق النبي ﷺ، فاعتقدوا فيه بعض خصائص الربوبية، وصرفوا إليه بعض خصائص الألوهية.

قَولُه: «ورسولُهُ»: فيه رد علىٰ أهل التفريط الذين فرطوا في حق النبي ﷺ، فتركوا ما أمر به، وفعلوا ما نهىٰ عنه ﷺ.

قَولُه: «وأنَّ عيسى عَبدُ اللهِ ورسولُه»: أي إنما هو عبد من عباد الله وخلق من خلقه، قال له: كن فكان، ورسول من رسله[(١)]؛ وفيه رد علىٰ النصارىٰ الذين يقولون: عيسىٰ هو ابن الله، أو: هو الله، أو: هو جزء من الله؛ قال تعالىٰ: ﴿لَّن يَسۡتَنكِفَ ٱلۡمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبۡدًا لِّلَّهِ﴾[النساء:١٧٢].

قَولُه: «وكلِمَتُهُ»: سمىٰ عيسىٰ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ كلمة؛ لأنه كان بكلمة كن فحسب من غير أب بخلاف غيره من بني آدم؛ قال الهروي: سمي كلمة؛ لأنه كان عن الكلمة فسمي بها كما يقال للمطر رحمة[(٢)].

قَولُه: «ألقاهَا إلى مريَمَ»: أي خلقه بالكلمة التي أرسل بها جبريل عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ إلىٰ مريم، فنفخ فيها من روحه بإذن ربه عَزَّوَجَلَّ، فكان عيسىٰ بإذن الله عَزَّوَجَلَّ، وصارت تلك النفخة التي نفخها في جيب دِرعها[(٣)] نزلت حتىٰ ولجت فرجها بمنزلة لقاح الأب الأم، والجميع مخلوق لله عَزَّوَجَلَّ[(٤)].

قَولُه: «وروحُ منهُ»: أي مخلوقة من عنده، وعلىٰ هذا يكون إضافتها إليه

---

(١) **انظر:** «تفسير ابن كثير» (٢/ ٤٧٧).

(٢) **انظر:** «شرح صحيح مسلم» (١/ ٢٢٧).

(٣) **جيب درعها:** أي فتحة قميصها التي يدخل منها الرأس.

(٤) **انظر:** «تفسير ابن كثير» (٢/ ٤٧٧).

إضافة تشريف كناقة الله وبيت الله[(١)].

قَـوْلُـهُ: «والجنةَ حقٌّ والنارَ حقٌّ»: أي كله متحقق لا شك فيه[(٢)]؛ وهذا فيه إشارة إلىٰ أنهما موجودتان[(٣)].

قَـوْلُـهُ: «أدخلهُ اللهُ الجنةَ على ما كانَ من العملِ»: أي من صلاح أو فساد لكن أهل التوحيد لا بد لهم من دخول الجنة، ويحتمل أن يكون المعنىٰ يدخل أهل الجنة الجنة علىٰ حسب أعمال كل منهم في الدرجات[(٤)].

قال النووي: «هذا محمول علىٰ إدخاله الجنة في الجملة، فإن كانت له معاص من الكبائر فهو في المشيئة، فإن عذب ختم له بالجنة»[(٥)].

قال أيضًا: «هذا حديث عظيم الموقع وهو أجمع، أو من أجمع الأحاديث المشتملة علىٰ العقائد فإنه ﷺ جمع فيه ما يخرج عن جميع ملل الكفر علىٰ اختلاف عقائدهم، وتباعدهم، فاختصر ﷺ في هذه الأحرف علىٰ ما يباين به جميعهم»[(٦)].

قَـوْلُـهُ: «أخرجاهُ»: أي البخاري، ومسلم.

قَـوْلُـهُ: «ولهمَا»: أي البخاري ومسلم.

قَـوْلُـهُ: «في حديثِ عتبانَ: «فإنَّ اللهَ حرَّمَ على النارِ منْ قالَ لا إلهَ إلا اللهُ، يبتغي بذلك وجهَ اللهِ»»: أي كل من مات علىٰ الإيمان، وتشهَّد مخلصا من قلبه بالشهادتين، فإنه يدخل الجنة فإن كان تائبًا أو سليمًا من المعاصي دخل الجنة

---

(١) انظر: «شرح صحيح مسلم» (١/ ٢٢٧).
(٢) انظر: «شرح صحيح مسلم» (٦/ ٥٥).
(٣) انظر: «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» (٣/ ٤).
(٤) انظر: «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» (٦/ ٤٧٩).
(٥) انظر: «شرح صحيح مسلم» (١/ ٢٢٧).
(٦) انظر: «شرح صحيح مسلم» (١/ ٢٢٧).

برحمة ربه وحرم على النار بالجملة؛ والمراد بتحريم النار تحريم الخلود خلافا للخوارج والمعتزلة[١].

قَـوْلُـهُ: «وعن أبي سعيدٍ الخدريِّ عنْ رسولِ اللهِ ﷺ قالَ: «قالَ موسى: يا ربِّ علِّمني شيئًا أذكركَ»»: أي أثني عليك به.

قَـوْلُـهُ: «وأدعوكَ بِه»: أي أسألك به.

قَـوْلُـهُ: «قال: قلْ يَا موسى: لا إلهَ إلا اللهُ؛ قالَ: يا ربِّ كُلُّ عبادِكَ يقولونَ هذا»: أي لا إله إلا الله.

قَـوْلُـهُ: «قالَ: يا موسى لو أن السمواتِ السبعَ وَعَامِرَهُنَّ غيري»: أي من الملائكة العباد؛ والمعنىٰ: لو أن السماوات السبع ومن فيهن من العمار غير الله ﷻ؛ وعامر الشيء حافظه ومصلحه ومدبره الذي يمسكه من الخلل؛ ولذلك سمي ساكن البلد والمقيم به عامره من عَمَّرت المكان: إذا أقمت فيه[٢].

قَـوْلُـهُ: «والأَرَضِينَ السبعَ في كفَّةٍ، ولا إلهَ إلا اللهُ في كفةٍ، مالتْ بهن لا إلهَ إلا اللهُ»: أي رجحت عليهم وغلبتهن؛ لعظم كلمة التوحيد[٣]؛ فعَنْ عَبْدِ اللهِ ابْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «إِنَّ نُوحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ لِابْنِهِ عِنْدَ مَوْتِهِ: آمُرُكَ بِلَا إِلَهِ إِلَّا اللهُ؛ فَإِنَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ وَالأَرَضِينَ السَّبعَ لَوْ وُضِعْنَ فِي كِفَّةٍ وَوُضِعَتْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ فِي كِفَّةٍ؛ لَرَجَحَتْ بِهِنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَلَوْ أَنَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ وَالأَرَضِينَ السَّبْعَ كن حلقة مبهمة لقصمتهن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»[٤].

قَـوْلُـهُ: «وللترمذي وحسنه عن أنس: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله تعالى: يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا»»: أي أتيتني بما يقارب

---

(١) **انظر**: «شرح صحيح مسلم» (١/ ٢٢٠).

(٢) **انظر**: «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح»، لعلي القاري (٤/ ١٦٠٠).

(٣) **انظر**: السابق (٤/ ١٦٠٠).

(٤) **صحيح**: رواه أحمد (٦٧٥٠)، وصححه أحمد شاكر.

مثل الأرض من الذنوب[١]؛ وخطايا جمع خطيئة؛ وهي الذنب والإثم[٢].

قَـوْلُـهُ: «ثم لقيتني لا تشركُ بي شيئًا»: أي مت على الإيمان لا تشرك بي شيئًا[٣].

قَـوْلُـهُ: «لأتيتُك بقُرابِها مَغفرةً»: لكن هذا مع مشيئة الله عَزَّوَجَلَّ، فإن شاء غفر له، وإن شاء أخذه بذنوبه، ثم كان عاقبته أن لا يخلد في النار، بل يخرج منها، ثم يدخل الجنة.

قال بعض العلماء: الموحد لا يلقىٰ في النار كما يلقىٰ الكفار، ولا يلقىٰ فيها ما يلقىٰ الكفار، ولا يبقىٰ فيها كما يبقىٰ الكفار، فإن كمل توحيد العبد وإخلاصه لله فيه، وقام بشروطه كلها بقلبه ولسانه وجوارحه، أو بقلبه ولسانه عند الموت، أوجب ذلك مغفرة ما سلف من الذنوب كلها، ومنعه من دخول النار بالكلية، فمن تحقق بكلمة التوحيد قلبُه، أخرجت منه كل ما سوىٰ الله محبة وتعظيما وإجلالا ومهابة، وخشية، ورجاء وتوكلا، وحينئذ تحرق ذنوبه وخطاياه كلها ولو كانت مثل زبد البحر، وربما قلبتها حسنات[٤].

---

(١) **انظر:** «شرح الأربعين النووية»، لابن دقيق العيد، صـ (١٣٩)، و«حاشية السيوطي علىٰ سنن النسائي» (٢/ ١٣).

(٢) **انظر:** «لسان العرب»، مادة «خطا».

(٣) **انظر:** «شرح الأربعين النووية»، لابن دقيق العيد، صـ (١٣٩).

(٤) **انظر:** «جامع العلوم والحكم» (٢/ ٤١٧).

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: سَعَةُ فَضْلِ اللهِ.

الثَّانِيَةُ: كَثْرَةُ ثَوَابِ التَّوْحِيدِ عِنْدَ اللهِ.

الثَّالِثَةُ: تَكْفِيرُهُ مَعَ ذَلِكَ لِلذُّنُوبِ.

الرَّابِعَةُ: تَفْسِيرُ الْآيَةِ [٨٢] الَّتِي فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ.

الخَامِسَةُ: تَأَمَّلْ الخَمْسَ اللَّوَاتِي فِي حَدِيثِ عُبَادَةَ.

السَّادِسَةُ: أَنَّكَ إِذَا جَمَعْتَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ حَدِيثِ عِتْبَانَ وَمَا بَعْدَهُ تَبَيَّنَ لَكَ مَعْنَى قَوْلِ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»، وَتَبَيَّنَ لَكَ خَطَأَ المَغْرُورِينَ.

السَّابِعَةُ: التَّنْبِيهُ لِلشَّرْطِ الَّذِي فِي حَدِيثِ عِتْبَانَ.

الثَّامِنَةُ: كَوْنُ الْأَنْبِيَاءِ يَحْتَاجُونَ لِلتَّنْبِيهِ عَلَى فَضْلِ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ».

التَّاسِعَةُ: التَّنْبِيهُ لِرُجْحَانِهَا بِجَمِيعِ المَخْلُوقَاتِ، مَعَ أَنَّ كَثِيرًا مِمَّنْ يَقُولُهَا يَخِفُّ مِيزَانُهُ.

الْعَاشِرَةُ: النَّصُّ عَلَى أَنَّ الْأَرَضِينَ سَبْعٌ كَالسَّمَوَاتِ.

الحَادِيَةَ عَشْرَةَ: أَنَّ لَهُنَّ عُمَّارًا.

الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ: إِثْبَاتُ الصِّفَاتِ خِلَافًا لِلْأَشْعَرِيَّةِ.

الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ: أَنَّكَ إِذَا عَرَفْتَ حَدِيثَ أَنَسٍ، عَرَفْتَ أَنَّ قَوْلَهُ فِي حَدِيثِ عِتْبَانَ: «فَإِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ»[(١)] أَنَّ تَرْكَ الشِّرْكِ، لَيْسَ قَوْلًا بِاللِّسَانِ.

الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ: تَأَمَّلِ الجَمْعَ بَيْنَ كَوْنِ عِيسَى، وَمُحَمَّدٍ عَبْدَيِ اللهِ وَرَسُولَيْهِ.

الخَامِسَةَ عَشْرَةَ: مَعْرِفَةُ اخْتِصَاصِ عِيسَى بِكَوْنِهِ كَلِمَةَ اللهِ.

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٤٢٥)، ومسلم (٣٣).

السَّادِسَةَ عَشْرَةَ: مَعْرِفَةُ كَوْنِهِ رُوحًا مِنْهُ.

السَّابِعَةَ عَشْرَةَ: مَعْرِفَةُ فَضْلِ الْإِيمَانِ بِالْجَنَّةِ وَالنَّارِ.

الثَّامِنَةَ عَشْرَةَ: مَعْرِفَةُ قَوْلِهِ: «عَلَى مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ».

التَّاسِعَةَ عَشْرَةَ: مَعْرِفَةُ أَنَّ الْمِيزَانَ لَهُ كِفَّتَانِ.

الْعِشْرُونَ: مَعْرِفَةُ ذِكْرِ الْوَجْهِ.

الشَّرْح

قَوْلُهُ: «الأولى: سَعةُ فضلِ اللهِ»: لقوله ﷺ: «أدخله الله الجنة على ما كان من العمل».

قَوْلُهُ: «الثانيةُ: كَثرةُ ثوابِ التَّوحيدِ عِندَ اللهِ»: لقوله ﷺ: «مالت بهن لا إله إلا الله».

قَوْلُهُ: «الثَّالثةُ: تَكفيرُهُ مع ذلكَ للذنوبِ»: لقوله ﷺ: «لأتيتك بقرابها مغفرة».

قَوْلُهُ: «الرابعةُ: تَفسيرُ الآيةِ [٨٢] التي في سورةِ الأنعامِ»: أي قوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام:٨٢] فسرها النبي ﷺ بالشرك.

قَوْلُهُ: «الخَامسةُ: تأملِ الخمسَ اللواتي في حديثِ عبادةَ»: أي الشهادتان، وأن عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ عبد الله ورسوله، وأن الجنة حق، وأن النار حق.

قَوْلُهُ: «السَّادسةُ: أنَّك إذا جمعتَ بينه وبينَ حديثِ عتبانَ وما بعدَه، تَبينَ لكَ معنى قولِ «لا إله إلا الله»، وتبينَ لك خطأُ المغرورينَ»: أي أن التوحيد قول، ولا يشترط له الاعتقاد.

قَوْلُهُ: «السَّابعة: التَّنبيهُ للشرطِ الذي في حديثِ عِتبانَ»: أي الإخلاص:

«يبتغي بذلك وجه الله»، ولا يكفي مجرد القول؛ لأن المنافقين كانوا يقولونها بألسنتهم، ولم تنفعهم.

قَــوْلُــهُ: «الثامنةُ: كَونُ الأنبياءِ يحتاجونَ للتنبيهِ على فضْلِ لا إلهَ إلا اللهُ»: لأن الله ﷻ لما سأله موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ كلمة يذكره ويحمده بها قال له: «**قل: لا إله إلا الله**».

قَــوْلُــهُ: «التاسعةُ: التَّنْبيهُ لرُجحانِها بجميعِ المخلوقاتِ، مع أنَّ كثيرًا ممَّنْ يقولها يَخِفُّ مِيزانُه»: لأنه لم يحقق معناها ومقتضاها وشروطها.

قَــوْلُــهُ: «العَاشرةُ: النَّصُّ على أنَّ الأرضينَ سَبعٌ كالسمواتِ»: كما في حديث أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقوله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ [الطلاق:١٢].

قَــوْلُــهُ: «الحَاديةَ عَشرةَ: أنَّ لهُنَّ عُمَّارا»: أي سكانا وهم الملائكة؛ كما في حديث أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قَــوْلُــهُ: «الثَّانيةَ عَشرةَ: إثباتُ الصفاتِ خلافًا للأشعريةِ»: الأشعرية ينفون جميع صفات الله ﷻ إلا سبعة؛ ففي حديث عتبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إثبات صفة الوجه لله ﷻ؛ لقوله ﷺ: «**يبتغي بذلك وجه الله**»، وفي حديث أبي سعيد إثبات صفة الكلام لله ﷻ؛ لقوله ﷺ: «**وكلمته ألقاها**».

قَــوْلُــهُ: «الثالثةَ عشْرةَ: أنَّك إذا عرَفتَ حَديثَ أنسٍ، عَرَفتَ أنَّ قَولَه في حَديثِ عتبانَ: «فإنَّ اللهَ حرَّم على النارِ منْ قالَ لا إلهَ إلا اللهُ يبتَغي بذلكَ وجهَ اللهِ» أنَّ تركَ الشركَ ليسَ قولُها باللسانِ»: أي يشترط الاعتقاد؛ فمن قال: لا إله إلا الله، ولم يعتقد معناها لم تنفعه.

ويشترط أيضًا: ترك الشرك، فمن قالها معتقدًا، ولم يترك الشرك لم تنفعه؛ لقول النبي ﷺ: «**ثُمَّ لَقِيتَنِي لا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً**»[1].

---

(١) **صحيح**: رواه الترمذي (٣٥٤٠)، وقال: حسن صحيح، وأحمد (٢١٣١٥)، وصححه الألباني.

قَـولُـهُ: «الرابعةَ عَشرةَ: تأمُّلِ الجمعَ بينَ كونِ عيسى ومحمَّدٍ عبدَي اللهِ ورسولَيهِ»: فيه الرد علىٰ أهل الإفراط، والتفريط.

أهل الإفراط: صرفوا لهما بعض خصائص الربوبية، والألوهية.

وأهل التفريط: تركوا العمل بما جاءا به من السنن.

قَـولُـهُ: «الخامسةَ عشرةَ: معرفةُ اختصاصِ عيسى بكونِه كلمةَ اللهِ»: أي قال له: كن، فكان؛ بخلاف بقية البشر، فإنهم خلقوا من ماء.

قَـولُـهُ: «السَّادِسةَ عَشرةَ: معرفةُ كونِهِ رُوحًا منْهُ»: أي أن عيسىٰ روح من الله، و«من» هنا بيانية، أو للابتداء، وليست للتبعيض، أي: روح جاءت من قبل الله، وليست بعضا من الله، بل هي من جملة الأرواح المخلوقة[1].

قَـولُـهُ: «السَّابعةَ عَشرةَ: مَعرفةُ فَضلِ الإيمانِ بالجنةِ والنَّارِ»: فمن آمن بالجنة والنار دخل الجنة، كما في حديث عبادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قَـولُـهُ: «الثَّامنةَ عَشرةَ: معرفةُ قَوْلِهِ: «على ما كانَ منَ العملِ»»: أي من صلاح وإن قل، أو فساد وإن كثر.

قَـولُـهُ: «التاسعةَ عَشرةَ: معرفةُ أنَّ الميزانَ له كِفتانِ»: أي ميزان حقيقي، وليس مجازيا كما تقول المعتزلة؛ فلو كان مجازيا لما وصفه النبي ﷺ بأن له كفتين.

قَـولُـهُ: «العشرونَ: مَعرفةُ ذكرِ الوجْهِ»: أي وجه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهو وجه حقيقي يليق بجلاله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ لا يشبه وجوه المخلوقين.

---

(١) انظر: «القول المفيد علىٰ كتاب التوحيد» (١/ ٨٩).

[٢] بَابُ مَنْ حَقَّقَ التَّوْحِيدَ دَخَلَ الجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ

وقولُ اللهِ تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ [النحل:١٢٠].

وقالَ: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾﴾[المؤمنون:٥٩].

عنْ حُصَينِ بن عَبدِ الرَّحمنِ قَالَ: «كُنْتُ عِنْدَ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، فَقَالَ: أَيُّكُمْ رَأَى الْكَوْكَبَ الَّذِي انْقَضَّ الْبَارِحَةَ؟ فقلتُ: أَنا، ثُمَّ قُلتُ: أَمَا إِنِّي لَمْ أَكُنْ فِي صَلاةٍ وَلَكِنِّي لُدِغْتُ؛ قَالَ: فَما صَنعتَ؟ قلتُ: ارتقيتُ؛ قالَ: فَما حملكَ على ذلكَ؟ قُلتُ: حديثٌ حَدَّثَناهُ الشَّعبيُّ؛ قالَ: ومَا حدَّثكُم؟ قُلتُ: حدَّثنا عَن بُريدَةَ بنِ الحُصَيبِ أنَّهُ قَالَ: «لَا رُقيَةَ إِلَّا مِنْ عَيْنٍ أو حُمَةٍ»؛ قالَ: قَالَ قَدْ أَحسَنَ مَنِ انْتَهَى إِلَى مَا سَمِعَ، وَلَكِنْ حَدَّثَنَا ابْنُ عَبَّاسٍ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّه قالَ: «عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّهْطُ، وَالنَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلَانِ، وَالنَّبِيَّ وَلَيسَ مَعَهُ أَحدٌ، إِذْ رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ فَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ أُمَّتِي، فَقِيلَ لِي: هَذَا مُوسَى وَقَومُهُ، فَنَظَرْتُ، فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَقِيلَ لِي: هَذِهِ أُمَّتُكَ، وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ، وَلَا عَذَابٍ، ثُمَّ نَهَضَ فَدَخَلَ مَنْزِلَهُ فَخَاضَ النَّاسُ فِي أُولَئِكَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: فَلَعَلَّهُمْ الذِينَ صَحِبُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: فَلَعَلَّهُمْ الذِينَ وُلِدُوا فِي الإِسْلَامِ، فَلَمْ يُشْرِكُوا بِاللهِ شَيْئًا وَذَكَرُوا أَشْيَاءَ، فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَأَخْبَرُوهُ، فَقَالَ: «هُمُ الذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَكْتَوُونَ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ»، فَقَامَ عُكَّاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ، فَقَالَ: ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنهُمْ، فَقَالَ: «أَنْتَ مِنْهُمْ»، ثُمَّ قَامَ رَجُلٌ آخَرُ، فَقَالَ: ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنهُمْ، فَقَالَ: «سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ»(١).

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٥٧٠٥) مرفوعًا، ومسلم (٢٢٠)، وأبو داود (٣٨٨٤)، والترمذي (٢٠٥٧)، وابن ماجه (٣٥١٣)، وأحمد (٢٤٤٨).

الشَّرح

قَولُـهُ: «بابٌ منْ حَقق التَّوحيدَ»: أي بأنواعه الثلاثة: الإلهية، والربوبية، والأسماء والصفات؛ وتحقيقه يكون بتخليصه وتصفيته من ثلاثة أشياء:

أحدها: الشرك بأنواعه الثلاثة، وهي: الربوبية، والألوهية، والأسماء والصفات.

الثاني: البدع سواء كانت عملية أو اعتقادية.

الثالث: المعاصي سواء كانت صغائر أو كبائر.

قَولُـهُ: «دخلَ الجنةَ بغيرِ حسابٍ»: أي ولا عذاب؛ وهذا الباب أخص من الباب السابق.

قَولُـهُ: «وقولُ اللهِ تَعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾»: أي إن إبراهيم خليل الله كان قائما مقام جماعة في عبادة الله، نحو قولهم: فلان في نفسه قبيلة[١]، وكان مُعَلِّم خَيْر، يأتمّ به أهل الهدىٰ[٢]، وقد اجتمع فيه من الخصال الحميدة ما يجتمع في أمة[٣]، والأمة هو الإمام الذي يقتدىٰ به[٤].

قَولُـهُ: «﴿قَانِتًا لِّلَّهِ﴾»: أي مطيعًا لله[٥]، وقيل: قائما بأوامر الله تعالىٰ[٦]، والقانت: هو الخاشع المطيع[٧].

قَولُـهُ: «﴿حَنِيفًا﴾»: أي مستقيمًا علىٰ دين الإسلام[٨]، وقيل: مخلصًا[٩]،

---

(١) انظر: «المفردات في غريب القرآن»، صـ (٨٦).
(٢) انظر: «تفسير الطبري» (١٧/ ٣١٦).
(٣) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ١٠١).
(٤) انظر: «تفسير ابن كثير» (٤/ ٦١١).
(٥) انظر: «تفسير الطبري» (١٧/ ٣١٦).
(٦) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ١٠١).
(٧) انظر: «تفسير ابن كثير» (٤/ ٦١١).
(٨) انظر: «تفسير الطبري» (١٧/ ٣١٦).
(٩) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ١٠١).

والحنيف: المنحرف قصدًا عن الشرك إلىٰ التوحيد؛ ولهذا قال: ﴿وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾[1].

قَـوْلُـهُ: «﴿وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾»: أي ولم يك يُشرك بالله شيئًا، فيكون من أولياء أهل الشرك به، وهذا إعلام من الله تعالىٰ أهل الشرك به من قريش أن إبراهيم منهم بريء، وأنهم منه برآء[2].

ووجه الشاهد من ذكر هذه الآية أن التوحيد لا يتحقق إلا بانتفاء الشرك بأنواعه.

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب في تفسير الآية: «﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةٗ﴾؛ لئلا يستوحش سالك الطريق من قلة السالكين، ﴿قَانِتٗا لِّلَّهِ﴾ لا للملوك ولا للتجار المترفين، ﴿حَنِيفٗا﴾ لا يميل يمينًا ولا شمالًا، كفعل العلماء المفتونين ﴿وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ خلافًا لمن كثر سوادهم، وزعم أنه من المسلمين»[3].

فائدة: لفظ أمة في القرآن الكريم يأتي على معانٍ[4]:

أحدها: الإمام؛ ومنه قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةٗ﴾[النحل:١٢٠].

الثاني: الزمن؛ ومنه قوله تعالىٰ: ﴿وَٱدَّكَرَ بَعۡدَ أُمَّةٍ﴾[يوسف:٤٥]، أي: حين

الثالث: الطائفة؛ ومنه قوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا﴾ [النحل:٣٦]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُم﴾[الأنعام:٣٨]، وقوله تعالىٰ: ﴿لَيۡسُواْ سَوَآءٗۗ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ أُمَّةٞ قَآئِمَةٞ﴾[آل عمران:١١٣]، أي: جماعة.

---

(١) انظر: «تفسير ابن كثير» (٤/ ٦١١).

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (١٧/ ٣١٦).

(٣) انظر: «الدرر السنية في الأجوبة النجدية» (١٣/ ٣١١).

(٤) انظر: «المفردات في غريب القرآن»، صـ (٨٥-٨٧).

الرابع: المِلة؛ ومنه قوله تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ﴾ [الزُّخرُف:٢٣]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ﴾ [هود:١١٨].

قَـوْلُـهُ: «وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمۡ لَا يُشۡرِكُونَ ٥٩﴾»: هذا في معرِض الثناء علىٰ المؤمنين؛ فذكر من صفاتهم أنهم لا يشركون بالله، أي يتركون الشرك تركا كليا ظاهرا وباطنا[1]؛ فلا يعبدون معه غيره، بل يوحدونه ويعلمون أنه لا إله إلا الله أحدا صمدا، لم يتخذ صاحبة ولا ولدا، وأنه لا نظير له ولا كفء له[2].

قَـوْلُـهُ: «عن حُصَينِ بن عبدِ الرحمنِ قالَ: «كُنْتُ عِنْدَ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، فقال: أَيُّكُمْ رَأَى الْكَوْكَبَ الَّذِي انْقَضَّ»: أي الذي سقط[3].

قَـوْلُـهُ: «الْبَارِحَةَ»: البارحة هي أقرب ليلة مضت؛ قال ثعلب: يقال: قبل الزوال رأيت الليلة، وبعد الزوال رأيت البارحة، وهي مشتقة من بَرِح إذا زال[4].

قَـوْلُـهُ: «فقلت: أنا»: أي حصين بن عبد الرحمن.

قَـوْلُـهُ: «ثم قلتُ»: أي حصين بن عبد الرحمن.

قَـوْلُـهُ: «أَمَا إِنِّي لَمْ أَكُنْ فِي صَلاةٍ»: أراد أن ينفي عن نفسه اتهام العبادة والسهر في الصلاة مع أنه لم يكن فيها[5].

قَـوْلُـهُ: «وَلَكِنِّي لُدِغْتُ»: يقال: لدغته العقرب وذوات السموم، إذا أصابته بسمها، وذلك بأن تَأْبُرُه بشوكتها[6].

---

(١) انظر: «فتح القدير» (٣/ ٥٧٨).
(٢) انظر: «تفسير ابن كثير» (٥/ ٤٨٠).
(٣) انظر: «شرح صحيح مسلم» (٣/ ٩٣).
(٤) انظر: «القاموس المحيط»، و«لسان العرب»، مادة «برح».
(٥) انظر: «شرح صحيح مسلم» (٣/ ٩٣).
(٦) انظر: «شرح صحيح مسلم» (٣/ ٩٣).

قَولُه: «قالَ: فما صنعتَ؟»: أي قال سعيد بن جبير.

قَولُه: «قلتُ: ارتقيتُ»: لم أجد هذا اللفظ عن أحد من أصحاب السنن والصحاح والمسانيد؛ إنما وجدتها بلفظ «استرقيت» أي طلبت الرقية.

قَولُه: «قال: فما حملك على ذلك؟»: أي ما الذي جعلك تسترقي.

قَولُه: «قلت: حديثٌ حدَّثناه الشعبيُّ؛ قال: وما حدَّثكُم؟ قلتُ حدَّثنا عنْ بُريدَةَ بنِ الحُصَيبِ أنَّه قالَ: «لا رُقيَة إلا مِنْ عَيْنٍ»: العين هي إصابة العائن غيره بعينه؛ والعين حق[1].

قَولُه: «أو حُمَةٍ»: الحُمَة بضم الحاء المهملة وتخفيف الميم هي سم ذوات السموم[2] كالعقرب وَشِبْهِهَا وقيل: فَوْعَةُ السُّمِّ، وهي حدته وحرارته، والمراد: أو ذي حُمَةٍ كالعقرب وَشِبْهِهَا، أي لا رقية إلا من لدغ ذي حُمَةٍ[3].

قال الخطابي: «وليس في هذا نفي جواز الرقية في غيرهما من الأمراض والأوجاع؛ لأنه قد ثبت عن النبي ﷺ أنه رقىٰ بعض أصحابه من وجع كان به؛ وقال للشفاء: علِّمي حفصة رقية النملة؛ وإنما معناه: أنه لا رقية أولىٰ وأنفع من رقية العين والسم، وهذا كما قيل لا فتىٰ إلا علي، ولا سيف إلا ذو الفقار»[4].

وقال أيضًا: «فأما الرقىٰ فالمنهيُّ عنه هو ما كان منها بغير لسان العرب، فلا يدرىٰ ما هو ولعله قد يدخله سحرًا أو كفرًا، فأما إذا كان مفهوم المعنىٰ، وكان فيه ذكر الله تعالىٰ، فإنه مستحب متبرك به»[5].

قَولُه: «قال: قدْ أحسنَ من انتهى إلى ما سَمِعَ»: أي من أخذ بما بلغه من

---

(١) انظر: «شرح صحيح مسلم» (٣/ ٩٣).

(٢) انظر: «معالم السنن»، للخطابي (٤/ ٢٢٦).

(٣) انظر: «شرح صحيح مسلم» (٣/ ٩٣).

(٤) انظر: «معالم السنن» (٤/ ٢٢٦).

(٥) انظر: «معالم السنن» (٤/ ٢٢٦).

العلم وعمل به فقد أحسن؛ لأنه أدىٰ ما وجب وعمل بما بلغه من العلم، بخلاف من يعمل بجهل، أو لا يعمل بما يعلم، فإنه مسيء آثم[(١)].

قَولُهُ: «ولكنْ حدَّثنا ابنُ عبَّاس عن النبيِّ ﷺ أنه قالَ: «عُرِضتْ عليّ الأممُ»»: أي ليلة الإسراء كما في رواية الترمذي[(٢)] والنسائي[(٣)] بلفظ: «لَمَّا أُسْرِيَ بِالنَّبِيِّ ﷺ جَعَلَ يَمُرُّ بِالنَّبِيِّ...».

قَولُهُ: «فرأيتُ النبيَّ ومعهُ الرَّهطُ»: الرهط: عدد يُجمع من ثلاثة إلىٰ عشرة[(٤)].

قَولُهُ: «والنبيَّ ومعهُ الرجلُ والرجلانِ، والنبيَّ وليسَ معهُ أحدٌ»: أي لم يؤمن به أحد من قومه الذين بعث فيهم.

قَولُهُ: «إذْ رُفِعَ لي سوادٌ عظيمٌ»: أي أشخاص كثيرون[(٥)].

قَولُهُ: «فظننتُ أنَّهم أمَّتي»: لأن الأشخاص التي رآها في الأفق لا يدرك منها إلا الكثرة من غير تمييز لأعيانهم[(٦)].

قَولُهُ: «فقيلَ لي: هذا موسى وقومُه»: أي ومن آمن به من قومه.

قَولُهُ: «فنظرتُ فإذَا سوادٌ عظيمٌ»: أي خلق كثير.

قَولُهُ: «فقيلَ لي: هذه أمَّتُك»: أي أمة الإجابة.

قَولُهُ: «ومعهم سبعونَ ألفًا يدخلونَ الجنةَ بغيرِ حسابٍ ولا عذابٍ»: لأنهم بلغوا أرفع درجات الإيمان.

---

(١) انظر: «تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد»، صـ(٧٩).

(٢) برقم (٢٤٤٦).

(٣) برقم (٧٥٦٠).

(٤) انظر: العين، مادة «رهط».

(٥) انظر: «إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري»، للقسطلاني (٨/ ٣٩٦).

(٦) انظر: «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» (١١/ ٤٠٨).

قال النووي: «معناه: ومع هؤلاء سبعون ألفا من أمتك فكونهم من أمته ﷺ لا شك فيه، وأما تقديره فيحتمل أن يكون معناه: وسبعون ألفا من أمتك غير هؤلاء، وليسوا مع هؤلاء، ويحتمل أن يكون معناه في جملتهم سبعون ألفا، ويؤيد هذا رواية البخاري في صحيحه[١]: «هَذِهِ أُمَّتُكَ، وَيَدْخُلُ الجَنَّةَ مِنْ هَؤُلاءِ سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ»»[٢].

فائدة: أقسام أمة النبي ﷺ ثلاثة[٣]:

أحدها: أمة الاتباع، وهم أهل العمل الصالح.

الثاني: أمة الإجابة، وهم مطلق المسلمين.

الثالث: أمة الدعوة، وهم من عداهم ممن بعث إليهم.

قَولُهُ: «ثمَّ نهضَ فدخلَ منْزلَه، فخاضَ الناسُ في أولئكَ»: أي تكلموا وتناظروا في شأنهم؛ وفي هذا إباحة المناظرة في العلم والمباحثة في نصوص الشرع علىٰ جهة الاستفادة وإظهار الحق[٤].

قَولُهُ: «فقالَ بعضُهم: فلعلَّهم الذينَ صحبُوا رسولَ اللهِ ﷺ، وقال بعضُهُم: فلعلَّهم الذينَ وُلدوا في الإسلامِ»: أي ولدوا بعد البعثة.

قَولُهُ: «فلمْ يُشركوا باللهِ شيئًا»: خلافا لمن كان مشركا فأسلم.

قَولُهُ: «وذكروا أشياءَ»: أي عينوا أناسا آخرين.

قَولُهُ: «فخرجَ عليهم رسولُ اللهِ ﷺ»: أي من حجرته.

قَولُهُ: «فأخبَروه»: أي بما جرىٰ بينهم.

---

(١) برقم (٥٧٠٥).
(٢) انظر: «شرح صحيح مسلم» (٣/ ٩٤).
(٣) انظر: «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» (١١/ ٤١١).
(٤) انظر: «شرح صحيح مسلم» (٣/ ٩٤-٩٥).

قَولُه: «فقالَ»: أي مفسرا، وموضحا لصفات الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب.

قَولُه: «همُ الذينَ لا يَسْتَرقون»: أي لا يطلبون الرقية مطلقًا، ولا يسترقون برقىٰ الجاهلية[(١)].

قَولُه: «ولا يكتَوون»: أي لا يعتقدون أن الشفاء من الكيّ كما كان يعتقد أهل الجاهلية[(٢)]؛ والمراد من تركها توكلا علىٰ الله تعالىٰ ورضاء بقضائه وبلائه، وهذه من أرفع درجات المحققين بالإيمان[(٣)].

قال النووي: «**وحاصله أن هؤلاء كمُل تفويضهم إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، فلم يتسببوا في دفع ما أوقعه بهم ولا شك في فضيلة هذه الحالة ورجحان صاحبها**»[(٤)].

قَولُه: «ولا يتطيَّرون»: أي ولا يتشاءمون بالطيور ونحوها كما هو عادتهم قبل الإسلام[(٥)].

قال ابن حجر: «**وأصل التطير أنهم كانوا في الجاهلية يعتمدون علىٰ الطير فإذا خرج أحدهم لأمر فإن رأىٰ الطير طار يمنة تيمن به واستمر، وإن رآه طار يسرة تشاءم به ورجع وربما كان أحدهم يهيج الطير ليطير فيعتمدها، فجاء الشرع بالنهي عن ذلك**»[(٦)].

قَولُه: «وعلى ربِّهم يتوكَّلون»: أي يفوّضون إليه تعالىٰ جميع أمورهم، أو يتركون الاسترقاء والطيرة والاكتواء فيكون من باب العام بعد الخاص؛ لأن كل

---

(١) **انظر:** «إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري» (٨/ ٣٧٢).
(٢) **انظر:** السابق (٨/ ٣٧٢).
(٣) **انظر:** «شرح صحيح مسلم» (٣/ ٩٠).
(٤) **انظر:** السابق (٣/ ٩١).
(٥) **انظر:** «إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري» (٨/ ٣٧٢).
(٦) **انظر:** «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» (١٠/ ٢١٢).

واحد منها صفة خاصة من التوكل، وهو أعم من ذلك[١].

وتعريف التوكل: الثقة بالله تعالىٰ والإيقان بأن قضاءه نافذ واتباع سنة نبيه ﷺ في السعي فيما لا بد منه من المطعم والمشرب والتحرز من العدو كما فعله الأنبياء صلوات الله تعالىٰ عليهم أجمعين، ولا يصح اسم التوكل مع الالتفات والطمأنينة إلىٰ الأسباب بل فعل الأسباب سنة الله وحكمته والثقة بأنه لا يجلب نفعا ولا يدفع ضرا والكل من الله تعالىٰ وحده، وهذا مذهب عامة الفقهاء، واختيار الطبري[٢].

قَوْلُهُ: «فقام عُكَّاشَةُ بنُ مِحصَنٍ»: هو بضم العين وتشديد الكاف وتخفيفها لغتان مشهورتان[٣].

قَوْلُهُ: «فقال: ادعُ اللهَ أن يجعلني منهُم»: أي من السبعين ألفا.

قَوْلُهُ: «قال: أنتَ منهم، ثم قامَ رجلٌ آخرُ، فقالَ: ادعُ اللهَ أن يجعَلَني منهم، فقال: سبقَك بها عُكَّاشَةُ»: قيل: إن الرجل الثاني لم يكن ممن يستحق تلك المنزلة ولا كان بصفة أهلها بخلاف عكاشة.

وقيل: قد يكون سبق عكاشة بوحي أنه يجاب فيه، ولم يحصل ذلك للآخر، وهذا هو الأظهر المختار[٤].

---

(١) **انظر:** «إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري» (٨/ ٣٧٢).

(٢) **انظر:** «تفسير الطبري» (٣/ ٩١).

(٣) **انظر:** «شرح صحيح مسلم» (٣/ ٨٩).

(٤) **انظر:** السابق (٣/ ٨٩).

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأُولَى: مَعْرِفَةُ مَرَاتِبِ النَّاسِ فِي التَّوْحِيدِ.

الثَّانِيَةُ: مَا مَعْنَى تَحْقِيقِهِ.

الثَّالِثَةُ: ثَنَاؤُهُ سُبْحَانَهُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ بِكَوْنِهِ لَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ.

الرَّابِعَةُ: ثَنَاؤُهُ عَلَى سَادَاتِ الأَوْلِيَاءِ بِسَلَامَتِهِمْ مِنَ الشِّرْكِ.

الخَامِسَةُ: كَوْنُ تَرْكِ الرُّقْيَةِ وَالْكَيِّ مِنْ تَحْقِيقِ التَّوْحِيدِ.

السَّادِسَةُ: كَوْنُ الجَامِعِ لِتِلْكَ الخِصَالِ هُوَ التَّوَكُّلُ.

السَّابِعَةُ: عُمْقُ عِلْمِ الصَّحَابَةِ بِمَعْرِفَتِهِمْ أَنَّهُمْ لَمْ يَنَالُوا ذَلِكَ إِلَّا بِعَمَلٍ.

الثَّامِنَةُ: حِرْصُهُمْ عَلَى الخَيْرِ.

التَّاسِعَةُ: فَضِيلَةُ هَذِهِ الأُمَّةِ بِالْكَمِّيَّةِ وَالْكَيْفِيَّةِ.

العَاشِرَةُ: فَضِيلَةُ أَصْحَابِ مُوسَى.

الحَادِيَةَ عَشْرَةَ: عَرْضُ الأُمَمِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ: أَنَّ كُلَّ أُمَّةٍ تُحْشَرُ وَحْدَهَا مَعَ نَبِيِّهَا.

الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ: قِلَّةُ مَنِ اسْتَجَابَ لِلْأَنْبِيَاءِ.

الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ: أَنَّ مَنْ لَمْ يُجِبْهُ أَحَدٌ يَأْتِي وَحْدَهُ.

الخَامِسَةَ عَشْرَةَ: ثَمَرَةُ هَذَا العِلْمِ، وَهُوَ عَدَمُ الاغْتِرَارِ بِالْكَثْرَةِ، وَعَدَمُ الزُّهْدِ فِي القِلَّةِ.

السَّادِسَةَ عَشْرَةَ: الرُّخْصَةُ فِي الرُّقْيَةِ مِنَ العَيْنِ وَالحُمَةِ.

السَّابِعَةَ عَشْرَةَ: عُمْقُ عِلْمِ السَّلَفِ؛ لِقَوْلِهِ: «قَدْ أَحْسَنَ مَنِ انْتَهَى إِلَى مَا سَمِعَ، وَلَكِنْ كَذَا وَكَذَا»؛ فَعُلِمَ أَنَّ الحَدِيثَ الأَوَّلَ لَا يُخَالِفُ الثَّانِي.

الثَّامِنَةَ عَشْرَةَ: بُعْدُ السَّلَفِ عَنْ مَدْحِ الإِنْسَانِ بِمَا لَيْسَ فِيهِ.

التَّاسِعَةَ عَشْرَةَ: قَوله: «أَنْتَ مِنْهُمْ» عَلَمٌ مِنْ أَعْلَامِ النُّبُوَّةِ.

العِشْرُونَ: فَضِيلَةُ عُكَّاشَةَ.

الحَادِيَةُ وَالْعِشْرُونَ: اسْتِعْمَالُ المَعَارِيضِ.

الثَّانِيَةُ وَالْعِشْرُونَ: حُسْنُ خُلُقِهِ ﷺ.

الشَّرْح

قَوْلُهُ: «الأُولَى: مَعْرِفَةُ مَرَاتِبِ النَّاسِ فِي التَّوْحِيدِ»: فمن الناس من يدخل الجنة بغير حساب ولا عذاب، وهم الذين لا يَسْتَرقون، ولا يكتوون، ولا يتطيرون، وعلىٰ ربهم يتوكلون.

قَوْلُهُ: «الثَّانِيَةُ: مَا مَعْنَى تَحْقِيقِهِ»: أي تحقيق التوحيد، ويكون بتخليصه من شوائب الشرك والبدع والمعاصي.

قَوْلُهُ: «الثَّالِثَةُ: ثَنَاؤُهُ سُبْحَانَهُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ بِكَوْنِهِ لَمْ يَكُ مِنَ المُشْرِكِينَ»: كما في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾﴾[النحل:١٢٠].

قَوْلُهُ: «الرَّابِعَةُ: ثَنَاؤُهُ عَلَى سَادَاتِ الأَوْلِيَاءِ بِسَلَامَتِهِمْ مِنْ الشِّرْكِ»: كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾﴾[المؤمنون:٥٩].

قَوْلُهُ: «الخَامِسَةُ: كَوْنُ تَرْكِ الرُّقْيَةِ وَالْكَيِّ مِنْ تَحْقِيقِ التَّوْحِيدِ»: كما في الحديث: «هم الذين لا يَسْتَرقون، ولا يكتوون، ولا يتطيرون، وعلىٰ ربهم يتوكلون».

قَوْلُهُ: «السَّادِسَةُ: كَوْنُ الجَامِعِ لِتِلْكَ الخِصَالِ هُوَ التَّوَكُّلُ»: أي التوكل يجمع الخصال المذكورة، وهي ترك الاسترقاء، والاكتواء، والتطير؛ فمن عظم توكله لم يسترق، ولم يكتو، ولم يتطير.

قَوْلُهُ: «السَّابِعَةُ: عُمْقُ عِلْمِ الصَّحَابَةِ بِمَعْرِفَتِهِمْ أَنَّهُمْ لَمْ يَنَالُوا ذَلِكَ إِلَّا بِعَمَلٍ»: أي علموا أنه لا ينال أحد هذه المرتبة إلا بعمل؛ لذا خاضوا في تعيينهم.

قَولُـهُ: «الثَّامِنَةُ: حِرْصُهُمْ عَلَى الخَيْرِ»: لذا خاضوا في تعيينهم.

قَولُـهُ: «التَّاسِعَةُ: فَضِيلَةُ هَذِهِ الأُمَّةِ بِالْكَمِّيَّةِ»: فهم أعظم الأمم دخولا الجنة، كما في الحديث: «فنظرت فإذا سواد عظيم، فقيل لي: هذه أمتك، ومعهم سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب».

قَولُـهُ: «وَالْكَيْفِيَّةِ»: أي من يجمع الخصال المذكورة يدخل الجنة بغير حساب.

قَولُـهُ: «العَاشِرَةُ: فَضِيلَةُ أَصْحَابِ مُوسَى»: فهم أكثر الأمم بعد أمة النبي ﷺ دخولًا الجنة؛ «إذ رفع لي سواد عظيم فظننت أنهم أمتي، فقيل لي: هذا موسىٰ وقومه».

قَولُـهُ: «الحَادِيَةَ عَشْرَةَ: عَرْضُ الأُمَمِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ»: كان هذا ليلة الإسراء؛ لتسليته ﷺ.

قَولُـهُ: «الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ: أَنَّ كُلَّ أُمَّةٍ تُحْشَرُ وَحْدَهَا مَعَ نَبِيِّهَا»: لقوله ﷺ: «فرأيت النبي ومعه الرهط والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي وليس معه أحد».

قَولُـهُ: «الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ: قِلَّةُ مَنِ اسْتَجَابَ لِلْأَنْبِيَاءِ»: لقوله ﷺ: «فرأيت النبي ومعه الرهط والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي وليس معه أحد».

قَولُـهُ: «الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ: أَنَّ مَنْ لَمْ يُجِبْهُ أَحَدٌ يَأْتِي وَحْدَهُ»: لقوله ﷺ: «والنبي وليس معه أحد».

قَولُـهُ: «الخَامِسَةَ عَشْرَةَ: ثَمَرَةُ هَذَا العِلْمِ، وَهُوَ عَدَمُ الاِغْتِرَارِ بِالْكَثْرَةِ وَعَدَمُ الزُّهْدِ فِي القِلَّةِ»: الكثرة ليست دليلا علىٰ الحق؛ فلم يأت لفظ الكثرة في القرآن إلا مع أهل الباطل.

قال تعالىٰ: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝١٠٠﴾[البقرة:١٠٠].

وقال تعالىٰ: ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۝١٠٣﴾[المائدة:١٠٣].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ يَجۡهَلُونَ ١١١﴾ [الأنعام:١١١].

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام:١١٦].

قَولُه: «السَّادِسَةَ عَشْرَةَ: الرُّخْصَةُ فِي الرُّقْيَةِ مِنَ العَيْنِ، وَالحُمَةِ»: لقوله ﷺ: «**لَا رقيَة إلّا من عَيْنٍ، أوحُمَةٍ**»

قَولُه: «السَّابِعَةَ عَشْرَةَ: عُمْقُ عِلْمِ السَّلَفِ؛ لِقَوْلِهِ: «قَدْ أَحْسَنَ مَنِ انْتَهَى إِلَى مَا سَمِعَ، وَلَكِنْ كَذَا وَكَذَا»؛ فَعُلِمَ أَنَّ الحَدِيثَ الأَوَّلَ لَا يُخَالِفُ الثَّانِي»: لأن الحديث الأول في الرقية، والثاني في طلبها؛ فطلب الرقية جائز، ولكنه يقدح في كمال التوحيد.

قَولُه: «الثَّامِنَةَ عَشْرَةَ: بُعْدُ السَّلَفِ عَنْ مَدْحِ الإِنْسَانِ بِمَا لَيْسَ فِيهِ»: لقول حصين بن عبد الرحمن قال: «**أَمَا إِنِّي لَمْ أَكُنْ فِي صَلاةٍ وَلَكِنِّي لُدِغْتُ**».

قَولُه: «التَّاسِعَةَ عَشْرَةَ: قَوْلُه: «أَنْتَ مِنْهُمْ» عَلَمٌ مِنْ أَعْلَامِ النُّبُوَّةِ»: أي دليل علىٰ نبوته ﷺ؛ لأنه غيب، والغيب لا يعلم إلا عن طريق الوحي.

قَولُه: «العِشْرُونَ: فَضِيلَةُ عُكَّاشَةَ»: لقول النبي ﷺ له: «**أنت منهم**».

قَولُه: «الحَادِيَةُ وَالْعِشْرُونَ: اسْتِعْمَالُ المَعَارِيضِ»: كما في قول النبي ﷺ للرجل الذي قام فقال: ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: «**سبقك بها عكاشة**»؛ قيل: كان منافقا فأجابه النبي ﷺ بكلام محتمل ولم ير ﷺ التصريح له بأنك لست منهم لما كان ﷺ عليه من حسن العشرة؛ وقد ذكر الخطيب البغدادي في كتابه في الأسماء المبهمة أنه يقال: إن هذا الرجل هو سعد بن عبادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فإن صح هذا بطل هذا[(١)].

قَولُه: «الثَّانِيَةُ وَالْعِشْرُونَ: حُسْنُ خُلُقِهِ ﷺ»: حيث لم يقل النبي ﷺ

---

(١) انظر: «شرح صحيح مسلم» (٣/ ٨٩).

للرجل الذي سأله أن يدعو له أن يجعله من السبعين ألفًا: لست منهم، بل قال: «**سبقك بها عكاشة**».



[٣] بابُ الخوفِ من الشركِ

وقولُ اللهِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء:٤٨].

وقالَ الخليلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ﴾ [إبراهيم:٣٥].

وفي الحديثِ: «أخوفُ ما أخافُ عليكمْ: الشركُ الأصغرُ، فسئلَ عنهُ، فقالَ: الرياءُ» رواه أحمد[١] والطبراني[٢] والبيهقي[٣].

وعنِ ابنِ مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ: «مَنْ مَاتَ وَهْوَ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللهِ نِدًّا دَخَلَ النَّارَ» رواه البخاري[٤].

ولمسلمٍ[٥] عنْ جابرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ: «مَنْ لَقِيَ اللهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ لَقِيَهُ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ».

الشَّرْح

قَوْلُهُ: «بابُ الخوفُ منَ الشركِ»: نبه المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ بهذه الترجمة على أنه ينبغي للمؤمن الموحد أن يجعل الخوف من الشرك نصب عينيه؛ لأنه أعظم ذنب عُصي الله به، ومن لا يعرف الشرك وقع فيه؛ لذا قال حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنِ الخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي»[٦].

---

(١) في «مسنده» برقم (٢٣٦٣٠)، من حديث محمود بن لبيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٩٥١).

(٢) في «معجمه الكبير» برقم (٤٣٠١).

(٣) في «الشعب» برقم (٦٤١٢).

(٤) في «صحيحه» برقم (٤٤٩٧).

(٥) في «صحيحه» برقم (٩٣)، ولكن لفظة «شَيْئًا» الثانية غير موجودة عنده في متن الحديث.

(٦) متفق عليه: رواه البخاري (٣٦٠٦)، ومسلم (١٨٤٧).

قال ابن تيمية: «من لم يعرف إلا الخير فقد يأتيه الشر فلا يعرف أنه شر، فإما أن يقع فيه، وإما أن لا ينكره كما أنكره الذي عرفه؛ ولهذا قال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِنَّمَا تُنْقَضُ عُرَىٰ الْإِسْلَامِ عُرْوَةً عُرْوَةً إِذَا نَشَأَ فِي الْإِسْلَامِ مَنْ لَمْ يَعْرِفِ الجَاهِلِيَّةَ»[(١)].

وقال ابن القيم: «وما نجا من شِرْكِ هذا الشرك الأكبر إلا من جرد توحيده لله، وعادىٰ المشركين في الله، وتقرب بمقتهم إلىٰ الله، واتخذ اللهَ وحده وليه وإلهه ومعبوده، فجرد حبه لله، وخوفه لله، ورجاءه لله، وذله لله، وتوكله علىٰ الله، واستعانته بالله، والتجاءه إلىٰ الله، واستغاثته بالله، وأخلص قصده لله، متبعا لأمره، متطلبا لمرضاته، إذا سأل سأل الله، وإذا استعان استعان بالله، وإذا عمل عمل لله، فهو لله، وبالله، ومع الله»[(٢)].

قَــوْلُــهُ: «وقول اللهِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾»: أي إن الله لا يغفر الشرك به والكفر، ويغفر ما دون ذلك الشرك لمن يشاء من أهل الذنوب والآثام[(٣)].

قال ابن كثير في تفسير الآية: «لا يغفر لعبد لقيه وهو مشرك به ﴿وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ أي: من الذنوب ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾ أي: من عباده»[(٤)].

وفي الآية رد علىٰ الخوارج والمعتزلة الذين يقولون: إن الله لا يغفر لمن مات مصرًّا علىٰ معصية؛ واختلفوا في حكمه في الدنيا؛ فقالت الخوارج: إن مرتكب الكبيرة كافر، وقالت المعتزلة: إن مرتكب الكبيرة ليس بمؤمن ولا كافر، إنما هو في منزلة بين المنزلتين.

---

(١) انظر: «الفتاوىٰ الكبرىٰ»، لابن تيمية (٥/ ٢٦٤)، و«مجموع الفتاوىٰ» (١٠/ ٣٠١).

(٢) انظر: «مدارج السالكين» (١/ ٣٥٤).

(٣) انظر: «تفسير الطبري» (٨/ ٤٤٨).

(٤) انظر: «تفسير ابن كثير» (٢/ ٣٢٥).

أما أهل السنة والجماعة فيقولون: إن مرتكب الكبيرة في الدنيا مؤمن ناقص الإيمان، وفي الآخرة تحت المشيئة، إن شاء الله عفا عنه بفضله، وإن شاء عذبه بعدله، واستدلوا علىٰ ذلك بأدلة، منها الآية المتقدمة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء:٤٨].

وحديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَالتَّوْبَةُ مَعْرُوضَةٌ بَعْدُ**»[(١)].

وعن أبي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: حَدَّثَنَا الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ ﷺ فِيمَا يَرْوِي عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّهُ قَالَ: «**الْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا أَوْ أَزِيدُ، وَالسَّيِّئَةُ بِوَاحِدَةٍ أَوْ أَغْفِرُ، وَلَوْ لَقِيتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا، مَا لَمْ تُشْرِكْ بِي، لَقِيتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً**»[(٢)].

قَوْلُهُ: «وقال الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾»: أي أبعدْني وبَنِيَّ من عبادة الأصنام؛ والأصنام: جمع صنم، والصنم: هو التمثال المصوّر، أو المنحوت علىٰ خلقة البشر، وما كان منحوتا علىٰ غير خلقة البشر فهي أوثان[(٣)].

وقوله: ﴿وَٱجْنُبْنِي﴾: من جنبته الشرّ أجنبته جَنْبا، وجنبته تجنيبا واجتنبته اجتنابا بمعنىٰ واحد[(٤)].

ثم ذكر الموجب لخوفه عليه وعلىٰ بنيه بكثرة من افتُتن وابتلي بعبادتها، فقال: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [إبراهيم:٣٦][(٥)].

---

(١) **متفق عليه:** رواه البخاري (٦٨١٠)، ومسلم (٥٧).
(٢) **صحيح:** رواه أحمد (٢١٣١٥)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٢٨).
(٣) **انظر:** «تفسير الطبري» (١٧/ ٧)، و«تفسير ابن عطية» (٣/ ٣٤١).
(٤) **انظر:** «تفسير الطبري» (١٧/ ٧)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٤٢).
(٥) **انظر:** «تفسير السعدي»، صـ(٤٢٦).

قال القرطبي: «أسند الإضلال إلىٰ الأصنام مع كونها جمادات لا تعقل؛ لأنها سبب لضلالهم فكأنها أضلتهم، وهذه الجملة تعليل لدعائه لربه»[(١)].

قال ابن كثير في تفسير الآية: «ينبغي لكل داع أن يدعو لنفسه ولوالديه ولذريته»[(٢)].

قال ابن القيم: «فعلم ﷺ أن الذي يحول بين العبد وبين الشرك وعبادة الأصنام هو الله لا رب غيره، فسأله أن يجنبه وبنيه عبادة الأصنام»[(٣)].

قَولُهُ: «وفي الحديثِ: «أخوفُ ما أخافُ عليكمْ»: أي أعظم فتنة أخاف عليكم أن تفتنوا بها.

قَولُهُ: «الشركُ الأصغرُ»: هو كل عمل سماه الشارع شركا أو كفرا، ولم يصل إلىٰ حد الشرك الأكبر، ولا يخرج من الملة؛ ومنه أن يقول: لولا الله وفلان، و: شاء الله وشئت، والحلف بغير الله.

قَولُهُ: «فسئلَ عنهُ»: أي سألة بعض الصحابة الحاضرين عن معنىٰ الشرك الأصغر.

قَولُهُ: «فقالَ: الرياءُ»: أي جنس الرياء؛ والرياء مصدر راءىٰ من الرؤية، وهي أن يري غيره خلاف ما هو عليه؛ وشرعا: أن يفعل الطاعة ويترك المعصية مع ملاحظة غير الله، أو يخبِر بها، أو يحب أن يطلع عليها لمقصد دنيوي من مال أو نحوه[(٤)].

قَولُهُ: «رواه أحمد»: أي في مسنده.

قَولُهُ: «والطبراني»: أي في المعجم الكبير، وهو معجم أسماء الصحابة

---

(١) **انظر:** «فتح القدير» (٣/ ١٣٤).

(٢) **انظر:** «تفسير ابن كثير» (٤/ ٥١٣).

(٣) **انظر:** «طريق الهجرتين»، لابن القيم (١٦٧).

(٤) **انظر:** «سبل السلام»، للصنعاني (٢/ ٦٦٠).

وتراجمهم وما رووه، لكن ليس فيه مسند أبي هريرة، ولا استوعب حديث الصحابة المكثرين، ومن مصنفاته «**المعجم الصغير**» في مجلد، عن كل شيخ حديث، و«**المعجم الأوسط**» علىٰ مشايخه المكثرين، وغرائب ما عنده عن كل واحد.

قَـوْلُـهُ: «والبيهقي»: أي في شعب الإيمان.

فائدة: العمل لغير الله أقسام[1]:

القسم الأول: أن يكون رياء محضًا، بحيث لا يراد به سوىٰ مراءات المخلوقين لغرض دنيوي، كحال المنافقين في صلاتهم، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء:١٤٢]، وهذا الرياء المحض لا يكاد يصدر من مؤمن في فرض الصلاة والصيام، وقد يصدر في الصدقة الواجبة أو الحج، وغيرهما من الأعمال الظاهرة، أو التي يتعدىٰ نفعها، فإن الإخلاص فيها عزيز، وهذا العمل لا يشك مسلم أنه حابط وأن صاحبه يستحق المقت من الله والعقوبة.

القسم الثاني: أن يكون العمل لله، ويشاركه الرياء، فإن شاركه من أصله فالنصوص الصحيحة تدل علىٰ بطلانه وحبوطه أيضًا؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: أَنَا أَغْنَىٰ الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ**»[2].

ولا نعرف عن السلف في هذا خلافا، وإن كان فيه خلاف عن بعض المتأخرين؛ فإن خالط نيةَ الجهاد مثلا نيةُ غير الرياء، مثل أخذه أجرة للخدمة، أو أخذ شيء من الغنيمة، أو التجارة، نقص بذلك أجر جهادهم، ولم يبطل بالكلية، فعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**مَا مِنْ غَازِيَةٍ تَغْزُو فِي**

---

(١) **انظر**: «جامع العلوم والحكم»، لابن رجب الحنبلي (١/ ٧٩-٨٤).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (٢٩٨٥).

سَبيلِ اللهِ فَيُصِيبُونَ الْغَنِيمَةَ، إِلَّا تَعَجَّلُوا ثُلُثَيْ أَجْرِهِمْ مِنَ الْآخِرَةِ، وَيَبْقَىٰ لَهُمُ الثُّلُثُ، وَإِنْ لَمْ يُصِيبُوا غَنِيمَةً، تَمَّ لَهُمْ أَجْرُهُمْ»[١].

ومن أراد بجهاده عرضا من الدنيا فلا أجر له.

قال الإمام أحمد: التاجر، والمستأجر، والمكاري أجرهم علىٰ قدر ما يخلص من نيتهم في غزاتهم، ولا يكون مثل من جاهد بنفسه وماله لا يخلط به غيره.

القسم الثالث: أن يكون أصل العمل لله، ثم طرأت عليه نية الرياء، وهذا له حالتان:

الحالة الأولى: إن كان خاطرا ودفعه، فلا يضره بغير خلاف.

الحالة الثانية: إن استرسل معه، فهل يحبط به عمله أم لا يضره ذلك ويجازىٰ علىٰ أصل نيته؟ فيه تفصيل:

إن كان العمل يرتبط آخره بأوله، كالصلاة والصيام والحج، فالراجح أن عمله لا يبطل بذلك، وأنه يجازىٰ بنيته الأولىٰ.

أما إن كان العمل لا يرتبط آخره بأوله، كالقراءة والذكر وإنفاق المال ونشر العلم، فإنه ينقطع بنية الرياء الطارئة عليه، ويحتاج إلىٰ تجديد نية.

قَـوْلُـهُ: «وعن ابنِ مسعودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رسول الله ﷺ قال: «مَنْ مَاتَ وَهْوَ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللهِ نِدًّا دَخَلَ النَّارَ»»: أي من صرف شيئًا من العبادة لغير الله جَلَّ جَلَالُهُ دخل النار؛ والنِّدُّ: المثْلُ وَالنَّظِيرُ[٢] من ندّ نُدودًا إذا نَفَرَ[٣]، ولا يكون الند إلا مخالِفًا[٤]، وسمي ما يعبده المشركون من دون الله أنداد؛ لأنهم لما تركوا عبادته إلىٰ عبادتها شابهت حالهم حال من يعتقد أنها ذوات واجبة بالذات قادرة علىٰ أن

---

(١) **صحيح:** رواه مسلم (١٩٠٦).

(٢) **انظر:** «لسان العرب»، مادة «ندد».

(٣) **انظر:** «مختار الصحاح»، مادة «ندد».

(٤) **انظر:** «المصباح المنير»، مادة «ندد».

تدفع عنهم بأس الله، وتمنحهم ما لم يرد الله تعالىٰ بهم من خير فتهكم بهم وشنع عليهم بأن جعلوا أندادًا لمن يمتنع أن يكون له ند[1].

فائدة: الدعاء نوعان:

النوع الأول: دعاء مسألة: هو طلب ما ينفع الداعي من جلب نفع أو دفع ضر.

مثاله: أن يقول الداعي: اللهم اغفر لي، وارحمني.

حكم صرف هذا النوع لغير الله فيه تفصيل: إن كان المدعو: حيا حاضرا قادرا علىٰ ذلك، فليس بشرك، كقولك: اسقني ماء لمن يستطيع ذلك.

كما في حديث ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا عن النبي ﷺ «**وَمَنْ دَعَاكُمْ فَأَجِيبُوه**»[2].

أما إن كان المدعو: ميتًا، أو غائبًا، والداعي يعلم ذلك، فدعاؤه شرك مخرج من الملة.

النوع الثاني: دعاء عبادة، و يكون بأي نوع من أنواع العبادة وهو ما لم يكن فيه سؤال ولا طلب؛ فالصلاة دعاء والزكاة دعاء، ونحوه، و يدخل فيه كل القربات الظاهرة والباطنة؛ لأن المتعبد لله طالب بلسان مقاله ولسان حاله من ربه قبول تلك العبادة والإثابة عليها، كما قال جَلَّلَهُ: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ [الجن:١٨].

أي: لا تعبدوا مع الله أحدا، أو لا تسألوا مع الله أحدا.

وكما قال النبي ﷺ: «**الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ**»[3]، فمن صلىٰ، أو زكىٰ، أو صام، فهو داعٍ دعاء عبادة.

---

(١) **انظر:** «إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري» (٧/ ٢٠).

(٢) **صحيح:** رواه أبو داود (١٦٧٤)، وصححه الألباني.

(٣) **صحيح:** رواه أبو داود (١٤٨١)، والترمذي (٢٩٦٩)، وقال: حسن صحيح، وابن ماجه (٣٨٢٨)، والنسائي في «الكبرىٰ» (١١٤٠٠)، وصححه الألباني.

حكم صرف هذا النوع لغير الله: شرك أكبر مخرج من الملة.

قال تعالىٰ: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾﴾ [الشعراء:٢١٣].

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بن مَسعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**مَنْ مَاتَ وَهْوَ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللهِ نِدًّا دَخَلَ النَّارَ**»[1].

وقال الله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾ [يونس:١٠٧].

قوله: ﴿وَلَا تَدْعُ﴾ نهي منصب علىٰ ذات الفعل، فيشمل دعاء المسألة، ودعاء العبادة.

قَولُهُ: «رواه البخاري»: أي في صحيحه.

قَولُهُ: «ولمسلمٍ عنْ جابرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «مَنْ لَقِيَ اللَّهَ»»: أي مات حال كونه.

قَولُهُ: «لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا»: حين الموت، وشيئًا نكرة في سياق النفي تعم جميع أنواع الشرك صغيره وكبيره.

قَولُهُ: «دَخَلَ الجَنَّةَ»: أي: من مات ولم يتخذ معه شريكًا في الإلهية ولا في الخلق، ولا في العبادة؛ ومن المعلوم من الشرع المجمع عليه عند أهل السنة أن من مات علىٰ ذلك، فلا بد له من دخول الجنة، وإن جرت عليه قبل ذلك أنواع من العذاب والمحنة، وإن مات علىٰ الشرك لا يدخل الجنة ولا يناله من الله رحمة، ويخلد في النار أبد الآباد من غير انقطاع عذاب، ولا تصرم آماد، وهذا معلوم ضروري من الدين، مجمع عليه بين المسلمين[2].

---

(١) **صحيح:** رواه البخاري (٤٤٩٧).

(٢) **انظر:** «تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد»، صـ (٩٣).

قَـوْلُـهُ: «وَمَنْ لَقِيَهُ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ»: أي من مات علىٰ الشرك دخل النار خالدا مخلدا فيها.

قال النووي: «وأما حكمه ﷺ علىٰ من مات يشرك بدخول النار، ومن مات غير مشرك بدخوله الجنة فقد أجمع عليه المسلمون، فأما دخول المشرك النار فهو علىٰ عمومه فيدخلها ويخلد فيها، ولا فرق فيه بين الكتابي اليهودي والنصراني وبين عبدة الأوثان وسائر الكفرة، ولا فرق عند أهل الحق بين الكافر عنادا وغيره، ولا بين من خالف ملة الإسلام وبين من انتسب إليها ثم حكم بكفره بجحده ما يكفر بجحده وغير ذلك، وأما دخول من مات غير مشرك الجنة فهو مقطوع له به لكن إن لم يكن صاحب كبيرة مات مصرا عليها دخل الجنة أولا، وإن كان صاحب كبيرة مات مصرا عليها فهو تحت المشيئة، فإن عفي عنه دخل أولا وإلا عذب، ثم أخرج من النار وخلد في الجنة»[1].



(١) **انظر:** «شرح صحيح مسلم» (٢/ ٩٧).

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأُولَى: الخَوْفُ مِنْ الشِّرْكِ.

الثَّانِيَةُ: أَنَّ الرِّيَاءَ مِنْ الشِّرْكِ.

الثَّالِثَةُ: أَنَّهُ مِنَ الشِّرْكِ الأَصْغَرِ.

الرَّابِعَةُ: أَنَّهُ أَخْوَفُ مَا يُخَافُ مِنْهُ عَلَى الصَّالِحِينَ.

الخَامِسَةُ: قُرْبُ الجَنَّةِ وَالنَّارِ.

السَّادِسَةُ: الجَمْعُ بَيْنَ قُرْبِهِمَا فِي حَدِيثٍ وَاحِدٍ.

السَّابِعَةُ: أَنَّهُ مَنْ لَقِيَهُ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ وَلَوْ كَانَ مِنْ أَعْبَدِ النَّاسِ.

الثَّامِنَةُ: المَسْأَلَةُ العَظِيمَةُ سُؤَالُ الخَلِيلِ لَهُ وَلِبَنِيهِ وِقَايَةَ عِبَادَةِ الأَصْنَامِ.

التَّاسِعَةُ: اعْتِبَارُهُ بِحَالِ الأَكْثَرِ لقولِهِ: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [إبراهيم:٣٦].

العَاشِرَةُ: فِيهِ تَفْسِيرُ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» كَمَا ذَكَرَهُ البُخَارِيُّ.

الحَادِيَةَ عَشْرَةَ: فَضِيلَةُ مَنْ سَلِمَ مِنَ الشِّرْكِ.

الشَّرْح

قَوْلُهُ: «الأولى: الخوفُ من الشركِ»: لأنه يحبط جميع الأعمال، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء:٤٨]؛ وقال الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم:٣٥].

قَوْلُهُ: «الثانيةُ: الرياءُ من الشركِ»: كما في قوله ﷺ: «أخوف ما أخاف عليكم: الشرك الأصغر، فسئل عنه، فقال: الرياء».

قَوْلُهُ: «الثالثةُ: أنه منَ الشركِ الأصغرِ»: أي الرياء من الشرك الأصغر؛ لأن النبي ﷺ سماه شركًا أصغر.

قَولُهُ: «الرابعة: أنه أخوفُ ما يُخافُ منه على الصالحين»: لأن النبي ﷺ خافه علىٰ الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُم مع فضلهم وسابقتهم، فقال ﷺ: «أخوف ما أخاف عليكم: الشرك الأصغر»، فكيف بغيرهم؟!

قَولُهُ: «الخامسةُ: قربُ الجنةِ والنار»: لأن النبي ﷺ أخبر أن من مات علىٰ التوحيد لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة، ومن مات علىٰ الشرك دخل النار، فلم يجعل بينه وبينها شيئًا إلا الموت علىٰ ذلك؛ فقال ﷺ: «مَنْ لَقِيَ اللهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ لَقِيَهُ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ».

قَولُهُ: «السادسةُ: الجمعُ بينَ قُربِهِمَا في حديثٍ واحدٍ»: كما في حديث جابر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ المتقدم.

قَولُهُ: «السابعةُ: أنه من لقيه لا يشركُ به شيئًا دخلَ الجنةَ»: لأنه من أهل التوحيد.

قَولُهُ: «ومن لقيه يشركُ به شيئًا دخلَ النار، ولو كانَ من أعبدِ الناسِ»: لأن الشرك يحبط جميع الأعمال، فلا تنفع معه عبادة العابدين.

وهذه المسألة مأخوذة من العموم في قوله ﷺ: «مَنْ لَقِيَ اللهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ لَقِيَهُ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ».

قَولُهُ: «الثامنة: المسألةُ العظيمةُ: سؤالُ الخليلِ له ولبنيِّه وقايةَ عبادةِ الأصنامِ»: لقوله: ﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ﴾ [إبراهيم:٣٥]؛ كان إبراهيم التيمي يقص ويقول: «من يأمن البلاء بعد إبراهيم خليل الرحمن؟»[(١)].

قَولُهُ: «التاسعة: اعتبارُه بحالِ الأكثرِ لقولهِ: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضۡلَلۡنَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾»: أي سبب خوف إبراهيم عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ من عبادة الأصنام أنها أضلت كثيرًا من الناس.

---

(١) انظر: «التفسير الوسيط»، للواحدي (٣/ ٣٣).

قَـوْلُـهُ: «العاشرة: فيه تفسيرُ «لا إلهَ إلا الله»، كما ذكرهُ البخاريُّ»: أي في قول إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ تفسير «**لا إله إلا الله**»؛ لأنها تقتضي إفراد الله بالعبادة، وترك عبادة ما سواه، كما في حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي ذكره البخاري.

قَـوْلُـهُ: «الحادِية عشرةَ: فَضيلةُ من سلمَ منَ الشركِ»: فمن سلم من الشرك دخل الجنة؛ لقول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء:٤٨]، وقول الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ لَقِيَ اللهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ الجَنَّةَ**».



[٤] بَابُ الدُّعَاءِ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ

وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٠٨﴾ [يوسف:١٠٨].

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمَّا بَعَثَ مُعَاذًا إِلَى اليَمَنِ؛ قَالَ لَهُ: إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»[١].

وَفِي رِوَايَةٍ: «إِلَى أَنْ يُوَحِّدُوا اللهَ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لِذَلِكَ؛ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتَرُدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لِذَلِكَ فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ المَظْلُومِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ»[٢] أَخرَجَاهُ.

وَلَهُمَا عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ يَوْمَ خَيْبَرَ: «لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ، يَفْتَحُ اللهُ عَلَى يَدَيْهِ»، فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ لَيْلَتَهُمْ، أَيُّهُمْ يُعْطَاهَا، فَلَمَّا أَصْبَحُوا، غَدَوْا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ كُلُّهُمْ يَرْجُو أَنْ يُعْطَاهَا، فَقَالَ: «أَيْنَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ؟»، فَقِيلَ: هُوَ يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ، فَأَرْسَلُوا إِلَيْهِ، فَأُتِيَ بِهِ، فَبَصَقَ فِي عَيْنَيْهِ، وَدَعَا لَهُ، فَبَرَأَ كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ، فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ، فَقَالَ: «انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ، حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلَامِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللهِ تَعَالَى فِيهِ، فَوَ اللهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ»[٣]. يَدُوكُونَ: أَيْ يَخُوضُونَ.

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (١٤٥٨)، ومسلم (١٩).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (١٤٩٦)، ومسلم (١٩).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٣٠٠٩)، ومسلم (٢٤٠٦).

الشَّرح

قَولُه: «بابُ الدعاءِ إلى شهادةِ أنْ لا إله إلا اللهُ»: من تمام التوحيد والخوف من الشرك أن يدعو العبد إلىٰ شهادة أن لا إله إلا الله؛ لذا ذكر المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذا الباب.

والشهادة: قول صادر عن علم حصل بمشاهدة بصيرة أو بصر(١).

قَولُه: «وقولُه تعالى: ﴿قُلْ﴾»: أي يا محمد ﷺ.

قَولُه: «﴿هَٰذِهِۦ﴾»: أي هذه الدعوة التي أدعو إليها، والطريقة التي أنا عليها من الدعاء إلىٰ توحيد الله وإخلاص العبادة له دون الآلهة والأوثان، والانتهاء إلىٰ طاعته، وترك معصيته(٢).

قَولُه: «﴿سَبِيلِيٓ﴾»: أي طريقتي ودعوتي(٣)، وسنتي ومنهاجي(٤).

قَولُه: «﴿أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾»: أي أدعو إلىٰ الله وحده لا شريك له(٥).

قَولُه: «﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾»: أي بذلك، ويقينِ علمٍ مني به(٦)؛ والبصيرة: هي المعرفة التي يميز بها بين الحق والباطل(٧).

قَولُه: «﴿أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي﴾»: أي ويدعو إليه علىٰ بصيرة أيضًا من اتبعني وصدقني وآمن بي؛ قال ابن زيد: وحقٌّ والله علىٰ من اتّبعه أن يدعو إلىٰ ما دعا إليه، ويذكِّر بالقرآن والموعظة، ويَنْهَىٰ عن معاصي الله(٨).

---

(١) انظر: «المفردات في غريب القرآن»، صـ(٤٦٥).
(٢) انظر: «تفسير الطبري» (١٦/ ٢٩٢).
(٣) انظر: السابق (١٦/ ٢٩٢).
(٤) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ٥١٨).
(٥) انظر: «تفسير الطبري» (١٦/ ٢٩٢).
(٦) انظر: السابق (١٦/ ٢٩٢).
(٧) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ٥١٨).
(٨) انظر: «تفسير الطبري» (١٦/ ٢٩٢).

قَولُه: «﴿وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ﴾»: أي وقل: سبحان الله، تنزيهًا لله، وتعظيمًا له من أن يكون له شريك في ملكه، أو معبود سواه في سلطانه[(١)].

قَولُه: «﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾»: أي وأنا بريءٌ من أهل الشرك به، لست منهم ولا هم منّي[(٢)].

قال ابن كثير في تفسير الآية: «يقول الله تعالىٰ لعبده ورسوله إلىٰ الثقلين: الإنس والجن، آمرا له أن يخبر الناس: أن هذه سبيله، أي طريقه ومسلكه وسنته، وهي الدعوة إلىٰ شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يدعو إلىٰ الله بها علىٰ بصيرة من ذلك، ويقين وبرهان، هو وكل من اتبعه، يدعو إلىٰ ما دعا إليه رسول الله ﷺ علىٰ بصيرة ويقين وبرهان شرعي وعقلي.

وقوله: ﴿وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ﴾ أي: وأنزه الله وأجله وأعظمه وأقدسه، عن أن يكون له شريك أو نظير، أو عديل أو نديد، أو ولد أو والد أو صاحبة، أو وزير أو مشير، تبارك وتعالىٰ وتقدس وتنزه عن ذلك كله علوا كبيرا»[(٣)].

قَولُه: «وعن ابنِ عباسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ لما بعثَ معاذًا إلى اليمن»: كان بعثه سنة عشر قبل حج النبي ﷺ[(٤)]، فيه قبول خبر الواحد ووجوب العمل به[(٥)].

قَولُه: «قال له: «إنكَ تأتي قومًا من أهلِ الكتابِ»: يعني به اليهود والنصارىٰ؛ لأنهم كانوا في اليمن أكثر من مشركي العرب وأغلب، وإنما نبهه علىٰ هذا ليتهيأ لمناظرتهم ويعد الأدلة لإفحامهم؛ لأنهم أهل علم سابق بخلاف

---

(١) **انظر**: «تفسير الطبري» (١٦/ ٢٩٢)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٥١٨).

(٢) **انظر**: «تفسير الطبري» (١٦/ ٢٩٢).

(٣) **انظر**: «تفسير ابن كثير» (٤/ ٤٢٢).

(٤) **انظر**: صحيح البخاري (٥/ ١٦١).

(٥) **انظر**: «شرح صحيح مسلم» (١/ ١٩٧).

المشركين وعبدة الأوثان[١].

قال ابن حجر: «هذا كالتوطئة للوصية لتُسْتجمَع همتُه عليها لكون أهل الكتاب أهل علم في الجملة فلا تكون العناية في مخاطبتهم كمخاطبة الجهال من عبدة الأوثان»[٢].

قَـوْلُـهُ: «فَلْيَكُنْ أَوَّلَ ما تدعوهم إليهِ شَهادةُ أنْ لا إلٰه إلا اللّٰهُ»: وقعت البداءة بالشهادتين؛ لأنهما أصل الدين الذي لا يصح شيءٌ غيرهما إلا بهما، فمن كان منهم غير موحد فالمطالبة متوجهة إليه بكل واحدة من الشهادتين علىٰ التعيين، ومن كان موحدا فالمطالبة له بالجمع بين الإقرار بالوحدانية والإقرار بالرسالة[٣].

قال زين الدين العراقي: «كيفية الدعوة إلىٰ الإسلام باعتبار أصناف الخلق في الاعتقادات، فلما كان إرسال معاذ إلىٰ من يقر بالإله والنبوات، وهم أهل الكتاب، أمره بأول ما يدعوهم إلىٰ توحيد الإله والإقرار بنبوة محمد ﷺ، فإنهم وإن كانوا يعترفون بإلهية الله تعالىٰ ولكن يجعلون له شريكا، لدعوة النصارىٰ أن المسيح ابن الله تعالىٰ، ودعوة اليهود أن عزيرا ابن الله سبحانه عما يصفون، وأن محمدا ليس برسول الله أصلا، أو أنه ليس برسول إليهم، علىٰ اختلاف آرائهم في الضلالة، فكان هذا أول واجب يدعون إليه»[٤].

قَـوْلُـهُ: «وفي رواية: «إلى أن يوحدوا اللّٰهَ»»: أي يفردوا الله بالعبادة؛ وفيه: أن السنة أن الكفار يدعون إلىٰ التوحيد قبل القتال[٥].

---

(١) انظر: «دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين»، للبكري الشافعي (٢/ ٥٢٢).
(٢) انظر: «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» (٣/ ٣٥٨).
(٣) انظر: السابق (٣/ ٣٥٨).
(٤) انظر: «عمدة القاري شرح صحيح البخاري» (٨/ ٢٣٥).
(٥) انظر: «شرح صحيح مسلم» (١/ ١٩٧).

وأشار المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ بإيراد هذه الرواية إلىٰ التنبيه علىٰ معنىٰ شهادة أن لا إله إلا الله، إذ معناها توحيد الله بالعبادة، وترك عبادة ما سواه[(١)].

قَولُهُ: «فإن هم أطاعوك لذلك»: أي: للإتيان بالشهادتين[(٢)]؛ فيه: أنه لا يحكم بإسلام أحد إلا بالنطق بالشهادتين[(٣)].

قَولُهُ: «فأعلِمْهم»: أي فأخبرهم؛ من الإعلام[(٤)].

قَولُهُ: «أن اللهَ افترضَ عليهم»: أي أوجب وكتب عليهم.

قَولُهُ: «خمسَ صلواتٍ في كلِّ يومٍ وليلةٍ»: فيه: أن الصلوات الخمس تجب في كل يوم وليلة؛ وأن الوتر ليس بواجب؛ لأن بعْث معاذٍ إلىٰ اليمن كان قبل وفاة النبي ﷺ بقليل بعد الأمر بالوتر والعمل به[(٥)].

قَولُهُ: «فإن هم أطاعوك لذلك»: أي: انقادوا لوجوب الصلاة بالأداء[(٦)].

قَولُهُ: «فأعلمهم أن اللهَ افترضَ عليهم صدقةً»: أي: زكاة، وأطلق لفظ الصدقة، علىٰ الزكاة كما في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ﴾ [التوبة:٦٠]، والمراد بها: الزكاة[(٧)].

قَولُهُ: «تؤخذُ من أغنيائِهم فتردُّ علىٰ فقرائِهم»: فيه: أن الزكاة لا تدفع إلىٰ كافر ولا تدفع أيضًا إلىٰ غني من نصيب الفقراء[(٨)].

قَولُهُ: «فإن هم أطاعوكَ لذلك»: أي أخرجوا زكاة أموالهم.

---

(١) انظر: «تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد»، صـ(٩٧).
(٢) انظر: «عمدة القاري شرح صحيح البخاري» (٨/ ٢٣٥).
(٣) انظر: «شرح صحيح مسلم» (١/ ١٩٧).
(٤) انظر: «عمدة القاري شرح صحيح البخاري» (٨/ ٢٣٥).
(٥) انظر: «شرح صحيح مسلم» (١/ ١٩٧).
(٦) انظر: «كتاب العين»، مادة «طاع»، و«عمدة القاري شرح صحيح البخاري» (٨/ ٢٣٦).
(٧) انظر: «عمدة القاري شرح صحيح البخاري» (٨/ ٢٣٦).
(٨) انظر: «شرح صحيح مسلم» (١/ ١٩٧).

قَـوْلُـهُ: «فإياكَ وكرائمَ أموالِهِم»: أي نفائسها التي تتعلق بها نفس مالكها ويختصها لها؛ والكرائم: جمع كريمة، وهي جامعة الكمال الممكن في حقها من غزارة لبن وجمال صورة أو كثرة لحم أو صوف؛ وفيه: أنه يحرم علىٰ الساعي أخذ كرائم المال في أداء الزكاة بل يأخذ الوسط، ويحرم علىٰ رب المال إخراج شر المال[1].

قَـوْلُـهُ: «واتقِ دعوةَ المظلومِ»: أي: لا تظلم أحدا فيدعو عليك.

قَـوْلُـهُ: «فإنهُ»: أي: فإن الشأن[2]؛ فيه: تنبيه علىٰ المنع من جميع أنواع الظلم، والنكتة في ذكره عقب المنع من أخذ كرائم الأموال الإشارة إلىٰ أن أخذها ظلم[3].

وفيه: بيان عظم تحريم الظلم، وأن الإمام ينبغي أن يعظ ولاته ويأمرهم بتقوىٰ الله تعالىٰ ويبالغ في نهيهم عن الظلم ويعرفهم قبح عاقبته[4].

قَـوْلُـهُ: «ليسَ بينها»: أي: بين دعوة المظلوم وبين الله[5].

قَـوْلُـهُ: «وبينَ اللهِ حجابٌ»: أي أنها مسموعة لا ترد[6]؛ فليس لها صارف يصرفها ولا مانع، والمراد أنها مقبولة وإن كان عاصيا؛ لحديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**دَعْوَةُ المظْلُومِ مُسْتَجَابَةٌ، وَإِنْ كَانَ فَاجِرًا فَفُجُورُهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ**»[7]؛ وليس المراد أن لله تعالىٰ حجابًا يحجبه عن الناس[8].

---

(١) **انظر**: السابق (١/ ١٩٧).

(٢) **انظر**: «عمدة القاري شرح صحيح البخاري» (٨/ ٢٣٦).

(٣) **انظر**: «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» (٣/ ٣٦٠).

(٤) **انظر**: «شرح صحيح مسلم» (١/ ١٩٧).

(٥) **انظر**: «عمدة القاري شرح صحيح البخاري» (٨/ ٢٣٦).

(٦) **انظر**: «النهاية في غريب الحديث» (٤/ ١٦٧)، و«شرح صحيح مسلم» (١/ ١٩٧).

(٧) **صحيح**: رواه أحمد (٨٧٩٥)، والطيالسي في «مسنده» (٢٤٥٠)، وحسنه ابن حجر في «الفتح» (٣/ ٣٦٠)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٧٦٧).

(٨) **انظر**: «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» (٣/ ٣٦٠).

قَولُه: «أخرجَاه»: أي البخاري ومسلم في صحيحيهما.

قَولُه: «ولهما»: أي للبخاري ومسلم.

قَولُه: «عن سهلِ بن سعدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال يومَ خيبرَ»: أي يوم غزوة خيبر، وكانت في السنة السابعة من الهجرة[1].

قَولُه: «لأعطينَ الرايةَ غدًا»: الراية بمعنىٰ اللواء، وهو العلم الذي في الحرب يعرف به موضع صاحب الجيش، وقد يحمله أمير الجيش، وقد يدفعه لمقدم العسكر، وقد صرح جماعة من أهل اللغة بترادفهما[2].

قَولُه: «رجلًا يحبُّ اللهَ ورسولَه ويحبُّه اللهُ ورسولُه»: فيه إثبات صفة المحبة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ خلافًا للمعتزلة، والجهمية، والأشاعرة.

قَولُه: «يفتحُ اللهُ على يديه»: أي ينصر الله المسلمين بسببه.

قَولُه: «فباتَ الناسُ يدوكونَ ليلتَهم»: أي باتوا يخوضون ويموجون فيمن يدفعها إليه؛ يقال: وقع الناس في دَوكَةٍ ودُوكَةٍ: أي في خوض واختلاط[3].

قَولُه: «أيهم يُعطاها»: أي يأخذ الرايةَ الموعودَ بها[4].

قَولُه: «فلما أصبحُوا غدوا على رسولِ اللهِ ﷺ»: أي ذهبوا إلىٰ الرسول ﷺ في الصبح.

قَولُه: «كلُّهم يرجُو»: أي يتمنون[5].

قَولُه: «أن يعطَاها»: أي يأخذ الراية.

---

(١) انظر: «تاريخ الطبري» (٣/ ٩).

(٢) انظر: «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» (٧/ ٤٧٧).

(٣) انظر: «النهاية في غريب الحديث» (٢/ ١٤٠).

(٤) انظر: «إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري» (٥/ ١٤٣).

(٥) انظر: «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح»، للقاري (٩/ ٣٩٣٣).

قَوْلُهُ: «فقال: «أين عليُّ بنُ أبي طالبٍ؟»»: أي ما لي لا أراه حاضرًا كأنه ﷺ استبعد غيبته عن حضرته في مثل ذلك الموطن لا سيما وقد قال: لأعطين الراية إلخ(١).

قَوْلُهُ: «فقيل»: أي يا رسول الله.

قَوْلُهُ: «هو يشتكي عينيه»: أي من الرمد كما في رواية مسلم(٢)؛ والرَّمَدُ: وجع العين وانتفاخها(٣).

قَوْلُهُ: «فأرسِلوا إليه فأتي به»: أي فجيء به، والذي أتىٰ به هو سلمة بن الأكوع رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ كما في رواية مسلم(٤).

قَوْلُهُ: «فبصقَ في عينيهِ»: أي بزق في عينيه؛ والبصاق: ماء الفم إذا خرج منه، وما دام فيه: فريق(٥).

قَوْلُهُ: «ودعا له فبرأَ»: أي فصحَّ عليٌّ من جهة عينيه، وعوفي عافية كاملة(٦)؛ والبرء وهو السلامة من السقم(٧).

قَوْلُهُ: «كأن لم يكنْ به وجعٌ»: أي ولا سبب وجع من الرمد، ولا ضعف بصر أصلا(٨).

قَوْلُهُ: «فأعطاهُ الرايةَ»: أي أعطىٰ النبي ﷺ عليا اللواء.

---

(١) انظر: «إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري» (٥/ ١٤٣).

(٢) برقم (١٨٠٧)، بلفظ: قال سلمة بن الأكوع رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «فَجِئْتُ بِهِ أَقُودُهُ وَهُوَ أَرْمَدُ، حَتَّىٰ أَتَيْتُ بِهِ رَسُولَ اللهِ ﷺ».

(٣) انظر: «لسان العرب»، مادة «رمد».

(٤) برقم (١٨٠٧).

(٥) انظر: «القاموس المحيط»، مادة «بصق».

(٦) انظر: «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٩/ ٣٩٣٤).

(٧) انظر: «مقاييس اللغة»، مادة «برأ».

(٨) انظر: «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٩/ ٣٩٣٤).

قَولُه: «فقال: «انْفُذْ»: أي امضِ، وامشِ إليهم[١].

قَولُه: «عَلَى رِسْلِكَ»: أي علىٰ هينتك[٢]، وعلىٰ الرفق والتؤدة[٣]؛ والرِّسْل: الرِّفْق والتُّؤَدة[٤].

قَولُه: «حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ»: أي حتىٰ تبلغ فناءهم من أرضهم[٥]؛ والساحة: الناحية وفضاء بين دور الحي[٦].

قَولُه: «ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلامِ»: أي ادعهم إلىٰ الدخول في الإسلام أولا.

قَولُه: «وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللهِ تعالى فِيهِ»: أي من حق الله في الإسلام[٧].

قَولُه: «فَوَاللهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا»: أي إلىٰ الإسلام.

قَولُه: «خَيْرٌ لَكَ»: أي أفضل وأحسن في الأجر والثواب.

قَولُه: «مِنْ حُمْرُ النَّعَمِ»: أي خير لك من أن تكون لك الإبل الحمر فتتصدق بها، وقيل: تقتنيها وتملكها؛ وكانت مما تتفاخر العرب بها.

وحُمْر: بضم الحاء وسكون الميم من ألوان الإبل المحمودة[٨].

والنَعَم بفتحتين: الإبل والشاء، أو خاص بالإبل، وأما النِّعم بكسر النون فهو جمع نعمة[٩].

---

(١) **انظر:** «إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري» (٥/ ١٤٣)، و«نيل الأوطار» (٧/ ٢٥٧).
(٢) **انظر:** «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» (٧/ ٤٧٨).
(٣) **انظر:** «نيل الأوطار»، للشوكاني (٧/ ٢٧٥).
(٤) **انظر:** «القاموس المحيط»، و«لسان العرب»، مادة «رسل».
(٥) **انظر:** «إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري» (٥/ ١٤٣).
(٦) **انظر:** «القاموس المحيط»، مادة «ساح».
(٧) **انظر:** «إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري» (٥/ ١٤٣).
(٨) **انظر:** «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» (٧/ ٤٧٨).
(٩) **انظر:** «العين»، و«مقاييس اللغة»، مادة «نعم».

قال النووي: «وهي أنفس أموال العرب يضربون بها المثل في نفاسة الشيء، وأنه ليس هناك أعظم منه، وفيه بيان أن تشبيه أمور الآخرة بأعراض الدنيا إنما هو للتقريب من الأفهام وإلا فذرة من الآخرة الباقية خير من الأرض بأسرها وأمثالها معها لو تُصوِّرت»[(١)].

قَـوْلُـهُ: «يدوكون أي: يخوضون»: هذا تفسير من المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ.



(١) **انظر:** «شرح صحيح مسلم» (١٥/ ١٧٩).

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأُولَى: أَنَّ الدَّعْوَةَ إِلَى اللهِ طَرِيقُ مَنِ اتَّبَعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ.

الثَّانِيَةُ: التَّنْبِيهُ عَلَى الإِخْلَاصِ، لِأَنَّ كَثِيرًا لَوْ دَعَا إِلَى الحَقِّ، فَهُوَ يَدْعُو إِلَى نَفْسِهِ.

الثَّالِثَةُ: أَنَّ الْبَصِيرَةَ مِنَ الفَرَائِضِ.

الرَّابِعَةُ: مِنْ دَلَائِلِ حُسْنِ التَّوْحِيدِ كَوْنُهُ تَنْزِيهًا للهِ تَعَالَى عَنْ المَسَبَّةِ.

الخَامِسَةُ: أَنَّ مِنْ قُبْحِ الشِّرْكِ كَوْنَهُ مَسَبَّةً لِلهِ

السَّادِسَةُ: وَهِيَ مِنْ أَهَمِّهَا إِبْعَادُ المُسْلِمِ عَنْ المُشْرِكِينَ؛ لِئَلَّا يَصِيرَ مِنْهُمْ وَلَوْ لَمْ يُشْرِكْ.

السَّابِعَةُ: كَوْنُ التَّوْحِيدِ أَوَّلَ وَاجِبٍ.

الثَّامِنَةُ: أَنَّهُ يُبْدَأُ بِهِ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ، حَتَّى الصَّلَاةِ.

التَّاسِعَةُ: أَنَّ مَعْنَى: «أَنْ يُوَحِّدُوا اللهَ» مَعْنَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ.

العَاشِرَةُ: أَنَّ الإِنْسَانَ قَدْ يَكُونُ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ وَهُوَ لَا يَعْرِفُهَا أَوْ يَعْرِفُهَا وَلَا يَعْمَلُ بِهَا.

الحَادِيَةَ عَشْرَةَ: التَّنْبِيهُ عَلَى التَّعْلِيمِ بِالتَّدْرِيجِ.

الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ: الْبُدَاءَةُ بِالْأَهَمِّ فَالْأَهَمِّ.

الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ: مَصْرِفُ الزَّكَاةِ.

الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ: كَشْفُ العَالِمِ الشُّبْهَةَ عَنْ المُتَعَلِّمِ.

الخَامِسَةَ عَشْرَةَ: النَّهْيُ عَنْ كَرَائِمِ الأَمْوَالِ.

السَّادِسَةَ عَشْرَةَ: اتِّقَاءُ دَعْوَةِ المَظْلُومِ.

السَّابِعَةَ عَشْرَةَ: الإِخْبَارُ بِأَنَّهَا لَا تُحْجَبُ.

الثَّامِنَةَ عَشْرَةَ: مِنْ أَدِلَّةِ التَّوْحِيدِ مَا جَرَى عَلَى سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ وِسَادَاتِ الأَوْلِيَاءِ مِنَ المَشَقَّةِ وَالجُوعِ وَالْوَبَاءِ.

التَّاسِعَةَ عَشْرَةَ: قَولُهُ: «لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ» إلَخْ عَلَمٌ مِنْ أَعْلَامِ النُّبُوَّةِ.

العِشْرُونَ: تَفْلُهُ فِي عَيْنَيْهِ عَلَمٌ مِنْ أَعْلَامِهَا أَيْضًا.

الحَادِيَةُ وَالْعِشْرُونَ: فَضِيلَةُ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الثَّانِيَةُ وَالْعِشْرُونَ: فَضْلُ الصَّحَابَةِ فِي دَوْكِهِمْ تِلْكَ اللَّيْلَةَ، وَشُغْلِهِمْ عَنْ بِشَارَةِ الفَتْحِ.

الثَّالِثَةُ وَالْعِشْرُونَ: الإِيمَانُ بِالْقَدَرِ لِحُصُولِهَا لِمَنْ لَمْ يَسْعَ لَهَا وَمَنْعِهَا عَمَّنْ سَعَى.

الرَّابِعَةُ وَالْعِشْرُونَ: الأَدَبُ فِي قَوْلِهِ: «عَلَى رِسْلِكَ».

الخَامِسَةُ وَالْعِشْرُونَ: الدَّعْوَةُ إِلَى الإِسْلَامِ قَبْلَ القِتَالِ.

السَّادِسَةُ وَالْعِشْرُونَ: أَنَّهُ مَشْرُوعٌ لِمَنْ دُعُوا قَبْلَ ذَلِكَ وَقُوتِلُوا.

السَّابِعَةُ وَالْعِشْرُونَ: الدَّعْوَةُ بِالحِكْمَةِ لِقَوْلِهِ: «أَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ».

الثَّامِنَةُ وَالْعِشْرُونَ: المَعْرِفَةُ بِحَقِّ اللهِ فِي الإِسْلَامِ.

التَّاسِعَةُ وَالْعِشْرُونَ: ثَوَابُ مَنِ اهْتَدَى عَلَى يَدَيْهِ رَجُلٌ وَاحِدٌ.

الثَّلَاثُونَ: الحَلِفُ عَلَى الفُتْيَا.

الشَّرْح

قَوْلُهُ: «الأولى: أن الدعوةَ إلى اللهِ طريقُ من اتبعَ رسولِ اللهِ ﷺ»: كما في قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ [يوسف:١٠٨].

قَوْلُهُ: «الثانيةُ: التنبيهُ على الإخلاصِ»: لقوله: ﴿أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يوسف:١٠٨].

قَولُه: «لأنَّ كثيرًا لو دعا إلى الحق، فهو يدعو إلى نفسه»: لتحصيل منفعة دنيوية؛ وهذا ينافي الإخلاص.

قَولُه: «الثالثةُ: أن البصيرةَ من الفرائضِ»: أي لابد للداعي إلىٰ الله من بصيرة؛ كما في قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾[يوسف:١٠٨].

قَولُه: «الرابعةُ: من دلائل حُسن التوحيدِ: أنه تنْزيه الله تعالى عن المسبَّةِ»: أي عن مشابهة المخلوقين؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف:١٠٨]، فلما نزه نفسه عن الشريك دل علىٰ إفراده بالتوحيد.

قَولُه: «الخامسةُ: أن من قُبح الشركِ كونُه مسبةً للهِ»: لقوله تعالىٰ: ﴿وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[يوسف:١٠٨].

قَولُه: «السادسةُ: وهي من أهمها إبعاد المسلم عن المشركين؛ لئلا يصيرَ منهم، ولو لم يشرك»: لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف:١٠٨]، ولم يقل: «وما أنا مشرك»؛ لأنه إذا كان بينهم، ولو لم يكن مشركًا؛ فهو في ظاهره منهم(١).

قَولُه: «السابعةُ: كونُ التوحيدِ أولَ واجبٍ»: لقول النبي ﷺ لمعاذ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «فَلْيَكُنْ أَوَّلَ ما تدعوهم إليه شهادةُ أنْ لَا إلهَ إلَّا اللهُ»(٢).

قَولُه: «الثَّامِنَةُ: أَنَّهُ يُبْدَأُ بِهِ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ، حَتَّى الصَّلَاةِ»: لأن النبي ﷺ قدمه علىٰ كل شيء، ولأنه أصل فلا يقبل الله عبادة بدونه.

قَولُه: «التَّاسِعَةُ: أَنَّ مَعْنَى: «أَنْ يُوَحِّدُوا اللهَ» مَعْنَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»: لأن كل واحدة منهما أتت مفسرة للأخرىٰ.

---

(١) انظر: «القول المفيد علىٰ كتاب التوحيد» (١/ ١٤٠).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (١٤٥٨)، ومسلم (١٩).

قَـولُـهُ: «العَاشِرَةُ: أَنَّ الإِنْسَانَ قَدْ يَكُونُ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ وَهُوَ لَا يَعْرِفُهَا أَوْ يَعْرِفُهَا وَلَا يَعْمَلُ بِهَا»: لأن النبي ﷺ ذكرها، ولو كانوا يعرفونها، ويعملوا بها لما ذكرها.

قَـولُـهُ: «الحَادِيَةَ عَشْرَةَ: التَّنْبِيهُ عَلَى التَّعْلِيمِ بِالتَّدْرِيجِ»: كما في حديث معاذ رضي الله عنه: **«ادعهم إلىٰ أن يوحدوا الله؛ فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة؛ فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة...»**.

قَـولُـهُ: «الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ: الْبُدَاءَةُ بِالْأَهَمِّ فَالْأَهَمِّ»: لأن النبي ﷺ بدأ بالتوحيد، ثم الصلاة، ثم الزكاة، ولا يبدأ إلا بالأهم.

قَـولُـهُ: «الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ: مَصْرِفُ الزَّكَاةِ»: أي تصرف في الفقراء؛ لقوله ﷺ: **«فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد علىٰ فقرائهم»**.

قَـولُـهُ: «الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ: كَشْفُ العَالِمِ الشُّبْهَةَ عَنِ المُتَعَلِّمِ»: لقوله ﷺ لمعاذ: **«إنك تأتي قوما أهل كتاب»**، فنبهه علىٰ ذلك.

قَـولُـهُ: «الخَامِسَةَ عَشْرَةَ: النَّهْيُ عَنْ كَرَائِمِ الأَمْوَالِ»: لقوله ﷺ: **«فإياك وكرائم أموالهم»**.

قَـولُـهُ: «السَّادِسَةَ عَشْرَةَ: اتِّقَاءُ دَعْوَةِ المَظْلُومِ»: لقوله ﷺ: **«واتق دعوة المظلوم»**.

قَـولُـهُ: «السَّابِعَةَ عَشْرَةَ: الإِخْبَارُ بِأَنَّهَا لَا تُحْجَبُ»: لقوله ﷺ: **«فإنه ليس بينها وبين الله حجاب»**.

قَـولُـهُ: «الثَّامِنَةَ عَشْرَةَ: مِنْ أَدِلَّةِ التَّوْحِيدِ مَا جَرَى عَلَى سَيِّدِ المُرْسَلِينَ وَسَادَاتِ الأَوْلِيَاءِ مِنَ المَشَقَّةِ وَالجُوعِ وَالْوَبَاءِ»: أي ما وقع للنبي ﷺ، وللصحابة رضي الله عنهم يوم خيبر، ولعلي رضي الله عنه من المرض -الرمد- فصبروا علىٰ ذلك؛ فدل علىٰ إخلاص التوحيد والعبادة لله وحده.

قَولُه: «التَّاسِعَةَ عَشْرَةَ: قَوْلُهُ: «لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ» إِلَخْ عَلَمٌ مِنْ أَعْلَامِ النُّبُوَّةِ»: أي دليل علىٰ نبوته ﷺ؛ لكونه لا يعلم هذا إلا عن طريق الوحي.

قَولُه: «العِشْرُونَ: تَفْلُهُ فِي عَيْنَيْهِ عَلَمٌ مِنْ أَعْلَامِهَا أَيْضًا»: أي دليل علىٰ نبوته ﷺ؛ لأنه تفل في عينيه فبرأ كما لم يكن به وجع.

قَولُه: «الحَادِيَةُ وَالْعِشْرُونَ: فَضِيلَةُ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ»: لقوله ﷺ: «**لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، يفتح الله علىٰ يديه**».

قَولُه: «الثَّانِيَةُ وَالْعِشْرُونَ: فَضْلُ الصَّحَابَةِ فِي دَوْكِهِمْ تِلْكَ اللَّيْلَةَ وَشُغْلِهِمْ عَنْ بِشَارَةِ الفَتْحِ»: لأنهم خاضوا وتحدثوا فيمن يحبه الله ورسوله، وكلهم تمنىٰ أن يكون هو، وانشغلوا بذلك عن بشارة فتح خيبر.

قَولُه: «الثَّالِثَةُ وَالْعِشْرُونَ: الإِيمَانُ بِالْقَدَرِ لِحُصُولِهَا لِمَنْ لَمْ يَسْعَ لَهَا وَمَنْعِهَا عَمَّنْ سَعَى»: فما قدره الله كان، وما لم يقدره لم يكن، فلما قدر الله أن يعطىٰ علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الراية أعطاها له بدون سعي، بخلاف من سعىٰ لها.

قَولُه: «الرَّابِعَةُ وَالْعِشْرُونَ: الأَدَبُ فِي قَوْلِهِ: «عَلَى رِسْلِكَ»»: أي تمهل ولا تتسرع، وهذا من الأدب.

قَولُه: «الخَامِسَةُ وَالْعِشْرُونَ: الدَّعْوَةُ إِلَى الإِسْلَامِ قَبْلَ القِتَالِ»: لقوله ﷺ: «**ثم ادعهم إلىٰ الإسلام**».

قَولُه: «السَّادِسَةُ وَالْعِشْرُونَ: أَنَّهُ مَشْرُوعٌ لِمَنْ دُعُوا قَبْلَ ذَلِكَ وَقُوتِلُوا»: أي الدعوة إلىٰ الله مشروعة لمن دعوا قبل ذلك، فاليهود دعوا قبل جلائهم من المدينة، ومع ذلك أمر النبي ﷺ عليًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن يدعوهم.

قَولُه: «السَّابِعَةُ وَالْعِشْرُونَ: الدَّعْوَةُ بِالْحِكْمَةِ لِقَوْلِهِ: «أَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ»»: فمن الحكمة أن تتم الدعوة إلىٰ الإسلام بإخبار مَن أسلموا بما يجب عليهم.

قَـوْلُـهُ: «الثَّامِنَةُ وَالْعِشْرُونَ: الْمَعْرِفَةُ بِحَقِّ اللهِ فِي الإِسْلَامِ»: لقوله ﷺ: «وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللهِ تعالىٰ فِيهِ».

قَـوْلُـهُ: «التَّاسِعَةُ وَالْعِشْرُونَ: ثَوَابُ مَنِ اهْتَدَى عَلَى يَدَيْهِ رَجُلٌ وَاحِدٌ»: لقوله ﷺ: «لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرُ النَّعَمِ».

قَـوْلُـهُ: «الثَّلَاثُونَ: الحَلِفُ عَلَى الفُتْيَا»: لقوله ﷺ: «فَوَاللهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرُ النَّعَمِ».



[٥] بابُ تفسيرِ التوحيدِ وشهادةِ أنْ لا إله إلا اللهُ

وقولُ اللهِ تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾﴾[الإسراء:٥٧].

وقولُهُ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾[الزُّخرُف:٢٦-٢٨].

وقولُهُ: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾[التوبة:٣١].

وقولُهُ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ۖ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾[البقرة:١٦٥].

وفي الصَّحيحِ عنِ النبيِّ ﷺ أنه قال: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مَنْ دُونِ اللهِ، حَرُمَ مَالُهُ، وَدَمُهُ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللهِ»[١].

الشَّرْح

قَوْلُهُ: «بابُ تفسيرِ التوحيدِ وشهادةِ أن لا إله إلا اللهُ»: هذا من باب عطف المترادفات، والعلاقة بينهما علاقة الدال بالمدلول، فالتوحيد يدل علىٰ شهادة أن لا إله إلا الله.

وقد تقدم ذكر معنىٰ لا إله إلا الله، ولكنه في هذا الباب يبين ما دلت عليه لا إله إلا الله.

قَوْلُهُ: «وقولُ اللهِ تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾»: أي هؤلاء الذين يدعوهم هؤلاء المشركون أربابًا[٢].

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٣) عَنْ أَبِي مَالِكٍ، عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (١٧/ ٤٧١).

فائدة: الدعاء نوعان:

أحدهما: دعاء مسألة؛ كأن يقول الداعي: اللهم ارزقني علما نافعا.

الثاني: دعاء عبادة، كالصلاة، والصيام، والحج، ونحوه، وهو المقصود في الآية.

وقد تقدم ذلك مفصلًا.

قال ابن تيمية: «**لفظ الدعاء في القرآن يتناول هذا وهذا، الدعاء بمعنىٰ العبادة، أو الدعاء بمعنىٰ المسألة، وإن كان كل منهما يستلزم الآخر**»[(١)].

قَولُه: «﴿ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ ﴾»: أي يبتغي المدعوّون أربابًا إلىٰ ربهم القُربة والزُّلفة، لأنهم أهل إيمان به، والمشركون بالله يعبدونهم من دون الله[(٢)].

قال ابن تيمية: «**فإن ابتغاء الوسيلة إليه، هو طلب من يتوسل به، أي يتوصل ويتقرب به إليه سبحانه، سواء كان علىٰ وجه العبادة والطاعة وامتثال الأمر، أو كان علىٰ وجه السؤال له، والاستعاذة به، رغبة إليه في جلب المنافع ودفع المضار**»[(٣)].

وقال: «**فالوسيلة التي أمر الله أن تبتغىٰ إليه وأخبر عن ملائكته وأنبيائه أنهم يبتغونها إليه هي ما يتقرب به إليه من الواجبات والمستحبات**»[(٤)].

قَولُه: «﴿ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ ﴾»: أي أيهم بصالح عمله واجتهاده في عبادته أقرب عنده زلفة[(٥)].

---

(١) **انظر**: «اقتضاء الصراط المستقيم»، لابن تيمية (٢/ ٣١٢).
(٢) **انظر**: «تفسير الطبري» (١٧/ ٤٧١).
(٣) **انظر**: اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٣١٢).
(٤) **انظر**: «قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة»، لابن تيمية، صـ(٨٥).
(٥) **انظر**: «تفسير الطبري» (١٧/ ٤٧١).

قَولُهُ: «﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ﴾»: أي بأفعالهم تلك[(١)].

قَولُهُ: «﴿وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾»: أي ويَخافُونَ أمره[(٢)].

قَولُهُ: «﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ﴾»: أي يا محمد[(٣)].

ولا تتم العبادة إلا بالخوف والرجاء، فبالخوف ينكفُّ عن المناهي، وبالرجاء ينبعث علىٰ الطاعات[(٤)].

قَولُهُ: «﴿كَانَ مَحْذُورًا ۝٥٧﴾»: أي مُتَّقىً[(٥)]، فينبغي أن يحذر منه، ويخاف من وقوعه وحصوله، عياذا بالله منه[(٦)].

فائدة: اختلف المفسرون في سبب نزول هذه الآية على ثلاثة أقوال[(٧)]:

القول الأول: نزلت في نفر من العرب كانوا يعبدون نفرا من الجن، فأسلم الجنيون، وبقي هؤلاء يعبدونهم.

فعَنْ عَبْدِ اللهِ بن مَسْعودٍ فِي قَوْلِهِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ [الإسراء: ٥٧] قَالَ: «**كَانَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ أَسْلَمُوا، وَكَانُوا يُعْبَدُونَ، فَبَقِيَ الَّذِينَ كَانُوا يَعْبُدُونَ عَلَىٰ عِبَادَتِهِمْ، وَقَدْ أَسْلَمَ النَّفَرُ مِنَ الْجِنِّ**»[(٨)]؛ وهذا قول ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو اختيار الطبري.

القول الثاني: نزلت في نفر من العرب كانوا يعبدون عيسىٰ وأمه، وعزيرًا؛ وهذا قول ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١٧/ ٤٧١).

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (١٧/ ٤٧١).

(٣) انظر: «تفسير الطبري» (١٧/ ٤٧١).

(٤) انظر: «تفسير ابن كثير» (٥/ ٨٩).

(٥) انظر: «تفسير الطبري» (١٧/ ٤٧١).

(٦) انظر: «تفسير ابن كثير» (٥/ ٨٩).

(٧) انظر: «الطبري» (١٧/ ٤٧٢-٤٧٤)، و«تفسير ابن كثير» (٥/ ٨٨-٨٩).

(٨) متفق عليه: رواه البخاري (٤٧١٥)، ومسلم (٣٠٣٠)، واللفظ له.

القول الثالث: نزلت في نفر من العرب كانوا يعبدون الملائكة، وهذا القول مروي عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

والراجح أن الآية نزلت في الجميع.

قال ابن تيمية: «قالت طائفة من السلف: كان أقوام يدعون عزيرا والمسيح والملائكة، فأنزل الله تعالىٰ هذه الآية بيّن فيها أن الملائكة والأنبياء يتقربون إلىٰ الله ويرجون رحمته ويخافون عذابه»[1]، «وبين الله تبارك وتعالىٰ أن هؤلاء عباده كما أنتم عباده، يرجون رحمته كما ترجون رحمته، ويخافون عذابه كما تخافون عذابه، ويتقربون إليه كما تتقربون إليه»[2].

قَوْلُهُ: «وقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ﴾»: أي الذين كانوا يعبدون ما يعبده مشركو قومك يا محمد[3].

قَوْلُهُ: «﴿إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾»: أي من دون الله، فكذّبوه[4].

قَوْلُهُ: «﴿إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾»: أي الذي خلقني[5].

قَوْلُهُ: «﴿فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ﴾»: أي فإنه سيُقوِّمني للدين الحقّ، ويوفقني لاتباع سبيل الرشد[6].

قَوْلُهُ: «﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ﴾»: أي جعل قوله: ﴿إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ هو قول: لا إله إلا الله[7].

---

(١) **انظر:** «التدمرية»، صـ(١٩٨)، و«قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة»، صـ(٢٣).
(٢) **انظر:** «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» (١/ ٣٥٩).
(٣) **انظر:** «تفسير الطبري» (٢١/ ٥٨٨).
(٤) **انظر:** «تفسير الطبري» (٢١/ ٥٨٨).
(٥) **انظر:** «تفسير الطبري» (٢١/ ٥٨٨).
(٦) **انظر:** «تفسير الطبري» (٢١/ ٥٨٨).
(٧) **انظر:** «تفسير الطبري» (٢١/ ٥٨٩).

قـولـه: «﴿بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ﴾»: أي كلمة باقية في عقبه، وهم ذريّته، فلم يزل في ذريّته من يقول ذلك من بعده[(١)].

قـولـه: «﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾»: أي ليرجعوا إلىٰ طاعة ربهم، ويثوبوا إلىٰ عبادته، ويتوبوا من كفرهم وذنوبهم[(٢)].

قال ابن كثير في تفسير الآية: «يقول تعالىٰ مخبرا عن عبده ورسوله وخليله إمام الحنفاء، ووالد من بعث بعده من الأنبياء، الذي تنتسب إليه قريش في نسبها ومذهبها: أنه تبرأ من أبيه وقومه في عبادتهم الأوثان، فقال: ﴿إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ۝٢٦ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ۝٢٧ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ﴾ أي: هذه الكلمة، وهي عبادة الله تعالىٰ وحده لا شريك له، وخلع ما سواه من الأوثان، وهي لا إله إلا الله أي: جعلها دائمة في ذريته يقتدي به فيها من هداه الله من ذرية إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ أي: إليها»[(٣)].

قـولـه: «وقوله: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ﴾»: أي اتخذ اليهود أحبارهم، وهم العلماء[(٤)].

قـولـه: «﴿وَرُهْبَـٰنَهُمْ﴾»: أي اتخذ النصارىٰ رهبانهم، وهم أصحاب الصوامع، وأهل الاجتهاد في دينهم منهم[(٥)].

قـولـه: «﴿أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾»: أي سادةً لهم من دون الله، يطيعونهم في معاصي الله، فيحلون ما أحلُّوه لهم مما قد حرَّمه الله عليهم، ويحرِّمون ما يحرِّمونه عليهم مما قد أحلَّه الله لهم[(٦)].

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٢١/ ٥٨٩).
(٢) انظر: «تفسير الطبري» (٢١/ ٥٩٠).
(٣) انظر: «تفسير ابن كثير» (٧/ ٢٢٥).
(٤) انظر: «تفسير الطبري» (١٤/ ٢٠٨).
(٥) انظر: «تفسير الطبري» (١٤/ ٢٠٩).
(٦) انظر: «تفسير الطبري» (١٤/ ٢٠٩).

وفسره النبي ﷺ لعدي بن حاتم رضي الله عنه، قَالَ عَدِيُّ بْنِ حَاتِمٍ رضي الله عنه: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقْرَأُ فِي سُورَةِ «بَرَاءَةٌ»: ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة:٣١]، قَالَ: «أَمَا إِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَعْبُدُونَهُمْ، وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا أَحَلُّوا لَهُمْ شَيْئًا اسْتَحَلُّوهُ، وَإِذَا حَرَّمُوا عَلَيْهِمْ شَيْئًا حَرَّمُوهُ»(١).

قال ابن تيمية: «فمن أطاع أحدا في دين لم يأذن به الله من تحليل أو تحريم أو استحباب أو إيجاب؛ فقد لحقه من هذا الذم نصيب، كما يلحق الآمر الناهي أيضًا نصيب»(٢).

وقال: «اتفق العلماء علىٰ أنه إذا عَرَفَ الحق لا يجوز له تقليد أحد في خلافه»(٣).

فائدة [١]: الطاعة في تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله تكون على وجهين(٤):

أحدهما: اعتقاد تحليل ما حرم الله، وتحريم ما أحل الله اتباعا للرؤساء مع العلم بمخالفة دين الرسل؛ فهذا كفر، وإن لم يصلِّ لهم ويسجد لهم.

الثاني: اعتقاد تحريم الحلال وتحليل الحرام مع الاعتقاد أنها معاصٍ؛ فهذه معصية؛ للحديث: «إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي المَعْرُوفِ»(٥).

فائدة [٢]: المحلُّ لما حرم الله، أو المحرِّم لما أحل الله نوعان(٦):

أحدهما: أن يكون مجتهدًا قصده اتباع الرسول لكن خفي عليه الحق في

---

(١) حسن: رواه الترمذي (٣٠٩٥)، وحسنه الألباني في «الصحيحة» (٣٢٩٣).
(٢) انظر: «اقتضاء الصراط المستقيم» (٢/ ٨٤).
(٣) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (٧/ ٧١).
(٤) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (٧/ ٧٠).
(٥) متفق عليه: رواه البخاري (٧١٤٥)، ومسلم (١٨٤٠)، من حديث علي رضي الله عنه.
(٦) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (٧/ ٧١).

نفس الأمر وقد اتقىٰ الله ما استطاع؛ فهذا لا يؤاخذه الله بخطئه بل يثيبه علىٰ اجتهاده الذي أطاع به ربه.

الثاني: أن يكون خلاف الأول، فهذا له نصيب من هذا الشرك الذي ذمه الله.

فائدة [٣]: المتَّبع للمحرِّم أو المحلِّل ثلاثة أنواع[١]:

أحدهما: من علم أن هذا خطأ فيما جاء به الرسول ﷺ ثم اتبعه علىٰ خطئه وعدل عن قول الرسول فهذا له نصيب من هذا الشرك الذي ذمه الله لا سيما إن اتبع في ذلك هواه ونصره باللسان واليد مع علمه بأنه مخالف للرسول؛ فهذا شرك يستحق صاحبُه العقوبة عليه.

الثاني: من كان عاجزًا عن معرفة الحق علىٰ التفصيل وقد فعل ما يقدر عليه مثله من الاجتهاد في التقليد؛ فهذا لا يؤاخذ إن أخطأ كما في القِبلة.

الثالث: من قلد شخصا دون نظيره بمجرد هواه ونصره بيده ولسانه من غير علم أن معه الحق؛ فهذا من أهل الجاهلية، وإن كان متبوعه مصيبًا؛ لم يكن عمله صالحا، وإن كان متبوعه مخطئًا؛ كان آثما، كمن قال في القرآن برأيه؛ فإن أصاب فقد أخطأ وإن أخطأ فليتبوأ مقعده من النار؛ فيكون فيه شرك أصغر، ولهم من الوعيد بحسب ذلك.

قَولُهُ: «وقوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾»: أي من المشركين؛ يذكر تعالىٰ حال المشركين به في الدنيا وما لهم في الدار الآخرة[٢].

قَولُهُ: «﴿مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا﴾»: أي جعلوا له أندادا، أي: أمثالا ونظراء يعبدونهم معه[٣].

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (٧/ ٧١-٧٢).
(٢) انظر: «تفسير ابن كثير» (١/ ٤٧٦).
(٣) انظر: «تفسير ابن كثير» (١/ ٤٧٦).

والأنداد: جمع نِدٍّ بمعنىٰ العِدل، والمِثل[(١)].

قال ابن الأثير: «الأنداد: جمع نِد، بالكسر، وهو مثل الشيء الذي يضاده في أموره ويناده: أي يخالفه، ويريد بها ما كانوا يتخذونه آلهة من دون الله»[(٢)].

قَولُهُ: «﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾»: أي الذين اتخذوا هذه الأنداد من دُون الله يحبون أندادهم كحبهم الله[(٣)]، وهو الله لا إله إلا هو، ولا ضد له ولا ند له، ولا شريك معه[(٤)].

قَولُهُ: «﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾»: أي أن المؤمنين أشد حبًا لله من متخذي هذه الأنداد لأندادهم[(٥)]، ولحبهم لله وتمام معرفتهم به، وتوقيرهم وتوحيدهم له لا يشركون به شيئًا، بل يعبدونه وحده ويتوكلون عليه، ويلجؤون في جميع أمورهم إليه[(٦)].

فائدة: اختلف المفسرون في الأنداد على قولين[(٧)]:

القول الأول: هي آلهتهم التي كانوا يعبدونها من دون الله.

القول الثاني: هي سادتهم الذين كانوا يطيعونهم في معصية الله تعالىٰ.

فمعنى الكلام إذًا: ومَنَ الناس من يتخذ من دون الله أندادًا يحبونهم كحبهم الله جَلَّ جَلَالُهُ.

قال ابن تيمية: «فبين سبحانه أن المشركين بربهم الذين يتخذون من دون الله

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٣/ ٢٧٩).
(٢) انظر: «النهاية في غريب الحديث» (٥/ ٣٥).
(٣) انظر: «تفسير الطبري» (٣/ ٢٧٩)، و«مجموع الفتاوىٰ» (١٠/ ٥٦).
(٤) انظر: «تفسير ابن كثير» (١/ ٤٧٦).
(٥) انظر: «تفسير الطبري» (٣/ ٢٧٩).
(٦) انظر: «تفسير ابن كثير» (١/ ٤٧٦).
(٧) انظر: «تفسير الطبري» (٣/ ٢٧٩-٢٨٠).

أندادا وإن كانوا يحبونهم كما يحبون الله، فالذين آمنوا أشد حبا لله منهم لله ولأوثانهم؛ لأن المؤمنين أعلم بالله، والحب يتبع العلم، ولأن المؤمنين جعلوا جميع حبهم لله وحده، وأولئك جعلوا بعض حبهم لغيره وأشركوا بينه وبين الأنداد في الحب، ومعلوم أن ذلك أكمل»[(١)].

قَولُهُ: «وفي الصحيح»: أي صحيح مسلم.

قَولُهُ: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»: أي تلفظ بها بلسانه.

قَولُهُ: «وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مَنْ دُونِ اللهِ»: أي اعتقد بطلان كل ما يعبد من دون الله سبحانه وتعالى.

قَولُهُ: «حَرُمَ مَالُهُ، وَدَمُهُ»: أي لا يجوز سفك دمه، وأخذ ماله.

قال الخطابي: «إنما هم أهل الأوثان دون أهل الكتاب؛ لأنهم يقولون لا إله إلا الله ثم أنهم يقاتلون، ولا يرفع عنهم السيف»[(٢)].

وذكر القاضي عياض معنىٰ هذا وزاد عليه وأوضحه، فقال: اختصاص عصمة المال والنفس ذلك بمن قال: لا إله إلا الله تعبير عن الإجابة إلىٰ الإيمان، وأن المراد بهذا مشركو العرب، وأهل الأوثان، ومن لا يُقِرُّ بالخالق، لا يُوحده، وهم كانوا أول من دُعي إلىٰ الإسلام وقوتل عليه، فأما غيره ممن يُقر بالتوحيد والخالق، فلا يُكتفىٰ في عصمة دَمِهِ بقوله لا إله إلا الله، إذ كان يقولها في كفره، وهيٰ من اعتقاده[(٣)].

قَولُهُ: «وَحِسَابُهُ عَلَىَ اللهِ»: أي فيما يستسرون به دون ما يُخِلُّونَ به من الأحكام الواجبة عليهم في الظاهر[(٤)]؛ ومعناه: أنا نكف عنه في الظاهر، وأما

(١) انظر: «مجموع الفتاوىٰ»، لابن تيمية (١٠/ ٥٦).
(٢) انظر: «معالم السنن» (٢/ ١١).
(٣) انظر: «إكمال المُعلِم بفوائد مسلم»، للقاضي عياض (١/ ٢٤٦).
(٤) انظر: «معالم السنن» (٢/ ١١).

بينه وبين الله تعالىٰ فإن كان صادقا مؤمنا بقلبه نفعه ذلك في الآخرة ونجا من النار كما نفعه في الدنيا وإلا فلا ينفعه بل يكون منافقا من أهل النار؛ وفيه أنه يشترط في صحة الإسلام النطق بالشهادتين فإن كان أخرس أو في معناه كفته الإشارة إليهما[(١)].

وفيه دليل أن الكافر المُستسِر بكفره لا يُتعرض له إذا كان ظاهره الإسلام ويقبل توبته إذا أظهر الإنابة من كفر علم بإقراره أنه كان يستسر به وهو قول أكثر العلماء[(٢)].

قال ابن عبد البر: «فإن كان ذلك صادقا من قلبه يبتغي به وجه الله دخل الجنة، ومن خادع بها فهو منافق في الدرك الأسفل من النار، ولا يجوز قتله مع إظهاره الشهادة»[(٣)].

وقال النووي: «ولا بد مع هذا من الإيمان بجميع ما جاء به رسول الله ﷺ»[(٤)].

قال ابن عبد البر: «وأجمعوا أن أحكام الدنيا علىٰ الظاهر وإلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ السرائر»[(٥)].

فائدة: اعلم أن النبي ﷺ في هذا الحديث علق عصمة المال والدم بأمرين[(٦)]:

الأول: قول: لا إله إلا الله.

الثاني: الكفر بما يعبد من دون الله.

---

(١) انظر: «شرح صحيح مسلم» (١٥/ ١٧٨).

(٢) انظر: «معالم السنن» (٢/ ١١).

(٣) انظر: «الاستذكار»، لابن عبد البر (٢/ ٣٥٧).

(٤) انظر: «شرح صحيح مسلم» (١/ ٢٠٧).

(٥) انظر: «الاستذكار» (٢/ ٣٥٩).

(٦) انظر: «تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد»، صـ(١١٥).

فلم يكتف باللفظ المجرد عن المعنىٰ، بل لا بد من قولها والعمل بها.

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب: «وهذا من أعظم ما يبين معنىٰ: لا إله إلا الله، فإنه لم يجعل التلفظ بها عاصمًا للمال والدم، بل ولا معرفة معناها مع لفظها، بل ولا الإقرار بذلك، بل ولا كونه لا يدعو إلا الله وحده، حتىٰ يضيف إلىٰ ذلك: الكفر بما يعبد من دون الله؛ فإن شك أو تردد، لم يحرم ماله ودمه، فيالها من مسألة ما أجلَّها!، وياله من بيان ما أوضحَه!، وحجة ما أقطعَها للمنازع!»(١).

قال الشيخ سليمان بن عبد الله بن عبد الوهاب: «وقد أجمع العلماء علىٰ معنىٰ ذلك فلا بدَّ في العصمة من الإتيان بالتوحيد، والتزام أحكامه، وترك الشرك كما قال تعالىٰ: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ﴾ [الأنفال:٣٩]، والفتنة هنا: الشرك، فدل علىٰ أنه إذا وجد الشرك، فالقتال باق بحاله كما قال تعالىٰ: ﴿ وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةٗ ﴾ [التوبة:٣٦]، وقال تعالىٰ: ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ وَخُذُوهُمۡ وَٱحۡصُرُوهُمۡ وَٱقۡعُدُواْ لَهُمۡ كُلَّ مَرۡصَدٖۚ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٥﴾ ﴾ [التوبة:٥]، فأمر بقتالهم علىٰ فعل التوحيد، وترك الشرك، وإقامة شعائر الدين الظاهرة، فإذا فعلوها خلي سبيلهم، ومتىٰ أبوا عن فعلها أو فعل شيء منها، فالقتال باق بحاله إجماعًا، ولو قالوا: لا إله إلا الله»(٢).

---

(١) **انظر:** «الدرر السنية في الأجوبة النجدية» (٨/ ٢١٣).

(٢) **انظر:** «تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد»، صـ(١١٥-١١٦).

وشرحُ هذه الترجمةِ: ما بعدَها من الأبوابِ.

فيه أكبرُ المسائلِ وأهمُّها[١]: وهي تفسيرُ التوحيدِ، وتفسيرُ الشهادةِ؛ وبيَّنها بأمورٍ واضحةٍ.

منهَا: آيةُ الإسْراءِ بيَّن فيهَا الردَّ على المشركينَ الذينَ يدعونَ الصَّالحينَ، ففيهَا بيَانُ أنَّ هذَا هو الشِّركُ الأكبرُ.

ومنها: آيةُ بَراءةٍ، بيَّن فيهَا أنَّ أهلَ الكِتابِ اتخذُوا أحبَارَهم ورُهْبانَهم أربَابًا من دُونِ اللهِ، وبيَّن أنَّهم لم يُؤمرُوا إلا بأنْ يعبدُوا إلهًا واحدًا، مع أنَّ تفسيرَهَا الذي لا إشكَالَ فيه: طَاعةُ العلَماءِ والعبَّادِ في المعصيةِ، لا دعاؤُهم إيَّاهم.

ومنها: قَولُ الخليلِ عَلَيْهِ السَّلَامُ للكفَّارِ: ﴿إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾ [الزُّخرُف:٢٦]، فاسْتَثْنَى منَ المعبودِينَ ربَّه، وذَكَر سبحانَه أنَّ هذِه البَراءةَ وهذِه الموَالاةَ هي: تَفسيرُ شَهَادةِ أن لا إلهَ إلا اللهُ؛ فقالَ: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الزُّخرُف:٢٨].

ومِنهَا: آيةُ البَقرةِ في الكفَّارِ الذينَ قالَ اللهُ فيهمْ: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة:١٦٧]، ذَكرَ أنَّهم يحبونَ أندادَهم كحبِّ اللهِ؛ فدلَّ على أنهم يحبونَ اللهَ حبًّا عظيمًا ولمْ يُدخلْهم في الإسلامِ، فكيفَ بمَن أحبَّ النِّدَّ أكبرَ منْ حبِّ اللهِ؟ فكيفَ بمَن لم يحبَّ إلا النِّدَّ وحدَه، ولم يحبَّ اللهَ؟

وَمِنهَا: قولُهُ ﷺ: «مَنْ قالَ لا إلهَ إلا اللهُ وكفرَ بما يُعبدُ من دُونِ اللهِ حرُم مالُه ودَمُه، وحِسابُه على اللهِ»؛ وهذا مِن أَعظمِ ما يبيِّن معنى «لا إلهَ إلا اللهُ»، فإنَّه لم يجعلِ التلفظَ بها عَاصمًا للدمِ والمالِ، بلْ ولا معرفةَ معناهَا مع لفظِها، بلْ ولا الإقرارَ بذلكَ، بل ولا كونَه لا يدعُو إلا اللهَ وحدَه لا شريكَ له، بل لا يحرُمُ مالُه ودمُه حتَّى يُضيفَ إلى ذلكَ الكفرَ بما يُعبدُ من دونِ اللهِ؛ فَإنَّ شكَّ

---

(١) في نسخة خطية:... فيه مسائل، الأولىٰ أكبر المسائل وأهمها.

أو توقف لم يحرُمْ مالُه ودمُه.

فيالَهَا مِن مَسألةٍ ما أعظَمَها وأجلَّها! ويا لَه من بيانٍ ما أوضحَهُ! وحجةٍ ما أقطَعَها للمنَازِعِ!

الشَّرْح

قَولُهُ: «وشرحُ هذه الترجمةِ: ما بعدَها من الأبوابِ. فيه أكبرِ المسائلِ وأهمُّها: وهي تفسيرُ التوحيدِ»: تفسير التوحيد هو إثبات الألوهية لله ﷻ، ونفيها عما سواه.

قَولُهُ: «وتفسيرُ الشهادةِ»: تفسير الشهادة يتضمن أمرين: أحدهما: النطق باللسان، والثاني: الإقرار بالقلب.

قَولُهُ: «وبيَّنها بأمورٍ واضحةٍ»: أي بالآيات التي ذكرها، وحديث مسلم الذي ذكره.

قَولُهُ: «منها: آيةُ الإسراءِ بين فيها الردَّ على المشركينَ الذين يدعونَ الصالحينَ ففيها بيانُ أنَّ هذا هو الشركُ الأكبرُ»: أي قوله تعالىٰ: ﴿أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا ٥٧﴾[الإسراء:٥٧].

قَولُهُ: «ومنها: آيةُ براءةٍ، بيَّن فيها أن أهلَ الكتابِ اتخذوا أحبارَهم ورهبانَهم أربابًا من دونِ اللهِ، وبين أنهم لم يؤمروا إلا بأن يعبدوا إلها واحدا، مع أن تفسيرَها الذي لا إشكالَ فيه: طاعةُ العلماءِ والعبادِ في المعصيةِ، لا دعاؤهم إيَّاهم»: أي قوله تعالىٰ: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾[التوبة:٣١].

قَولُهُ: «ومنها: قولُ الخليلِ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ للكفارِ: ﴿إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ﴾ [الزُّخرُف:٢٦]، فاستثنى من المعبودينَ ربَّه، وذكرَ سبحانَه أن هذِه البراءة وهذِه

الموالاةَ هي: تفسيرُ شهادةِ أن لا إله إلا اللهُ؛ فقالَ: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الزُّخرُف:٢٨]»: أي أن كلمة التوحيد تتضمن ركنين: أحدهما: نفي الألوهية عن غير الله ﷻ، والثاني: إثبات الألوهية لله وحده.

قَـوْلُـهُ: «ومنها: آيةُ البقرةِ في الكفارِ الذينَ قالَ اللهُ فيهم: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة:١٦٧]، ذكرَ أنهم يحبونَ أندادَهم كحبِّ اللهِ؛ فدلَّ على أنهم يحبونَ اللهَ حبًّا عظيما ولم يدخلْهم في الإسلامِ، فكيفَ بمن أحبَ الندَّ أكبر من حب اللهِ؟ فكيفَ بمن لم يحبَّ إلا الندَّ وحدَه ولم يحبَّ اللهَ؟»: أي من أحب غير الله معظِّما له أشرك، ومن ساوىٰ بين الله وغيره في المحبة أشرك.

قَـوْلُـهُ: «ومِنهَا: قولُه ﷺ: «من قالَ لا إله إلا اللهُ وكفرَ بما يُعبدُ من دونِ اللهِ حرُم مالُهُ ودمُه، وحسابُه على اللهِ»؛ وهذا منْ أعظمِ ما يبيِّن معنى «لا إله إلا اللهُ»، فإنَّه لم يجعلِ التلفظَ بها عاصما للدمِ والمالِ، بل ولا معرفةَ معناها مع لفظِها، بل ولا الإقرارَ بذلك، بل ولا كونَه لا يدعو إلا اللهَ وحدَه لا شريكَ له، بل لا يحرمُ مالُهُ ودمُه حتى يضيفَ إلى ذلك الكفرَ بما يعبدُ من دون اللهِ؛ فإن شكَّ أو توقَّفَ لم يحرمْ مالُهُ ودمُهُ»»: أي حرمة الدم والمال متوقفة علىٰ الإيمان بالله ﷻ إيمانا جازما، والكفر بما يعبد من دون الله ﷻ من الآلهة الباطلة.

قَـوْلُـهُ: «فيالَها من مسألةٍ ما أعظَمها وأجلَّها!»: أي لأجل أنها وضعت حدا للإسلام، فمن لم يعتقده لم يتم إسلامه.

قَـوْلُـهُ: «ويا لَه من بيانٍ ما أوضحَه!»: أي لا أوضح مما بينه ووضحه الله ورسوله ﷺ.

قَـوْلُـهُ: «وحجةٍ ما أقطعَها للمنازِع!»: أي لوضوحها وقوة برهانها لا يستطيع المنازع ردها.



[٦] بابٌ من الشركِ:
لُبسُ الحلْقَةِ والخَيطِ ونحوهِمَا لرفعِ البَلاءِ أو دفعِه

قولُ اللهِ تعالى: ﴿قُلۡ أَفَرَءَيۡتُم مَّا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنۡ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلۡ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوۡ أَرَادَنِي بِرَحۡمَةٍ هَلۡ هُنَّ مُمۡسِكَٰتُ رَحۡمَتِهِۦۚ قُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُۖ عَلَيۡهِ يَتَوَكَّلُ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ﴾[الزُّمَر:٣٨].

عنْ عِمرانَ بن حُصينٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنَّ النبيَّ ﷺ رأى رجلا في يدِه حلْقةٌ من صُفْرٍ، فقالَ: «ما هذِه؟» قال: من الواهِنَة؛ فقالَ: انْزِعْهَا، فَإِنَّهَا لَا تَزِيدُكَ إِلَّا وَهْنًا؛ فإنَّك لو مِتَّ وَهِيَ عَلَيْكَ مَا أَفْلَحْتَ أَبَدًا»[١]. رواه أحمدُ بسندٍ لا بأسَ به.

وله عن عقبةَ بن عامرٍ مرفوعًا: «مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً، فَلَا أَتَمَّ اللهُ لَهُ، وَمَنْ تَعَلَّقَ وَدَعَةً، فَلَا وَدَعَ اللهُ لَهُ»[٢].

وفي روايةٍ: «من تعلق تَمِيمَةً فَقَدْ أَشْرَكَ»[٣].

---

(١) **ضعيف**: رواه ابن ماجه (٣٥٣١)، وأحمد (٢٠٠٠٠)، وضعفه الألباني حيث قال في «السلسلة الضعيفة» (٣/ ١٠١): «وهذا سند ضعيف وله علتان:

الأولى: عنعنة المبارك، وهو ابن فضالة فقد كان مدلسا، وصفه بذلك جماعة من الأئمة المتقدمين، قال يحيىٰ بن سعيد: لم أقبل منه شيئًا، إلا شيئًا يقول فيه: حدثنا.

وقال ابن مهدي: كنا نتبع من حديث مبارك ما قال فيه: حدثنا الحسن.

ومع ذلك فقد قال فيه الدارقطني: لين، كثير الخطأ، يعتبر به، وذكر نحوه ابن حبان والساجي.

الثانية: الانقطاع بين الحسن وعمران بن حصين، فإنه لم يسمع منه كما جزم بذلك ابن المديني وأبو حاتم وابن معين، قال الأولان: لم يسمع منه، وليس يصح ذلك من وجه يثبت».

(٢) **حسن**: رواه أحمد (١٧٤٠٤)، وحسنه شعيب الأرنؤوط، وضعفه الألباني في «السلسلة الضعيفة» (١٢٦٦).

(٣) **إسناده قوي**: رواه أحمد (١٧٤٢٢)،عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ الجُهَنِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ؛ قال شعيب الأرنؤوط: «إسناده قوي».

ولابن أبي حاتم[1] عن حذيفة، أنه رأى رجلًا في يده خيط من الحُمَّى، فقطعه، وتلا قوله: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يوسف:١٠٦].

الشَّرح

قَولُهُ: «بابٌ مِن»: من هنا للتبعيض؛ أي باب بعض أنواع الشرك.

قَولُهُ: «الشركِ»: أي من الشرك الأكبر أو الأصغر؛ فإن اعتقد لابسها أنها سبب لرفع البلاء أو دفعه كانت من الشرك الأصغر، وإن اعتقد أنها ترفع البلاء أو تدفعه بذاتها كانت من الشرك الأكبر.

قَولُهُ: «لبسُ الحلْقةِ»: الحلقة هي آلة مستديرة تكون من حديد[2]، أو فضة، أو نحاس تلبس حول العنق، أو اليد، أو نحوه.

قَولُهُ: «والخيطِ»: الخاء والياء والطاء أصل واحد يدل علىٰ امتداد الشيء في دقة، ثم يحمل عليه فيقال في بعض ما يكون منتصبا، فالخيط معروف[3]، وقد يكون من قطن، أو كتَّان، أو صوف، أو حرير، أو نحوه.

قَولُهُ: «ونحوهِما»: مثل: تعليق الخرز، وجلود الحيوانات، وقطع الحديد، والتمائم.

قَولُهُ: «لرفع البلاءِ أو دفعِه»: أي كل هذه المذكورات إن لبست لرفع البلاء وإزالته بعد نزوله كالمرض والفقر ونحوه، أو لدفع البلاء ومنعه قبل نزوله؛ لئلا يصيب الإنسان، كانت من الشرك.

ومناسبة هذا الباب بما قبله أن الشيء يعرف بأحد اعتبارين:

الأول: بيان حقيقته.

---

(١) في «تفسيره» برقم (١٢٠٤٠) بسند ضعيف؛ لأن عروة لم يسمع من حذيفة؛ انظر: «تهذيب الكمال»، للمزي (٥/ ٤٩٧-٤٩٩).

(٢) انظر: «مقاييس اللغة»، مادة «حلق».

(٣) انظر: «مقاييس اللغة»، مادة «خيط».

والثاني: بيان ضده.

فلما ذكر المصنف معنىٰ التوحيد وتفسيره بالاعتبار الأول، وهو حقيقته شرع في بيانه بالاعتبار الثاني، وهو بيان ضده، وهو الشرك بنوعيه.

قَـوْلُـهُ: «قولُ اللهِ تعالى: ﴿قُلْ﴾»: أي يا رسولنا لهؤلاء الكفار الذين يقرون بالربوبية لله ﷻ، ويصرفون العبادة لغيره ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزُّمَر:٣٨]؛ يعني: أن المشركين كانوا يعترفون بأن الله هو الخالق للأشياء كلها، ومع هذا يعبدون معه غيره، مما لا يملك لهم ضرا ولا نفعا؛ ولهذا قال: ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الزُّمَر:٣٨][1].

قَـوْلُـهُ: «﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾»: أي أفرأيتم أيها القوم المشركون هذا الذي تعبدون من دون الله من الأصنام والآلهة[2].

قَـوْلُـهُ: «﴿إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ﴾»: أي بشدة وبلاء في معيشتي[3].

قَـوْلُـهُ: «﴿هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ﴾»: أي هل هن كاشفات عني ما يصيبني به ربي من الضر؟[4].

قَـوْلُـهُ: «﴿أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ﴾»: أي إن أرادني برحمة، وبنعمة، وبركة[5] أن تصيبني سعة في معيشتي، وكثرة مالي، ورخاء وعافية في بدني[6].

---

(١) **انظر**: «تفسير ابن كثير» (٧/ ١٠٠).
(٢) **انظر**: «تفسير الطبري» (٢١/ ٢٩٥).
(٣) **انظر**: «تفسير الطبري» (٢١/ ٢٩٥)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٩٠).
(٤) **انظر**: «تفسير الطبري» (٢١/ ٢٩٥).
(٥) **انظر**: «تفسير البغوي» (٤/ ٩٠).
(٦) **انظر**: «تفسير الطبري» (٢١/ ٢٩٥).

قَولُه: «﴿هَلۡ هُنَّ مُمۡسِكَٰتُ رَحۡمَتِهِۦ﴾»: أي هل هن ممسكات عني ما أراد أن يصيبني به من تلك الرحمة؟ وترك الجواب لاستغناء السامع بمعرفة ذلك، ودلالة ما ظهر من الكلام عليه؛ والمعنىٰ: فإنهم سيقولون: لا[١].

وهذا السؤال للتوبيخ والتقريع، أي: هذه الأصنام والآلهة الباطلة لا تستطيع شيئًا من الأمر[٢].

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمًا، فَقَالَ: «**يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ، فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَىٰ أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَىٰ أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ**»[٣].

قَولُه: «﴿قُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُ﴾»: أي فقل: حسبي الله وثقتي به واعتمادي عليه[٤]، فهو كَافِيَّ[٥] مما سواه من الأشياء كلها، إياه أعبد، وإليه أفزع في أموري دون كلّ شيء سواه، فإنه الكافي، وبيده الضر والنفع، لا إلىٰ الأصنام والأوثان التي لا تضر ولا تنفع[٦].

قَولُه: «﴿عَلَيۡهِ يَتَوَكَّلُ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ﴾»: أي علىٰ الله يتوكل من هو متوكل ويثق به الواثقون[٧]، وبه فَلْيَثِق لا بغيره[٨]، كما قال هود عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، حِينَ قَالَ لَهُ

---

(١) **انظر**: «تفسير الطبري» (٢١/ ٢٩٥-٢٩٦).

(٢) **انظر**: «تفسير ابن كثير» (٧/ ١٠٠).

(٣) **صحيح**: رواه الترمذي (٢٥١٦)، وقال: حسن صحيح، وأحمد (٢٨٠٣)، وصححه الألباني.

(٤) **انظر**: «تفسير البغوي» (٤/ ٩٠).

(٥) **انظر**: «تفسير ابن كثير» (٧/ ١٠٠).

(٦) **انظر**: «تفسير الطبري» (٢١/ ٢٩٦).

(٧) **انظر**: «تفسير البغوي» (٤/ ٩٠).

(٨) **انظر**: «تفسير الطبري» (٢١/ ٢٩٦).

قومُهُ: ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ۗ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ ۖ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾﴾ [هود: ٥٤-٥٦].

قالت طائفة من العلماء: «الالتفات إلىٰ الأسباب شرك في التوحيد، ومحو الأسباب أن تكون أسبابَ نقص في العقل، والإعراض عن الأسباب بالكلية قدح في الشرع، وإنما التوكل المأمور به ما اجتمع فيه مقتضىٰ التوحيد والعقل والشرع»[(١)].

قَـوْلُـهُ: «عن عمرانَ بن حصينٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن النبيَّ ﷺ رأى رجلًا في يده حلْقةٌ من صُفْرٍ»: أي من نحاس[(٢)].

قَـوْلُـهُ: «فقال: «ما هذِه؟»» هذا السؤال يحتمل الإنكار، ويحتمل الاستفصال، والأول أظهر.

قَـوْلُـهُ: «قال: من الواهنةِ»: الواهِنة: عرق يأخذ في المَنْكِب، وفي اليد كلها، فيُرقىٰ منها.

وقيل: هو مرض يأخذ في العضد، وربما علق عليها جنس من الخرز، يقال لها: خرز الواهِنة، وهي تأخذ الرجال دون النساء، وإنما نهاه عنها؛ لأنه إنما اتخذها علىٰ أنها تعصمه من الألم، فكان عنده في معنىٰ التمائم المنهي عنها[(٣)].

قَـوْلُـهُ: «فقال: انْزِعْهَا»: أي اقلعها؛ يقال: نزعت الشيء: قلعته بشدة[(٤)].

قَـوْلُـهُ: «فَإِنَّهَا لَا تَزِيدُكَ إِلَّا وَهْنًا»: أي لا تنفعك إنما تزيدك مرضًا وضعفًا.

قَـوْلُـهُ: «فإنك لو مِتَّ وهي عَلَيْكَ مَا أَفْلَحْتَ أَبَدًا»: أي لو مت علىٰ هذه

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (١٠/ ٣٥).

(٢) انظر: «مقاييس اللغة» مادة «صفر».

(٣) انظر: «النهاية في غريب الحديث» (٥/ ٢٣٤).

(٤) انظر: «العين»، و«مقاييس اللغة»، مادة «نزع».

الحال ما أفلحت في الدنيا والآخرة؛ لأن هذا الفعل شرك.

والفلاح: البقاء والفوز[(١)].

قَولُهُ: «رواه أحمدُ بسند لا بأسَ به»: الصحيح أن الحديث ضعيف كما ذكرنا في الحاشية.

قَولُهُ: «وله»: أي للإمام أحمد.

قَولُهُ: «عن عقبةَ بن عامرٍ مرفوعًا»: أي إلىٰ النبي ﷺ.

والحديث المرفوع: هو ما أضيف إلىٰ رسول الله ﷺ خاصة، ولا يقع مطلقه علىٰ غير ذلك[(٢)].

قَولُهُ: «مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً»: أي من علق شيئًا بعنقه أو عنق صغير من التعلق بمعنىٰ التعليق، قيل: المراد تمائم الجاهلية مثل الخرزات وأظفار السباع وعظامها[(٣)].

قال ابن الأثير: «هي خرزات كانت العرب تعلقها علىٰ أولادهم يتقون بها العين في زعمهم، فأبطلها الإسلام»[(٤)].

قَولُهُ: «فَلَا أَتَمَّ اللهُ لَهُ»: أي لا أتم الله أمره؛ وهذا دعاء عليهم؛ كأنهم كانوا يعتقدون أنها تمام الدواء والشفاء[(٥)].

قَولُهُ: «وَمَنْ تَعَلَّقَ وَدَعَةً»: الودَع، بالفتح والسكون: جمع ودَعَة، وهو شيء أبيض يجلب من البحر يعلق في حلوق الصبيان وغيرهم، وإنما نهىٰ عنها؛

---

(١) انظر: «مقاييس اللغة»، مادة «فلح».

(٢) انظر: «مقدمة ابن الصلاح»، صـ (٤٥).

(٣) انظر: «حاشية السندي علىٰ سنن النسائي» (٧/ ١١٢).

(٤) انظر: «النهاية في غريب الحديث» (١/ ١٩٧).

(٥) انظر: «عون المعبود» (١٠/ ٢٥٠).

لأنهم كانوا يعلقونها مخافة العين[1].

قوله: «فَلَا وَدَعَ اللهُ لَهُ»: أي لا جعله في دَعَة وسكون.

وقيل: هو لفظ مبني من الودعة: أي لا خفف الله عنه ما يخافه[2].

قال ابن عبد البر: «فكأن المعنىٰ في هذا الحديث أن من تعلق تميمة خشية ما عسىٰ أن ينزل أو لا ينزل قبل أن ينزل فلا أتم الله عليه صحته وعافيته، ومن تعلق ودعة، وهي مثلها في المعنىٰ فلا ودع الله له أي: فلا ترك الله له ما هو فيه من العافية أو نحو هذا والله أعلم، وهذا كله تحذير ومنع مما كان أهل الجاهلية يصنعون من تعليق التمائم والقلائد يظنون أنها تقيهم وتصرف البلاء عنهم، وذلك لا يصرفه إلا الله عَزَّوَجَلَّ وهو المعافي والمبتلي لا شريك له، فنهاهم رسول الله ﷺ عما كانوا يصنعون من ذلك في جاهليتهم»[3].

قوله: «وفي رواية: «من تعلق تَمِيمَةً فَقَدْ أَشْرَكَ»»: إنما جعلها شركا؛ لأنهم أرادوا بها دفع المقادير المكتوبة عليهم وطلبوا دفع الأذىٰ من غير الله الذي هو دافعه[4].

قوله: «ولابن أبي حاتمٍ»: هو أبو محمد بن محمد بن إدريس، ولد: سنة أربعين ومائتين، أو إحدىٰ وأربعين، توفي في المحرم سنة سبع وعشرين وثلاث مائة بالرَّي، وله بضع وثمانون سنة[5].

قوله: «عن حذيفةَ، أنه رأى رجلا في يدِه خيطٌ من الحُمَّى»: أي لأجل دفع الحُمَّىٰ، وهو مرض يسبب ارتفاع حرارة الجسم.

---

(١) انظر: «النهاية في غريب الحديث» (٥/ ١٦٨).

(٢) انظر: «النهاية في غريب الحديث» (٥/ ١٦٨).

(٣) انظر: «التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد»، لابن عبد البر (١٧/ ١٦٣).

(٤) انظر: «عون المعبود» (١٠/ ٢٥٠).

(٥) انظر: «سير أعلام النبلاء» (١٣/ ٢٦٣-٢٦٩).

قَوْلُهُ: «فقطعه»: لأجل أنه شرك.

قَوْلُهُ: «وتلا»: أي استدلالًا.

قَوْلُهُ: «قوله: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ۝١٠٦﴾»: أي ما يقر أكثر هؤلاء الذين وصف عَزَّوَجَلَّ صفتهم بقوله: ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ۝١٠٥﴾ [يوسف:١٠٥] بالله أنه خالقه ورازقه وخالق كل شيء ﴿إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾، أي في عبادتهم الأوثان والأصنام، واتخاذهم من دونه أربابًا، وزعمهم أنَّ له ولدًا، تعالىٰ الله عما يقولون[(١)].

ففي فعل حذيفة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ صحة الاستدلال علىٰ الشرك الأصغر بما أنزله الله في الشرك الأكبر؛ لشمول الآية له ودخوله في مسمىٰ الشرك.



(١) **انظر:** «تفسير الطبري» (١٦/ ٢٨٦).

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: التَّغْلِيظُ فِي لُبْسِ الحَلْقَةِ وَالخَيْطِ وَنَحْوِهِمَا لِمِثْلِ ذَلِكَ.

الثَّانِيَةُ: أَنَّ الصَّحَابِيَّ لَوْ مَاتَ وَهِيَ عَلَيْهِ مَا أَفْلَحَ فِيهِ شَاهِدٌ لِكَلَامِ الصَّحَابَةِ أَنَّ الشِّرْكَ الْأَصْغَرَ أَكْبَرُ مِنَ الْكَبَائِرِ.

الثَّالِثَةُ: أَنَّهُ لَمْ يُعْذَرْ بِالجَهَالَةِ.

الرَّابِعَةُ: أَنَّهَا لَا تَنْفَعُ فِي الْعَاجِلَةِ، بَلْ تَضُرُّ؛ لِقَوْلِهِ: «لَا تَزِيدُكَ إِلَّا وَهْنًا».

الخَامِسَةُ: الْإِنْكَارُ بِالتَّغْلِيظِ عَلَى مَنْ فَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ.

السَّادِسَةُ: التَّصْرِيحُ بِأَنَّ مَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا وُكِلَ إِلَيْهِ.

السَّابِعَةُ: التَّصْرِيحُ بِأَنَّ مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً فَقَدْ أَشْرَكَ.

الثَّامِنَةُ: أَنَّ تَعْلِيقَ الخَيْطِ مِنَ الحُمَّى مِنْ ذَلِكَ.

التَّاسِعَةُ: تِلَاوَةُ حُذَيْفَةَ الآيَةَ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الصَّحَابَةَ يَسْتَدِلُّونَ بِالآيَاتِ الَّتِي فِي الشِّرْكِ الْأَكْبَرِ عَلَى الْأَصْغَرِ كَمَا ذَكَرَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي آيَةِ الْبَقَرَةِ.

الْعَاشِرَةُ: أَنَّ تَعْلِيقَ الْوَدَعِ مِنَ الْعَيْنِ مِنْ ذَلِكَ.

الحَادِيَةَ عَشْرَةَ: الدُّعَاءُ عَلَى مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً أَنَّ اللهَ لَا يُتِمُّ لَهُ، وَمَنْ تَعَلَّقَ وَدَعَةً فَلَا وَدَعَ اللهُ لَهُ؛ أَيْ تَرَكَ اللهُ لَهُ.

الشَّرْح

قَوْلُهُ: «الْأُولَى: التَّغْلِيظُ فِي لُبْسِ الحَلْقَةِ وَالخَيْطِ وَنَحْوِهِمَا لِمِثْلِ ذَلِكَ»:

كما في حديث عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن النبي ﷺ رأى رجلًا في يده حلقة من صُفر، فقال: «ما هذه؟» قال: من الواهنة؛ فقال: «انْزِعْهَا، فَإِنَّهَا لَا تَزِيدُكَ إِلَّا وَهْنًا؛ فإنك لو مت وهي عَلَيْكَ مَا أَفْلَحْتَ أَبَدًا»[1].

(١) ضعيف: رواه ابن ماجه (٣٥٣١)، وأحمد (٢٠٠٠٠)، وضعفه الألباني.

قَولُـه: «الثَّانِيَةُ: أَنَّ الصَّحَابِيَّ لَوْ مَاتَ وَهِيَ عَلَيْهِ مَا أَفْلَحَ»: فكيف بمن دون الصحابي في المرتبة؟.

قَولُـه: «فِيهِ شَاهِدٌ لِكَلَامِ الصَّحَابَةِ أَنَّ الشِّرْكَ الْأَصْغَرَ أَكْبَرُ مِنَ الْكَبَائِرِ»: من كلام الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ الدال علىٰ أن الشرك الأصغر أكبر من الكبائر قول ابن مسعود: «لَأَنْ أَحْلِفَ بِاللهِ كَاذِبًا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَحْلِفَ بِغَيْرِهِ وَأَنَا صَادِقٌ»[1].

قَولُـه: «الثَّالِثَةُ: أَنَّهُ لَمْ يُعْذَرْ بِالجَهَالَةِ»: هذا محمول علىٰ أنه كان يعلم حكمها وأبىٰ أن ينزعها بعد أن أمر بنزعها.

قال الشيخ العثيمين: «هذا فيه نظر؛ لأن قوله ﷺ: «لو مت وهي عليك ما أفلحت أبدا» ليس بصريح أنه لو مات قبل العلم، بل ظاهره: «لو مت وهي عليك ما أفلحت أبدا» أي: بعد أن علمت وأمرت بنزعها، وهذه المسألة تحتاج إلىٰ تفصيل، فنقول: الجهل نوعان:

جهل يعذر فيه الإنسان، وجهل لا يعذر فيه؛ فما كان ناشئا عن تفريط وإهمال مع قيام المقتضي للتعلم، فإنه لا يعذر فيه سواء في الكفر أو في المعاصي.

وما كان ناشئًا عن خلاف ذلك، أي أنه لم يهمل ولم يفرط ولم يقم المقتضي للتعلم بأن كان لم يطرأ علىٰ باله أن هذا الشيء حرام، فإنه يعذر فيه، فإن كان منتسبا إلىٰ الإسلام لم يضره، وإن كان منتسبا إلىٰ الكفر، فهو كافر في الدنيا، لكن في الآخرة أمره إلىٰ الله علىٰ القول الراجح، يمتحن، فإن أطاع دخل الجنة، وإن عصىٰ دخل النار، فعلىٰ هذا من نشأ ببادية بعيدة ليس عنده علماء ولم يخطر بباله أن هذا الشيء حرام، أو أن هذا الشيء واجب، فهذا يعذر»[2].

---

(١) **صحيح:** رواه الطبراني في «الكبير» (٨٩٠٢)، وعبد الرزاق في «مصنفه» (١٥٩٢٩)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٢٢٨١)، وصححه الألباني في «الإرواء» (٢٥٦٢).

(٢) **انظر:** «القول المفيد شرح كتاب التوحيد»، للشيخ العثيمين (١/ ١٧٤).

قَوْلُهُ: «الرَّابِعَةُ: أَنَّهَا لَا تَنفَعُ فِي الْعَاجِلَةِ بَلْ تَضُرُّ؛ لِقَوْلِهِ: «لَا تَزِيدُكَ إِلَّا وَهْنًا»»: أي أنها لا تنفع في المستقبل بل تزيد لابسها ضعفا؛ وهذا علىٰ خلاف ظن لابسها.

قَوْلُهُ: «الخَامِسَةُ: الْإِنْكَارُ بِالتَّغْلِيظِ عَلَى مَنْ فَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ»: لقوله ﷺ: «انْزِعْهَا، فَإِنَّهَا لَا تَزِيدُكَ إِلَّا وَهْنًا؛ فإنك لو مت وهي عَلَيْكَ مَا أَفْلَحْتَ أَبَدًا».

قَوْلُهُ: «السَّادِسَةُ: التَّصْرِيحُ بِأَنَّ مَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا وُكِلَ إِلَيْهِ»: أي وكله الله إليه؛ لقوله ﷺ: «فَإِنَّهَا لَا تَزِيدُكَ إِلَّا وَهْنًا».

قَوْلُهُ: «السَّابِعَةُ: التَّصْرِيحُ بِأَنَّ مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً فَقَدْ أَشْرَكَ»: كما في قوله ﷺ: «من تعلق تَمِيمَةً فَقَدْ أَشْرَكَ».

قَوْلُهُ: «الثَّامِنَةُ: أَنَّ تَعْلِيقَ الخَيْطِ مِنَ الحُمَّى مِنْ ذَلِكَ»: أي من الشرك؛ لأن حذيفة لما رأىٰ أنه رأىٰ رجلا في يده خيط من الحمىٰ، قطعه، وتلا قوله: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ [يوسف:١٠٦].

قَوْلُهُ: «التَّاسِعَةُ: تِلَاوَةُ حُذَيْفَةَ الآيَةَ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الصَّحَابَةَ يَسْتَدِلُّونَ بِالآيَاتِ الَّتِي فِي الشِّرْكِ الْأَكْبَرِ عَلَى الْأَصْغَرِ»: أي لما تلا حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هذه الآية -التي نزلت في شأن المشركين- استدلالا علىٰ أن تعليق الخيط من الحمىٰ شرك دل علىٰ أن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يستدلون بالآيات النازلة في الشرك الأكبر علىٰ الشرك الأصغر.

قَوْلُهُ: «كَمَا ذَكَرَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي آيَةِ الْبَقَرَةِ»: أي أن ابن عباس لما استدل بقوله تعالىٰ: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ [البقرة:١٦٥] علىٰ الشرك الأصغر، فَقَال: الأَنْدَادُ هُوَ الشِّرْكُ، أَخْفَىٰ مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ عَلَىٰ صَفَاة سَوْدَاءَ فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ، وَهُوَ أَنْ يَقُولَ: وَاللهِ وَحَيَاتِكَ يَا فُلَانُ، وَحَيَاتِي، وَيَقُولُ: لَوْلَا كَلْبَةُ هَذَا لَأَتَانَا اللُّصُوصُ، وَلَوْلَا البَطُّ فِي الدَّارِ لَأَتَىٰ اللُّصُوصُ، وَقَوْلُ الرَّجُلِ لِصَاحِبِهِ: مَا شَاءَ اللهُ وشئتَ، وَقَوْلُ

الرَّجُل: لَوْلَا اللهُ وَفُلَانٌ[(١)].

قَولُـهُ: «الْعَاشِرَةُ: أَنَّ تَعْلِيقَ الْوَدَعِ مِنَ الْعَيْنِ مِنْ ذَلِكَ»: أي من الشرك.

قَولُـهُ: «الحَادِيَةَ عَشْرَةَ: الدُّعَاءُ عَلَى مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً أَنَّ اللهَ لَا يُتِمُّ لَهُ، وَمَنْ تَعَلَّقَ وَدَعَةً فَلَا وَدَعَ اللهُ لَهُ؛ أَيْ تَرَكَ اللهُ لَهُ»: كما في حديث عُقبةَ بن عامرٍ مرفوعًا: «مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً، فَلَا أَتَمَّ اللهُ لَهُ، وَمَنْ تَعَلَّقَ وَدَعَةً، فَلَا وَدَعَ اللهُ لَهُ».

---

(١) انظر: «تفسير ابن كثير» (١/ ١٩٦).

[٧] بابُ ما جاءَ في الرُّقى والتَّمائمِ

في الصحيحِ عن أبي بشيرٍ الأنصاريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه كانَ مع رسولِ اللهِ ﷺ في بعضِ أسفارِهِ، فأرسَلَ رَسُولًا أَنْ: «لا يَبْقَيَنَّ فِي رَقَبَةِ بَعِيرٍ قِلادَةٌ مِنْ وَتَرٍ، أَوْ قِلادَةٌ إِلَّا قُطِعَتْ»[١].

وعن ابنِ مَسعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يقولُ: «إِنَّ الرُّقَى، وَالتَّمَائِمَ، وَالتِّوَلَةَ شِرْكٌ»[٢] رواهُ أحمدُ، وأبو داودَ.

«التَّمائِمُ»: شيءٌ يُعلَّقُ على الأولادِ من العَينِ[٣]؛ لكنْ إذا كانَ المعلَّقُ من القرآنِ فرخَّصَ فيهِ بعضُ السلفِ، وبعضُهم لم يرخِّصْ فيه، ويجعلُه من المنهيِّ عنه، منهم ابنُ مسعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

و«الرُّقَى»: هي التي تُسمَّى العَزائمَ، وخَصَّ منها الدليلُ ما خلا منَ الشركِ فقدْ رخَّصَ فيه رسولُ اللهِ ﷺ من العينِ والحُمَةِ.

و«التِّوَلَةُ»: شيءٌ يصنعونَه يزعمونَ أنَّه يحبِّبُ المرأةَ إلى زوجِها، والرجلَ إلى امرأتِه.

وعن عَبْدِ اللهِ بْنِ عُكَيْمٍ مرفوعًا: «مَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا وُكِلَ إِلَيْهِ»[٤]، رواهُ أحمدُ، والترمذيُّ.

وروى أحمدُ عن رُوَيْفِعٍ قَالَ: قَالَ لِي رَسولُ اللهِ ﷺ: «يَا رُوَيفِعُ، لَعلَّ الحَياةَ سَتطولُ بكَ فأَخبِرِ الناسَ أَنَّ مَن عَقَدَ لِحيَتَهُ، أو تقلَّدَ وَتَرًا، أو اسْتَنْجَى برجيعِ

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٣٠٠٥)، ومسلم (٢١١٥).

(٢) صحيح: رواه أبو داود (٣٨٨٣)، وابن ماجه (٣٥٣٠)، وأحمد (٣٦١٥)، وصححه الألباني.

(٣) في بعض النسخ المطبوعة والمخطوطة: «يتقون به العين».

(٤) حسن: رواه الترمذي (٢٠٧٢)، وأحمد (١٨٧٨١)، وحسنه الألباني.

دابةٍ، أو عَظمٍ، فإنَّ محمَّدًا بَريءٌ مِنْهُ»[(١)].

وَعَنْ سَعيدِ بنِ جُبَيرٍ قَالَ: «مَنْ قطعَ تميمةً من إنسانٍ كَانَ كعَدلِ رَقبةٍ»[(٢)]، رواهُ وَكيعٌ.

ولهُ عن إبْراهيمَ قال: «كانُوا يَكرهُونَ التمائِمَ كلَّهَا، من القُرآنِ وَغيرِ القُرآنِ»[(٣)].

الشَّـرح

قَـوْلُـهُ: «بابٌ ما جاءَ في الرقى والتمائِمِ»: أي من النهي والوعيد عن فعلها.

والرقى: جمع رقية؛ والرقية: العُوذة التي يرقىٰ بها صاحب الآفة كالحمَّىٰ والصرع وغير ذلك من الآفات[(٤)].

والتمائم تقدم تفسيرها في الباب السابق؛ وحقيقتها: كل ما يعلق لتتميم أمر ما سواء كان لجلب خير أو لدفع شر.

فائدة:

لم يقل المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: باب من الشرك الرقىٰ والتمائم؛ كما قال في الباب السابق؛ لأن الرقىٰ منها ما هو ممنوع، ومنها ما هو مشروع، والتمائم منها ما هو ممنوع ومنها ما هو مختلف فيه كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالىٰ.

قَـوْلُـهُ: «في الصحيح»: أي البخاري ومسلم.

قَـوْلُـهُ: «عن أبي بَشيرٍ الأنصاريِّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه كانَ مع رسولِ اللهِ ﷺ في

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (٣٦)، والنسائي (٥٠٦٧)، وأحمد (١٦٩٩٥)، وصححه الألباني.

(٢) ضعيف: رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢٣٤٧٣)، وفي سنده الليث بن أبي سليم بن زنيم، قال الحافظ في «التقريب» صـ(٤٦٤): «صدوق اختلط جدًا ولم يتميز حديثه فترك».

(٣) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢٣٤٦٧).

(٤) انظر: «النهاية في غريب الحديث» (٢/ ٢٥٤).

بعضِ أسفارِه، فأرسلَ رَسُولًا»: هو زيد بن حارثة[١].

قَوْلُهُ: «لا يَبْقَيَنَّ»: أي لا يتركن؛ من الإبقاء[٢].

قَوْلُهُ: «فِي رَقَبَةِ بَعِيرٍ قِلادَةٌ»: من القلد؛ وأصل القلد: الفتل، يقال: قَلَدْتُ الحبل أَقْلِدُهُ قَلْدًا، إذا فتلته[٣].

قَوْلُهُ: «مِنْ وَتَرٍ»: الوتر واحد أوتار القوس[٤]؛ والمراد: أنهم كانوا يقلدون الإبل أوتار القَسِيِّ؛ لئلا تصيبها العين بزعمهم فأمروا بقطعها إعلاما بأن الأوتار لا ترد من أمر الله شيئًا، ويؤيده حديث عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَفَعَهُ: «مَنْ عَلَّقَ تَمِيمَةً فَلَا أَتَمَّ اللهُ»[٥].

قَوْلُهُ: «أَوْ قِلادَةٌ»: «أو» هنا للشك أو للتنويع، أي أن الراوي شك هل قال: قلادة من وتر، أو قال: قلادة فقط، ولم يقيدها بالوتر[٦].

قال ابن حجر: «هي للشك أو للتنويع، ووقع في رواية أبي داود عن القعنبي بلفظ: «ولا قلادة»[٧]، وهو من عطف العام علىٰ الخاص»[٨].

قَوْلُهُ: «إِلَّا قُطِعَتْ»: أي قلعت[٩].

قال البغوي: «تأول مالك بن أنس أمره رسول الله ﷺ بقطع القلائد علىٰ أنه

---

(١) انظر: «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» (٦/ ١٤١).
(٢) انظر: «عون المعبود» (٧/ ١٦٠).
(٣) انظر: «مقاييس اللغة»، مادة «قلد».
(٤) انظر: «عون المعبود» (٧/ ١٦٠).
(٥) حسن: رواه أحمد (١٧٤٠٤)، وحسنه شعيب الأرنؤوط، وضعفه الألباني في «السلسلة الضعيفة» (١٢٦٦).
(٦) انظر: «شرح صحيح مسلم» (١٤/ ٩٥).
(٧) صحيح: رواه أبو داود (٢٥٥٢)، وصححه الألباني
(٨) انظر: «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» (٦/ ١٤١).
(٩) انظر: «عون المعبود» (٧/ ١٦٠).

من أجل العين، وذلك أنهم كانوا يشدون بتلك الأوتار القلائد والتمائم، ويعلقون عليها العُوذ، يظنون أنها تعصم من الآفات، فنهاهم النبي ﷺ عنها، وأعلمهم أنها لا ترد من أمر الله شيئًا»(١).

قَـوْلُـهُ: «وعنِ ابن مَسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سَمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: «إنَّ الرُّقَى»»: الألف واللام هنا للعهد؛ أي الرقىٰ المعهودة لديهم، وهي الشركية.

قال ابن بطال: «المراد بذلك رقىٰ الجاهلية وما يضاهي السحر من الرقىٰ المكروهة»(٢).

قال السندي: «المراد ما كان بأسماء الأصنام والشياطين لا ما كان بالقرآن ونحوه»(٣).

قَـوْلُـهُ: «وَالتَّمَائِمَ»: جمع تميمة، والألف واللام هنا للجنس، أي جميع ما يعلق لدفع شر أو لجلب خير.

قَـوْلُـهُ: «وَالتِّوَلَةَ»: التِّوَلَةُ بكسر المثناة وفتح الواو واللام مخففًا شيء كانت المرأة تجلب به محبة زوجها، وهو ضرب من السحر(٤).

قَـوْلُـهُ: «شِرْكٌ»: أي من أفعال المشركين(٥)؛ وهو شرك أكبر أو أصغر حسب الاعتقاد؛ فإن اعتقد أنها تنفع بذاتها كان شركًا أكبر، وإن اعتقد أنها سبب في جلب النفع أو دفع الضر كان شركًا أصغر.

قال ابن حجر: «إنما كان ذلك من الشرك؛ لأنهم أرادوا دفع المضار وجلب المنافع من عند غير الله»(٦).

---

(١) **انظر:** «شرح السنة»، للبغوي (١١/ ٢٨).
(٢) **انظر:** «شرح صحيح البخاري»، لابن بطال (٩/ ٤٣١).
(٣) **انظر:** «حاشية السندي علىٰ سنن ابن ماجه» (٢/ ٣٦٠).
(٤) **انظر:** «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» (١٠/ ١٩٦).
(٥) **انظر:** حاشية السندي علىٰ سنن ابن ماجه (٢/ ٣٦٠).
(٦) **انظر:** «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» (١٠/ ١٩٦).

وقال السندي: «لأنه قد يفضي إلىٰ الشرك إذا اعتقد أن لها تأثيرًا حقيقة، وقيل: المراد الشرك الخفي بترك التوكل والاعتماد علىٰ الله»[(١)].

قَـوْلُـهُ: «"التمائمُ": شيءٌ يعلَّقُ على الأولادِ من العينِ»: أي لدفع الحسد.

قال ابن حجر: «التمائم جمع تميمة، وهي خرز أو قلادة تعلق في الرأس كانوا في الجاهلية يعتقدون أن ذلك يدفع الآفات»[(٢)].

وقال السندي: «والتمائم جمع تميمة أريد بها الخرزات التي يعلقها النساء في أعناق الأولاد علىٰ ظن أنها تؤثر وتدفع العين»[(٣)].

قَـوْلُـهُ: «لكنْ إذا كانَ المعلَّقُ منَ القرآنِ فرَخَّصَ فيه بعضُ السلفِ، وبعضُهم لم يرخِّصْ فيه، ويجعلُه من المنْهِي عنْه، منهم ابنُ مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ»: اختلف السلف في تعليق القرآن علىٰ قولين؛ والصحيح أنه لا يجوز تعليقة لأمرين:

١- لأن النهي عن التعليق عام، ولم يرد دليل يخصص القرآن، فدل علىٰ المنع من تعليقه.

٢- لأن تعليق القرآن يفضي إلىٰ تعليق غيره؛ فمنع منه سدا للذريعة.

قَـوْلُـهُ: «و"الرُّقى": هي التي تُسمَّى العزائمَ، وخصَّ منها الدليلُ ما خَلا منَ الشركِ»: أي الرقىٰ الشركية هي التي فيها شرك، كدعاء غير الله، والاستغاثة والاستعاذة به، كالرقىٰ بأسماء الملائكة والأنبياء والجن ونحو ذلك، أما الرقىٰ بالقرآن وأسماء الله وصفاته ودعائه والاستعاذة به وحده لا شريك له، فليست شركًا، بل ولا ممنوعة، بل مستحبة أو جائزة[(٤)].

---

(١) انظر: «حاشية السندي علىٰ سنن ابن ماجه» (٢/ ٣٦٠).

(٢) انظر: «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» (١٠/ ١٩٦).

(٣) انظر: «حاشية السندي علىٰ سنن ابن ماجه» (٢/ ٣٦٠).

(٤) انظر: «تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد»، صـ(١٣١).

قال ابن حجر: «ولا يدخل في ذلك -أي في الرقىٰ والتمائم الشركية- ما كان بأسماء الله وكلامه فقد ثبت في الأحاديث استعمال ذلك قبل وقوعه»(١).

قَـوْلُـهُ: «فقد رخَّصَ فيهِ رسولُ اللهِ ﷺ من العينِ والحُمَةِ»: كما في حديث أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «رَخَّصَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي الرُّقْيَةِ مِنَ العَيْنِ، وَالحُمَةِ، وَالنَّمْلَةِ(٢)»(٣).

والحُمَة: هي سم العقرب وشِبْهها، وقيل: فَوْعَة السم، وهي حدته وحرارته، والمراد: أو ذي حمَة كالعقرب وشبهها(٤).

وعَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ الأَشْجَعِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنَّا نَرْقِي فِي الجَاهِلِيَّةِ فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ كَيْفَ تَرَىٰ فِي ذَلِكَ؟ فَقَالَ: «**اعْرِضُوا عَلَيَّ رُقَاكُمْ، لَا بَأْسَ بِالرُّقَىٰ مَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ شِرْكٌ**»(٥).

قال الخطابي: «فأما الرقىٰ فالمنهي عنه هو ما كان منها بغير لسان العرب، فلا يدرىٰ ما هو، ولعله قد يدخله سحرٌ أو كفرٌ، فأما إذا كان مفهوم المعنىٰ وكان فيه ذكر الله تعالىٰ فإنه مستحب متبرك به»(٦).

وقال: ولا يدخل في هذا - أي النهي عن الرقية- التعوذ بالقرآن والتبرك والاستشفاء به؛ لأنه كلام الله سبحانه والاستعاذة به ترجع إلىٰ الاستعاذة بالله سبحانه... المكروه من العوذ هو ما كان بغير لسان العرب فلا يفهم معناه، ولعله قد يكون فيه سحر أو نحوه من المحظور(٧).

---

(١) **انظر**: «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» (١٠/ ١٩٦).
(٢) النَّمْلَةُ: قُروح تَخْرُج فِي الجَنْب. [**انظر**: «النهاية» (٥/ ١٢٠)].
(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٢١٩٦).
(٤) **انظر**: «شرح صحيح مسلم» (٣/ ٩٣).
(٥) **صحيح**: رواه مسلم (٢٢٠٠).
(٦) **انظر**: «معالم السنن» (٤/ ٢٢٦).
(٧) **انظر**: «معالم السنن» (٤/ ٢٢٠-٢٢١).

قال ابن تيمية: «كل اسم مجهول ليس لأحد أن يرقي به فضلًا عن أن يدعو به ولو عرَف معناها وأنه صحيح لكُرِه أن يدعو الله بغير الأسماء العربية»[(١)].

وقال ابن حجر: قد أجمع العلماء علىٰ جواز الرقىٰ عند اجتماع ثلاثة شروط:

أحدها: أن يكون بكلام الله تعالىٰ أو بأسمائه وصفاته.

الثاني: أن تكون باللسان العربي، أو بما يُعرف معناه من غيره.

الثالث: أن يُعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها بل بذات الله تعالىٰ.

واختلفوا في كونها شرطًا، والراجح أنه لا بد من اعتبار الشروط المذكورة[(٢)].

قَـوْلُـهُ: «و«التِّولَةُ»: شَيءٌ يَصنعونَه يَزعمونَ أنه يحبِّبُ المرأةَ إلى زوجِها، والرجلَ إلى امرأتِه»: هذا تفسير ابن مَسعُودٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ لما قيل له: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، هَذِهِ الرُّقَىٰ وَالتَّمَائِمُ قَدْ عَرَفْنَاهَا، فَمَا التِّوَلَةُ؟ قَالَ: «شَيْءٌ يصنعه النساء يتحببن إلىٰ أزواجهن»[(٣)].

قَـوْلُـهُ: «وعن عَبْدِ اللهِ بْنِ عُكَيْمٍ مرفوعًا: «مَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا»: شيئًا نكرة في سياق الشرط تفيد العموم؛ أي من علق علىٰ نفسه شيئًا من التعاويذ والتمائم وأشباهها معتقدا أنها تجلب إليه نفعا، أو تدفع عنه ضَرًّا[(٤)].

قَـوْلُـهُ: «وُكِلَ إِلَيْهِ»: أي خُلِّيَ إلىٰ ذلك الشيء وترك بينه وبينه؛ وهو كناية عن عدم حصول مقصود من الشفاء وترك إعانته تعالىٰ في دفع الداء والعناء[(٥)].

قَـوْلُـهُ: «وروى أَحمدُ عن رويفعٍ قال: قَال لي رسولُ اللهِ ﷺ: «يا رويفعُ، لعلَّ الحياةَ ستطولُ بك»»: قَدْ ظَهَرَ مِصْدَاقُ ذَلِكَ فَطَالَتْ بِهِ الحَيَاةُ حَتَّىٰ مَاتَ سَنَةَ

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (٢٤/ ٢٨٣).

(٢) انظر: «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» (١٠/ ١٩٥).

(٣) صحيح: رواه ابن حبان (٦٠٩٠)، وصححه الألباني في «غاية المرام» (٢٩٨).

(٤) انظر: «النهاية في غريب الحديث» (٣/ ٢٨٩).

(٥) انظر: «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٧/ ٢٨٨٢).

ثَلَاثٍ وَخَمْسِينَ بِإِفْرِيقِيَّةَ وَهُوَ آخِرُ مَنْ مَاتَ بِهَا مِنَ الصَّحَابَةِ[(١)].

قَوْلُهُ: «فأخبرِ الناسَ»: هذا دليل علىٰ وجوب إخبار الناس، وليس هذا مختصا برويفع، بل كل من كان عنده علم ليس عند غيره مما يحتاج إليه الناس وجب إعلامهم به، فإن اشترك هو وغيره في علم ذلك فالتبليغ فرض كفاية[(٢)].

قَوْلُهُ: «أنَّ مَن عقدَ لحيتَه»: عقد اللحية هو معالجتها حتىٰ تتعقد وتتجعد، وهي عادة أهل التوضيع والتأنيث، وقيل: كانوا يعقدونها في الحروب، فأمرهم بإرسالها، كانوا يفعلون ذلك تكبرًا وعُجْبًا، وذلك من زي الأعاجم، يفتلونها، ويعقدونها[(٣)].

قَوْلُهُ: «أو تقلَّد وترًا»: أي خيطا فيه تعويذ أو خرزات[(٤)]، فقد كانوا يزعمون أن التقلد بالأوتار يرد العين، ويدفع عنهم المكاره، فنهوا عن ذلك[(٥)].

قال الخطابي: «قيل: إن ذلك من أجل العوذ التي يعلقونها عليه والتمائم التي يشدونها بتلك الأوتار وكانوا يرون أنها تعصم من الآفات، وتدفع عنهم المكاره، فأبطل النبي ﷺ ذلك من فعلهم ونهاهم عنه»[(٦)].

قَوْلُهُ: «أو استنجى برجيعِ دابةٍ»: الرجيع العذرة والروث، وذلك لأن النجس لا يزيل النجس[(٧)].

قَوْلُهُ: «أو عظمٍ»: أي أو استنجىٰ بعظم؛ لأنه زاد الجن، وهو بعمومه

---

(١) انظر: «حاشية السيوطي علىٰ سنن النسائي» (٨/ ١٣٦).

(٢) انظر: «فتح المجيد شرح كتاب التوحيد»، صـ (١٣١).

(٣) انظر: «النهاية في غريب الحديث» (٣/ ٢٧٠)، و«معالم السنن» (١/ ٢٧).

(٤) انظر: «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (١/ ٣٨٦).

(٥) انظر: «النهاية في غريب الحديث» (٥/ ١٤٩).

(٦) انظر: «معالم السنن» (١/ ٢٧).

(٧) انظر: «شرح سنن أبي داود»، للعيني (١/ ١٢٧).

يتناول كل عظم من الميتة[١].

قَوْلُهُ: «فإنَّ محمدًا بريءٌ منْه»: هذا من باب الوعيد، والمبالغة في الزجر الشديد[٢].

قَوْلُهُ: «وعن سَعيدِ بن جُبَيْرٍ قَالَ: «مَن قَطعَ تميمةً مِن إنسانٍ كان كعَدلِ رقبةٍ»»: أي من قطعها كمن أعتق عبدا.

قَوْلُهُ: «ولهُ»: أي لوكيع.

قَوْلُهُ: «عن إبراهيمَ»: أي النخعي، وهو من أصحاب ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال: «كانوا»: أي عبد الله بن مسعود وأصحابه، كعلقمة، والربيع، وغيرهم.

قال: «يكرهونَ التمائمَ كلَّها»: أي يرون حرمة تعليق التمائم.

قال: «من القرآنِ وغير القرآنِ»: أي سواء كانت التمائم من القرآن، أو من غير القرآن.



(١) انظر: «شرح سنن أبي داود»، للعيني (١/ ١٢٧).
(٢) انظر: «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (١/ ٣٨٢).

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: تَفْسِيرُ الرُّقَى وَالتَّمَائِمِ.

الثَّانِيَةُ: تَفْسِيرُ التِّوَلَةِ.

الثَّالِثَةُ: أَنَّ هَذِهِ الثَّلَاثَةَ كُلَّهَا مِنَ الشِّرْكِ مِنْ غَيْرِ استثناءٍ.

الرَّابِعَةُ: أَنَّ الرُّقْيَةَ بِالْكَلَامِ الحَقِّ مِنَ الْعَيْنِ، وَالحُمَةِ لَيْسَ مِنْ ذَلِكَ.

الخَامِسَةُ: أَنَّ التَّمِيمَةَ إِذَا كَانَتْ مِنَ الْقُرْآنِ، فَقَدِ اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ؛ هَلْ هِيَ مِنْ ذَلِكَ أَمْ لا؟

السَّادِسَةُ: أَنَّ تَعْلِيقَ الْأَوْتَارِ عَلَى الدَّوَابِ مِنَ الْعَيْنِ مِنْ ذَلِكَ.

السَّابِعَةُ: الْوَعِيدُ الشَّدِيدُ عَلَى مَنْ تَعَلَّقَ وَتَرًا.

الثَّامِنَةُ: فَضْلُ ثَوَابِ مَنْ قَطَعَ تَمِيمَةً مِنْ إِنْسَانٍ.

التَّاسِعَةُ: أَنَّ كَلَامَ إِبْرَاهِيمَ لَا يُخَالِفُ مَا تَقَدَّمَ مِنَ الِاخْتِلَافِ؛ لِأَنَّ مُرَادَهُ أَصْحَابُ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ.

الشَّرْح

قَوْلُهُ: «الْأُولَى: تَفْسِيرُ الرُّقَى وَالتَّمَائِمِ»: الرقىٰ هي ما يرقىٰ بها صاحب الآفة كالحمىٰ، والصرع، وغير ذلك من الآفات.

والتمائم هي كل ما يعلق لتتميم أمر ما سواء كان لجلب خير أو لدفع شر.

قَوْلُهُ: «الثَّانِيَةُ: تَفْسِيرُ التِّوَلَةِ»: هي شيء يصنع ليحبب الرجل في زوجه، أو المرأة في زوجها.

قَوْلُهُ: «الثَّالِثَةُ: أَنَّ هَذِهِ الثَّلَاثَةَ كُلَّهَا مِنَ الشِّرْكِ مِنْ غَيْرِ استثناءٍ»: للعموم المذكور في حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قَوْلُهُ: «الرَّابِعَةُ: أَنَّ الرُّقْيَةَ بِالْكَلَامِ الحَقِّ مِنَ الْعَيْنِ وَالحُمَةِ لَيْسَ مِنْ

ذَلِكَ»: أي ليس مما نهي عنه إذا توفرت فيها الشروط المتقدمة، كما دل عليه حديث أَنَسٍ، قَالَ: «رَخَّصَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي الرُّقْيَةِ مِنَ العَيْنِ، وَالحُمَةِ»[1].

قَوْلُهُ: «الخَامِسَةُ: أَنَّ التَّمِيمَةَ إِذَا كَانَتْ مِنَ الْقُرْآنِ؛ فَقَدِ اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ؛ هَلْ هِيَ مِنْ ذَلِكَ أَمْ لا؟»: الصحيح أن تعليقها لا يجوز.

قَوْلُهُ: «السَّادِسَةُ: أَنَّ تَعْلِيقَ الْأَوْتَارِ عَلَى الدَّوَابِ مِنَ الْعَيْنِ مِنْ ذَلِكَ»: أي مما نهي عنه؛ لأنه أمر بقطعه.

قَوْلُهُ: «السَّابِعَةُ: الْوَعِيدُ الشَّدِيدُ عَلَى مَنْ تَعَلَّقَ وَتَرًا»: كما في قوله ﷺ: «فإن محمدا بريء منه».

قَوْلُهُ: «الثَّامِنَةُ: فَضْلُ ثَوَابِ مَنْ قَطَعَ تَمِيمَةً مِنْ إِنْسَانٍ»: لقول سعيد بن جبير: «إنه كعدل رقبة»، ولكنه ضعيف كما تقدم.

قَوْلُهُ: «التَّاسِعَةُ: أَنَّ كَلَامَ إِبْرَاهِيمَ لَا يُخَالِفُ مَا تَقَدَّمَ مِنَ الِاخْتِلَافِ؛ لِأَنَّ مُرَادَهُ أَصْحَابُ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ»: أي كلام إبراهيم النخعي: «كانوا يكرهون التمائم كلها» لم يُرِدْ به جميع الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ الذين اختلفوا في تعليق التمائم من القرآن، وإنما أراد أصحاب ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فإنهم أخذوا بقوله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في النهي عن تعليق التمائم.



(١) صحيح: رواه مسلم (٢١٩٦).

[٨] باب من تبرك بشجرٍ أو حجرٍ ونحوهما

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ۝٢٠﴾ الآيات [النجم:١٩-٢٣].

عَنْ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَى حُنَيْنٍ وَنَحْنُ حُدَثَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ، وَلِلْمُشْرِكِينَ سِدْرَةٌ يَعْكُفُونَ عِنْدَهَا وَيَنُوطُونَ بِهَا أَسْلِحَتَهُمْ يُقَالُ لَهَا، ذَاتُ أَنْوَاطٍ، فَمَرَرْنَا بِسِدْرَةٍ فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اللهُ أَكْبَرُ إِنَّهَا السُّنَنُ! قُلْتُمْ -وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ- كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف:١٣٨]، لَتَرْكَبُنَّ سُنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ»(١). رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ.

الشَّرْح

قَوْلُهُ: «بابٌ مَن تبرَّكَ»: التبرك على وزن تفعل مأخوذ من البركة؛ والباء والراء والكاف أصل واحد، وهو ثبات الشيء(٢)، والبركة هي من الزيادة والنماء(٣)؛ يقال: تبرك بكذا، إذا أقام عنده، وطلب منه العطاء والزيادة.

قَوْلُهُ: «بشجرٍ أو حجرٍ»: أي أقام عندهما؛ لأجل طلب العطاء والزيادة.

قَوْلُهُ: «ونحوهما»: كضريحٍ، أو قبرٍ، أو ساحةٍ.

والمراد من هذه الترجمة أن من طلب العطاء والزيادة من شيء لم يأذن فيه الشارع بالإقامة عنده فهو مشرك.

---

(١) صحيح: رواه الترمذي (٢١٨٠)، وقال: حسن صحيح، وأحمد (٢١٨٩٧)، وصححه الألباني.

(٢) انظر: «مقاييس اللغة»، مادة «برك».

(٣) انظر: «العين»، مادة «برك».

قَولُه: «وقولُ اللهِ تَعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ﴾»: أي أفرأيتم أيها المشركون الذين زعمتم أن اللات والعُزَّىٰ ومناة الثالثة بنات الله(١).

قَولُه: «﴿ٱللَّٰتَ﴾»: اللات مشتقة من الله؛ ألحقت فيه التاء فأنثت، كما قيل: عمرو للذكر، وللأنثىٰ عمرة؛ فكذلك سمىٰ المشركون أوثانهم بأسماء الله، فقالوا من الله اللات، ومن العزيز العُزَّىٰ؛ وزعموا أنهن بنات الله، تعالىٰ الله عما يقولون(٢).

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فِي قَوْلِهِ: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾﴾ [النجم: ١٩] «كَانَ اللَّاتُ رَجُلًا يَلُتُّ سَوِيقَ الحَاجِّ»(٣).

فائدة: اختلف القراء في قراءة «اللات» على قولين(٤):

القول الأول: اللات بتخفيف التاء بيت كان بنخلة تعبده قريش، وقيل: كان بالطائف.

القول الثاني: اللاتّ بتشديد التاء وجعلوه صفة للوثن الذي عبدوه، وقالوا: كان رجلا يَلُتّ السويق للحاج(٥)، فلما مات عكفوا علىٰ قبره، فعبدوه.

قال الطبري: **«وأولىٰ القراءتين بالصواب عندنا في ذلك قراءة من قرأه بتخفيف التاء؛ لإجماع الحجة من قرّاء الأمصار عليه»**(٦).

قَولُه: «﴿وَٱلْعُزَّىٰ﴾»: قيل: كان شجرات يعبدونها؛ وقيل: كانت العُزَّىٰ حَجَرًا أبيض؛ وقيل: كان بيتا بالطائف تعبده ثقيف(٧).

---

(١) **انظر**: «تفسير الطبري» (٢٢/ ٥٢٢).
(٢) **انظر**: «تفسير الطبري» (٢٢/ ٥٢٢).
(٣) **صحيح**: رواه البخاري (٤٨٥٩).
(٤) **انظر**: «تفسير الطبري» (٢٢/ ٥٢٢-٥٢٤).
(٥) **السويق**: طعام يصنع من شعير مطحون مع تمر، وسمن.
(٦) **انظر**: «تفسير الطبري» (٢٢/ ٥٢٤).
(٧) **انظر**: «تفسير الطبري» (٢٢/ ٥٢٤).

قَوْلُهُ: «﴿وَمَنَوٰةَ﴾»: مناةُ آلهة يعبدونها كانت بقُدَيد[١]، وقيل: صنم لهذيل وخزاعة يعبدها أهل مكة[٢].

قالت عَائِشَةُ: «كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْأَنْصَارِ مِمَّنْ كَانَ يُهِلُّ لِمَنَاةَ؛ وَمَنَاةُ صَنَمٌ بَيْنَ مَكَّةَ وَالمَدِينَةِ»[٣].

قَوْلُهُ: «﴿ٱلثَّالِثَةَ﴾»: الثالثة نعت لمناة؛ أي الثالثة للصنمين في الذِّكر[٤].

قَوْلُهُ: «﴿ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾»: الأخرىٰ نعت للثانية، وقيل: في الآية تقديم وتأخير، مجازها: أفرأيتم اللات والعزىٰ الأخرىٰ ومناة الثالثة[٥].

قال ابن كثير في تفسير الآيتين: «يقول تعالىٰ مقرِّعًا للمشركين في عبادتهم الأصنام والأنداد والأوثان، واتخاذهم لها البيوت مضاهاة للكعبة التي بناها خليل الرحمن، عليه الصلاة والسلام: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝١٩﴾، وكانت اللات صخرة بيضاء منقوشة، وعليها بيت بالطائف له أستار وسَدَنة، وحوله فناء معظم عند أهل الطائف، وهم ثقيف ومن تابعها، يفتخرون بها علىٰ من عداهم من أحياء العرب بعد قريش... والعزىٰ كانت شجرة عليها بناء وأستار بنخلة، وهي بين مكة والطائف، كانت قريش يعظمونها... وأما مناة فكانت بالمشلَّل - عند قُدَيد، بين مكة والمدينة-وكانت خزاعة والأوس والخزرج في جاهليتها يعظمونها، ويهلون منها للحج إلىٰ الكعبة... وقد كانت بجزيرة العرب وغيرها طواغيت أخر تعظمها العرب كتعظيم الكعبة غير هذه الثلاثة التي نص عليها في كتابه العزيز، وإنما أفرد هذه بالذكر؛ لأنها أشهر من غيرها»[٦].

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٢٢/ ٥٢٤).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٣٠٩).

(٣) صحيح: رواه البخاري (٤٨٦١).

(٤) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٣٠٩).

(٥) انظر: «تفسير الطبري» (٢٢/ ٢٢٥).

(٦) انظر: «تفسير ابن كثير» (٧/ ٤٥٥-٤٥٦).

قَوْلُهُ: «﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ﴾»: أي أتزعمون أن لكم الذكر الذي ترضونه، ولله الأنثىٰ التي لا ترضونها لأنفسكم[1].

قَوْلُهُ: «﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ﴾»: أي قسمتكم هذه قسمة جائرة غير مستوية، ناقصة غير تامة؛ لأنكم جعلتم لربكم من الولد ما تكرهون لأنفسكم، وآثرتم أنفسكم بما ترضونه، والعرب تقول: ضِزته حقه بكسر الضاد، وضُزته بضمها فأنا أضيزه وأضوزه، وذلك إذا نقصته حقه ومنعته[2].

قَوْلُهُ: «﴿إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم﴾»: أي ما هذه الأسماء التي سميتموها وهي اللات والعزّىٰ ومناة الثالثة الأخرىٰ، إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم أيها المشركون بالله، وآباؤكم من قبلكم[3].

قَوْلُهُ: «﴿إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ﴾»: أي ما أنزل الله بهذه الأسماء، ولم يأذن ولم يبح لكم تسميتها[4].

قَوْلُهُ: «﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾»: أي ما يتبع هؤلاء المشركون في هذه الأسماء التي سموا بها آلهتهم إلا الظن بأن ما يقولون حق لا اليقين[5].

قَوْلُهُ: «﴿وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ﴾»: أي وهوىٰ أنفسهم، لأنهم لم يأخذوا ذلك عن وحي جاءهم من الله، ولا عن رسول الله أخبرهم به، وإنما اختراق من قِبل أنفسهم، أو أخذوه عن آبائهم الذين كانوا من الكفر بالله علىٰ مثل ما هم عليه منه[6].

قَوْلُهُ: «﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾»: أي ولقد جاء هؤلاء المشركين

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٢٢/ ٥٢٥).
(٢) انظر: «تفسير الطبري» (٢٢/ ٥٢٥).
(٣) انظر: «تفسير الطبري» (٢٢/ ٥٢٨).
(٤) انظر: «تفسير الطبري» (٢٢/ ٥٢٨).
(٥) انظر: «تفسير الطبري» (٢٢/ ٥٢٨).
(٦) انظر: «تفسير الطبري» (٢٢/ ٥٢٨).

بالله من ربهم البيان مما هم منه علىٰ غير يقين، وذلك تسميتهم اللات والعزىٰ ومناة الثالثة بهذه الأسماء وعبادتهم إياها؛ فقد جاءهم من ربهم الهدىٰ في ذلك، والبيان بالوحي الذي أوحيناه إلىٰ محمد ﷺ أن عبادتها لا تنبغي، وأنه لا تصلح العبادة إلا لله الواحد القهار[(١)].

قال ابن كثير في تفسير الآيات: «أي: أتجعلون له ولدًا، وتجعلون ولده أنثىٰ، وتختارون لأنفسكم الذكور، فلو اقتسمتم أنتم ومخلوق مثلكم هذه القسمة لكانت ﴿قِسۡمَةٞ ضِيزَىٰٓ﴾ أي: جورًا باطلة، فكيف تقاسمون ربكم هذه القسمة التي لو كانت بين مخلوقين كانت جورًا وسفهًا.

ثم قال منكرا عليهم فيما ابتدعوه وأحدثوه من الكذب والافتراء والكفر، من عبادة الأصنام وتسميتها آلهة: ﴿إِنۡ هِيَ إِلَّآ أَسۡمَآءٞ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم﴾ أي: من تلقاء أنفسكم ﴿مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍ﴾ أي: من حجة، ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهۡوَى ٱلۡأَنفُسُ﴾ أي: ليس لهم مستند إلا حسن ظنهم بآبائهم الذين سلكوا هذا المسلك الباطل قبلهم، وإلا حظ نفوسهم في رياستهم وتعظيم آبائهم الأقدمين، ﴿وَلَقَدۡ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلۡهُدَىٰٓ﴾ أي: ولقد أرسل الله إليهم الرسل بالحق المنير والحجة القاطعة، ومع هذا ما اتبعوا ما جاؤوهم به، ولا انقادوا له»[(٢)].

قَـولُـهُ: «عن أبي واقدٍ الليثيِّ قال: «خرجْنا مع رسولِ اللهِ ﷺ إلى حنينٍ»:
كانت غزوة حنين في شوال من السنة الثامنة[(٣)].

قَـولُـهُ: «وَنَحْنُ حُدَثَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ»: أي قريب عهدنا بالكفر.

قَـولُـهُ: «وللمشركينَ سدرةٌ»: السِّدْرُ: شجرُ النبِق[(٤)].

---

(١) **انظر**: «تفسير الطبري» (٢٢/ ٥٢٨).
(٢) **انظر**: «تفسير ابن كثير» (٧/ ٤٥٨).
(٣) **انظر**: «تاريخ الطبري» (٣/ ٧٠)، و«البداية والنهاية» (٥/ ٢٠).
(٤) **انظر**: «النهاية في غريب الحديث» (٢/ ٢٥٣).

قَولُه: «يعكفونَ عِندهَا»: أي يقيمون عندها؛ والعكوف هو الملازمة والحبس[(١)]؛ ومنه قوله تعالىٰ: ﴿وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ﴾ [البقرة:١٨٧]، وقوله تعالىٰ: ﴿فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ﴾ [الأعراف:١٣٨].

قَولُه: «وينوطونَ بها أسلحتَهم»: أَيْ يُعَلِّقونها بها طلبا للبركة[(٢)].

قَولُه: «يُقالُ لها: ذاتُ أنواطٍ»: أي صاحبة التعاليق؛ وأنواط: جمع نوط، وهو مصدر سمي به المنوط[(٣)].

قَولُه: «فمررنا بسدرةٍ؛ فقلنا: يا رسولَ اللهِ، اجعلْ لنا ذاتُ أنواطٍ كمَا لهم ذاتُ أنواطٍ»: أي خصص لنا شجرة نتبرك بها بوضع أسلحتنا عليها كما لهم شجرة يعلقون عليها أسلحتهم.

قَولُه: «فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: الله أكبر، إنها السُّنَنُ»: بضم السين أي: طرقهم ومناهجهم وسبل أفعالهم، وبفتحها أي: علىٰ منوالهم، ومثل حالهم، وقولهم[(٤)].

قَولُه: «قلتُم والذي نفسي بيدِه كما قالتْ بنو إسرائيلِ لموسى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾»: أي شَبَّه مقالتهم هذه بمقالة بني إسرائيل، فكلاهما طلب إلها من دون الله ﷻ.

قَولُه: «لتركَبُنَّ سُنن من كانَ قبْلكُم»: أي تعملون مثل أعمالهم[(٥)].

---

(١) انظر: «تهذيب اللغة»، مادة «عكف».

(٢) انظر: «النهاية في غريب الحديث» (٥/ ١٢٨).

(٣) انظر: «النهاية في غريب الحديث» (٥/ ١٢٨).

(٤) انظر: «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٨/ ٣٤٠٤).

(٥) انظر: «النهاية في غريب الحديث» (١/ ٣٥٧).

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأُولَى: تَفْسِيرُ آيَةِ النَّجْمِ.

الثَّانِيَةُ: مَعْرِفَةُ صُورَةِ الأَمْرِ الذِي طَلَبُوا.

الثَّالِثَةُ: كَوْنُهُمْ لَمْ يَفْعَلُوا.

الرَّابِعَةُ: كَوْنُهُمْ قَصَدُوا التَّقَرُّبَ إِلَى اللهِ بِذَلِكَ؛ لِظَنِّهِمْ أَنَّهُ يُحِبُّهُ.

الخَامِسَةُ: أَنَّهُمْ إِذَا جَهِلُوا هَذَا فَغَيْرُهُمْ أَوْلَى بِالجَهْلِ.

السَّادِسَةُ: أَنَّ لَهُمْ مِنَ الحَسَنَاتِ وَالْوَعْدِ بِالمَغْفِرَةِ مَا لَيْسَ لِغَيْرِهِمْ.

السَّابِعَةُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَعْذِرْهُمْ بَلْ رَدَّ عَلَيْهِمْ بِقَولِهِ: «اللهُ أَكْبَرُ! إِنَّهَا السُّنَنُ لَتَتَّبِعُنَّ سُنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ»، فَغَلَّظَ الأَمْرَ بِهَذِهِ الثَّلَاثِ.

الثَّامِنَةُ: الأَمْرُ الكَبِيرُ -وَهُوَ المَقْصُودُ- أَنَّهُ أَخْبَرَ أَنَّ طَلَبَهُمْ كَطَلَبِ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَمَّا قَالُوا لِمُوسَى: ﴿ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا﴾.

التَّاسِعَةُ: أَنَّ نَفْيَ هَذَا مِنْ مَعْنَى «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» مَعَ دِقَّتِهِ وَخَفَائِهِ عَلَى أُولَئِكَ.

العَاشِرَةُ: أَنَّهُ حَلَفَ عَلَى الفُتْيَا، وَهُوَ لَا يَحْلِفُ إِلَّا لِمَصْلَحَةٍ.

الحَادِيَةَ عَشْرَةَ: أَنَّ الشِّرْكَ فِيهِ أَكْبَرُ وَأَصْغَرُ؛ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَرْتَدُّوا بِهَذَا.

الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ: قَوْلُهُمْ: «وَنَحْنُ حُدَثَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ» فِيهِ أَنَّ غَيْرَهُمْ لَا يَجْهَلُ ذَلِكَ.

الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ: التَّكْبِيرُ عِنْدَ التَّعَجُّبِ خِلَافًا لِمَنْ كَرِهَهُ.

الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ: سَدُّ الذَّرَائِعِ.

الخَامِسَةَ عَشْرَةَ: النَّهْيُ عَنِ التَّشَبُّهِ بِأَهْلِ الجَاهِلِيَّةِ.

السَّادِسَةَ عَشْرَةَ: الغَضَبُ عِنْدَ التَّعْلِيمِ.

السَّابِعَةَ عَشْرَةَ: القَاعِدَةُ الكُلِّيَّةُ لِقَوْلِهِ: «إِنَّهَا السُّنَنُ».

الثَّامِنَةَ عَشْرَةَ: أَنَّ هَذَا عَلَمٌ مِنْ أَعْلَامِ النُّبُوَّةِ؛ لِكَوْنِهِ وَقَعَ كَمَا أَخْبَرَ.

التَّاسِعَةَ عَشْرَةَ: أَنَّ مَا[1] ذَمَّ اللهُ بِهِ اليَهُودَ وَالنَّصَارَى فِي القُرْآنِ أَنَّهُ لَنَا.

العِشْرُونَ: أَنَّهُ مُتَقَرِّرٌ عِنْدَهُمْ أَنَّ العِبَادَاتِ مَبْنَاهَا عَلَى الأَمْرِ، فَصَارَ فِيهِ التَّنْبِيهُ عَلَى مَسَائِلِ القَبْرِ أَمَّا «مَنْ رَبُّكَ؟» فَوَاضِحٌ، وَأَمَّا «مَنْ نَبِيُّكَ؟»، فَمِنْ إِخْبَارِهِ بِأَنْبَاءِ الغَيْبِ، وَأَمَّا «مَا دِينُكَ» فَمِنْ قَوْلِهِمْ «اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا» إِلَخَ إِلَى آخِرِهِ.

الحَادِيَةُ وَالْعِشْرُونَ: أَنَّ سُنَّةَ أَهْلِ الكِتَابِ مَذْمُومَةٌ كَسُنَّةِ المُشْرِكِينَ.

الثَّانِيَةُ وَالْعِشْرُونَ: أَنَّ المُنْتَقِلَ مِنَ البَاطِلِ الذِي اعْتَادَهُ قَلْبُهُ لَا يُؤْمَنُ أَنْ يَكُونَ فِي قَلْبِهِ بَقِيَّةٌ مِنْ تِلْكَ العَادَةِ؛ لِقَولِه: «وَنَحْنُ حُدَثَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ».

الشَّرْح

قَوْلُهُ: «الأُولَى: تَفْسِيرُ آيَةِ النَّجْمِ»: أي قوله تعالىٰ: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾﴾.

قَوْلُهُ: «الثَّانِيَةُ: مَعْرِفَةُ صُورَةِ الأَمْرِ الذِي طَلَبُوا»: أي طلبهم شجرة يتبركون بها بوضع أسلحتهم عليها.

قَوْلُهُ: «الثَّالِثَةُ: كَوْنُهُمْ لَمْ يَفْعَلُوا»: أي لم يفعلوا ما طلبوا؛ لأن النبي ﷺ نهاهم عنه وحذرهم منه.

قَوْلُهُ: «الرَّابِعَةُ: كَوْنُهُمْ قَصَدُوا التَّقَرُّبَ إِلَى اللهِ بِذَلِكَ؛ لِظَنِّهِمْ أَنَّهُ يُحِبُّهُ»: أي لو علموا أن ما طلبوه معصية لله سبحانه وتعالى ما فعلوا؛ ولكنهم ظنوا أن هذا يحبه الله جل جلاله.

قَوْلُهُ: «الخَامِسَةُ: أَنَّهُمْ إِذَا جَهِلُوا هَذَا؛ فَغَيْرُهُمْ أَوْلَى بِالجَهْلِ»: أي لما جهل هؤلاء الصحب أن طلبهم معصية فغيرهم أولىٰ بالجهل لا سيما مع كثرة الجهل وكثرة الفتن.

---

(١) في نسخة خطية «أن كل».

قَـوْلُـهُ: «السَّادِسَةُ: أَنَّ لَهُمْ مِنَ الحَسَنَاتِ وَالْوَعْدِ بِالمَغْفِرَةِ مَا لَيْسَ لِغَيْرِهِمْ»: لأنهم صحبوا النبي ﷺ.

قَـوْلُـهُ: «السَّابِعَةُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَعْذِرْهُمْ بَلْ رَدَّ عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ: «اللهُ أَكْبَرُ! إِنَّهَا السُّنَنُ! لَتَتَّبِعُنَّ سُنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ»، فَغَلَّظَ الأَمْرَ بِهَذِهِ الثَّلَاثِ»: هي قوله: «الله أكبر»، وقوله: «إنها السنن»، وقوله: «لتركبن سنن من كان قبلكم»، فغلظ أمرهم بهذا؛ ففي التكبير استعظام لما طلبوه، وفي قوله: «إنها السنن»، و«لتركبن سنن من كان قبلكم»: تحذير من اتباع اليهود والنصارىٰ.

قَـوْلُـهُ: «الثَّامِنَةُ: الأَمْرُ الكَبِيرُ -وَهُوَ المَقْصُودُ- أَنَّهُ أَخْبَرَ أَنَّ طَلَبَهُمْ كَطَلَبِ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَمَّا قَالُوا لِمُوسَى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا﴾»: أي لما طلبوا أن يجعل لهم النبي ﷺ شجرة يتبركون بها أخبرهم النبي ﷺ أن طلبهم هذا كطلب بني إسرائيل حين قالوا: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا﴾ مع أنهم لم يطلبوا إلها.

قَـوْلُـهُ: «التَّاسِعَةُ: أَنَّ نَفْيَ هَذَا مِنْ مَعْنَى «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» مَعَ دِقَّتِهِ وَخَفَائِهِ عَلَى أُولَئِكَ»: أي لما نهاهم النبي ﷺ عن ذلك وشبه طلبهم بطلب بني إسرائيل دل علىٰ أنه من معنىٰ لا إله إلا الله.

قَـوْلُـهُ: «العَاشِرَةُ: أَنَّهُ حَلَفَ عَلَى الفُتْيَا، وَهُوَ لَا يَحْلِفُ إِلَّا لِمَصْلَحَةٍ»: كما في قوله ﷺ: «قلتم والذي نفسي بيده».

قَـوْلُـهُ: «الحَادِيَةَ عَشْرَةَ: أَنَّ الشِّرْكَ فِيهِ أَكْبَرُ وَأَصْغَرُ؛ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَرْتَدُّوا بِهَذَا»: فلو ارتدوا لأمرهم النبي ﷺ بتجديد إسلامهم؛ فدل ذلك علىٰ أن طلبهم هذا شرك أصغر.

قَـوْلُـهُ: «الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ: قَوْلُهُمْ: «وَنَحْنُ حُدَثَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ» فِيهِ أَنَّ غَيْرَهُمْ لَا يَجْهَلُ ذَلِكَ»: أي الذين قالوا كانوا قريبي العهد بالكفر؛ وفيه أن غيرهم لا يجهل ذلك.

قَولُهُ: «الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ: التَّكْبِيرُ عِنْدَ التَّعَجُّبِ خِلَافًا لِمَنْ كَرِهَهُ»: كما في قوله ﷺ: «**الله أكبر إنها السنن**».

قَولُهُ: «الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ: سَدُّ الذَّرَائِعِ»: أي لما أنكر عليهم بمجرد طلبهم كان هذا سدا للذريعة.

قَولُهُ: «الخَامِسَةَ عَشْرَةَ: النَّهْيُ عَنِ التَّشَبُّهِ بِأَهْلِ الجَاهِلِيَّةِ»: أي لما نهاهم عن طلبهم، وهو اتخاذ شجرة يتبركون بها دل ذلك علىٰ النهي عن التشبه بأهل الجاهلية.

قَولُهُ: «السَّادِسَةَ عَشْرَةَ: الغَضَبُ عِنْدَ التَّعْلِيمِ»: لقوله ﷺ: «**الله أكبر إنها السنن**».

قَولُهُ: «السَّابِعَةَ عَشْرَةَ: القَاعِدَةُ الكُلِّيَّةُ؛ لِقَوْلِهِ: «إِنَّهَا السُّنَنُ»»: أي كل سنن وطرائق الكفار مذمومة ومنهي عن اتباعها.

قَولُهُ: «الثَّامِنَةَ عَشْرَةَ: أَنَّ هَذَا عَلَمٌ مِنْ أَعْلَامِ النُّبُوَّةِ؛ لِكَوْنِهِ وَقَعَ كَمَا أَخْبَرَ»: أي اتباع سنن المشركين.

قَولُهُ: «التَّاسِعَةَ عَشْرَةَ: أَنَّ مَا ذَمَّ اللهُ بِهِ اليَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ فِي القُرْآنِ أَنَّهُ لَنَا»: لأن النبي ﷺ شبه طلب الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بطلب بني إسرائيل.

قَولُهُ: «العِشْرُونَ: أَنَّهُ مُتَقَرِّرٌ عِنْدَهُمْ أَنَّ العِبَادَاتِ مَبْنَاهَا عَلَى الأَمْرِ»: أي علىٰ التوقيف، ولو كان مبناها علىٰ غير التوقيف لما احتاجوا إلىٰ سؤاله.

قَولُهُ: «فَصَارَ فِيهِ التَّنْبِيهُ عَلَى مَسَائِلِ القَبْرِ أَمَّا «مَنْ رَبُّكَ؟» فَوَاضِحٌ»: أي أنهم مقرون بأن الله هو الخالق الرازق المحيي، ولم يعتقدوا في الشجرة أنها تخلق، أو تحيي، أو تميت.

قَولُهُ: «وَأَمَّا «مَنْ نَبِيُّكَ؟»، فَمِنْ إِخْبَارِهِ بِأَنْبَاءِ الغَيْبِ»: أي أنهم سيتبعون بني إسرائيل؛ وهذا من الغيب الذي لا يعلم إلا عن طريق الوحي.

قَـوْلُـهُ: «وَأَمَّا «مَا دِينُكَ» فَمِنْ قَوْلِهِمْ «اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا» إلْخَ إِلَى آخِرِهِ»: أي هذا ينافي دين الإسلام؛ لأن الإسلام يقتضي عدم التفات القلب إلىٰ غير الله ﷻ.

قَـوْلُـهُ: «الحَادِيَةُ وَالْعِشْرُونَ: أَنَّ سُنَّةَ أَهْلِ الكِتَابِ مَذْمُومَةٌ كَسُنَّةِ المُشْرِكِينَ»: أي لما ذم النبي ﷺ طلبهم وجعله كسنة بني إسرائيل دل علىٰ أن سنة بني إسرائيل مذمومة كسنة المشركين.

قَـوْلُـهُ: «الثَّانِيَةُ وَالْعِشْرُونَ: أَنَّ المُنْتَقِلَ مِنَ البَاطِلِ الذِي اعْتَادَهُ قَلْبُهُ لَا يُؤْمَنُ أَنْ يَكُونَ فِي قَلْبِهِ بَقِيَّةٌ مِنْ تِلْكَ العَادَةِ؛ لِقوله: «وَنَحْنُ حُدَثَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ»»: فينبغي للعبد أن يتحرز مما كان عليه من الباطل؛ لئلا يفعله وهو لا يشعر.



[٩] بابٌ ما جَاءَ في الذبحِ لغيرِ اللهِ

وقولُ اللهِ تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام:١٦٢-١٦٣].

وقولُهُ: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴿٢﴾﴾ [الكوثر:٢].

عنْ عليِّ بنِ أبي طَالبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: «حَدَّثَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ لَعَنَ اللهُ منْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ، لَعَنَ اللهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَيْهِ، لَعَنَ اللهُ مَنْ آوَى مُحْدِثًا، لَعَنَ اللهُ مَنْ غَيَّرَ مَنَارَ الأَرْضِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ(١).

وَعَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «دَخَلَ الجَنَّةَ رَجُلٌ فِي ذُبَابٍ وَدَخَلَ النَّارَ رَجُلٌ فِي ذُبَابٍ» قَالُوا: وَكَيْفَ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ: «مَرَّ رَجُلَانِ عَلَى قَوْمٍ لَهُمْ صَنَمٌ لَا يَجُوزُهُ أَحَدٌ حَتَّى يُقَرِّبَ لَهُ شَيْئًا، فَقَالُوا لِأَحَدِهِمَا: قَرِّبْ، قَالَ: لَيْسَ عِنْدِي شَيْءٌ أُقَرِّبُ، قَالُوا لَهُ: قَرِّبْ وَلَوْ ذُبَابًا، فَقَرَّبَ ذُبَابًا، فَخَلَّوا سَبِيلَهُ، فَدَخَلَ النَّارَ وَقَالُوا لِلْآخَرِ: قَرِّبْ، فَقَالَ: مَا كُنْتُ لِأُقَرِّبَ لِأَحَدٍ شَيْئًا دُونَ اللهِ، فَضَرَبُوا عُنُقَهُ، فَدَخَلَ الجَنَّةَ». رَوَاهُ أَحْمَدُ(٢).

الشَّرْح

قَوْلُهُ: «بابُ ما جاءَ في الذبحِ لغيرِ اللهِ»: أي من الوعيد، وأنه شرك أكبر مخرج من الملة.

---

(١) برقم (١٩٧٨).

(٢) في الزهد برقم (٨٤)، والبيهقي في الشعب (٦٩٦٢)، وقال الألباني في السلسلة الضعيفة (١٢/ ٧٢٢): «الحديث صحيح موقوفًا علىٰ سلمان الفارسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلا أنه يظهر لي أنه من الإسرائيليات التي كان تلقاها عن أسياده حينما كان نصرانيًا».

والذبح لغة: الشَّق وكل ما يشق فقد ذُبح[1].

وشرعًا: قطع الحلقوم من مِفْصل ما بين العنق والرأس[2].

والذبح من أجل العبادات، وصرفه لغير الله شرك أكبر، كمن يذبح لولي، أو جني، أو قبر، أو ملك، أو غيره.

فائدة: الذبح نوعان:

النوع الأول: ذبح عبادة، ويكون لله، فيقصد به التقرب إلىٰ الله، مثل الأضاحي، والهدي.

ومن صرف هذا النوع لغير الله فهو شرك في العبادة كمن يقول: باسم الله، وينوي بذبيحته التقرب لغير الله كصاحب ضريح، وكمن يقول: باسم المسيح أو البدوي، وينوي بذبيحته التقرب للمذبوح له.

النوع الثاني: ذبح عادة، كمن يذبح الذبيحة لأجل الأكل أو الاتجار، فهذا مباح بشرط أن يكون باسم الله.

قَـولُـهُ: «وقولُ اللهِ تعالى: ﴿قُلْ﴾»: أي يا محمد، لهؤلاء العادلين بربهم الأوثان والأصنام، الذين يسألونك أن تتبع أهواءهم علىٰ الباطل من عبادة الآلهة والأوثان[3].

قَـولُـهُ: «﴿إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾»: أي وذبحي[4].

قَـولُـهُ: «﴿وَمَحْيَايَ﴾»: أي وحياتي[5].

---

(١) انظر: «تهذيب اللغة»، مادة «ذبح».

(٢) انظر: «الكليات»، صـ (٤٥٨).

(٣) انظر: «تفسير الطبري» (١٢/ ٢٨٣).

(٤) انظر: «تفسير الطبري» (١٢/ ٢٨٣).

(٥) انظر: «تفسير الطبري» (١٢/ ٢٨٣).

قَوْلُهُ: «﴿وَمَمَاتِي﴾»: أي ووفاتي[١].

قَوْلُهُ: «﴿لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾»: أي أن ذلك كله له خالصًا دون ما أشركتم به، أيها المشركون، من الأوثان[٢] فهو يحييني ويميتني.

وقيل: محياي بالعمل الصالح، ومماتي إذا مت علىٰ الإيمان لله رب العالمين.

وقيل: طاعتي في حياتي لله وجزائي بعد مماتي من الله رب العالمين[٣].

قَوْلُهُ: «﴿لَا شَرِيكَ لَهُۥ﴾»: أي في شيء من ذلك من خلقه، ولا لشيء منهم فيه نصيب؛ لأنه لا ينبغي أن يكون ذلك إلا له خالصًا[٤].

قَوْلُهُ: «﴿وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ﴾»: أي وبذلك أمرني ربي[٥].

قَوْلُهُ: «﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾»: أي وأنا أوّل من أقرَّ وأذْعن وخضع من هذه الأمة لربه بأن ذلك كذلك[٦]، وقيل: أي وأنا أول المسلمين من هذه الأمة[٧].

قال ابن كثير: قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾﴾ يأمره تعالىٰ أن يخبر المشركين الذين يعبدون غير الله ويذبحون لغير اسمه، أنه مخالف لهم في ذلك، فإن صلاته لله ونسكه علىٰ اسمه وحده لا شريك له، وهذا كقوله تعالىٰ: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾﴾ [الكوثر:٢]، أي: أخلص له صلاتك وذبيحتك، فإن المشركين كانوا يعبدون الأصنام ويذبحون لها، فأمره الله تعالىٰ بمخالفتهم والانحراف عما هم فيه، والإقبال بالقصد والنية والعزم علىٰ الإخلاص لله تعالىٰ.

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١٢/ ٢٨٣).
(٢) انظر: «تفسير الطبري» (١٢/ ٢٨٣).
(٣) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ١٧٨).
(٤) انظر: «تفسير الطبري» (١٢/ ٢٨٣).
(٥) انظر: «تفسير الطبري» (١٢/ ٢٨٣).
(٦) انظر: «تفسير الطبري» (١٢/ ٢٨٣).
(٧) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ١٧٨).

وقوله: ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ قال قتادة: أي من هذه الأمة.

وهو كما قال، فإن جميع الأنبياء قبله كلهم كانت دعوتهم إلىٰ الإسلام، وأصله عبادة الله وحده لا شريك له[1].

قَوْلُهُ: «وقوله: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ ﴾»: أي المكتوبة[2].

قَوْلُهُ: «﴿وَانْحَرْ﴾»: أي انحر البُدن.

قال الطبري بعد ذكر اختلاف العلماء في تفسير الآية: «وأولىٰ هذه الأقوال عندي بالصواب: قول من قال: معنىٰ ذلك: فاجعل صلاتك كلها لربك خالصًا دون ما سواه من الأنداد والآلهة، وكذلك نحرك اجعله له دون الأوثان، شكرًا له علىٰ ما أعطاك من الكرامة والخير الذي لا كفء له، وخصك به، من إعطائه إياك الكوثر.

وإنما قلت: ذلك أولىٰ الأقوال بالصواب في ذلك؛ لأن الله جلّ ثناؤه أخبر نبيه ﷺ بما أكرمه به من عطيته وكرامته، وإنعامه عليه بالكوثر، ثم أتبع ذلك قوله: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴾ فكان معلوما بذلك أنه خصه بالصلاة له، والنحر علىٰ الشكر له، علىٰ ما أعلمه من النعمة التي أنعمها عليه، بإعطائه إياه الكوثر، فلم يكن لخصوص بعض الصلاة بذلك دون بعض، وبعض النحر دون بعض وجه، إذ كان حثا علىٰ الشكر علىٰ النِّعَم.

فتأويل الكلام إذن: إنا أعطيناك يا محمد الكوثر، إنعاما منا عليك به، وتكرمة منا لك، فأخلص لربك العبادة، وأفرد له صلاتك ونسكك، خلافا لما يفعله من كفر به، وعبد غيره، ونحر للأوثان»[3].

وقال ابن كثير في تفسير الآية: «أي كما أعطيناك الخير الكثير في الدنيا والآخرة،

---

(١) **انظر:** «تفسير ابن كثير» (٣/ ٣٨١-٣٨٢).

(٢) **انظر:** «تفسير الطبري» (٢٤/ ٦٥٢).

(٣) **انظر:** «تفسير الطبري» (٢٤/ ٢٥٥-٢٥٦).

ومن ذلك النهر الذي تقدم صفته - فأخلص لربك صلاتك المكتوبة والنافلة ونحرك، فاعبده وحده لا شريك له، وانحر علىٰ اسمه وحده لا شريك له»[(١)].

ثم قال بعد ذكر اختلاف العلماء في النحر: والصحيح القول الأول، أن المراد بالنحر ذبح المناسك؛ ولهذا كان رسول الله ﷺ يصلي العيد ثم ينحر نسكه ويقول: «**مَنْ صَلَّىٰ صَلاتَنَا، وَنَسَكَ نُسُكَنَا، فَقَدْ أَصَابَ النُّسُكَ، وَمَنْ نَسَكَ قَبْلَ الصَّلاةِ، فَإِنَّهُ قَبْلَ الصَّلاةِ وَلا نُسُكَ لَهُ**»، فَقَالَ أَبُو بُرْدَةَ بْنُ نِيَارٍ خَالُ الْبَرَاءِ: يَا رَسُولَ اللهِ، فَإِنِّي نَسَكْتُ شَاتِي قَبْلَ الصَّلاةِ، وَعَرَفْتُ أَنَّ الْيَوْمَ يَوْمُ أَكْلٍ وَشُرْبٍ، وَأَحْبَبْتُ أَنْ تَكُونَ شَاتِي أَوَّلَ مَا يُذْبَحُ فِي بَيْتِي، فَذَبَحْتُ شَاتِي وَتَغَدَّيْتُ قَبْلَ أَنْ آتِيَ الصَّلاةَ، قَالَ: «**شَاتُكَ شَاةُ لَحْمٍ**» قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، فَإِنَّ عِنْدَنَا عَنَاقًا لَنَا جَذَعَةً هِيَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ شَاتَيْنِ، أَفَتَجْزِي عَنِّي؟ قَالَ: «**نَعَمْ وَلَنْ تَجْزِيَ عَنْ أَحَدٍ بَعْدَكَ**»[(٢)(٣)].

قَوْلُهُ: «عن عليِّ بنِ أبي طالبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «حدثني رسولُ اللهِ ﷺ بأربعِ كلماتٍ: لعنَ اللهُ من ذبحَ لغيرِ اللهِ»: المراد به أن يذبح باسم غير الله تعالىٰ كمن يذبح للصنم أو الصليب أو لموسىٰ أو لعيسىٰ صلىٰ الله عليهما أو للكعبة ونحو ذلك فكل هذا حرام ولا تحل هذه الذبيحة سواء كان الذابح مسلمًا أو نصرانيًا أو يهوديا نص عليه الشافعي، فإن قصد مع ذلك تعظيم المذبوح له غير الله تعالىٰ والعبادة له كان ذلك كفرًا، فإن كان الذابح مسلمًا قبل ذلك صار بالذبح مرتدًا[(٤)].

واللعن لغة: الطرد والإبعاد، ومن أبعده الله لم تلحقه رحمته وخُلِّد في العذاب[(٥)].

---

(١) **انظر:** «تفسير ابن كثير» (٨/ ٥٠٢-٥٠٣).

(٢) **متفق عليه:** رواه البخاري (٩٥٥)، ومسلم (١٩٦١).

(٣) **انظر:** «تفسير ابن كثير» (٨/ ٥٠٣-٥٠٤).

(٤) **انظر:** «شرح صحيح مسلم» (١٣/ ١٤١).

(٥) **انظر:** «تهذيب اللغة»، مادة «لعن».

قَـوْلُـهُ: «لعنَ اللهُ مَن لعنَ والدَيهِ»: أي لعن أباه وأمه وإن عَلَيا[(١)] صريحا، أو تسببا بأن لعن والد أحد فيسب والده، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖ﴾ [الأنعام:١٠٨]، فالنهي عن السبب احتراز عن التسبب[(٢)].

قَـوْلُـهُ: «لعنَ اللهُ مَن آوى محدِثا»: أي آوىٰ مَنْ أتاه وضمه إليه وحماه[(٣)]، والمراد بالمحدِث بكسر الدال هو من يأتي بفساد في الأرض[(٤)]، وهو من جنىٰ علىٰ غيره جناية، وإيواؤه: إجارته من خصمه وحمايته عن التعرض له، والحيلولة بينه وبين ما يحق استيفاؤه من قصاص، أو عقاب، ويدخل في ذلك الجاني علىٰ الإسلام بإحداث بدعة إذا حماه عن التعرض له، والأخذ علىٰ يده لدفع عاديته[(٥)].

قَـوْلُـهُ: «لعنَ اللهُ مَن غيَّرَ منارَ الأرضِ»: أَيْ أعْلامَها[(٦)]، وحدودها[(٧)]، والمعنىٰ: يريد استباحة ما ليس له من حق الجار[(٨)].

والمنار: جمع منارة، وهي العلامة تُجعل بين الحدين[(٩)].

قَـوْلُـهُ: «وعن طارقِ بن شهابٍ: أن رسولَ اللهِ ﷺ قالَ: «دخلَ الجنةَ رجلٌ

---

(١) انظر: «التيسير بشرح الجامع الصغير» (٢/ ٢٤٩).

(٢) انظر: «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٦/ ٢٦٤٧).

(٣) انظر: «شرح صحيح مسلم» (٩/ ١٤١).

(٤) انظر: «شرح صحيح مسلم» (١٣/ ١٤١).

(٥) انظر: «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٦/ ٢٦٤٧).

(٦) انظر: «النهاية في غريب الحديث» (٤/ ٤٦٨).

(٧) انظر: «شرح صحيح مسلم» (١٣/ ١٤١).

(٨) انظر: «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٦/ ٢٦٤٧).

(٩) انظر: «النهاية في غريب الحديث» (٥/ ١٢٧).

في ذبابٍ»: أي: من أجل ذباب[١].

قَـوْلُـهُ: «ودخلَ النارَ رجلٌ في ذبابٍ»: أي رجل آخر.

قَـوْلُـهُ: «قالوا»: أي معشر الصحابة الذين حضروا مجلس رسول الله ﷺ.

قَـوْلُـهُ: «وكيفَ ذلك يا رسولَ اللهِ؟»: سألوا عن هذا الأمر العجيب؛ لأنهم قد علموا أن الجنة لا يدخلها أحد إلا بالأعمال الصالحة كما قال تعالىٰ: ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [النحل:٣٢]، وأن النار لا يدخلها أحد إلا بالأعمال السيئة، فكأنهم تَقَالُّوا ذلك وتعجبوا منه واحتقروه، فبين لهم النبي ﷺ ما صَيَّرَ هذا الأمر الحقير عندهم عظيمًا يستحق هذا عليه الجنة، ويستحق الآخر عليه النار[٢].

قَـوْلُـهُ: «قال: مرَّ رجلانِ على قومٍ لهم صنمٌ»: الصنم: هو ما اتخذ إلها من دون الله تعالىٰ، وقيل: هو ما كان له جسم أو صورة، فإن لم يكن له جسم أو صورة فهو وثن[٣].

قَـوْلُـهُ: «لا يجوزُه أحدٌ»: أي لا يمر عليه أحد.

قَـوْلُـهُ: «حتى يقرِّب له شيئًا»: أي لهذا الصنم.

قَـوْلُـهُ: «فقالوا لأحدهما: قرِّب، قال: ليس عندي شيء أُقَرِّبُ، قالوا له: قرِّب ولو ذبابًا، فقرب ذبابًا، فخلوا سبيلَه، فدخلَ النارَ»: لأجل أنه شرك بالله ﷻ.

قَـوْلُـهُ: «وقالوا للآخرِ: قرِّب، فقالَ: ما كنتُ لأقرِّب لأحدٍ شيئًا دونَ اللهِ، فضربوا عُنقَه؛ فدخلَ الجنةَ»: لأجل عظم توحيده.

وفي هذا بيان عظمة الشرك ولو في شيء قليل، وأنه يوجب النار، ألا ترىٰ

---

(١) انظر: «تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد»، صـ(١٥٨).

(٢) انظر: السابق، صـ(١٥٨).

(٣) انظر: «النهاية في غريب الحديث» (٣/ ٥٦).

إلىٰ هذا لما قرب لهذا الصنم أرذل حيوان وأخسه وهو الذباب كان جزاؤه النار، لإشراكه في عبادة الله، إذ الذبح علىٰ سبيل القربة والتعظيم عبادة، وهذا مطابق لقوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُ ﴾ [المائدة:٧٢].

وفيه الحذر من الذنوب وإن كانت صغيرة في الحسبان، كما قال أَنَسٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «**إِنَّكُمْ لَتَعْمَلُونَ أَعْمَالًا، هِيَ أَدَقُّ فِي أَعْيُنِكُمْ مِنَ الشَّعَرِ، إِنْ كُنَّا لَنَعُدُّهَا عَلَىٰ عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ المُوبِقَاتِ**»، «**يَعْنِي بِذَلِكَ المُهْلِكَاتِ**»(١)(٢).



(١) صحيح: رواه البخاري (٦٤٩٢).

(٢) انظر: «تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد»، صـ (١٥٨).

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأُولَى: تَفْسِيرُ ﴿إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾[الأنعام:١٦٢].

الثَّانِيَةُ: تَفْسِيرُ ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢﴾[الكوثر:٢].

الثَّالِثَةُ: الْبَدَاءَةُ بِلَعْنَةِ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ.

الرَّابِعَةُ: لَعْنُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَيْهِ، وَمِنْهُ أَنْ تَلْعَنَ وَالِدَي الرَّجُلِ فَيَلْعَنَ وَالِدَيْكَ.

الخَامِسَةُ: لَعْنُ مَنْ آوَى مُحْدِثًا، وَهُوَ الرَّجُلُ يُحْدِثُ شَيْئًا يَجِبُ فِيهِ حَقُّ اللهِ؛ فَيَلْتَجِئُ إِلَى مَنْ يُجِيرُهُ مِنْ ذَلِكَ.

السَّادِسَةُ: لَعْنُ مَنْ غَيَّرَ مَنَارَ الْأَرْضِ، وَهِيَ المَرَاسِيمُ الَّتِي تُفَرِّقُ بَيْنَ حَقِّكَ وَحَقِّ جَارِكَ مِنَ الْأَرْضِ، فَتُغَيِّرُهَا بِتَقْدِيمٍ أَوْ تَأْخِيرٍ.

السَّابِعَةُ: الْفَرْقُ بَيْنَ لَعْنِ المُعَيَّنِ وَلَعْنِ أَهْلِ المَعَاصِي عَلَى سَبِيلِ الْعُمُومِ.

الثَّامِنَةُ: هَذِهِ الْقِصَّةُ الْعَظِيمَةُ، وَهِيَ قِصَّةُ الذُّبَابِ.

التَّاسِعَةُ: كَوْنُهُ دَخَلَ النَّارَ بِسَبَبِ ذَلِكَ الذُّبَابِ الَّذِي لَمْ يَقْصِدْهُ، بَلْ فَعَلَهُ تَخَلُّصًا مِنْ شَرِّهِمْ.

الْعَاشِرَةُ: مَعْرِفَةُ قَدْرِ الشِّرْكِ فِي قُلُوبِ المُؤْمِنِينَ؛ كَيْفَ صَبَرَ ذَلِكَ عَلَى الْقَتْلِ وَلَمْ يُوَافِقْهُمْ عَلَى طَلَبِهِمْ، مَعَ كَوْنِهِمْ لَمْ يَطْلُبُوا إِلَّا الْعَمَلَ الظَّاهِرَ؟!.

الحَادِيَةَ عَشْرَةَ: أَنَّ الَّذِي دَخَلَ النَّارَ مُسْلِمٌ؛ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ كَافِرًا؛ لَمْ يَقُلْ: «دَخَلَ النَّارَ فِي ذُبَابٍ».

الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ: فِيهِ شَاهِدٌ لِلْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: «الجَنَّةُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ، وَالنَّارُ مِثْلُ ذَلِكَ».

الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ: مَعْرِفَةُ أَنَّ عَمَلَ الْقَلْبِ هُوَ المَقْصُودُ الْأَعْظَمُ، حَتَّى عِنْدَ عَبَدَةِ الْأَصْنَامِ.

الشَّرح

قَولُه: «الْأُولَى: تَفْسِيرُ ﴿إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾»: أي صلاتي المفروضة، والنافلة، وذبحي لله وحده لا شريك له.

قَولُه: «الثَّانِيَةُ: تَفْسِيرُ ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢﴾»: أي أخلص العبادة لربك وانحر له.

قَولُه: «الثَّالِثَةُ: الْبَدَاءَةُ بِلَعْنَةِ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ»: لأن الذبح عبادة؛ ومن صرفها لغير الله فهو شرك، والشرك أعظم ذنب عصي الله به.

قَولُه: «الرَّابِعَةُ: لَعْنُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَيْهِ، وَمِنْهُ أَنْ تَلْعَنَ وَالِدَي الرَّجُلِ فَيَلْعَنَ وَالِدَيْكَ»: سواء كان صريحا كأن يلعن أباه وأمه، أو تسببا كأن يلعن الرجل أبا الرجل فيلعن الرجل أباه.

قَولُه: «الْخَامِسَةُ: لَعْنُ مَنْ آوَى مُحْدِثًا، وَهُوَ الرَّجُلُ يُحْدِثُ شَيْئًا يَجِبُ فِيهِ حَقُّ اللَّهِ؛ فَيَلْتَجِئُ إِلَى مَنْ يُجِيرُهُ مِنْ ذَلِكَ»: كأن يحمي رجلا مبتدعا أو مرتدا أو سارقا من القصاص.

قَولُه: «السَّادِسَةُ: لَعْنُ مَنْ غَيَّرَ مَنَارَ الْأَرْضِ، وَهِيَ الْمَرَاسِيمُ الَّتِي تُفَرِّقُ بَيْنَ حَقِّكَ وَحَقِّ جَارِكَ مِنَ الْأَرْضِ، فَتُغَيِّرُهَا بِتَقْدِيمٍ أَوْ تَأْخِيرٍ»: قد توعده الله بالعذاب الشديد، فعَنْ سَعِيدِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَنِ اقْتَطَعَ شِبْرًا مِنَ الْأَرْضِ ظُلْمًا، طَوَّقَهُ اللهُ إِيَّاهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ»[1].

قَولُه: «السَّابِعَةُ: الْفَرْقُ بَيْنَ لَعْنِ الْمُعَيَّنِ، وَلَعْنِ أَهْلِ الْمَعَاصِي عَلَى سَبِيلِ الْعُمُومِ»: الأول لا يجوز، والثاني يجوز كما في الحديث.

قَولُه: «الثَّامِنَةُ: هَذِهِ الْقِصَّةُ الْعَظِيمَةُ، وَهِيَ قِصَّةُ الذُّبَابِ»: لأنها كانت

---

(١) **متفق عليه:** رواه البخاري (٣١٩٨)، ومسلم (١٦١٠).

سببًا في دخول رجل الجنة، وآخر النار.

قَولُه: «التَّاسِعَةُ: كَوْنُهُ دَخَلَ النَّارَ بِسَبَبِ ذَلِكَ الذُّبَابِ الَّذِي لَمْ يَقْصِدْهُ، بَلْ فَعَلَهُ تَخَلُّصًا مِنْ شَرِّهِمْ»: أي أنه لم يقصد التقرب ابتداء، ولما خاف شرهم قصده.

وهذه المسألة ليست مسلمة، فإن قوله: قرِّب ولو ذبابًا؛ يقتضي أنه فعله قاصدًا التقرب، أما لو فعله تخلصًا من شرهم، فإنه لا يكفر؛ لعدم قصد التقرب[1].

قَولُه: «الْعَاشِرَةُ: مَعْرِفَةُ قَدْرِ الشِّرْكِ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ؛ كَيْفَ صَبَرَ ذَلِكَ عَلَى الْقَتْلِ وَلَمْ يُوَافِقْهُمْ عَلَى طَلَبِهِمْ، مَعَ كَوْنِهِمْ لَمْ يَطْلُبُوا إِلَّا الْعَمَلَ الظَّاهِرَ؟!»: أي لو وافقهم علىٰ طلبهم لم يقتلوه؛ ولكنه لمعرفته قدر الشرك لم يوافقهم وصبر علىٰ القتل.

قَولُه: «الحَادِيَةَ عَشْرَةَ: أَنَّ الَّذِي دَخَلَ النَّارَ مُسْلِمٌ؛ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ كَافِرًا؛ لَمْ يَقُلْ: «دَخَلَ النَّارَ فِي ذُبَابٍ»»: أي كان مسلما قبل موافقته علىٰ طلبهم، ثم صار مشركا لأجل شركه.

قَولُه: «الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ: فِيهِ شَاهِدٌ لِلْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: «الجَنَّةُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ، وَالنَّارُ مِثْلُ ذَلِكَ»»: لأنه رتب علىٰ فعل الرجل الأول دخول النار بالفاء التي تدل علىٰ السرعة، وكذلك رتب علىٰ فعل الرجل الآخر دخول الجنة.

قَولُه: «الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ: مَعْرِفَةُ أَنَّ عَمَلَ الْقَلْبِ هُوَ الْمَقْصُودُ الْأَعْظَمُ حَتَّى عِنْدَ عَبَدَةِ الْأَصْنَامِ»: لقولهم: «**قرِّب ولو ذبابا**»، فأرادوا أن يستميلوا قلبه، ولو لم يريدوا هذا لما أمروه بأن يقرب ذبابًا؛ لأنه لا فائدة من الذباب.

---

(١) انظر: «القول المفيد علىٰ كتاب التوحيد» (١/ ٢٢٧).

[١٠] بابٌ لا يُذبحُ للهِ بمكانٍ يُذبحُ فيه لغيرِ اللهِ

وقولُ اللهِ تعالى: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [التوبة:١٠٨].

وَعَنْ ثَابِتِ بْنِ الضَّحَّاكِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «نَذَرَ رَجُلٌ أَنْ يَنْحَرَ إِبِلًا بِبُوَانَةَ، فَسَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: «هَلْ كَانَ فِيهَا وَثَنٌ مِنْ أَوْثَانِ الجَاهِلِيَّةِ يُعْبَدُ؟» قَالُوا: لَا، قَالَ: «فَهَلْ كَانَ فِيهَا عِيدٌ مِنْ أَعْيَادِهِمْ؟» قَالُوا: لَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَوْفِ بِنَذْرِكَ، فَإِنَّهُ لَا وَفَاءَ لِنَذْرٍ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ، وَلَا فِيمَا لَا يَمْلِكُ ابْنُ آدَمَ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ(١)، وَإِسْنَادُهُ عَلَى شَرْطِهِمَا.

الشَّرح

قَولُهُ: «بابٌ لا يُذبحُ للهِ»: «لا» هنا للنفي، وتفيد أيضًا معنىٰ النهي.

قَولُهُ: «بمكانٍ»: أي عند مكان، كقبر، أو ضريح، أو غيره.

قَولُهُ: «يذبحُ فيه لغيرِ اللهِ»: أي لأجل طلب البركة.

ومعنىٰ الترجمة: لا يجوز الذبح تقربا إلىٰ الله في مكان يذبح فيه تقربا لغير الله، كمن يذبح للبدوي، أو الدسوقي عند ضريحيهما.

قَولُهُ: «وقولُ اللهِ تعالى: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾»: أي لا تقم يا محمد في المسجد الذي بناه هؤلاء المنافقون ضرارًا وتفريقًا بين المؤمنين، وإرصادًا لمن حارب الله ورسوله ﷺ(٢)، فمنع الله تعالىٰ نبيه ﷺ أن يصلي في مسجد الضرار(٣).

---

(١) برقم (٣٣١٣)، وصححه الألباني.

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (١٤/ ٤٧٦).

(٣) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ٣٨٨).

قَولُه: «﴿لَّمَسۡجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقۡوَىٰ﴾»: أي ابتدئ أساسه وأصله علىٰ تقوىٰ الله وطاعته[1]، واللام لام الابتداء، وقيل: لام القسم، تقديره: والله لمسجد بني أصله علىٰ التقوىٰ[2].

فائدة: اختلف أهل التأويل في المسجد الذي عناه الله في هذه الآية على قولين[3]:

القول الأول: هو مسجد رسول الله ﷺ الذي فيه منبره وقبره اليوم.

القائلون به: عمر بن الخطاب، وابنه عبد الله، وزيد بن ثابت، وأبو سعيد الخدري، وسعيد بن المسيب، واختيار ابن جرير الطبري.

القول الثاني: مسجد قُباء.

القائلون به: ابن عباس، عروة بن الزبير، وسعيد بن جبير، وقتادة، واختيار ابن كثير.

والراجح القول الأول؛ لحديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي بَيْتِ بَعْضِ نِسَائِهِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ الْمَسْجِدَيْنِ الَّذِي أُسِّسَ عَلَىٰ التَّقْوَىٰ؟ قَالَ: فَأَخَذَ كَفًّا مِنْ حَصْبَاءَ، فَضَرَبَ بِهِ الْأَرْضَ، ثُمَّ قَالَ: «**هُوَ مَسْجِدُكُمْ هَذَا**» لِمَسْجِدِ المدِينَةِ[4].

قال ابن كثير: «قد ورد في الحديث الصحيح: أن مسجد رسول الله ﷺ الذي هو في جوف المدينة هو المسجد الذي أسس علىٰ التقوىٰ، وهذا صحيح، ولا منافاة بين الآية وبين هذا[5]؛ لأنه إذا كان مسجد قباء قد أسس علىٰ التقوىٰ من

---

(١) **انظر:** «تفسير الطبري» (١٤/ ٤٧٦).

(٢) **انظر:** «تفسير البغوي» (٢/ ٣٨٨).

(٣) **انظر:** «تفسير الطبري» (١٤/ ٤٧٦-٤٧٨)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٣٨٨-٣٨٩)، و«تفسير ابن كثير» (٤/ ٢١٢-٢١٦).

(٤) **صحيح:** رواه مسلم (١٣٩٨).

(٥) أي القول بأن المقصود بالمسجد في الآية مسجد قباء.

أول يوم، فمسجد رسول الله ﷺ بطريق الأولىٰ والأحرىٰ»[(١)].

قَولُهُ: «﴿مِنۡ أَوَّلِ يَوۡمٍ﴾»: أي من أول يوم بني ووضع أساسه[(٢)]، وابتدئ في بنائه، وقيل: من أول الأيام، كقول القائل: لقيت كلَّ رجل، بمعنىٰ كل الرجال.

وقيل: مبدأ أول يوم كما تقول العرب: لم أره من يوم كذا، بمعنىٰ: مبدؤه[(٣)].

قَولُهُ: «﴿أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ﴾»: أي أولىٰ أن تقوم فيه مصلِّيًا[(٤)].

قَولُهُ: «﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ﴾»: أي في حاضري المسجد الذي أسس علىٰ التقوىٰ من أول يوم رجال يحبُّون أن ينظفوا أثر النجاسة بالماء إذا أتوا الغائط[(٥)]، ويتطهروا من الأحداث، والجنابات، والنجاسات[(٦)]، ويتطهروا من الذنوب، والأمراض القلبية كالنفاق، والغِلِّ، والحسد.

قَولُهُ: «﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُطَّهِّرِينَ﴾»: أي والله يحب المتطهرين بالماء[(٧)]، وقال أبو العالية: «**إن الطهور بالماء لحسن، ولكنهم المطهرون من الذنوب**»[(٨)].

وهذه الآية نزلت في أهل قباء؛ لحديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ فِي أَهْلِ قُبَاءَ ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُطَّهِّرِينَ﴾ [التوبة:١٠٨]**»، قَالَ: «**كَانُوا يَسْتَنْجُونَ بِالمَاءِ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ فِيهِمْ**»[(٩)].

---

(١) انظر: «تفسير ابن كثير» (٤/ ٢١٤).
(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ٣٨٨).
(٣) انظر: «تفسير الطبري» (١٤/ ٤٧٦).
(٤) انظر: «تفسير الطبري» (١٤/ ٤٧٦).
(٥) انظر: «تفسير الطبري» (١٤/ ٤٨٢).
(٦) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ٣٨٩).
(٧) انظر: «تفسير الطبري» (١٤/ ٤٨٢).
(٨) انظر: «تفسير ابن كثير» (٤/ ٢١٦).
(٩) صحيح: رواه الترمذي (٣١٠٠)، وابن ماجه (٣٥٧)، وصححه الألباني.

قال ابن كثير في تفسير الآية: «نهي من الله لرسوله، صلوات الله وسلامه عليه، والأمة تبع له في ذلك، عن أن يقوم فيه، أي: يصلي فيه أبدا، ثم حثه علىٰ الصلاة في مسجد قباء الذي أسس من أول يوم بنائه علىٰ التقوىٰ، وهي طاعة الله، وطاعة رسوله، وجمعا لكلمة المؤمنين ومعقلا وموئلا للإسلام وأهله؛ ولهذا قال تعالىٰ: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ﴾، والسياق إنما هو في معرض مسجد قباء؛ ولهذا جاء في الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «صلاة في مسجد قباء كعمرة»[(١)]...»[(٢)].

وقال أيضًا: في الآية «دليل علىٰ استحباب الصلاة في المساجد القديمة المؤسسة من أول بنائها علىٰ عبادة الله وحده لا شريك له، وعلىٰ استحباب الصلاة مع جماعة الصالحين، والعباد العاملين المحافظين علىٰ إسباغ الوضوء، والتنزه عن ملابسة القاذورات»[(٣)].

وجه المناسبة من ذكر هذه الآية تحت هذه الترجمة:

أن المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ قاس النهي في مكان يذبح فيه لغير الله علىٰ النهي في المكان الذي نهىٰ الشارع عن الصلاة فيه.

قَــوْلُــهُ: «عن ثابتِ بن الضحاكِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قالَ: «نذرَ رجلٌ أنْ ينحرَ إبِلا ببُوانةَ»»: هي بضم الباء، وقيل بفتحها: هضبة من وراء يَنْبُع[(٤)]، وقيل: أسفل مكة دون يلملم[(٥)].

---

(١) **حسن**: رواه الترمذي (٣٢٤)، وابن ماجه (١٤١١)، وأحمد (١٥٩٨١)، عن أسيد بن ظهير الأنصاري، وصححه الألباني.

(٢) **انظر**: «تفسير ابن كثير» (٤/ ٢١٢-٢١٣).

(٣) **انظر**: «تفسير ابن كثير» (٤/ ٢١٦).

(٤) **انظر**: «النهاية في غريب الحديث» (١/ ١٦٤).

(٥) **انظر**: «شرح السنة»، للبغوي (١٠/ ٣١).

قَـوْلُـهُ: «فَسأَلَ النَّبِيَّ ﷺ، فَقالَ: هل كانَ فيها وثَنٌ من أوثانِ الجاهليةِ يُعبدُ؟ قَالوا: لَا، قَال: فَهلْ كانَ فيها عِيدٌ مِن أَعيادِهم؟»: هذا كله احتراز من التشبيه بالكفار في أفعالهم[(١)].

قَـوْلُـهُ: «قالوا: لا، فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: أوفِ بنذرِك»: فيه أن من نذر أن يضحي في مكان، أو يتصدق علىٰ أهل بلد لزمه الوفاء به[(٢)]، ومثله أن ينذر التصدق علىٰ أهل بلد، وكل ذلك إذا لم يكن فيه معصية[(٣)].

قَـوْلُـهُ: «فإنَّه لا وفاءَ لنذرٍ في معصيةِ اللهِ»: هذا تعليل لتفصيل ما تحقق[(٤)].

قَـوْلُـهُ: «ولا»: أي: ولا نذر صحيح، أو منعقد[(٥)].

قَـوْلُـهُ: «فيما لا يَملِك ابنُ آدمَ»: أي فيما لا يملك عند النذر حتىٰ لو ملكه بعده لم يلزمه الوفاء به[(٦)].

قَـوْلُـهُ: «رواه أبو داودَ، وإسنادُه على شرطِهما»: أي البخاري ومسلم.

---

(١) انظر: «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٦/ ٢٢٥١).
(٢) انظر: «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٦/ ٢٢٥١).
(٣) انظر: «حاشية السندي علىٰ سنن ابن ماجه» (٦٥٣).
(٤) انظر: «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٦/ ٢٢٥١).
(٥) انظر: «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٦/ ٢٢٥١).
(٦) انظر: «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٦/ ٢٢٥١).

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: تَفْسِيرُ قَوْلِهِ: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾[التوبة:١٠٨].

الثَّانِيَةُ: أَنَّ الْمَعْصِيَةَ قَدْ تُؤَثِّرُ فِي الْأَرْضِ، وَكَذَلِكَ الطَّاعَةُ.

الثَّالِثَةُ: رَدُّ الْمَسْأَلَةِ الْمُشْكِلَةِ إِلَى الْمَسْأَلَةِ الْبَيِّنَةِ؛ لِيَزُولَ الْإِشْكَالُ.

الرَّابِعَةُ: اسْتِفْصَالُ الْمُفْتِي إِذَا احْتَاجَ إِلَى ذَلِكَ.

الْخَامِسَةُ: أَنَّ تَخْصِيصَ الْبُقْعَةِ بِالنَّذْرِ لَا بَأْسَ بِهِ إِذَا خَلَا مِنَ الْمَوَانِعِ.

السَّادِسَةُ: الْمَنْعُ مِنْهُ إِذَا كَانَ فِيهِ وَثَنٌ مِنْ أَوْثَانِ الْجَاهِلِيَّةِ، وَلَوْ بَعْدَ زَوَالِهِ.

السَّابِعَةُ: الْمَنْعُ مِنْهُ إِذَا كَانَ فِيهِ عِيدٌ مِنْ أَعْيَادِهِمْ، وَلَوْ بَعْدَ زَوَالِهِ.

الثَّامِنَةُ: أَنَّهُ لَا يَجُوزُ الْوَفَاءُ بِمَا نَذَرَ فِي تِلْكَ الْبُقْعَةِ لِأَنَّهُ نَذْرُ مَعْصِيَةٍ.

التَّاسِعَةُ: الْحَذَرُ مِنْ مُشَابَهَةِ الْمُشْرِكِينَ فِي أَعْيَادِهِمْ، وَلَوْ لَمْ يَقْصِدْهُ.

الْعَاشِرَةُ: لَا نَذْرَ فِي مَعْصِيَةٍ.

الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ: لَا نَذْرَ لِابْنِ آدَمَ فِيمَا لَا يَمْلِكُ.

الشَّرْح

قَوْلُهُ: «الْأُولَى: تَفْسِيرُ قَوْلِهِ: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾»: أي مسجد الضرار، فكما أنه لا يصلىٰ في المسجد الذي أسس علىٰ الكفر- لا يذبح في المكان الذي يذبح فيه لغير الله.

قَوْلُهُ: «الثَّانِيَةُ: أَنَّ الْمَعْصِيَةَ قَدْ تُؤَثِّرُ فِي الْأَرْضِ، وَكَذَلِكَ الطَّاعَةُ»: هذا مأخوذ من نهي الله عَزَّوَجَلَّ نبيه ﷺ عن الصلاة في مسجد الضرار؛ لأجل أنه أسس علىٰ الكفر، وأمره بالصلاة في مسجد قباء؛ لأجل أن فيه رجالا يحبون أن يتطهروا؛ وهذا يدل علىٰ أن الطاعة والمعصية تؤثر في الأرض.

قَوْلُهُ: «الثَّالِثَةُ: رَدُّ الْمَسْأَلَةِ الْمُشْكِلَةِ إِلَى الْمَسْأَلَةِ الْبَيِّنَةِ؛ لِيَزُولَ الْإِشْكَالُ»:

أي لما نذر الرجل أن ينحر إبلا ببوانه احتمل أن يكون غير جائز، أو لا، وهذه المسألة المشكلة، فسأل النبي ﷺ عن ذلك، فأجابه بالجواز، وهذه المسألة البينة، فزال الإشكال بذلك.

قَوْلُهُ: «الرَّابِعَةُ: اسْتِفْصَالُ الْمُفْتِي إِذَا احْتَاجَ إِلَى ذَلِكَ»: كما استفصل النبيُّ ﷺ الرجلَ عن مشروعية النحر ببوانة؛ لكونه يحتمل أنه لا يجوز.

قَوْلُهُ: «الْخَامِسَةُ: أَنَّ تَخْصِيصَ الْبُقْعَةِ بِالنَّذْرِ لَا بَأْسَ بِهِ إِذَا خَلَا مِنَ الْمَوَانِعِ»: لأن النبي ﷺ لم ينكر على الرجل، وأمره أن يوفي بنذره.

قَوْلُهُ: «السَّادِسَةُ: الْمَنْعُ مِنْهُ إِذَا كَانَ فِيهِ وَثَنٌ مِنْ أَوْثَانِ الْجَاهِلِيَّةِ، وَلَوْ بَعْدَ زَوَالِهِ»: لقوله ﷺ: «**فهل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية**»، ولو كان جائزا لما سأل عن ذلك.

قَوْلُهُ: «السَّابِعَةُ: الْمَنْعُ مِنْهُ إِذَا كَانَ فِيهِ عِيدٌ مِنْ أَعْيَادِهِمْ، وَلَوْ بَعْدَ زَوَالِهِ»: لقوله ﷺ: «**وهل كان فيها عيد من أعيادهم**».

قَوْلُهُ: «الثَّامِنَةُ: أَنَّهُ لَا يَجُوزُ الْوَفَاءُ بِمَا نَذَرَ فِي تِلْكَ الْبُقْعَةِ لِأَنَّهُ نَذْرُ مَعْصِيَةٍ»: فلو لم يكن معصية لما قال ﷺ: «**لا وفاء لنذر في معصية الله**».

قَوْلُهُ: «التَّاسِعَةُ: الْحَذَرُ مِنْ مُشَابَهَةِ الْمُشْرِكِينَ فِي أَعْيَادِهِمْ، وَلَوْ لَمْ يَقْصِدْهُ»: لأن النبي ﷺ منع من الوفاء بالنذر مع أن الناذر لم يقصده.

قَوْلُهُ: «الْعَاشِرَةُ: لَا نَذْرَ فِي مَعْصِيَةٍ»: لقوله ﷺ: «**لا وفاء لنذر في معصية الله**».

قَوْلُهُ: «الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ: لَا نَذْرَ لِابْنِ آدَمَ فِيمَا لَا يَمْلِكُ»: لقوله ﷺ: «**لا نذر لابن آدم فيما لا يملك**»، فلو قال: إن نجحت لأذبحن ناقة فلان، فلا يلزمه الوفاء.

❁❁❁

[١١] بابٌ من الشركِ النذرُ لغيرِ اللهِ

وقولُ اللهِ تعالى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ۝﴾ [الإنسان:٧].

وقولُه: ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾ [البقرة:٢٧٠].

وفي الصحيحِ عن عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أن رسولَ اللهِ ﷺ قالَ: «من نذرَ أنْ يُطيعَ اللهَ فَلْيُطِعْهُ؛ ومن نذرَ أنْ يعصيَ اللهَ فلا يعْصِهِ»[(١)].

الشَّرْح

قَوْلُهُ: «بابٌ منَ الشركِ النذرُ لغيرِ اللهِ»: أي من أنواع الشرك الأكبر: النذر لغير الله ﷻ؛ لأنه عبادة لا يجوز صرفها لغير الله ﷻ؛ كمن يقول: للبدوي علي نذر، أو لك علي يا دسوقي إن تزوجتُ لأذبحن شاة.

والنذر: لغة: الإيجاب[(٢)]؛ يقال: نذرت دم فلان، إذا أوجبته.

واصطلاحًا: إلزامُ مكلَّفٍ مختارٍ نفسَه لله تعالىٰ بالقول شيئًا غير لازم بأصل الشرع: كعلي لله أو نذرت لله ونحوه[(٣)].

فائدة: النذر قسمان:

القسم الأول: نذر لله؛ وهو نوعان[(٤)]:

أحدهما: نذر مطلق، وهو أن يقول: لله علي نذر، أو: لله علي أن أصلي ركعتين، أو: لله علي أن أصوم يومين، أو نحو ذلك، وقد مدح الله الموفين

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٦٦٩٦).

(٢) انظر: «مقاييس اللغة»، مادة «نذر».

(٣) انظر: «الإقناع لطالب الانتفاع» (٤/ ٣٧٩).

(٤) انظر: «الكافي»، لابن قدامة (٦/ ٦٥).

بالنذر، وهذا نذر محمود، لقول الله جل شأنه: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾[الإنسان:٧].

النوع الثاني: نذر مقيد؛ كأن يقول: إن رزقني الله مالا لأتصدقن، أو: فعلي صوم شهر، فإذا وجد شرطه، لزمه ما نذر سواء.

قال ابن المنذر: «وأجمعوا أن كل من قال: إن شفىٰ الله عليلي، أو قدم غائبي، أو ما أشبه ذلك، فعلي من الصوم كذا، ومن الصلاة كذا، فكان ما قال، أن عليه الوفاء بنذره»[١].

وهذا نذر مكروه؛ لقول الله تعالىٰ: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾﴾[التوبة:٧٥-٧٦].

ولحديث ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: نَهَىٰ النَّبِيُّ ﷺ، عَنِ النَّذْرِ، قَالَ: **«إِنَّهُ لَا يَرُدُّ شَيْئًا، وَإِنَّمَا يُسْتَخْرَجُ بِهِ مِنَ الْبَخِيلِ»**[٢].

القسم الثاني: نذر لغير الله؛ وهو أعظم من الحلف بغير الله، مثل أن ينذر لغير الله صلاة أو صومًا أو حجًا أو عمرة أو صدقة[٣]؛ فمن نذر لغير الله فهو مشرك أعظم من شرك الحلف بغير الله وهو كالسجود لغير الله[٤].

قَـوْلُـهُ: «وقولُ اللهِ تَعالى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾»: أي إن الأبرار الذين يشربون من كأس كان مزاجها كافورا، برّوا بوفائهم لله بالنذور التي كانوا ينذرونها في طاعة الله[٥].

قال قتادة: «كانوا ينذرون طاعة الله من الصلاة والزكاة، والحج والعمرة،

---

(١) انظر: «الإجماع»، لابن المنذر، رقم «٦٧٦».

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٦٦٠٨)، ومسلم (١٦٣٩).

(٣) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (١/ ٨١).

(٤) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (٣٣/ ١٢٣).

(٥) انظر: «تفسير الطبري» (٢٤/ ٩٥).

وما افترض عليهم»[١].

قال ابن كثير: «أي: يتعبدون لله فيما أوجبه عليهم من فعل الطاعات الواجبة بأصل الشرع، وما أوجبوه علىٰ أنفسهم بطريق النذر... ويتركون المحرمات التي نهاهم عنها خيفة من سوء الحساب يوم المعاد، وهو اليوم الذي شره مستطير، أي: منتشر عام علىٰ الناس إلا من رحم الله»[٢].

قَوْلُهُ: «﴿وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا﴾»: أي ويخافون عقاب الله بتركهم الوفاء بما نذروا لله من بر في يوم كان شره مستطيرًا، ممتدًا طويلًا فاشيًا[٣].

قَوْلُهُ: «وقوله: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ﴾»: أي وأيُّ صدقة تصدقتم[٤].

قَوْلُهُ: «﴿أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ﴾»: أي نذرتم نذرًا، والنذر: ما أوجبه المرء علىٰ نفسه تبررا في طاعة الله، وتقربا به إليه من صدقة، أو عمل خير[٥].

قَوْلُهُ: «﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ﴾»: أي أن جميع ذلك بعلم الله لا يعزب عنه منه شيء، ولا يخفىٰ عليه منه قليل ولا كثير، ولكنه يحصيه أيها الناس عليكم حتىٰ يجازيكم جميعكم علىٰ جميع ذلك.

فمن كانت نفقته منكم، وصدقته ونذره ابتغاء مرضاة الله وتثبيتًا من نفسه، جازاه بالذي وعده من التضعيف، ومن كانت نفقته وصدقته رئاء الناس ونذوره للشيطان، جازاه بالذي أوعده، من العقاب وأليم العذاب[٦].

قال ابن كثير: «يخبر تعالىٰ بأنه عالم بجميع ما يفعله العاملون من الخيرات

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٢٤/ ٩٥).
(٢) انظر: «تفسير ابن كثير» (٨/ ٢٨٧-٢٨٨).
(٣) انظر: «تفسير الطبري» (٢٤/ ٩٦).
(٤) انظر: «تفسير الطبري» (٥/ ٥٨٠).
(٥) انظر: «تفسير الطبري» (٥/ ٥٨٠).
(٦) انظر: «تفسير الطبري» (٥/ ٥٨٠-٥٨١).

من النفقات والمنذورات وتضمن ذلك مجازاته علىٰ ذلك أوفر الجزاء للعاملين لذلك ابتغاء وجهه، ورجاء موعوده»[(١)].

قَولُه: «وفي الصحيح»: أي صحيح الإمام البخاري.

قَولُه: «عن عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنهَا: أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ: «منْ نذرَ أنْ يطيعَ اللهَ»»: كأن يصلي الظهر مثلًا في أول وقته أو يصوم نفلًا ونحو ذلك من المستحب من العبادات البدنية والمالية[(٢)].

قَولُه: «فليُطعْهُ»: جواب الشرط والأمر للوجوب فينقلب المستحب واجبا بالنذر ويتقيد بما قيده به الناذر[(٣)]؛ أي من نذر طاعة واجبة أو مستحبة لزمه الوفاء بنذره[(٤)].

قال ابن بطال: «النذر في الطاعة واجب الوفاء به عند جماعة الفقهاء لمن قدر عليه، وإن كانت تلك الطاعة قبل النذر غير لازمة له فنذره لها قد أوجبها عليه؛ لأنه ألزمها نفسه لله تعالىٰ، فكل من ألزم نفسه شيئًا لله فقد تعين عليه فرض الأداء فيه، وقد ذم الله من أوجب علىٰ نفسه شيئًا ولم يف به»[(٥)].

قَولُه: «ومن نذرَ أن يعصيَ اللهَ فلا يَعصِه»: كقوله: لله علىٰ أن أشرب الخمر، أو: أزنىٰ، أو: أسفك دمًا، فلا شيء عليه وليستغفر الله[(٦)].

قال الخطابي: «في هذا بيان أن النذر في المعصية غير لازم، وأن صاحبه

---

(١) انظر: «تفسير ابن كثير» (١/ ٧٠١).
(٢) انظر: «شرح الزرقاني علىٰ موطأ الإمام مالك» (٣/ ٩٣).
(٣) انظر: «شرح الزرقاني علىٰ موطأ الإمام مالك» (٣/ ٩٣).
(٤) انظر: «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» (١١/ ٥٨١)، و«التيسير بشرح الجامع الصغير» (٢/ ٤٤٥).
(٥) انظر: «شرح صحيح البخاري»، لابن بطال (٦/ ١٥٦-١٥٧).
(٦) انظر: السابق (٦/ ١٦٣).

منهي عن الوفاء به»[١].

وقال البغوي: «فيه دليل علىٰ أن من نذر طاعة يلزمه الوفاء به، وإن لم يكن معلقا بشيء، وأن من نذر معصية، فلا يجوز له الوفاء به، ولا تلزمه به الكفارة، إذ لو كانت فيه كفارة لأشبه اليمين، وهو قول الأكثرين»[٢].



(١) انظر: «معالم السنن» (٤/ ٥٤).

(٢) انظر: «شرح السنة»، للبغوي (١٠/ ٢١).

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: وُجُوبُ الْوَفَاءِ بِالنَّذْرِ.

الثَّانِيَةُ: إِذَا ثَبَتَ كَوْنُهُ عِبَادَةً للهِ، فَصَرْفُهُ إِلَى غَيْرِهِ شِرْكٌ.

الثَّالِثَةُ: أَنَّ نَذْرَ الْمَعْصِيَةِ لَا يَجُوزُ الْوَفَاءُ بِهِ.

الشَّرْح

قَوْلُهُ: «الْأُولَى: وُجُوبُ الْوَفَاءِ بِالنَّذْرِ»: لقوله ﷺ: «من نذرَ أن يطيعَ اللهَ فَلْيُطعْه».

قَوْلُهُ: «الثَّانِيَةُ: إِذَا ثَبَتَ كَوْنُهُ عِبَادَةً للهِ، فَصَرْفُهُ إِلَى غَيْرِهِ شِرْكٌ»: فكل ما امتدح الله به عبادَه فهو عبادة لله ﷻ، وصرف العبادة لغير الله ﷻ شرك، قال تعالىٰ: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ۝٧﴾ [الإنسان:٧].

قَوْلُهُ: «الثَّالِثَةُ: أَنَّ نَذْرَ الْمَعْصِيَةِ لَا يَجُوزُ الْوَفَاءُ بِهِ»: لقوله ﷺ: «ومن نذرَ أن يعصيَ اللهَ فَلا يعْصِه».



[١٢] بابٌ منَ الشركِ الاستعاذةُ بغيرِ اللهِ

وقولُ اللهِ تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾﴾ [الجن:٦].

وَعَنْ خَوْلَةَ بِنْتِ حَكِيمٍ، قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ نَزَلَ مَنْزِلًا، فَقَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ حَتَّى يَرْحَلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ[١].

الشَّرح

قَـوْلُـهُ: «بابٌ منَ الشركِ الاستعاذةُ بغيرِ اللهِ»: أي من أنواع الشرك الأكبر: الاستعاذة بغير الله ﷻ؛ لأنها عبادة لا يجوز صرفها لغير الله ﷻ؛ كمن يقول: أعذني يا قناوي، أو غيره من الأموات.

والاستعاذة: لغة: طلب العوذ؛ يقال: عذت به أعوذ عوذا وعياذا ومعاذا: أي لجأت إليه، واعتصمت به[٢]، والمعاذ: المصدر، والمكان، والزمان: أي لقد لجأت إلىٰ ملجأ ولذت بملاذ[٣].

واصطلاحًا: الاستعاذة هي الالتجاء إلىٰ الله والالتصاق بجنابه من شر كل ذي شر، والعياذة تكون لدفع الشر، واللياذ يكون لطلب جلب الخير[٤].

فائدة: أنواع الاستعاذة:

النوع الأول: استعاذة تتضمن التعظيم والخضوع للمستعاذ به، وهذه عبادة

(١) برقم (٢٧٠٨)، بلفظ: «يَرْتَحِلَ».
(٢) انظر: «القاموس المحيط»، و«تاج العروس»، مادة «عوذ».
(٣) انظر: «النهاية في غريب الحديث» (٣/ ٣١٨).
(٤) انظر: «تفسير ابن كثير» (١/ ١١٤).

لا يجوز صرفها لغير الله ﷻ، ومن صرفها لغير الله أشرك.

النوع الثاني: استعاذة لا يقارنها اعتقاد، كالاستعاذة بالمكان أو برجل حي حاضر قادر، فهذه جائزة، فعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنِ اسْتَعَاذَ بِاللهِ فَأَعِيذُوهُ**»[(١)].

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**سَتَكُونُ فِتَنٌ القَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ القَائِمِ، وَالقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ المَاشِي، وَالمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي، وَمَنْ يُشْرِفْ لَهَا تَسْتَشْرِفْهُ، وَمَنْ وَجَدَ مَلْجَأً أَوْ مَعَاذًا فَلْيَعُذْ بِهِ**»[(٢)].

قَوْلُهُ: «وقولُ اللهِ تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾»: أي وأنه كان رجال من الإنس يستجيرون برجال من الجن في أسفارهم إذا نزلوا منازلهم، فيقول الواحد منهم: أعوذ بعزيز هذا الوادي من شرِّ سفهاء قومه[(٣)].

قَوْلُهُ: «﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾»: أي إثمًا، وازدادت الجن عليهم بذلك جراءة، وازداد الإنس بذلك إثمًا، وقيل: بل عني بذلك أن الكفار زادوا بذلك طغيانًا[(٤)].

قال ابن كثير في تفسير الآية: «أي كنا نرىٰ أن لنا فضلًا علىٰ الإنس؛ لأنهم كانوا يعوذون بنا، أي: إذا نزلوا واديًا أو مكانًا موحشًا من البراري وغيرها كما كانت عادة العرب في جاهليتها. يعوذون بعظيم ذلك المكان من الجان، أن يصيبهم بشيء يسوؤهم كما كان أحدهم يدخل بلاد أعدائه في جوار رجل كبير وذمامه وخفارَته، فلما رأت الجن أن الإنس يعوذون بهم من خوفهم منهم، ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ أي: خوفًا وإرهابًا وذعرًا، حتىٰ بقوا أشد منهم مخافة، وأكثر تعوذا بهم»[(٥)].

---

(١) **صحيح**: رواه أبو داود (١٦٧٢)، والنسائي (٢٥٦٧)، وأحمد (٥٣٦٥)، وصححه الألباني.

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٦٠١)، ومسلم (٢٨٨٦).

(٣) **انظر**: «تفسير الطبري» (٢٣/ ٦٥٤).

(٤) **انظر**: «تفسير الطبري» (٢٣/ ٦٥٥-٦٥٧).

(٥) **انظر**: «تفسير ابن كثير» (٨/ ٢٣٩).

قَـوْلُـهُ: «وَعَنْ خَوْلَةَ بِنْتِ حَكِيمٍ قَالَتْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ نَزَلَ مَنْزِلًا فَقَالَ أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَاتِ»»: أي الكاملات التي لا يدخل فيها نقص ولا عيب، وَقِيلَ: النافعة الشافية، وقيل: المراد بالكلمات هنا القرآن[1].

قال الخطابي: «فإن كلمته القرآن وصفَه بالتمام تنزيها له عن أن يلحقه نقص أو عيب كما يوجد ذلك في كلام الآدميين»[2].

وقال ابن الأثير: «إنما وصف كلامه بالتمام؛ لأنه لا يجوز أن يكون في شيء من كلامه نقص أو عيب كما يكون في كلام الناس، وقيل: معنىٰ التمام ها هنا أنها تنفع المتعوذ بها وتحفظه من الآفات وتكفيه»[3].

قَـوْلُـهُ: «مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ»: أي من شر خلقه[4]، وهو ما يفعله المكلفون من إثم ومضارة بعض لبعض من نحو ظلم، وبغي، وقتل، وضرب، وشتم، وغيرهم من نحو لدغ، ونهش، وعض[5].

قَـوْلُـهُ: «لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ»: أي: من المخلوقات حيث تعوذ بالخالق[6].

قَـوْلُـهُ: «حَتَّى يَرْحَلَ»: أي ينتقل[7].

قَـوْلُـهُ: «مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ»: فيه إيماء إلىٰ حقيقة التفريد وحقيقة التوحيد فإن غيره تعالىٰ لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا، ولا يملك موتًا ولا حياتًا ولا نشورا[8].

---

(١) انظر: «شرح صحيح مسلم» (١٧/ ٣١)، و«النهاية في غريب الحديث» (٤/ ١٩٨).
(٢) انظر: «غريب الحديث»، للخطابي (١/ ٢٥٢).
(٣) انظر: «النهاية في غريب الحديث» (١/ ١٩٧).
(٤) انظر: «التيسير بشرح الجامع الصغير» (١/ ٢٢٨).
(٥) انظر: «مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح»، لعبيد الله المباركفوري (٨/ ١٧٣).
(٦) انظر: «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٤/ ١٦٨٢).
(٧) انظر: «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٤/ ١٦٨٢).
(٨) انظر: «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٤/ ١٦٨٢).

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: تَفْسِيرُ آيَةِ الْجِنِّ.

الثَّانِيَةُ: كَوْنُهُ مِنَ الشِّرْكِ.

الثَّالِثَةُ: الِاسْتِدْلَالُ عَلَى ذَلِكَ بِالْحَدِيثِ؛ لِأَنَّ الْعُلَمَاءَ يَسْتَدِلُّونَ بِهِ عَلَى أَنَّ كَلِمَاتِ اللهِ غَيْرُ مَخْلُوقَةٍ؛ لِأَنَّ الِاسْتِعَاذَةَ بِالْمَخْلُوقِ شِرْكٌ.

الرَّابِعَةُ: فَضِيلَةُ هَذَا الدُّعَاءِ مَعَ اخْتِصَارِهِ.

الْخَامِسَةُ: أَنَّ كَوْنَ الشَّيْءِ يَحْصُلُ بِهِ مَنْفَعَةٌ دُنْيَوِيَّةٌ، مِنْ كَفِّ شَرٍّ أَوْ جَلْبِ نَفْعٍ، لَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ الشِّرْكِ.

الشَّرْح

قَوْلُهُ: «الْأُولَى: تَفْسِيرُ آيَةِ الْجِنِّ»: كان رجال من المشركين إذا نزلوا واديا استعاذوا بسيد هذا الوادي من شر ما فيه.

قَوْلُهُ: «الثَّانِيَةُ: كَوْنُهُ مِنَ الشِّرْكِ»: لأن الاستعاذة عبادة، ولا يجوز صرف العبادة لغير الله ﷻ.

قَوْلُهُ: «الثَّالِثَةُ: الِاسْتِدْلَالُ عَلَى ذَلِكَ بِالْحَدِيثِ؛ لِأَنَّ الْعُلَمَاءَ يَسْتَدِلُّونَ بِهِ عَلَى أَنَّ كَلِمَاتِ اللهِ غَيْرُ مَخْلُوقَةٍ؛ لِأَنَّ الِاسْتِعَاذَةَ بِالْمَخْلُوقِ شِرْكٌ»: فلو كان القرآن مخلوقا لم يرشد إلىٰ الاستعاذة به.

قَوْلُهُ: «الرَّابِعَةُ: فَضِيلَةُ هَذَا الدُّعَاءِ مَعَ اخْتِصَارِهِ»: فإذا قاله القائل لا يضره شيء حتىٰ يرتحل منه.

قَوْلُهُ: «الْخَامِسَةُ: أَنَّ كَوْنَ الشَّيْءِ يَحْصُلُ بِهِ مَنْفَعَةٌ دُنْيَوِيَّةٌ، مِنْ كَفِّ شَرٍّ أَوْ جَلْبِ نَفْعٍ، لَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ الشِّرْكِ»: فالاستعاذة بالجن فيها منفعة دنيوية، وهي السلامة من سفهاء المكان، ومع هذا فلا يدل علىٰ أنه ليس من الشرك.

[١٣] بابٌ من الشركِ أنْ يستغيثَ بغيرِ اللهِ أو يدعُو غيرَه

وقولُ اللهِ تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾ [يونس:١٠٦-١٠٧].

وقولُه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [العنكبوت:١٧].

وقولُه: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿٦﴾﴾ [الأحقاف:٥-٦].

وقولُهُ: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ [النمل:٦٢].

وروى الطَّبرانيُّ بإسنادِه «أنَّه كانَ في زمنِ النبيِّ ﷺ منافقٌ يؤذي المؤمنين، فقال بعضُهم: قُومُوا نَسْتَغِيثُ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ هَذَا المنَافِقِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّهُ لَا يُسْتَغَاثُ بِي، إِنَّمَا يُسْتَغَاثُ بِاللهِ»[1].

الشَّـرح

قَـوْلُـهُ: «بابٌ مِنَ الشركِ»: أي من الشرك الأكبر.

---

(١) **ضعيف**: رواه الطبراني كما في «المجمع» (١٠/ ١٥٩) عن عبادة بن الصامت، وقال الهيثمي: «رجاله رجال الصحيح غير ابن لهيعة، وهو حسن الحديث»، ورواه أحمد (٢٢٧٠٦) بلفظ: «لَا يُقَامُ لِي، إِنَّمَا يُقَامُ للهِ»، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ٤٠): «فيه راو لم يسم، وابن لهيعة»، وضعف إسناده الأرنؤوط.

قَـوْلُـهُ: «أن يستغيثَ بغيرِ اللهِ»: الاستغاثة طلب الغوث، وهو إزالة الشدة[1].

والمراد أن الاستغاثة بغير الله محرمة، وأنها من الشرك الأكبر؛ لأنها عبادة، وصرف العبادة لغير الله ﷻ شرك أكبر.

قَـوْلُـهُ: «أو يدعُو غيرَه»: أي فيما لا يقدر عليه إلا الله، أو يصرف العبادة لغير الله ﷻ، فهذا شرك أكبر مخرج من الدين.

وهذا من عطف العام علىٰ الخاص، فالدعاء عام، والاستغاثة خاصة.

وقد تقدم ذكر نوعي الدعاء، والتفصيل في حكم صرفهما لغير الله ﷻ.

فائدة [١]: الفرق بين الاستغاثة والدعاء:

الاستغاثة لا تكون إلا من المكروب كما قال تعالىٰ: ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ [القصص:١٥]، وقال: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [الأنفال:٩].

والدعاء أعم من الاستغاثة؛ لأنه يكون من المكروب وغيره، فعلىٰ هذا عطف الدعاء علىٰ الاستغاثة من عطف العام علىٰ الخاص[2].

فائدة [٢]: الاستغاثة نوعان:

أحدهما: الاستغاثة بمخلوق فيما يقدر عليه، كمن يستغيث بحي حاضر قادر علىٰ إنقاذه من مهلكة؛ فهذا جائز؛ كالدعاء.

الثاني: الاستغاثة بمخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله؛ كمن يستغيث بميت، أو حي غائب علىٰ إنقاذه من السبُع؛ فهذا شرك؛ لقوله تعالىٰ: ﴿فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن:١٨].

قَـوْلُـهُ: «وقولُ اللهِ تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾»: أي

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوىٰ»، لابن تيمية (١/ ١٠٣).

(٢) انظر: «تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد»، صـ(١٧٥).

ولا تدع، يا محمد، من دون معبودك وخالقك شيئًا لا ينفعك في الدنيا ولا في الآخرة، ولا يضرك في دين ولا دنيا، يعني بذلك الآلهة والأصنام، يقول: لا تعبدها راجيًا نفعها أو خائفًا ضرَّها، فإنها لا تنفع ولا تضر[1].

قَـوْلُـهُ: «﴿فَإِن فَعَلْتَ﴾»: أي ذلك، فدعوتها من دون الله[2].

قَـوْلُـهُ: «﴿فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾»: أي من المشركين بالله، الظالمي أنفُسِهم[3].

قَـوْلُـهُ: «﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ﴾»: أي وإن يصبك الله يا محمد بشدة أو بلاء[4].

قَـوْلُـهُ: «﴿فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ﴾»: أي فلا كاشف لذلك إلا ربّك الذي أصابك به دون ما يعبده هؤلاء المشركون من الآلهة والأنداد[5].

قَـوْلُـهُ: «﴿وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ﴾»: أي وإن يردك ربك برخاء، أو نعمة، وعافية، وسرور[6].

قَـوْلُـهُ: «﴿فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ﴾»: أي فلا يقدر أحدٌ أن يحول بينك وبين ذلك، ولا يردّك عنه، ولا يُحرِمُكَهُ؛ لأنه الذي بيده السراء والضراء، دون الآلهة والأوثان، ودون ما سواه[7].

قَـوْلُـهُ: «﴿يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾»: أي يصيب ربك يا محمد بالرخاء والبلاء والسراء والضراء من يشاء ويريد[8].

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١٥/ ٢١٨-٢١٩).
(٢) انظر: «تفسير الطبري» (١٥/ ٢١٩).
(٣) انظر: «تفسير الطبري» (١٥/ ٢١٩).
(٤) انظر: «تفسير الطبري» (١٥/ ٢١٩).
(٥) انظر: «تفسير الطبري» (١٥/ ٢١٩).
(٦) انظر: «تفسير الطبري» (١٥/ ٢١٩).
(٧) انظر: «تفسير الطبري» (١٥/ ٢١٩).
(٨) انظر: «تفسير الطبري» (١٥/ ٢١٩).

قال ابن كثير في تفسير ال آية: «هذا بيان؛ لأن الخير والشر والنفع والضر إنما هو راجع إلىٰ الله تعالىٰ وحده لا يشاركه في ذلك أحد، فهو الذي يستحق العبادة وحده، لا شريك له»[(١)].

قَولُه: «﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ﴾»: أي لذنوب من تاب وأناب وتوكل عليه[(٢)] من عباده من كفره وشركه إلىٰ الإيمان به وطاعته[(٣)].

قَولُه: «﴿ٱلرَّحِيمُ﴾»: أي بمن آمن به منهم وأطاعه أن يعذبه بعد التوبة والإنابة[(٤)].

قَولُه: «وقولُه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا﴾»: أي إن أوثانكم التي تعبدونها، لا تقدر أن ترزقكم شيئًا[(٥)].

قَولُه: «﴿فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ﴾»: أي فالتمسوا واطلبوا عند الله الرزق لا من عند أوثانكم تدركوا ما تبتغون من ذلك[(٦)]، فإن غيره لا يملك شيئًا[(٧)].

قَولُه: «﴿وَٱعْبُدُوهُ﴾»: أي وذِلوا له[(٨)] وحده[(٩)].

قَولُه: «﴿وَٱشْكُرُواْ لَهُۥٓ﴾»: أي علىٰ ما أنعم به عليكم[(١٠)]، وعلىٰ رزقه إياكم، ونعمه التي أنعمها عليكم، يقال: شكرته وشكرتُ له، والثانية أفصح من شكرته[(١١)].

---

(١) انظر: «تفسير ابن كثير» (٤/ ٣٠٠).
(٢) انظر: «تفسير ابن كثير» (٤/ ٣٠٠).
(٣) انظر: «تفسير الطبري» (١٥/ ٢١٩).
(٤) انظر: «تفسير الطبري» (١٥/ ٢١٩).
(٥) انظر: «تفسير الطبري» (٢٠/ ٢٠).
(٦) انظر: «تفسير الطبري» (٢٠/ ٢٠).
(٧) انظر: «تفسير ابن كثير» (٦/ ٢٩٦).
(٨) انظر: «تفسير الطبري» (٢٠/ ٢٠).
(٩) انظر: «تفسير ابن كثير» (٦/ ٢٩٦).
(١٠) انظر: «تفسير ابن كثير» (٦/ ٢٩٦).
(١١) انظر: «تفسير الطبري» (٢٠/ ٢٠).

قَوْلُهُ: «﴿إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾»: أي إلىٰ الله تُرَدّون من بعد مماتكم يوم القيامة، فيجازي كل عامل بعمله[١]، ويسألكم عما أنتم عليه من عبادتكم غيره وأنتم عباده وخلقه، وفي نعَمِه تتقلَّبون، ورزقه تأكلون[٢].

قَوْلُهُ: «وقولُه: ﴿وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّن يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾»: أي أيّ عبد أضلّ من عبد يدعو من دون الله[٣].

قَوْلُهُ: «﴿مَن لَّا يَسۡتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾»: أي آلهة لا تُجيب دعاءه أبدا؛ لأنها حجر أو خشب، أو نحو ذلك[٤].

قَوْلُهُ: «﴿وَهُمۡ عَن دُعَآئِهِمۡ غَٰفِلُونَ﴾»: أي وآلهتهم التي يدعونهم عن دعائهم إياهم في غفلة؛ لأنها لا تسمع ولا تنطق، ولا تعقل، وإنما هذا توبيخ من الله لهؤلاء المشركين لسوء رأيهم، وقُبح اختيارهم في عبادتهم مَن لا يعقل شيئًا ولا يفهم، وتركهم عبادةَ مَن جميعُ ما بهم مِن نعمتِه، ومن به استغاثتهم عندما ينزل بهم من الحوائج والمصائب[٥].

قال ابن كثير في تفسير الآية: «أي لا أضل ممن يدعو أصنامًا، ويطلب منها ما لا تستطيعه إلىٰ يوم القيامة، وهي غافلة عما يقول لا تسمع، ولا تبصر، ولا تبطش؛ لأنها جماد حجارة صم»[٦].

قَوْلُهُ: «﴿وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمۡ أَعۡدَآءً﴾»: أي وإذا جُمع الناس يوم القيامة لموقف الحساب، كانت هذه الآلهة التي يدعونها في الدنيا لهم أعداء؛ لأنهم يتبرؤون منهم[٧].

---

(١) انظر: «تفسير ابن كثير» (٦/ ٢٩٦).
(٢) انظر: «تفسير الطبري» (٢٠/ ٢٠).
(٣) انظر: «تفسير الطبري» (٢٢/ ٩٥).
(٤) انظر: «تفسير الطبري» (٢٢/ ٩٥).
(٥) انظر: «تفسير الطبري» (٢٢/ ٩٥).
(٦) انظر: «تفسير ابن كثير» (٧/ ٢٧٥).
(٧) انظر: «تفسير الطبري» (٢٢/ ٩٦).

قـولـه: «﴿وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمۡ كَٰفِرِينَ﴾»: أي وكانت آلهتهم التي يعبدونها في الدنيا بعبادتهم جاحدين؛ لأنهم يقولون يوم القيامة: ما أمرناهم بعبادتنا، ولا شعرنا بعبادتهم إيانا، تبرأنا إليك منهم يا ربنا(١).

وهذا كقوله تعالىٰ: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمۡ عِزّٗا ﴿٨١﴾ كَلَّاۚ سَيَكۡفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمۡ وَيَكُونُونَ عَلَيۡهِمۡ ضِدًّا ﴿٨٢﴾﴾ [مريم:٨١-٨٢]، أي: سيخونونهم متىٰ احتاجوا إليهم، وقال الخليل: ﴿إِنَّمَا ٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡثَٰنٗا مَّوَدَّةَ بَيۡنِكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ ثُمَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُ بَعۡضُكُم بِبَعۡضٖ وَيَلۡعَنُ بَعۡضُكُم بَعۡضٗا وَمَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾[العنكبوت:٢٥](٢).

قـولـه: «وقوله: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾»: أي أم ما تُشركون بالله خير، أم الذي يجيب المضطّر إذا دعاه، ويكشف السوء النازل به عنه؟(٣).

قـولـه: «﴿وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾»: أي الضرّ(٤).

قال ابن كثير في تفسير الآية: «ينبه تعالىٰ أنه هو المدعو عند الشدائد، المرجو عند النوازل، كما قال: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلۡبَحۡرِ ضَلَّ مَن تَدۡعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء:٦٧].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾﴾[النحل:٥٣].

وهكذا قال هاهنا: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ أي: من هو الذي لا يلجأ المضطر إلا إليه، والذي لا يكشف ضر المضرورين سواه»(٥).

---

(١) **انظر:** «تفسير الطبري» (٢٢/ ٩٦).

(٢) **انظر:** «تفسير ابن كثير» (٧/ ٢٧٥).

(٣) **انظر:** «تفسير الطبري» (١٩/ ٤٨٥).

(٤) **انظر:** «تفسير الطبري» (١٩/ ٤٨٥).

(٥) **انظر:** «تفسير ابن كثير» (٦/ ٢٠٣).

قَولُه: «﴿وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِ﴾»: أي ويستخلف بعد أمرائكم في الأرض منكم خلفاء أحياء يخلفونهم[(١)].

قال ابن كثير في تفسير الآية: «أي يخلُف قرنًا لقرن قبلهم وخلَفا لسلف، كما قال تعالىٰ: ﴿إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفۡ مِنۢ بَعۡدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوۡمٍ ءَاخَرِينَ﴾[الأنعام:١٣٣].

وقال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمۡ خَلَٰٓئِفَ ٱلۡأَرۡضِ وَرَفَعَ بَعۡضَكُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ﴾[الأنعام:١٦٥].

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗ﴾ [البقرة:٣٠].

وهكذا هذه الآية: ﴿وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: أمة بعد أمة، وجيلا بعد جيل، وقوما بعد قوم، ولو شاء لأوجدهم كلهم في وقت واحد، ولم يجعل بعضهم من ذرية بعض، بل لو شاء لخلقهم كلهم أجمعين كما خلق آدم من تراب»[(٢)].

قَولُه: «﴿أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِ﴾»: أي أإله مع الله سواه يفعل هذه الأشياء بكم، وينعم عليكم هذه النعم؟[(٣)].

قال ابن كثير في تفسير الآية: «أي: يقدر علىٰ ذلك، أو إله مع الله يُعبد، وقد علم أن الله هو المتفرد بفعل ذلك»[(٤)].

قَولُه: «وروى الطبرانيُّ بإسنادِه «أنَّه كانَ في زمنِ النبيِّ ﷺ منافقٌ يؤذِي المؤمنينَ، فقالَ بعضُهم»: أي بعض الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ.

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١٩/ ٤٨٥).
(٢) انظر: «تفسير ابن كثير» (٦/ ٢٠٥).
(٣) انظر: «تفسير الطبري» (١٩/ ٤٨٥).
(٤) انظر: «تفسير ابن كثير» (٦/ ٢٠٦).

قَوْلُهُ: «قُومُوا نَسْتَغِيثُ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ هَذَا المنَافِقِ»: أي نطلب من النبي ﷺ أن يزيل عنا أذى وشدة هذا المنافق.

قَوْلُهُ: «فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ»: أي لما ذهبوا إليه.

قَوْلُهُ: «إِنَّهُ لَا يُسْتَغَاثُ بِي، إِنَّمَا يُسْتَغَاثُ بِاللهِ»: هذا فيه أن الاستغاثة لا تجوز بغير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ إذا كان لا يقدر عليها إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.



فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: أَنَّ عَطْفَ الدُّعَاءِ عَلَى الِاسْتِغَاثَةِ مِنْ عَطْفِ الْعَامِّ عَلَى الخَاصِّ.

الثَّانِيَةُ: تَفْسِيرُ قَوْلِهِ: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾ [يونس:١٠٦].

الثَّالِثَةُ: أَنَّ هَذَا هُوَ الشِّرْكُ الْأَكْبَرُ.

الرَّابِعَةُ: أَنَّ أَصْلَحَ النَّاسِ لَوْ فَعَلَهُ إِرْضَاءً لِغَيْرِهِ صَارَ مِنَ الظَّالِمِينَ.

الخَامِسَةُ: تَفْسِيرُ الْآيَةِ الَّتِي بَعْدَهَا.

السَّادِسَةُ: كَوْنُ ذَلِكَ لَا يَنْفَعُ فِي الدُّنْيَا مَعَ كَوْنِهِ كُفْرًا.

السَّابِعَةُ: تَفْسِيرُ الْآيَةِ الثَّالِثَةِ.

الثَّامِنَةُ: أَنَّ طَلَبَ الرِّزْقِ لَا يَنْبَغِي إِلَّا مِنَ اللهِ، كَمَا أَنَّ الجَنَّةَ لَا تُطْلَبُ إِلَّا مِنْهُ.

التَّاسِعَةُ: تَفْسِيرُ الْآيَةِ الرَّابِعَةِ.

الْعَاشِرَةُ: أَنَّهُ لَا أَضَلَّ مِمَّنْ دَعَا غَيْرَ اللهِ.

الحَادِيَةَ عَشْرَةَ: أَنَّهُ غَافِلٌ عَنْ دُعَاءِ الدَّاعِي لَا يَدْرِي عَنْهُ.

الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ: أَنَّ تِلْكَ الدَّعْوَةَ سَبَبٌ لِبُغْضِ المَدْعُوِّ لِلدَّاعِي وَعَدَاوَتِهِ لَهُ.

الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ: تَسْمِيَةُ تِلْكَ الدَّعْوَةِ عِبَادَةً لِلْمَدْعُوِّ.

الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ: كُفْرُ المَدْعُوِّ بِتِلْكَ الْعِبَادَةِ.

الخَامِسَةَ عَشْرَةَ: هِيَ سَبَبُ كَوْنِهِ أَضَلَّ النَّاسِ.

السَّادِسَةَ عَشْرَةَ: تَفْسِيرُ الْآيَةِ الخَامِسَةِ.

السَّابِعَةَ عَشْرَةَ: الْأَمْرُ الْعَجِيبُ وَهُوَ إِقْرَارُ عَبَدَةِ الْأَوْثَانِ أَنَّهُ لَا يُجِيبُ المُضْطَرَّ إِلَى اللهِ، وَلِأَجْلِ هَذَا يَدْعُونَهُ فِي الشَّدَائِدِ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ.

الثَّامِنَةَ عَشْرَةَ: حِمَايَةُ المُصْطَفَى ﷺ حِمَى التَّوْحِيدِ وَالتَّأَدُّبُ مَعَ اللهِ.

الشَّرح

قَولُه: «الْأُولَى: أَنَّ عَطفَ الدُّعَاءِ عَلَى الِاسْتِغَاثَةِ مِنْ عَطفِ الْعَامِّ عَلَى الخَاصِّ»: العام هو الدعاء، والاستغاثة خاص.

قَولُه: «تَفْسِيرُ قَوْلِهِ: ﴿وَلَا تَدۡعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾»: أي لا تعبدها راجيا نفعها أو خائفا ضرَّها، فإنها لا تنفع ولا تضر.

قَولُه: «الثَّالِثَةُ: أَنَّ هَذَا هُوَ الشِّرْكُ الْأَكْبَرُ»: لقوله تعالىٰ: ﴿فَإِن فَعَلۡتَ فَإِنَّكَ إِذٗا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، أي من المشركين؛ فالظلم هنا بمعنىٰ الشرك الأكبر، كقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾[لقمان:١٣].

قَولُه: «الرَّابِعَةُ: أَنَّ أَصْلَحَ النَّاسِ لَوْ فَعَلَهُ إِرْضَاءً لِغَيْرِهِ، صَارَ مِنَ الظَّالِمِينَ»: لقوله تعالىٰ لنبيه ﷺ: ﴿فَإِن فَعَلۡتَ فَإِنَّكَ إِذٗا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

قَولُه: «الخَامِسَةُ: تَفْسِيرُ الْآيَةِ الَّتِي بَعْدَهَا»: أي قوله تعالىٰ: ﴿وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ﴾، أي فلا كاشف لذلك إلا ربك الذي أصابك به دون ما يعبده هؤلاء المشركون من الآلهة، والأنداد.

قَولُه: «السَّادِسَةُ: كَوْنُ ذَلِكَ لَا يَنْفَعُ فِي الدُّنْيَا مَعَ كَوْنِهِ كُفْرًا»: أي كون الدعاء كفرا كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرۡهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ١١٧﴾[المؤمنون:١١٧].

قَولُه: «السَّابِعَةُ: تَفْسِيرُ الْآيَةِ الثَّالِثَةِ»: أي قوله تعالىٰ: ﴿فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ وَٱعۡبُدُوهُ﴾[العنكبوت:١٧].

قَولُه: «الثَّامِنَةُ: أَنَّ طَلَبَ الرِّزْقِ لَا يَنْبَغِي إِلَّا مِنَ اللهِ، كَمَا أَنَّ الجَنَّةَ لَا تُطْلَبُ إِلَّا مِنْهُ»: لأن الله ﷻ قدم المعمول علىٰ العامل في قوله ﷻ: ﴿فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ وَٱعۡبُدُوهُ﴾[العنكبوت:١٧]، أي اطلبوا الرزق من الله لا من غيره ﷻ.

قَولُه: «التَّاسِعَةُ: تَفْسِيرُ الْآيَةِ الرَّابِعَةِ»: أي قوله تعالىٰ: ﴿وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّن

يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿٦﴾﴾ [الأحقاف: ٥-٦].

قَولُهُ: «الْعَاشِرَةُ: أَنَّهُ لَا أَضَلَّ مِمَّنْ دَعَا غَيْرَ اللهِ»: كما في قوله تعالىٰ: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾.

قَولُهُ: «الحَادِيَةَ عَشْرَةَ: أَنَّهُ غَافِلٌ عَنْ دُعَاءِ الدَّاعِي لَا يَدْرِي عَنْهُ»: كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ﴾.

قَولُهُ: «الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ: أَنَّ تِلْكَ الدَّعْوَةَ سَبَبٌ لِبُغْضِ المَدْعُوِّ لِلدَّاعِي وَعَدَاوَتِهِ لَهُ»: كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً﴾.

قَولُهُ: «الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ: تَسْمِيَةُ تِلْكَ الدَّعْوَةِ عِبَادَةً لِلْمَدْعُوِّ»: كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ﴾.

قَولُهُ: «الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ: كُفْرُ المَدْعُوِّ بِتِلْكَ الْعِبَادَةِ»: كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ﴾.

قَولُهُ: «الخَامِسَةَ عَشْرَةَ: هِيَ سَبَبُ كَوْنِهِ أَضَلَّ النَّاسِ»: كما في قوله تعالىٰ: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾.

قَولُهُ: «السَّادِسَةَ عَشْرَةَ: تَفْسِيرُ الْآيَةِ الخَامِسَةِ»: أي قوله تعالىٰ: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ﴾ [النمل: ٦٢].

قَولُهُ: «السَّابِعَةَ عَشْرَةَ: الْأَمْرُ الْعَجِيبُ، وَهُوَ إِقْرَارُ عَبَدَةِ الْأَوْثَانِ أَنَّهُ لَا يُجِيبُ المُضْطَرَّ إِلَّا اللهِ، وَلِأَجْلِ هَذَا يَدْعُونَهُ فِي الشَّدَائِدِ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ»: أي أن الكفار إذا سئلوا عن هذا أجابوا بأنه لا يقدر عليه إلا الله ﷻ، ويدعونه لذلك في الشدائد، ومع ذلك فهم يشركون به ﷻ، وهذا من العجب؛ لأن الإقرار بتوحيد الربوبية يلزم الإقرار بتوحيد الإلهية.

قَـوْلُـهُ: «الثَّامِنَةَ عَشْرَةَ: حِمَايَةُ المُصْطَفَى ﷺ حِمَى التَّوْحِيدِ وَالتَّأَدُّبُ مَعَ اللهِ»: كما في قوله ﷺ: «**إِنَّهُ لَا يُسْتَغَاثُ بِي، إِنَّمَا يُسْتَغَاثُ بِاللهِ**»، وذلك حماية لجناب التوحيد مع أنه يقدر علىٰ ما طلبوه.



[١٤] بابُ قولِ الله تعالى:

﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾﴾ [الأعراف:١٩١-١٩٢]

وقولُه: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾ [فاطر:١٣-١٤].

وفي الصَّحيحِ عَنْ أَنسٍ، قَالَ: «شُجَّ النبيُّ ﷺ يومَ أحدٍ، وكُسِرَتْ رَبَاعِيَّتُهُ، فَقَالَ: كيفَ يُفلِحُ قومٌ شجُّوا نبيَّهُمْ؟ فنزلَتْ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران:١٢٨]»[١].

وفيهِ عنِ ابنِ عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ سَمِعَ رَسولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ مِنَ الرَّكْعَةِ الآخِرَةِ مِنَ الفَجْرِ: «اللهُمَّ العَنْ فُلانًا وَفُلانًا» بَعْدَ مَا يَقُولُ: «سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ» فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران:١٢٨] الآيةَ[٢].

وَفِي رِوايةٍ: «يَدْعُو عَلَى صَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ، وَسُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو، وَالحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ، فَنَزَلَتْ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران:١٢٨]»[٣].

وفيهِ عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «قَامَ رَسولُ اللهِ ﷺ حينَ أُنزلَ عليهِ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشعراء:٢١٤]، فَقَالَ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ - أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا - اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا، يَا عَبَّاسُ بْنَ عَبْدِ

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٥/ ٩٩) معلقًا بصيغة الجزم.

(٢) صحيح: رواه البخاري (٤٠٦٩).

(٣) صحيح: رواه البخاري (٤٠٧٠) عن سالم بن عبد الله.

المُطَّلِبِ لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللهِ شَيْئًا، يَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئًا، وَيَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَلِينِي مِنْ مَالِي مَا شِئْتِ لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئًا»[١].

الشَّرْح

قَوْلُهُ: «بابُ قولِ اللهِ تعالى: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾»: أي أيشركون في عبادة الله، فيعبدون معه ما لا يخلق شيئًا، والله يخلقها وينشئها؟ وإنما العبادة الخالصة للخالق لا للمخلوق[٢].

قَوْلُهُ: «﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾»: أي أيشرك هؤلاء المشركون في عبادة الله ما لا يخلق شيئًا من خلق الله، ولا يستطيع أن ينصرهم إن أراد الله بهم سوءًا، أو أحلّ بهم عقوبة، ولا هو قادر إن أراد به سوءًا نصر نفسه ولا دفع ضر عنها؟ وإنما العابد يعبد ما يعبده لاجتلاب نفع منه أو لدفع ضر منه عن نفسه، وآلهتهم التي يعبدونها ويشركونها في عبادة الله لا تنفعهم ولا تضرهم، بل لا تجتلب إلىٰ نفسها نفعًا ولا تدفع عنها ضرًّا، فهي من نفع غير أنفسها أو دفع الضر عنها أبعدُ؟ يُعجِّب تبارك وتعالىٰ خلقه من عظيم خطأ هؤلاء الذين يشركون في عبادتهم اللهَ غيرَه[٣].

قال ابن كثير في تفسير الآيتين: **«هذا إنكار من الله علىٰ المشركين الذين عبدوا مع الله غيره، من الأنداد والأصنام والأوثان، وهي مخلوقة لله مربوبة مصنوعة، لا تملك شيئًا من الأمر، ولا تضر ولا تنفع، ولا تنصر، ولا تنتصر لعابديها، بل هي جماد لا تتحرك ولا تسمع ولا تبصر، وعابدوها أكمل منها بسمعهم وبصرهم وبطشهم؛ ولهذا قال: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ أي: أتشركون به من**

---

(١) **متفق عليه:** رواه البخاري (٢٧٥٣)، ومسلم (٢٠٦).
(٢) **انظر:** «تفسير الطبري» (١٣/ ٣١٨).
(٣) **انظر:** «تفسير الطبري» (١٣/ ٣١٩).

المعبودات ما لا يخلق شيئًا ولا يستطيع ذلك، كما قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾﴾ [الحج:٧٣-٧٤] أخبر تعالىٰ أنه لو اجتمعت آلهتهم كلها، ما استطاعوا خلق ذبابة، بل لو أستلبتهم الذبابة شيئًا من حقير المطاعم وطارت، لما استطاعوا إنقاذ ذلك منها، فمن هذه صفته وحاله، كيف يعبد ليرزق ويستنصر؟ ولهذا قال تعالىٰ: ﴿مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ أي: بل هم مخلوقون مصنوعون، كما قال الخليل: ﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾[الصافات:٩٥-٩٦].

ثم قال تعالىٰ: ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا﴾ أي: لعابديهم ﴿وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾ يعني: ولا لأنفسهم ينصرون ممن أرادهم بسوء»[(١)].

ومناسبة هذه الترجمة لما قبلها: أن المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ أراد أن يستدل بتوحيد الربوبية علىٰ توحيد الإلهية، فالذي له الربوبية المطلقة هو الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له.

قَـوْلُـهُ: «وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾»:

أي الذين تعبدون أيها الناس من الأنداد والأصنام التي هي علىٰ صورة من تزعمون من الملائكة المقربين[(٢)] -من دون ربكم الذي له الملك الكامل، والذي لا يشبهه ملك ما يملكون قشر نواة فما فوقها[(٣)]، أي: لا يملكون من السموات والأرض شيئًا، ولا بمقدار هذا القطمير[(٤)].

---

(١) **انظر**: «تفسير ابن كثير» (٣/ ٥٢٩).

(٢) **انظر**: «تفسير ابن كثير» (٦/ ٥٤٠).

(٣) **انظر**: «تفسير الطبري» (٢٠/ ٤٥١).

(٤) **انظر**: «تفسير ابن كثير» (٦/ ٥٤١).

قَوْلُهُ: «﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ﴾»: أي إن تدعوا أيها الناس هؤلاء الآلهة التي تعبدونها من دون الله لا يسمعوا دعاءكم؛ لأنها جماد لا أرواح فيها[١]، فلا تفهم عنكم ما تقولون[٢].

قَوْلُهُ: «﴿وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ﴾»: أي ولو سمعوا دعاءكم إياهم، وفهموا عنكم أنها قولكم، بأن جُعل لهم سمع يسمعون به، ما استجابوا لكم فلا يقدرون علىٰ ما تطلبون منها[٣]؛ لأنها ليست ناطقة، فكيف تعبدون من دون الله من هذه صفته، وهو لا نفع لكم عنده، ولا قدرة له علىٰ ضركم، وتدَعُون عبادة الذي بيده نفعكم وضركم، وهو الذي خلقكم وأنعم عليكم[٤].

قَوْلُهُ: «﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾»: أي يوم القيامة تتبرأ آلهتكم التي تعبدونها من دون الله من أن تكون لله شريكًا في الدنيا[٥]، كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَـٰفِلُونَ ۝٥ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَـٰفِرِينَ ۝٦﴾[الأحقاف:٥-٦].

وقال: ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا ۝٨١ كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ۝٨٢﴾[مريم:٨١-٨٢].

قَوْلُهُ: «﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾»: أي: ولا يخبرك بعواقب الأمور ومآلها وما تصير إليه، مِثْل خبير بها[٦]، فالله هو الخبير أنه سيكون هذا منهم يوم القيامة[٧].

---

(١) **انظر:** «تفسير ابن كثير» (٦/ ٥٤١).

(٢) **انظر:** «تفسير الطبري» (٢٠/ ٤٥٣).

(٣) **انظر:** «تفسير ابن كثير» (٦/ ٥٤١).

(٤) **انظر:** «تفسير الطبري» (٢٠/ ٤٥٣).

(٥) **انظر:** «تفسير الطبري» (٢٠/ ٤٥٣).

(٦) **انظر:** «تفسير ابن كثير» (٦/ ٥٤١).

(٧) **انظر:** «تفسير الطبري» (٢٠/ ٤٥٤).

قال قتادة: يعني نفسه تبارك وتعالىٰ، فإنه أخبر بالواقع لا محالة[(١)].

قَـوْلُـهُ: «وفي الصحيحِ»: أي صحيح البخاري.

قَـوْلُـهُ: «عن أنسٍ، قالَ: «شُجَّ النبيُّ ﷺ يومَ أُحدٍ»: أي رأسه[(٢)].

والشَّج في الرأس خاصة في الأصل، وهو أن يضربه بشيء فيجرحه فيه ويشقه، ثم استعمل في غيره من الأعضاء[(٣)].

قَـوْلُـهُ: «وكُسرتْ رَبَاعيَّتُهُ»: الرباعية هي السن التي تلي الثنية من كل جانب وللإنسان أربع رباعيات[(٤)].

قال القاضي عياض: «فيه ما ابتلىٰ به الأنبياء وأهل الفضل؛ لينالوا جزيل الأجر، ولتعلم أممهم وغيرهم ما أصابهم، ويتأسوا بهم، وليعلم أنهم من البشر يصيبهم محن الدنيا، ويطرأ علىٰ أجسامهم ما يطرأ علىٰ أجسام البشر؛ ليتحققوا أنهم مخلوقون مربوبون، ولا يدخل اللبس في المفعول بسبب ما ظهر علىٰ أيديهم من العجائب والآيات ما يشكك في بشريتهم، ويلبس الشيطان من أمرهم ما لبس به علىٰ النصارىٰ وأشباههم، حتىٰ اعتقدوا في عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه إله»[(٥)].

قَـوْلُـهُ: «فقالَ: كيفَ يفلحُ قومٌ شجُّوا نبيَّهم؟»: أي كانوا سببًا في شج رأسه ﷺ.

قَـوْلُـهُ: «فنزلت: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾»: أي ليس إليك يا محمد من أمر خلقي إلا أن تنفذ فيهم أمري، وتنتهيَ فيهم إلىٰ طاعتي، وإنما أمرهم إليّ والقضاء فيهم بيدي دون غيري، أقضىٰ فيهم وأحكمُ بالذي أشاء[(٦)].

---

(١) **انظر:** «تفسير ابن كثير» (٦/ ٥٤١).
(٢) **انظر:** «طرح التثريب في شرح التقريب»، للعراقي (٧/ ٢١١).
(٣) **انظر:** «النهاية في غريب الحديث» (٢/ ٤٤٥).
(٤) **انظر:** «شرح صحيح مسلم» (١٢/ ١٤٨).
(٥) **انظر:** «إكمال المعلِم بفوائد مسلم» (٦/ ١٦٤).
(٦) **انظر:** «تفسير الطبري» (٧/ ١٩٤).

قَولُهُ: «وفيه»: أي في صحيح البخاري.

قَولُهُ: «عن ابنِ عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه سمِع رسولَ اللهِ ﷺ يَقولُ: «إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ مِنَ الرَّكْعَةِ الآخِرَةِ مِنَ الفَجْرِ»»: أي بعد أن شج وكسرت رباعيته يوم أحد[١].

قَولُهُ: «اللهُمَّ»: أصلها يا الله، حذفت يا النداء، وعوض عنها بالميم.

قَولُهُ: «العَنْ»: اللعن: الطرد والإبعاد، ومن أبعده الله لم تلحقه رحمته وخلد في العذاب[٢].

قَولُهُ: «فُلانًا وَفُلانًا وَفُلانًا»: أي المذكورين في الرواية التالية.

قَولُهُ: «بَعْدَ مَا يَقُولُ: «سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ» فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾»: إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٢٨].

أي: بل الأمر كله إليَّ، فليس لك من الحكم شيء في عبادي إلا ما أمرتك به فيهم، أو يتوب عليهم مما هم فيه من الكفر ويهديهم بعد الضلالة، أو يعذبهم في الدنيا والآخرة علىٰ كفرهم وذنوبهم، وهم يستحقون ذلك[٣].

قَولُهُ: «وفي روايةٍ: «يَدْعُو عَلَىٰ صَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ، وَسُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو، وَالحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ»»: هؤلاء الثلاثة هداهم الله إلىٰ الإسلام بعد ذلك[٤].

قال العيني: «أما صفوان بن أمية بن خلف الجمحي القرشي فإنه هرب يوم الفتح، ثم رجع إلىٰ رسول الله ﷺ، فشهد معه حنينا والطائف وهو كافر، ثم أسلم بعد ذلك ومات بمكة سنة اثنتين وأربعين في أول خلافة معاوية.

---

(١) انظر: «إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري»، للقسطلاني (٦/ ٣٠٣).
(٢) انظر: «تهذيب اللغة»، مادة «لعن».
(٣) انظر: «تفسير ابن كثير» (٢/ ١١٤).
(٤) صحيح: رواه الترمذي (٣٠٠٥)، عن ابن عمر، وصححه الألباني.

وأما سهيل بن عمرو بن عبد شمس القرشي العامري فإنه كان أحد الأشراف من قريش وساداتهم في الجاهلية وأسر يوم بدر كافرا، ثم أسلم وحسن إسلامه، وكان كثير الصلاة والصوم والصدقة، وخرج إلىٰ الشام مجاهدا ومات هناك.

وأما الحارث بن هشام بن المغيرة القرشي المخزومي فإنه شهد بدرا كافرا مع أخيه شقيقه أبي جهل وفر حينئذ وقتل أخوه، ثم غزا أحدا مع المشركين أيضًا ثم أسلم يوم الفتح وحسن إسلامه وكان من فضلاء الصحابة وخيارهم ثم خرج إلىٰ الشام مجاهدا ولم يزل في الجهاد حتىٰ مات في طاعون عمواس سنة ثمان عشرة»[(١)].

قَوْلُهُ: «فَنَزَلَتْ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾»: إلىٰ قوله: ﴿فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [آل عمران:١٢٨].

قَوْلُهُ: «وفيه»: أي في صحيح البخاري، ومسلم.

قَوْلُهُ: «عن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «قامَ رسولُ اللهِ ﷺ حينَ أُنزلَ عليه: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾»»: أي أنذر يا رسولنا ﷺ عشيرتك من قومك الأقربين إليك قرابة، وحذّرهم من عذابنا أن ينزل بهم بكفرهم[(٢)].

قَوْلُهُ: «فقالَ: يَا مَعشرَ قريشٍ»: المعشر: كل جماعة أمرهم واحد؛ المسلمون معشر، والمشركون معشر، والإنس معشر، والجن معشر[(٣)]؛ يقال: جاء القوم معشر معشر، أي عشرة عشرة[(٤)].

قَوْلُهُ: «أو كلمةً نحوهَا»: أي مثلها.

قال ابن حجر: «وقع عند الْبَلَاذُرِيِّ من وجه آخر عن بن عباس أبين من هذا،

---

(١) انظر: «عمدة القاري شرح صحيح البخاري» (١٧/ ١٥٦).

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (١٩/ ٤٠٤).

(٣) انظر: «العين»، مادة «عشر».

(٤) انظر: «تهذيب اللغة»، مادة «عشر».

ولفظه: فقال: يا بني فهر فاجتمعوا، ثم قال: يا بني غالب، فرجع بنو محارب والحارث ابنا فهر، فقال: يا بني لؤي، فرجع بنو الْأَدْرَم بن غالب، فقال: يا آل كعب، فرجع بنو عدي وسهم وَجُمَحٍ، فقال: يا آل كِلَابٍ، فرجع بنو مخزوم وتيم، فقال: يا آل قصي، فرجع بنو زهرة، فقال: يا آل عبد مناف، فرجع بنو عبد الدار وعبد العزىٰ، فقال له أبو لهب: هؤلاء بنو عبد مناف عندك»[(١)].

قَوْلُهُ: «اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ»: أي من الله بأن تخلصوها من العذاب بإسلامكم[(٢)].

قَوْلُهُ: «لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا»: لا أدفع[(٣)].

قَوْلُهُ: «يَا عَبَّاسُ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللهِ شَيْئًا، يَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئًا، وَيَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ، سَلِينِي مِنْ مَالِي مَا شِئْتِ، لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئًا»: فيه من الفقه أن الاستئلاف للمسلمين وغيرهم بالمال جائز؛ لأنه إذا جاز أن يستألف المسلم بالمال حتىٰ يزداد بصيرة في الإسلام جاز أن يستألف الكافر حتىٰ يدخل في الإيمان، بل هو أوكد[(٤)].

---

(١) انظر: «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» (٨/ ٥٠٢-٥٠٣).

(٢) انظر: «إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري» (٥/ ١٤).

(٣) انظر: السابق (٥/ ١٤).

(٤) انظر: «شرح صحيح البخاري»، لابن بطال (٨/ ١٦٩).

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: تَفْسِيرُ الْآيَتَيْنِ.

الثَّانِيَةُ: قِصَّةُ أُحُدٍ.

الثَّالِثَةُ: قُنُوتُ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ، وَخَلْفَهُ سَادَاتُ الْأَوْلِيَاءِ يُؤَمِّنُونَ فِي الصَّلَاةِ.

الرَّابِعَةُ: أَنَّ الْمَدْعُوَّ عَلَيْهِمْ كُفَّارٌ.

الْخَامِسَةُ: أَنَّهُمْ فَعَلُوا أَشْيَاءَ مَا فَعَلَهَا غَالِبُ الْكُفَّارِ، مِنْهَا شَجُّهُمْ نَبِيَّهُمْ، وَحِرْصُهُمْ عَلَى قَتْلِهِ، وَمِنْهَا التَّمْثِيلُ بِالْقَتْلَى، مَعَ أَنَّهُمْ بَنُو عَمِّهِمْ.

السَّادِسَةُ: أَنْزَلَ اللهُ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾[آل عمران:١٢٨].

السَّابِعَةُ: قَوْلُهُ: ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ﴾ [آل عمران:١٢٨]، فَتَابَ عَلَيْهِمْ فَآمَنُوا.

الثَّامِنَةُ: الْقُنُوتُ فِي النَّوَازِلِ.

التَّاسِعَةُ: تَسْمِيَةُ الْمَدْعُوِّ عَلَيْهِمْ فِي الصَّلَاةِ بِأَسْمَائِهِمْ وَأَسْمَاءِ آبَائِهِمْ.

الْعَاشِرَةُ: لَعْنُ الْمُعَيَّنِ فِي الْقُنُوتِ.

الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ: قِصَّتُهُ ﷺ لَمَّا أُنْزِلَ عَلَيْهِ ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ (٢١٤)﴾ [الشعراء:٢١٤].

الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ: جِدُّهُ ﷺ فِي هَذَا الْأَمْرِ، بِحَيْثُ فَعَلَ مَا نُسِبَ بِسَبَبِهِ إِلَى الْجُنُونِ، وَكَذَلِكَ لَوْ يَفْعَلُهُ مُسْلِمٌ الْآنَ.

الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ: قَوْلُهُ لِلْأَبْعَدِ وَالْأَقْرَبِ: «لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللهِ شَيْئًا» حَتَّى قَالَ: «يَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ! لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئًا»[1]، فَإِذَا صَرَّحَ - وَهُوَ سَيِّدُ الْمُرْسَلِينَ - بِأَنَّهُ لَا يُغْنِي شَيْئًا عَنْ سَيِّدَةِ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ، وَآمَنَ الْإِنْسَانُ

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٢٧٥٣)، ومسلم (٢٠٦).

بِأَنَّهُ لَا يَقُولُ إِلَّا الحَقَّ، ثُمَّ نَظَرَ فِيمَا وَقَعَ فِي قُلُوبِ خَوَاصِّ النَّاسِ الْيَوْمَ، تَبَيَّنَ لَهُ تَرْكُ التَّوْحِيدِ وَغُرْبَةُ الدِّينِ.

الشَّرْح

قَوْلُهُ: «الْأُولَى: تَفْسِيرُ الْآيَتَيْنِ»: أي قوله تعالىٰ: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ...﴾ [الأعراف:١٩١-١٩٢].

وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ...﴾ [فاطر:١٣-١٤].

قَوْلُهُ: «الثَّانِيَةُ: قِصَّةُ أُحُدٍ»: أي غزوة أحد التي شجت فيها رأس النبي ﷺ، وكسرت رباعيته.

قَوْلُهُ: «الثَّالِثَةُ: قُنُوتُ سَيِّدِ المُرْسَلِينَ، وَخَلْفَهُ سَادَاتُ الْأَوْلِيَاءِ يُؤَمِّنُونَ فِي الصَّلَاةِ»: كما كان يفعل ﷺ، ويؤمن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ خلفه.

قَوْلُهُ: «الرَّابِعَةُ: أَنَّ المَدْعُوَّ عَلَيْهِمْ كُفَّارٌ»: أي الذين دعا عليهم النبي ﷺ كانوا كفارا في ذلك الوقت.

قَوْلُهُ: «الخَامِسَةُ: أَنَّهُمْ فَعَلُوا أَشْيَاءَ مَا فَعَلَهَا غَالِبُ الْكُفَّارِ، مِنْهَا شَجُّهُمْ نَبِيَّهُمْ، وَحِرْصُهُمْ عَلَى قَتْلِهِ، وَمِنْهَا التَّمْثِيلُ بِالْقَتْلَى، مَعَ أَنَّهُمْ بَنُو عَمِّهِمْ»: كما فعلوا في سيد الشهداء حمزة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قَوْلُهُ: «السَّادِسَةُ: أَنْزَلَ اللهُ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران:١٢٨]»: أي عواقب الأمور بيد الله، فامض أنت لشأنك ودم علىٰ الدعاء إلىٰ ربك[1].

قَوْلُهُ: «السَّابِعَةُ: قَوْلُهُ: ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ﴾ [آل عمران:١٢٨]، فَتَابَ

---

(١) انظر: «تفسير ابن عطية» (١/ ٥٠٦).

عَلَيْهِمْ فَآمَنُوا»: أي صفوان بن أمية، وسهيل بن عمرو، والحارث بن هشام.

قَولُه: «الثَّامِنَةُ: الْقُنُوتُ فِي النَّوَازِلِ»: أي فعل النبي ﷺ يدل على مشروعية القنوت إذا نزلت بالمسلمين نازلة.

قَولُه: «التَّاسِعَةُ: تَسْمِيَةُ المَدْعُوِّ عَلَيْهِمْ فِي الصَّلَاةِ بِأَسْمَائِهِمْ وَأَسْمَاءِ آبَائِهِمْ»: كما فعل النبي ﷺ.

قَولُه: «الْعَاشِرَةُ: لَعْنُ المُعَيَّنِ فِي الْقُنُوتِ»: هذا غريب، فإن أراد المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن هذا أمر وقع، ثم نهي عنه، فلا إشكال، وإن أراد أنه يستفاد من هذا جواز لعن المعين في القنوت أبدًا، فهذا فيه نظر؛ لأن النبي ﷺ نهىٰ عن ذلك[1].

قَولُه: «الحَادِيَةَ عَشْرَةَ: قِصَّتُهُ ﷺ لَمَّا أُنْزِلَ عَلَيْهِ ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾»: كما تقدم في الحديث، أنه قال: يا معشر قريش - أو كلمة نحوها - اشتروا أنفسكم، لا أغني عنكم من الله شيئًا، يا عباس بن عبد المطلب، لا أغني عنك من الله شيئًا، يا صفيةُ عمةَ رسول الله ﷺ، لا أغني عنك من الله شيئًا، ويا فاطمة بنت محمد، سليني من مالي ما شئت، لا أغني عنك من الله شيئًا.

قَولُه: «الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ: جِدُّهُ ﷺ فِي هَذَا الْأَمْرِ، بِحَيْثُ فَعَلَ مَا نُسِبَ بِسَبَبِهِ إِلَى الجُنُونِ، وَكَذَلِكَ لَوْ يَفْعَلُهُ مُسْلِمٌ الْآنَ»: أي لو أن مسلما فعل مثل ما فعل النبي ﷺ من الصدع بالحق، لنسبوا إليه الجنون.

قَولُه: «الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ: قَوْلُهُ لِلْأَبْعَدِ وَالْأَقْرَبِ: «لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللهِ شَيْئًا» حَتَّى قَالَ: «يَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ! لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللهِ شَيْئًا»، فَإِذَا صَرَّحَ - وَهُوَ سَيِّدُ المُرْسَلِينَ - بِأَنَّهُ لَا يُغْنِي شَيْئًا عَنْ سَيِّدَةِ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ، وَآمَنَ الْإِنْسَانُ بِأَنَّهُ لَا يَقُولُ إِلَّا الحَقَّ، ثُمَّ نَظَرَ فِيمَا وَقَعَ فِي قُلُوبِ خَوَاصِّ النَّاسِ

---

(١) انظر: «القول المفيد على كتاب التوحيد» (١/ ٣٠٣).

الْيَوْمَ، تَبَيَّنَ لَهُ تَرْكُ التَّوْحِيدِ وَغُرْبَةُ الدِّينِ»: أي أن الناس لو تأملوا قول النبي ﷺ هذا لما وقع الشرك منهم؛ إذ أن الإنسان لا ينفعه أقرب قريب إن كان على الشرك.



[١٥] بابُ قولِ اللهِ تعالى:

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ﴾ [سبأ:٢٣].

في الصَّحيحِ عنْ أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عنِ النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «إِذَا قَضَى اللهُ الأَمْرَ فِي السَّمَاءِ، ضَرَبَتِ المَلائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خُضْعَانًا لِقَوْلِهِ، كَأَنَّهُ سِلْسِلَةٌ عَلَى صَفْوَانٍ يَنْفُذُهُمْ ذَلك ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ﴾ [سبأ:٢٣]، فَيَسْمَعُهَا مُسْتَرِقُ السَّمْعِ، وَمُسْتَرِقُ السَّمْعِ هَكَذَا بَعْضُهُ فَوْقَ بَعْضٍ - وَوَصَفَهُ سُفْيَانُ بِكَفِّهِ فَحَرَفَهَا، وَبَدَّدَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ - فَيَسْمَعُ الكَلِمَةَ فَيُلْقِيهَا إِلَى مَنْ تَحْتَهُ، ثُمَّ يُلْقِيهَا الآخَرُ إِلَى مَنْ تَحْتَهُ، حَتَّى يُلْقِيَهَا عَلَى لِسَانِ السَّاحِرِ أَوِ الكَاهِنِ، فَرُبَّمَا أَدْرَكَ الشِّهَابُ قَبْلَ أَنْ يُلْقِيَهَا، وَرُبَّمَا أَلْقَاهَا قَبْلَ أَنْ يُدْرِكَهُ، فَيَكْذِبُ مَعَهَا مِائَةَ كَذْبَةٍ، فَيُقَالُ: أَلَيْسَ قَدْ قَالَ لَنَا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا: كَذَا وَكَذَا، فَيُصَدَّقُ بِتِلْكَ الكَلِمَةِ الَّتِي سَمِعَ مِنَ السَّمَاءِ»[(١)].

وعَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا أَرَادَ اللهُ تعالى أَنْ يُوحِيَ بِالْأَمْرِ تَكَلَّمَ بِالْوَحْيِ أَخَذَتِ السَّمَاوَاتُ مِنْهُ رَجْفَةً، أَوْ قَالَ: رِعْدَةً شَدِيدَةً، خَوْفًا مِنَ اللهِ، فَإِذَا سَمِعَ ذَلِكَ أَهْلُ السَّمَاوَاتِ صَعِقُوا، وَخَرُّوا للهِ سُجَّدًا، فَيَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَرْفَعُ رَأْسَهُ جِبْرِيلُ، فَيُكَلِّمُهُ اللهُ مِنْ وَحْيِهِ بِمَا أَرَادَ، ثُمَّ يَمُرُّ جِبْرِيلُ عَلَى المَلَائِكَةِ، كُلَّمَا مَرَّ بِسَمَاءٍ سَأَلَهُ مَلَائِكَتُهَا: مَاذَا قَالَ رَبُّنَا يَا جِبْرِيلُ؟ فَيَقُولُ جِبْرِيلُ: قَالَ: الحَقَّ، وَهُوَ العَلِيُّ الكَبِيرُ، فَيَقُولُونَ كُلُّهُمْ مِثْلَ مَا قَالَ جِبْرِيلُ، فَيَنْتَهِي جِبْرِيلُ بِالْوَحْيِ حَيْثُ أَمَرَهُ اللهُ»[(٢)].

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٤٨٠٠).

(٢) حسن بشواهده: رواه ابن جرير في «التفسير» (٢٠/ ٣٩٧)، وابن خزيمة في «التوحيد» (١/ ٣٤٨)، ورجاله ثقات.

الشَّـرح

قَـوْلُـهُ: «بابُ قولِ اللهِ تَعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ﴾»: أي حتىٰ إذا جُلِيَ عن قلوبهم وكشف عنها الفزع وذهب[1]، فالتفزيع: إزالة الفزع[2].

قَـوْلُـهُ: «﴿قَالُواْ﴾»: أي قالت الملائكة للذي فوقهم[3].

قَـوْلُـهُ: «﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡ﴾»: أي شيء قال ربكم؟[4]، وهذا مقام رفيع في العظم، وهو أنه تعالىٰ إذا تكلم بالوحي، سمع أهل السموات كلامه، أرعدوا من الهيبة حتىٰ يلحقهم مثل الغشي[5].

قَـوْلُـهُ: «﴿قَالُواْ ٱلۡحَقَّ﴾»: أي: أخبروا بما قال من غير زيادة ولا نقصان[6].

والقائلون هم المجيبون وهم الملائكة المقربون كجبريل وميكائيل وغيرهما[7].

قال ابن بطال: «فدل ذلك علىٰ أنهم سمعوا قولا لم يفهموا معناه من أجل فزعهم، فقالوا: ﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡ﴾، ولم يقولوا: ماذا خلق ربكم، وأكد ذلك بما حكاه عن الملائكة أيضًا ﴿قَالُواْ ٱلۡحَقَّ﴾ [سبأ: ٢٣]، والحق إحدىٰ صفتي القول الذىٰ لا يجوز علىٰ الله غيره؛ لأنه لا يجوز علىٰ كلامه الباطل، ولو كان القول منه خلقًا وفعلًا لقالوا حين سألوا ماذا قال، أخلق خلقًا كذا، إنسانًا، أو جبلًا، أو شيئًا

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٢٠/ ٣٩٥).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٦٧٩).

(٣) انظر: «شرح صحيح البخاري»، لابن بطال (١٠/ ٤٩٢)، و«عمدة القاري شرح صحيح البخاري» (١٩/ ١٠).

(٤) انظر: «عمدة القاري شرح صحيح البخاري» (١٩/ ١٠).

(٥) انظر: «تفسير ابن كثير» (٦/ ٥١٤).

(٦) انظر: «تفسير ابن كثير» (٦/ ٥١٤).

(٧) انظر: «عمدة القاري شرح صحيح البخاري» (١٩/ ١٠).

من المخلوقات، فلما وصفوا قوله بما يوصف به الكلام من الحق، لم يجز أن يكون القول بمعنىٰ الخلق والتكوين»[١].

قَـوْلُـهُ: «﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ﴾»: أي علىٰ كل شيء[٢].

قَـوْلُـهُ: «﴿ٱلْكَبِيرُ﴾»: أي الذي لا شيء دونه[٣].

فائدة: اختلف أهل التأويل في الموصوفين بهذه الصفة من هم؟

وما السبب الذي من أجله فزِّع عن قلوبهم؟ علىٰ أربعة أقوال:

القول الأول: الذي فزع عن قلوبهم الملائكة.

وإنما يفزَّع عن قلوبهم من غشيةٍ تصيبهم عند سماعهم كلامَ الله بالوحي.

القول الثاني: الموصوفون بذلك الملائكة، إنما يفزع عن قلوبهم فزعُهم من قضاء الله الذي يقضيه حذرًا أن يكون ذلك قيام الساعة.

القول الثالث: ذلك من فعل ملائكة السماوات إذا مرت بها المعقِّبات فزعًا أن يكون حدث أمر الساعة.

القول الرابع: الموصوفون بذلك المشركون يفزِّع الشيطان عن قلوبهم، ويقولون: ماذا قال ربكم؟ عند نزول المنية بهم.

وأولىٰ الأقوال في ذلك بالصواب القول الأول؛ لصحة الخبر الذي يؤيده عن رسول الله ﷺ[٤].

قال ابن كثير: «هذا هو الحق الذي لا مرية فيه، لصحة الأحاديث فيه، والآثار»[٥].

---

(١) انظر: «شرح صحيح البخاري»، لابن بطال (١٠/ ٤٩٢).

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (٢٠/ ٤٠٠).

(٣) انظر: «تفسير الطبري» (٢٠/ ٤٠٠).

(٤) انظر: «تفسير الطبري» (٢٠/ ٣٩٦-٤٠٠).

(٥) انظر: «تفسير ابن كثير» (٦/ ٥١٥).

قَولُه: «فِي الصحيح»: أي صحيح البخاري.

قَولُه: «عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبيِّ ﷺ قال: «إِذَا قَضَى اللهُ الأَمْرَ فِي السَّمَاءِ، ضَرَبَتِ المَلائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خُضْعَانًا»»: خضعانا بفتحتين من الخضوع، وفي رواية بضم أوله وسكون ثانيه وهو مصدر خضع يخضع خضوعا وخضعانا، كالغفران والكفران بمعنىٰ خاضعين[1]، وهو الانقياد والطاعة[2].

قَولُه: «لِقَوْلِهِ»: أي لقول الله عَزَّوَجَلَّ[3].

قَولُه: «كَأَنَّهُ»: أي القول المسموع[4].

قَولُه: «سِلْسِلَةٌ عَلَى صَفْوَانٍ»: أي صوت سلسلة علىٰ صفوان[5]، والصفوان: الحجر الأملس[6].

قَولُه: «يَنْفُذُهُمْ ذلك»: أي ينفذ الله ذلك القول إلىٰ الملائكة فيعمهم، أو من النفوذ أي ينفذ ذلك إليهم أو عليهم[7].

قَولُه: «﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ﴾ [سبأ:٢٣]، فَيَسْمَعُهَا»: أي يسمع تلك الكلمة، وهي القول الذي قال الله عَزَّوَجَلَّ[8].

قَولُه: «مُسْتَرِقُ السَّمْعِ، وَمُسْتَرِقُ السَّمْعِ هَكَذَا بَعْضُهُ فَوْقَ بَعْضٍ»: هذا

---

(١) انظر: «النهاية في غريب الحديث» (٢/ ٤٣)، و«فتح الباري بشرح صحيح البخاري» (٨/ ٥٣٨).
(٢) انظر: «عمدة القاري شرح صحيح البخاري» (١٩/ ٩).
(٣) انظر: «عمدة القاري شرح صحيح البخاري» (١٩/ ٩).
(٤) انظر: «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» (٨/ ٥٣٨).
(٥) انظر: «عمدة القاري شرح صحيح البخاري» (١٩/ ١٠).
(٦) انظر: «النهاية في غريب الحديث» (٣/ ٤١).
(٧) انظر: «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» (١٣/ ٤٥٨).
(٨) انظر: «عمدة القاري شرح صحيح البخاري» (١٩/ ١٠).

بيان كيفية المستمعين بركوب بعضهم علىٰ بعض[(١)].

قَولُه: «وَوَصَفَهُ سُفْيَانُ بِكَفِّهِ فَحَرَفَهَا»: أي بيَّن ركوب بعضهم فوق بعض بأصابعه[(٢)].

قَولُه: «وَبَدَّدَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ»: أَيْ فَرَّقَ[(٣)].

قَولُه: «فَيَسْمَعُ الكَلِمَةَ فَيُلْقِيهَا إِلَى مَنْ تَحْتَهُ، ثُمَّ يُلْقِيهَا الآخَرُ إِلَى مَنْ تَحْتَهُ، حَتَّى يُلْقِيَهَا عَلَى لِسَانِ السَّاحِرِ أَوِ الكَاهِنِ»: الساحر هو المنجم[(٤)].

قَولُه: «فَرُبَّمَا أَدْرَكَ الشِّهَابُ قَبْلَ أَنْ يُلْقِيَهَا»: الشهَاب هُوَ النَّار، وَقيل: هُوَ كواكب تضيء، قَالَ الله تَعالَىٰ: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِزِينَةٍ ٱلۡكَوَاكِبِ ۝٦ وَحِفۡظٗا مِّن كُلِّ شَيۡطَٰنٖ مَّارِدٖ ۝٧﴾ [الصافات:٦-٧]، وسمىٰ شهابًا لبريقه وَشبهه بالنَّار، وَقيل: الشهَاب شعلة نَار[(٥)].

قَولُه: «وَرُبَّمَا أَلْقَاهَا قَبلَ أَنْ يُدْرِكَهُ»: أي الشهاب.

قَولُه: «فَيَكْذِبُ مَعَهَا مِائَةَ كَذْبَةٍ»: أَي فيكذب الساحر مع تلك الكلمة الملقاة علىٰ فمه[(٦)].

قَولُه: «فَيُقَالُ»: أَي يقول السامعون منه[(٧)].

قَولُه: «أَلَيْسَ قَدْ قَالَ لَنَا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا: كَذَا وَكَذَا»: كناية عن الخرافات التي يذكرها الساحر[(٨)].

---

(١) انظر: «عمدة القاري شرح صحيح البخاري» (١٩/ ١٠).
(٢) انظر: «عمدة القاري شرح صحيح البخاري» (١٩/ ١٠).
(٣) انظر: «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» (٨/ ٥٣٨).
(٤) انظر: «عمدة القاري شرح صحيح البخاري» (١٩/ ١٠).
(٥) انظر: «عمدة القاري شرح صحيح البخاري» (١٩/ ١٠).
(٦) انظر: «عمدة القاري شرح صحيح البخاري» (١٩/ ١٠).
(٧) انظر: «عمدة القاري شرح صحيح البخاري» (١٩/ ١٠).
(٨) انظر: «عمدة القاري شرح صحيح البخاري» (١٩/ ١٠).

قَوْلُهُ: «فَيُصَدَّقُ»: أي لأجل الكلمة التي سُمِعت من السماء جعلوا كل أخباره حقا[١].

قَوْلُهُ: «بِتِلْكَ الكَلِمَةِ الَّتِي سَمِعَ مِنَ السَّمَاءِ»: أي فيصدق الساحر في كذباته[٢].

قَوْلُهُ: «وعَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سِمْعَانَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا أَرَادَ اللهُ تعالى أَنْ يُوحِيَ بِالْأَمْرِ تَكَلَّمَ بِالْوَحْيِ أَخَذَتِ السَّمَاوَاتُ مِنْهُ رَجْفَةٌ»»: الرجفة: الزلزلة[٣].

قَوْلُهُ: «أَوْ قَالَ: رِعْدَةٌ شَدِيدَةٌ»: أي اضطراب شديد[٤]، وهذا شك من الراوي.

قَوْلُهُ: «خَوْفًا مِنَ اللهِ، فَإِذَا سَمِعَ ذَلِكَ أَهْلُ السَّمَاوَاتِ صَعِقُوا»: الصعق: أن يغشىٰ علىٰ الإنسان من صوت شديد يسمعه، وربما مات منه، ثم استعمل في الموت كثيرا[٥].

قَوْلُهُ: «وَخَرُّوا للهِ سُجَّدًا، فَيَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَرْفَعُ رَأْسَهُ جِبْرِيلُ، فَيُكَلِّمُهُ اللهُ مِنْ وَحْيِهِ بِمَا أَرَادَ، ثُمَّ يَمُرُّ جِبْرِيلُ عَلَى الملَائِكَةِ، كُلَّمَا مَرَّ بِسَمَاءٍ سَأَلَهُ مَلَائِكَتُهَا: مَاذَا قَالَ رَبُّنَا يَا جِبْرِيلُ؟ فَيَقُولُ جِبْرِيلُ: قَالَ: الحَقَّ، وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ، فَيَقُولُونَ كُلُّهُمْ مِثْلَ مَا قَالَ جِبْرِيلُ، فَيَنْتَهِي جِبْرِيلُ بِالْوَحْيِ حَيْثُ أَمَرَهُ اللهُ»: هذا الحديث مفسر للحديث السابق، والمعنىٰ أن الله تبارك وتعالىٰ إذا تكلم بالوحي أرعد أهل السماوات من الهيبة فيلحقهم كالغشي فإذا جلىٰ عن

---

(١) انظر: «عمدة القاري شرح صحيح البخاري» (١٩/ ١٠).
(٢) انظر: «عمدة القاري شرح صحيح البخاري» (١٩/ ١٠).
(٣) انظر: «تهذيب اللغة»، مادة «رجف».
(٤) انظر: «القاموس المحيط»، مادة «رعد».
(٥) انظر: «النهاية في غريب الحديث» (٣/ ٣٢).

قلوبهم سأل بعضهم بعضا ماذا قال ربكم؟ قالوا القول الحق أي المطابق للواقع يعني أخبر بعضهم بعضا بما قال الله تعالىٰ من غير زيادة ونقصان[١].



(١) انظر: «عون المعبود» (١٣/ ٤٨).

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: تَفْسِيرُ الْآيَةِ.

الثَّانِيَةُ: مَا فِيهَا مِنَ الْحُجَّةِ عَلَى إِبْطَالِ الشِّرْكِ، خُصُوصًا مَا تَعَلَّقَ عَلَى الصَّالِحِينَ، وَهِيَ الْآيَةُ الَّتِي قِيلَ إِنَّهَا تَقْطَعُ عُرُوقَ شَجَرَةِ الشِّرْكِ مِنَ الْقَلْبِ.

الثَّالِثَةُ: تَفْسِيرُ قَوْلِهِ: ﴿قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [سبأ:٢٣].

الرَّابِعَةُ: سَبَبُ سُؤَالِهِمْ عَنْ ذَلِكَ.

الْخَامِسَةُ: أَنَّ جِبْرِيلَ يُجِيبُهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: «قَالَ كَذَا وَكَذَا».

السَّادِسَةُ: ذِكْرُ أَنَّ أَوَّلَ مَنْ يَرْفَعُ رَأْسَهُ جِبْرِيلُ.

السَّابِعَةُ: أَنَّهُ يَقُولُ لِأَهْلِ السَّمَوَاتِ كُلِّهِمْ؛ لِأَنَّهُمْ يَسْأَلُونَهُ.

الثَّامِنَةُ: أَنَّ الْغَشْيَ يَعُمُّ أَهْلَ السَّمَوَاتِ كُلَّهُمْ.

التَّاسِعَةُ: ارْتِجَافُ السَّمَوَاتِ لِكَلَامِ اللهِ.

الْعَاشِرَةُ: أَنَّ جِبْرِيلَ هُوَ الَّذِي يَنْتَهِي بِالْوَحْيِ إِلَى حَيْثُ أَمَرَهُ اللهُ.

الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ: ذِكْرُ اسْتِرَاقِ الشَّيَاطِينِ.

الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ: صِفَةُ رُكُوبِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا.

الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ: إِرْسَالُ الشِّهَابِ.

الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ: أَنَّهُ تَارَةً يُدْرِكُهُ الشِّهَابُ قَبْلَ أَنْ يُلْقِيَهَا، وَتَارَةً يُلْقِيهَا فِي أُذُنِ وَلِيِّهِ مِنَ الْإِنْسِ قَبْلَ أَنْ يُدْرِكَهُ.

الْخَامِسَةَ عَشْرَةَ: كَوْنُ الْكَاهِنِ يَصْدُقُ بَعْضَ الْأَحْيَانِ.

السَّادِسَةَ عَشْرَةَ: كَوْنُهُ يَكْذِبُ مَعَهَا مِائَةَ كَذْبَةٍ.

السَّابِعَةَ عَشْرَةَ: أَنَّهُ لَمْ يُصَدَّقْ كَذِبُهُ إِلَّا بِتِلْكَ الْكَلِمَةِ الَّتِي سُمِعَتْ مِنَ السَّمَاءِ.

الثَّامِنَةَ عَشْرَةَ: قَبولُ النُّفوسِ لِلْبَاطِلِ، كَيْفَ يَتعَلَّقونَ بِوَاحِدَةٍ، ولَا يُعْتَبَرُونَ بِمِائَةٍ؟.

التَّاسِعَةَ عَشْرَةَ: كَوْنُهُمْ يَتَلَقَّى بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ تِلْكَ الْكَلِمَةَ، وَيَحْفَظُونَهَا، وَيَسْتَدِلُّونَ بِهَا.

الْعِشْرُونَ: إِثْبَاتُ الصِّفَاتِ خِلَافًا لِلْأَشْعَرِيَّةِ المُعَطِّلَةِ.

الحَادِيَةُ وَالْعِشْرُونَ: التَّصْرِيحُ بِأَنَّ تِلْكَ الرَّجْفَةَ وَالْغَشْيَ خَوْفًا مِنَ اللهِ.

الثَّانِيَةُ وَالْعِشْرُونَ: أَنَّهُمْ يَخِرُّونَ للهِ سُجَّدًا.

الشَّرح

قَولُهُ: «الْأُولَى: تَفْسِيرُ الْآيَةِ»: أي قوله تعالىٰ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ﴾[سبأ:٢٣].

قَولُهُ: «الثَّانِيَةُ: مَا فِيهَا مِنَ الحُجَّةِ عَلَى إِبْطَالِ الشِّرْكِ، خُصُوصًا مَا تَعَلَّقَ عَلَى الصَّالِحِينَ، وَهِيَ الْآيَةُ الَّتِي قِيلَ إِنَّهَا تَقْطَعُ عُرُوقَ شَجَرَةِ الشِّرْكِ مِنَ الْقَلْبِ»: لأنهم لا يملكون الشفاعة إلا بإذن الله.

وتبطل هذه الآية الشرك من ناحية أنها تبين أن الملائكة لا تملك شيئًا، وأنها تسمع وتطيع لله، ولا تنفع شيئًا من دون الله.

قَولُهُ: «الثَّالِثَةُ: تَفْسِيرُ قَوْلِهِ: ﴿قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ﴾»: أي أن الله ﷻ لا يقول إلا الحق، وهو عال علىٰ عرشه علو قهر، وعلو شأن، وعلو ذات.

قَولُهُ: «الرَّابِعَةُ: سَبَبُ سُؤَالِهِمْ عَنْ ذَلِكَ»: هو أنهم لم يفهموا ما قاله الله فيسألون عنه.

قَولُهُ: «الخَامِسَةُ: أَنَّ جِبْرِيلَ يُجِيبُهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ بِقَولِهِ: «قَالَ كَذَا وَكَذَا»»: لأنه الموكل بالوحي من عند الله ﷻ.

قَوْلُهُ: «السَّادِسَةُ: ذِكْرُ أَنَّ أَوَّلَ مَنْ يَرْفَعُ رَأْسَهُ جِبْرِيلُ»: هذا يدل على أن جبريل أفضل الملائكة عَلَيْهِمْ السَّلَامُ.

قَوْلُهُ: «السَّابِعَةُ: أَنَّهُ يَقُولُ لِأَهْلِ السَّمَوَاتِ كُلِّهِمْ؛ لِأَنَّهُمْ يَسْأَلُونَهُ»: كما في الحديث: «كُلَّمَا مَرَّ بِسَمَاءٍ سَأَلَهُ مَلَائِكَتُهَا: مَاذَا قَالَ رَبُّنَا يَا جِبْرِيلُ؟ فَيَقُولُ جِبْرِيلُ: قَالَ: الحَقَّ».

قَوْلُهُ: «الثَّامِنَةُ: أَنَّ الْغَشْيَ يَعُمُّ أَهْلَ السَّمَوَاتِ كُلَّهُمْ»: كما في قوله ﷺ: «إِذَا قَضَى اللهُ الأَمْرَ فِي السَّمَاءِ، ضَرَبَتِ المَلَائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خُضْعَانًا لِقَوْلِهِ، كَأَنَّهُ سِلْسِلَةٌ عَلَى صَفْوَانٍ ينفذهم ذلك».

قَوْلُهُ: «التَّاسِعَةُ: ارْتِجَافُ السَّمَوَاتِ لِكَلَامِ اللهِ»: كما في قوله ﷺ: «أَخَذَتِ السَّمَاوَاتُ مِنْهُ رَجْفَةً، أَوْ قَالَ: رِعْدَةً شَدِيدَةً، خَوْفًا مِنَ اللهِ، فَإِذَا سَمِعَ ذَلِكَ أَهْلُ السَّمَاوَاتِ صَعِقُوا».

قَوْلُهُ: «الْعَاشِرَةُ: أَنَّ جِبْرِيلَ هُوَ الَّذِي يَنْتَهِي بِالْوَحْيِ إِلَى حَيْثُ أَمَرَهُ اللهُ»: كما في قوله ﷺ: «فَيَنْتَهِي جِبْرِيلُ بِالْوَحْيِ حَيْثُ أَمَرَهُ اللهُ».

قَوْلُهُ: «الحَادِيَةَ عَشْرَةَ: ذِكْرُ اسْتِرَاقِ الشَّيَاطِينِ»: كما في الحديث يركب بعضهم فوق بعض فيسمعون الكلمة.

قَوْلُهُ: «الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ: صِفَةُ رُكُوبِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا»: كما وصفه سفيان بكفه فحرفها وبدد بين أصابعه.

قَوْلُهُ: «الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ: إِرْسَالُ الشِّهَابِ»: أي إذا سمع الشيطان الكلمة.

قَوْلُهُ: «الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ: أَنَّهُ تَارَةً يُدْرِكُهُ الشِّهَابُ قَبْلَ أَنْ يُلْقِيَهَا، وَتَارَةً يُلْقِيهَا فِي أُذُنِ وَلِيِّهِ مِنَ الْإِنْسِ قَبْلَ أَنْ يُدْرِكَهُ»: كما في الحديث: «فَرُبَّمَا أَدْرَكَ الشِّهَابُ قَبْلَ أَنْ يُلْقِيَهَا، وَرُبَّمَا أَلْقَاهَا قَبْلَ أَنْ يُدْرِكَهُ».

قَوْلُهُ: «الخَامِسَةَ عَشْرَةَ: كَوْنُ الْكَاهِنِ يَصْدُقُ بَعْضَ الْأَحْيَانِ»: لأنه يسمع

الكلمة من الشيطان التي سمعها من السماء.

قَوْلُهُ: «السَّادِسَةَ عَشْرَةَ: كَوْنُهُ يَكْذِبُ مَعَهَا مِائَةَ كَذْبَةٍ»: كما في الحديث «فَيَكْذِبُ مَعَهَا مِائَةَ كَذْبَةٍ».

قَوْلُهُ: «السَّابِعَةَ عَشْرَةَ: أَنَّهُ لَمْ يُصَدَّقْ كَذِبُهُ إِلَّا بِتِلْكَ الْكَلِمَةِ الَّتِي سُمِعَتْ مِنْ السَّمَاءِ»: لأجل جهلهم بحقيقتهم، وبعدهم عن التوحيد.

قَوْلُهُ: «الثَّامِنَةَ عَشْرَةَ: قَبُولُ النُّفُوسِ لِلْبَاطِلِ، كَيْفَ يَتَعَلَّقُونَ بِوَاحِدَةٍ، وَلَا يَعْتَبِرُونَ بِمِائَةٍ؟»: لتزيين الشيطان الباطل لهم، فرضوا به واقتنعوه.

قَوْلُهُ: «التَّاسِعَةَ عَشْرَةَ: كَوْنُهُمْ يَتَلَقَّى بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ تِلْكَ الْكَلِمَةَ، وَيَحْفَظُونَهَا وَيَسْتَدِلُّونَ بِهَا»: لأجل أنها صدق.

قَوْلُهُ: «الْعِشْرُونَ: إِثْبَاتُ الصِّفَاتِ خِلَافًا لِلْأَشْعَرِيَّةِ الْمُعَطِّلَةِ»: مثل صفة الكلام، وأن الله يتكلم بصوت يسمع، ومثل صفة علو الله ﷻ، وهذه الصفات أنكرتها الأشعرية، والمعتزلة، والجهمية، وغيرهم من المعطلة.

قَوْلُهُ: «الْحَادِيَةُ وَالْعِشْرُونَ: التَّصْرِيحُ بِأَنَّ تِلْكَ الرَّجْفَةَ وَالْغَشْيَ خَوْفًا مِنَ اللهِ»: أي لأجل أن السماوات تخاف الله ﷻ.

قَوْلُهُ: «الثَّانِيَةُ وَالْعِشْرُونَ: أَنَّهُمْ يَخِرُّونَ للهِ سُجَّدًا»: كما في الحديث «فَإِذَا سَمِعَ ذَلِكَ أَهْلُ السَّمَاوَاتِ صَعِقُوا، وَخَرُّوا للهِ سُجَّدًا».



[١٦] بَابُ الشَّفَاعَةِ

وَقَوْلِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾ [الأنعام:٥١].

وَقَوْلِهِ: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزُّمَر:٤٤].

وَقَوْلِهِ: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة:٢٥٥].

وَقَوْلِهِ: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾ [النجم:٢٦].

وَقَوْلِهِ: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُواْ ٱلْحَقَّ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾﴾ [سبأ:٢٢-٢٣].

قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ: نَفَى اللهُ عَمَّا سِوَاهُ كُلَّ مَا يَتَعَلَّقُ بِهِ المشْرِكُونَ، فَنَفَى أَنْ يَكُونَ لِغَيْرِهِ مُلْكٌ أَوْ قِسْطٌ مِنْهُ، أَوْ يَكُونَ عَوْنًا للهِ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الشَّفَاعَةُ، فَبَيَّنَ أَنَّهَا لَا تَنْفَعُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّبُّ؛ كَمَا قَالَ: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء:٢٨].

فَهَذِهِ الشَّفَاعَةُ الَّتِي يَظُنُّهَا المشْرِكُونَ هِيَ مُنْتَفِيَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ كَمَا نَفَاهَا الْقُرْآنُ، وَأَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَنَّهُ يَأْتِي فَيَسْجُدُ لِرَبِّهِ وَيَحْمَدُهُ -لَا يَبْدَأُ بِالشَّفَاعَةِ أَوَّلًا- ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ»[(١)].

وَقَالَ لَهُ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ؟ قَالَ: «مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٧٤٤٠)، ومسلم (١٩٤)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

إِلَّا اللهُ، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ»[١]، فَتِلْكَ الشَّفَاعَةُ لِأَهْلِ الْإِخْلَاصِ بِإِذْنِ اللهِ، وَلَا تَكُونُ لِمَنْ أَشْرَكَ بِاللهِ.

وَحَقِيقَتُهُ أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ هُوَ الَّذِي يَتَفَضَّلُ عَلَى أَهْلِ الْإِخْلَاصِ، فَيَغْفِرُ لَهُمْ بِوَاسِطَةِ دُعَاءِ مَنْ أَذِنَ لَهُ أَنْ يَشْفَعَ؛ لِيُكْرِمَهُ، وَيَنَالَ الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ.

فَالشَّفَاعَةُ الَّتِي نَفَاهَا الْقُرْآنُ مَا كَانَ فِيهَا شِرْكٌ، وَلِهَذَا أَثْبَتَ الشَّفَاعَةَ بِإِذْنِهِ فِي مَوَاضِعَ وَقَدْ بَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّهَا لَا تَكُونُ إِلَّا لِأَهْلِ الْإِخْلَاصِ وَالتَّوْحِيدِ انْتَهَى كَلَامُهُ[٢].

الشَّرْح

قَوْلُهُ: «بَابُ الشَّفَاعَةِ»: أي هذا باب ذكر الشفاعة المثبتة، والشفاعة المنفية.

والشفاعة: لغة: مأخوذة من الشفع، والشفع خلاف الوتر؛ تقول: كان فردا فَشَفَعْتُهُ[٣]، والحق أنها مشتقة من الشفع الذي ضد الوتر، فكأن الشافع ضم سؤاله إلىٰ سؤال المشفوع له[٤].

والشَّفاعة: الانضمام إلىٰ آخر ناصرًا له وسائلًا عنه، وأكثر ما يستعمل في انضمام من هو أعلىٰ حرمة ومرتبة إلىٰ من هو أدنىٰ، ومنه: الشفاعة في القيامة[٥].

وقيل: هي انضمام الأدنىٰ إلىٰ الأعلىٰ ليستعين به علىٰ ما يرومه[٦].

والشافع: الطالب لغيره يتشفع به إلىٰ المطلوب، يقال: تشفعت بفلان إلىٰ فلان فشفعني فيه[٧].

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٩٩).
(٢) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (٧/ ٧٧-٧٨).
(٣) انظر: «مقاييس اللغة»، مادة «شفع».
(٤) انظر: «لوامع الأنوار البهية» (٢/ ٢٠٤).
(٥) انظر: «المفردات في غريب القرآن»، صـ(٤٥٧-٤٥٨).
(٦) انظر: «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» (١١/ ٤٣٣).
(٧) انظر: «لسان العرب»، مادة «شفع».

واصطلاحًا: هي السؤال في التجاوز عن الذنوب والجرائم بينهم[(١)].

وقيل: هي السؤال في التجاوز عن الذنوب من الذي وقعت الجناية في حقه[(٢)].

وقيل: سؤال الخير للغير[(٣)].

فائدة [١]: الشفاعة نوعان[(٤)]:

أحدهما: شفاعة مثبتة، هي التي أثبتها الله في كتابه، وعلقها بأمرين: رضاه عن المشفوع له، وإذنه للشافع، فمتىٰ لم يوجد مجموع الأمرين لم توجد الشفاعة.

كما قال تعالىٰ: ﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ إِذۡنِهِۦ﴾[يونس:٣].

وقال: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ﴾[البقرة:٢٥٥].

الثاني: شفاعة منفية، وهيٰ التي أبطلها الله سبحانه في كتابه، بقوله تعالىٰ: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٞ﴾ [البقرة:١٢٣].

وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٥٤﴾[البقرة:٢٥٤].

وقال تعالىٰ: ﴿وَأَنذِرۡ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحۡشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ لَيۡسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيّٞ وَلَا شَفِيعٞ لَّعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ٥١﴾[الأنعام:٥١].

وهذه الشفاعة شركية أثبتها المشركون، والنصارىٰ، ومن وافقهم من هذه الأمة، مثل أنهم يطلبون من الأنبياء والصالحين الغائبين والميتين قضاء حوائجهم،

---

(١) **انظر:** «النهاية في غريب الحديث» (٢/ ٤٨٥).

(٢) **انظر:** «التعريفات»، للجرجاني، صـ (١٢٧).

(٣) **انظر:** «لوامع الأنوار البهية» (٢/ ٢٠٤).

(٤) **انظر:** «إغاثة اللهفان»، لابن القيم (١/ ٢٢٠-٢٢١)، و«الفتاوىٰ الكبرىٰ»، لابن تيمية (٣/ ٤٨-٤٩).

ويقولون: إنهم إذا أرادوا ذلك قضوها، ويقولون: إنهم عند الله تعالىٰ كخواص الملوك عند الملوك، يشفعون بغير إذن الملوك، ولهم علىٰ الملوك إدلال يقضون به حوائجهم، فيجعلونهم لله تعالىٰ بمنزلة شركاء الملك، وبمنزلة أولاده.

فائدة [٢]: افترق الناس في الشفاعة ثلاث فرق: طرفان، ووسط[(١)]:

الأول: المشركون ومن وافقهم من مبتدعة أهل الكتاب، كالنصارىٰ، ومبتدعة هذه الأمة: أثبتوا الشفاعة التي هي شرك التي نفاها القرآن، كشفاعة المخلوق عند المخلوق، كما يشفع عند الملوك خواصهم لحاجة الملوك إلىٰ ذلك، فيسألونهم بغير إذنهم، وتجيب الملوك سؤالهم لحاجتهم إليهم.

وهؤلاء مشركون كفار؛ لأن الله تعالىٰ لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه، ولا يحتاج إلىٰ أحد من خلقه، بل من رحمته وإحسانه إجابة دعاء الشافعين، وهو سبحانه أرحم بعباده من الوالدة بولدها.

الثاني: الخوارج والمعتزلة: أنكروا شفاعة نبينا ﷺ في أهل الكبائر من أمته، وأنكروا الشفاعة بقوله تعالىٰ: ﴿مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞ﴾[البقرة:٢٥٤].

وبقوله تعالىٰ: ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ حَمِيمٖ وَلَا شَفِيعٖ يُطَاعُ﴾ [غافر:١٨]، ونحو ذلك.

وهؤلاء مبتدعة ضلال، مخالفون للسنة المستفيضة عن النبي ﷺ؛ ولإجماع خير القرون.

الثالث: أهل السنة والجماعة، وهم سلف الأمة وأئمتها، ومن تبعهم بإحسان، أثبتوا ما أثبته الله في كتابه، وسنة رسوله ﷺ من شفاعته لأهل الكبائر

---

(١) انظر: «اقتضاء الصراط المستقيم»، لابن تيمية (٢/ ٣٥٩-٣٦١)، و«الفتاوىٰ الكبرىٰ»، لابن تيمية (٣/ ٤٧-٤٨).

من أمته، وغير ذلك من أنواع شفاعاته، وشفاعة غيره من النبيين والملائكة.

وقالوا: إن الشفيع يطلب من الله ويسأل، ولا تنفع الشفاعة عنده إلا بإذنه.

قال تعالىٰ: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة:٢٥٥]، ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾[الأنبياء:٢٨].

﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾[النجم:٢٦].

قَولُهُ: «وَقَوْلِ الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَأَنذِرْ بِهِ﴾»: أي وأنذر يا محمد ﷺ، بالقرآن الذي أنزلناه إليك[1].

قَولُهُ: «﴿ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾»: أي يوم القيامة[2].

قَولُهُ: «﴿لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ﴾»: أي ليس لهم من عذاب الله إن عذبهم[3] يومئذ[4].

قَولُهُ: «﴿وَلِيٌّ﴾»: أي لا قريب لهم ينصرهم فيستنقذهم من عذابه إن أراده بهم[5].

قَولُهُ: «﴿وَلَا شَفِيعٌ﴾»: أي ولا شفيع فيهم يشفع لهم عند الله تعالىٰ فيخلصهم من عقابه[6].

قَولُهُ: «وَقَوْلِهِ: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾»: قل يا محمد ﷺ للمشركين: إن تكونوا تعبدون أوثانكم لأجل أنها تشفع لكم عند الله، فأخلصوا عبادتكم

---

(١) **انظر:** «تفسير الطبري» (١١/ ٣٧٣).

(٢) **انظر:** «تفسير ابن كثير» (٣/ ٢٥٩).

(٣) **انظر:** «تفسير الطبري» (١١/ ٣٧٣).

(٤) **انظر:** «تفسير ابن كثير» (٣/ ٢٥٩).

(٥) **انظر:** «تفسير الطبري» (١١/ ٣٧٣)، و«تفسير ابن كثير» (٣/ ٢٥٩).

(٦) **انظر:** «تفسير الطبري» (١١/ ٣٧٣)، و«تفسير ابن كثير» (٣/ ٢٥٩).

لله، وأفردوه بالألوهة، فإن الشفاعة جميعًا له، لا يشفع عنده إلا من أذن له، ورضي له قولا[١].

وقال ابن كثير في تفسير الآية: «قل أي يا محمد لهؤلاء الزاعمين أن ما اتخذوه شفعاء لهم عند الله، أخبرهم أن الشفاعة لا تنفع عند الله إلا لمن ارتضاه وأذن له، فمرجعها كلها إليه»[٢].

قَولُهُ: «وَقَوْلِهِ: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾»: أي من ذا الذي يشفع لمماليكه إن أراد عقوبتهم، إلا أن يأذن له بالشفاعة لهم، وإنما قال ذلك تعالىٰ؛ لأن المشركين قالوا: ما نعبد أوثاننا هذه إلا ليقربونا إلىٰ الله زلفىٰ[٣].

قال ابن تيمية: «بين الله ﷻ في هذه الآية الفرق بينه وبين خلقه، فإن من عادة الناس أن يستشفعوا إلىٰ الكبير من كبرائهم بمن يكرم عليه، فيسأله ذلك الشفيع، فيقضي حاجته: إما رغبة، وإما رهبة، وإما حياء وإما مودة، وإما غير ذلك، والله سبحانه لا يشفع عنده أحد حتىٰ يأذن هو للشافع، فلا يفعل إلا ما شاء، وشفاعة الشافع من إذنه، فالأمر كله له»[٤].

قَولُهُ: «وَقَوْلِهِ: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا﴾»: أي كثير من ملائكة الله ممن يعبدهم هؤلاء الكفار ويرجون شفاعتهم عند الله لا تنفع شفاعتهم عند الله لمن شفعوا له شيئًا[٥].

قَولُهُ: «قَوْله: ﴿إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ﴾»: أي إلا أن يشفعوا له من بعد أن يأذن الله لهم بالشفاعة لمن يشاء منهم أن يشفعوا له[٦].

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٢١/ ٢٩٩-٣٠٠).
(٢) انظر: «تفسير ابن كثير» (٧/ ١٠٢).
(٣) انظر: «تفسير الطبري» (٥/ ٣٩٥).
(٤) انظر: «زيارة القبور والاستنجاد بالمقبور»، لابن تيمية، صـ(١٩).
(٥) انظر: «تفسير الطبري» (٢٢/ ٥٢٩)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٣١٠).
(٦) انظر: «تفسير الطبري» (٢٢/ ٥٢٩).

قَـوْلُـهُ: «قَوْله: ﴿وَيَرْضَىٰٓ﴾»: أي ومن بعد أن يرضىٰ الله لملائكته الذين يشفعون له أن يشفعوا له إذا كان من أهل التوحيد[(١)]، فتنفعه حينئذ شفاعتهم، وإنما هذا توبيخ من الله تعالىٰ لعبدة الأوثان والملأ من قريش وغيرهم الذين كانوا يقولون: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزُّمَر:٣]، فقال الله جلّ ذكره لهم: ما تنفع شفاعة ملائكتي الذين هم عندي لمن شفعوا له، إلا من بعد إذني لهم بالشفاعة له ورضاي، فكيف بشفاعة من دونهم، فأعلمهم أن شفاعة ما يعبدون من دونه لا تنفعهم[(٢)].

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: «فإذا كان هذا في حق الملائكة المقربين، فكيف ترجون أيها الجاهلون شفاعة هذه الأصنام والأنداد عند الله، وهو لم يشرع عبادتها ولا أذن فيها، بل قد نهىٰ عنها علىٰ ألسنة جميع رسله، وأنزل بالنهي عن ذلك جميع كتبه؟»[(٣)].

قَـوْلُـهُ: «وَقَوْلِهِ: ﴿قُلِ﴾»: أي قل يا محمد ﷺ لهؤلاء المشركين بربهم من قومك الجاحدين نعمنا عندهم[(٤)].

قَـوْلُـهُ: «﴿ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾»: أي ادعوا أيها القوم الذين زعمتم أنهم لله شركاء من دونه، فسلوهم أن يفعلوا بكم بعض أفعالنا، فإن لم يقدروا علىٰ ذلك فاعلموا أنكم مبطِلون؛ لأن الشركة في الربوبية لا تصلح ولا تجوز[(٥)].

قَـوْلُـهُ: «﴿لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾»: أي

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٣١٠).

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (٢٢/ ٥٢٩).

(٣) انظر: «تفسير ابن كثير» (٤/ ٤٥٨).

(٤) انظر: «تفسير الطبري» (٢٠/ ٣٩٤).

(٥) انظر: «تفسير الطبري» (٢٠/ ٣٩٤).

إنهم لا يملكون مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض من خير ولا شر ولا ضر ولا نفع، فكيف يكون إلهًا من كان كذلك[(١)].

قَوْلُهُ: «﴿وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ﴾»: أي وآلهتهم التي يدعون من دون الله لا يملكون وزن ذرة في السماوات ولا في الأرض شيئًا استقلالًا ولا علىٰ سبيل الشركة[(٢)]، فكيف يكون من كان هكذا شريكًا لمن له ملك جميع ذلك[(٣)].

قَوْلُهُ: «﴿وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ﴾»: أي وما لله من الآلهة التي يدعون من دونه معين علىٰ خلق شيء من ذلك، ولا علىٰ حفظه[(٤)] بل الخلق كلهم فقراء إليه، عبيد لديه[(٥)].

قَوْلُهُ: «﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ﴾»: أي ولا تنفع شفاعة شافع كائنًا من كان الشافع لمن شفع له[(٦)]؛ لعظمته وجلاله وكبريائه لا يجترئ أحد أن يشفع عنده تعالىٰ في شيء إلا بعد إذنه له في الشفاعة[(٧)].

قَوْلُهُ: «﴿إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾»: أي إلا أن يشفع لمن أذن الله في الشفاعة[(٨)].

قال الطبري: «يقول تعالىٰ: فإذا كانت الشفاعات لا تنفع عند الله أحدًا إلا لمن أذن الله في الشفاعة له، والله لا يأذن لأحد من أوليائه في الشفاعة لأحد من الكفرة به وأنتم أهل كفر به أيها المشركون، فكيف تعبدون من تعبدونه من دون

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٢٠/ ٣٩٤).
(٢) انظر: «تفسير ابن كثير» (٦/ ٥١٤).
(٣) انظر: «تفسير الطبري» (٢٠/ ٣٩٤).
(٤) انظر: «تفسير الطبري» (٢٠/ ٣٩٤).
(٥) انظر: «تفسير ابن كثير» (٦/ ٥١٣-٥١٤).
(٦) انظر: «تفسير الطبري» (٢٠/ ٣٩٥).
(٧) انظر: «تفسير ابن كثير» (٦/ ٥١٤).
(٨) انظر: «تفسير الطبري» (٢٠/ ٣٩٥).

الله زعمًا منكم أنكم تعبدونه؛ ليقربكم إلىٰ الله زلفىٰ وليشفع لكم عند ربكم»[١].

قَـوْلُـهُ: «﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ﴾»: أي حتىٰ إذا جُلِيَ عن قلوبهم، وكشف عنها الفزع وذهب[٢].

قَـوْلُـهُ: «﴿قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ﴾»: هذا قول الملائكة[٣].

قَـوْلُـهُ: «قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ»: أي ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قَـوْلُـهُ: «نَفَى اللهُ عَمَّا سِوَاهُ كُلَّ مَا يَتَعَلَّقُ بِهِ الْمُشْرِكُونَ، فَنَفَى أَنْ يَكُونَ لِغَيْرِهِ مُلْكٌ أَوْ قِسْطٌ مِنْهُ، أَوْ يَكُونَ عَوْنًا للهِ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الشَّفَاعَةُ، فَبَيَّنَ أَنَّهَا لَا تَنْفَعُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّبُّ؛ كَمَا قَالَ: ﴿وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ﴾»: أي ولا تشفع الملائكة إلا لمن رضي الله عنه[٤].

قَـوْلُـهُ: «فَهَذِهِ الشَّفَاعَةُ الَّتِي يَظُنُّهَا الْمُشْرِكُونَ هِيَ مُنْتَفِيَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ كَمَا نَفَاهَا الْقُرْآنُ، وَأَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَنَّهُ يَأْتِي فَيَسْجُدُ لِرَبِّهِ وَيَحْمَدُهُ -لَا يَبْدَأُ بِالشَّفَاعَةِ أَوَّلًا- ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ»: أي لا يشفع النبي ﷺ إلا بعد أن يؤذن له في الشفاعة.

قَـوْلُـهُ: «وَقَالَ لَهُ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ؟ قَالَ: «مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ»: فيه أن الشفاعة لا تكون إلا لأهل التوحيد.

قَـوْلُـهُ: «فَتِلْكَ الشَّفَاعَةُ لِأَهْلِ الْإِخْلَاصِ بِإِذْنِ اللهِ، وَلَا تَكُونُ لِمَنْ أَشْرَكَ بِاللهِ»: أي من شرط الشفاعة أن يكون المشفوع فيه من أهل التوحيد، وليس من المشركين.

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٢٠/ ٣٩٥).

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (٢٠/ ٣٩٥).

(٣) انظر: «تفسير الطبري» (٢٠/ ٣٩٨).

(٤) انظر: «تفسير الطبري» (١٨/ ٤٢٩).

قَوْلُهُ: «وَحَقِيقَتُهُ أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ هُوَ الَّذِي يَتَفَضَّلُ عَلَى أَهْلِ الْإِخْلَاصِ، فَيَغْفِرُ لَهُمْ بِوَاسِطَةِ دُعَاءِ مَنْ أَذِنَ لَهُ أَنْ يَشْفَعَ؛ لِيُكْرِمَهُ، وَيَنَالَ الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ»: أي الشفاعة محض فضل من الله ﷻ حيث يكرم الله بها الشافع؛ لينال منزلة المقام المحمود.

قَوْلُهُ: «فَالشَّفَاعَةُ الَّتِي نَفَاهَا الْقُرْآنُ مَا كَانَ فِيهَا شِرْكٌ»: أي الشفاعة المنفية هي التي فيها شرك.

قَوْلُهُ: «وَلِهَذَا أَثْبَتَ الشَّفَاعَةَ بِإِذْنِهِ فِي مَوَاضِعَ»: منها قوله تعالىٰ: ﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ إِذۡنِهِۦ﴾ [يونس:٣]، وقوله: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ﴾ [البقرة:٢٥٥].

قَوْلُهُ: «وَقَدْ بَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّهَا لَا تَكُونُ إِلَّا لِأَهْلِ الْإِخْلَاصِ وَالتَّوْحِيدِ»: كما تقدم من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يا رسول الله ﷺ؟ قَالَ: «مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ».

قَوْلُهُ: «انْتَهَى كَلَامُهُ»: أي كلام أبي العباس ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ.



فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: تَفْسِيرُ الْآيَاتِ.

الثَّانِيَةُ: صِفَةُ الشَّفَاعَةِ المنْفِيَّةِ.

الثَّالِثَةُ: صِفَةُ الشَّفَاعَةِ المثْبَتَةِ.

الرَّابِعَةُ: ذِكْرُ الشَّفَاعَةِ الْكُبْرَى، وَهِيَ المقَامُ المحْمُودُ.

الخَامِسَةُ: صِفَةُ مَا يَفْعَلُهُ ﷺ أَنَّهُ لَا يَبْدَأُ بِالشَّفَاعَةِ، بَلْ يَسْجُدُ، فَإِذَا أُذِنَ لَهُ شَفَعَ.

السَّادِسَةُ: مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِهَا؟

السَّابِعَةُ: أَنَّهَا لَا تَكُونُ لِمَنْ أَشْرَكَ بِاللهِ.

الثَّامِنَةُ: بَيَانُ حَقِيقَتِهَا.

الشَّرْحُ

قَوْلُهُ: «الْأُولَى: تَفْسِيرُ الْآيَاتِ»: أي الواردة في صدر هذا الباب، وقد تقدم.

قَوْلُهُ: «الثَّانِيَةُ: صِفَةُ الشَّفَاعَةِ المنْفِيَّةِ»: صفتها أن تطلب من غير الله سبحانه وتعالى، ولا يقدر عليها إلا الله سبحانه وتعالى.

قَوْلُهُ: «الثَّالِثَةُ: صِفَةُ الشَّفَاعَةِ المثْبَتَةِ»: هي التي تطلب من الله بشرطين: إذن الله في الشفاعة، ورضاه عن المشفوع.

قَوْلُهُ: «الرَّابِعَةُ: ذِكْرُ الشَّفَاعَةِ الْكُبْرَى، وَهِيَ المقَامُ المحْمُودُ»: أي شفاعة النبي ﷺ في أهل الموقف لبدء الحساب.

قَوْلُهُ: «الخَامِسَةُ: صِفَةُ مَا يَفْعَلُهُ ﷺ أَنَّهُ لَا يَبْدَأُ بِالشَّفَاعَةِ، بَلْ يَسْجُدُ، فَإِذَا أُذِنَ لَهُ شَفَعَ»: هذا فيه أن الشفاعة لا تكون إلا بعد الإذن، وإن كان الشافع أفضل الخلق.

قَـوْلُـهُ: «السَّادِسَةُ: مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِهَا؟»: من قال: لا إله إلا الله مخلصا من قلبه.

قَـوْلُـهُ: «السَّابِعَةُ: أَنَّهَا لَا تَكُونُ لِمَنْ أَشْرَكَ بِاللهِ»: أي خص الله بها أهل التوحيد.

قَـوْلُـهُ: «الثَّامِنَةُ: بَيَانُ حَقِيقَتِهَا»: أي حقيقة الشفاعة أن الله سبحانه هو الذي يتفضل علىٰ أهل الإخلاص، فيغفر لهم بواسطة دعاء من أذن له أن يشفع؛ ليكرمه، وينال المقام المحمود.



[١٧] بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى:

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ۝٥٦﴾ [القصص:٥٦]

وَفِي الصَّحِيحِ: عَنْ ابْنِ المسَيَّبِ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: «لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الوَفَاةُ، جَاءَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَعِنْدَهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ وَأَبُو جَهْلٍ، فَقَالَ لَهُ يَا عَمِّ قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ كَلِمَةً أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللهِ، فَقَالَا لَهُ: أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ المطَّلِبِ؟ فَأَعَادَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ فَأَعَادَا، فَكَانَ آخِرَ مَا قَالَ: هُوَ عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ المطَّلِبِ، وَأَبَى أَنْ يَقُولَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ» فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة:١١٣]، وَأَنْزَلَ اللهُ فِي أَبِي طَالِبٍ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [القصص:٥٦]»[١].

الشَّرح

قَولُهُ: «بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّكَ﴾»: أي يا محمد ﷺ[٢].

قَولُهُ: «﴿لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾»: أي أحببت هدايته[٣]، فليس إليك ذلك، إنما عليك البلاغ[٤].

قَولُهُ: «﴿وَلَكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾»: أي أن يهديه من خلقه، بتوفيقه

(١) متفق عليه: رواه البخاري (١٣٦٠)، ومسلم (٢٤).

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (١٩/ ٥٩٨).

(٣) انظر: «تفسير الطبري» (١٩/ ٥٩٨)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٥٣٩).

(٤) انظر: «تفسير ابن كثير» (٦/ ٢٤٦).

للإيمان به وبرسوله[١]، وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة[٢].

وقيل: معناه: إنك لا تهدي من أحببته لقرابته منك[٣].

قَوْلُهُ: «﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾»: أي والله أعلم من سبق له في علمه أنه يهتدي للرشاد، ذلك الذي يهديه الله فيسدده ويوفقه[٤].

قال الطبري: «هذه الآية نزلت علىٰ رسول الله ﷺ من أجل امتناع أبي طالب عمه من إجابته، إذ دعاه إلىٰ الإيمان بالله إلىٰ ما دعاه إليه من ذلك»[٥].

قال ابن عطية: «أجمع جُلُّ المفسرين علىٰ أن قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ إنما نزلت في شأن أبي طالب عم رسول الله ﷺ»[٦].

وقال الواحدي[٧]، والبغوي[٨]، وابن كثير[٩]، وغيرهم: «**نزلت في أبي طالب**».

فائدة: الهداية أربعة أنواع[١٠]:

أحدها: الهداية العامة المشتركة بين الخلق المذكورة في قوله تعالىٰ: ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ۝٥٠﴾ [طه:٥٠] أي أعطىٰ كل شيء صورته التي لا يشتبه فيها بغيره، وهذه هداية الحيوان المتحرك بإرادته إلىٰ جلب ما ينفعه ودفع ما يضره، وهداية الجماد المسخر لما خلق له فله هداية تليق به.

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١٩/ ٥٩٨).
(٢) انظر: «تفسير ابن كثير» (٦/ ٢٤٦).
(٣) انظر: «تفسير الطبري» (١٩/ ٥٩٨).
(٤) انظر: «تفسير الطبري» (١٩/ ٥٩٨).
(٥) انظر: «تفسير الطبري» (١٩/ ٥٩٨).
(٦) انظر: «تفسير ابن عطية» (٤/ ٢٣٩).
(٧) انظر: «التفسير الوجيز»، للواحدي (٨٢٢).
(٨) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٥٣٩).
(٩) انظر: «تفسير ابن كثير» (٦/ ٢٤٦).
(١٠) انظر: «بدائع الفوائد»، لابن القيم (٢/ ٣٥-٣٨).

كما أن لكل نوع من الحيوان هداية تليق به، وإن اختلفت أنواعها وصورها، وكذلك كل عضو له هداية تليق به، فهدىٰ الرجلين للمشي، واليدين للبطش والعمل، واللسان للكلام، والأذن للاستماع، والعين لكشف المرئيات، وكل عضو لما خلق له.

النوع الثاني: هداية البيان والدلالة والتعريف لنجدي الخير والشر، وطريقي النجاة والهلاك، كقوله تعالىٰ: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ [فُصِّلَت:١٧] أي بينا لهم وأرشدناهم ودللناهم فلم يهتدوا.

ومنها قوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[الشورىٰ:٥٢].

النوع الثالث: هداية التوفيق والإلهام، وهي الهداية المستلزمة للاهتداء، فلا يتخلف عنها، وهي المذكورة في قوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾[فاطر:٨].

وفي قوله: ﴿إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ﴾[النحل:٣٧].

وفي قول النبي ﷺ: «مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ»[(١)].

وفي قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾[القصص:٥٦]، فنفىٰ عنه هذه الهداية وأثبت له هداية الدعوة والبيان في قوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورىٰ:٥٢].

النوع الرابع: الهداية إلىٰ الجنة والنار إذا سيق أهلهما إليهما، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٩﴾﴾[يونس:٩].

وقال أهل الجنة فيها: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾[الأعراف:٤٣].

وقال تعالىٰ عن أهل النار: ﴿ٱحْشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُواْ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن

---

(١) **صحيح:** رواه مسلم (٨٦٧) من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ ﴾[الصافات:٢٢-٢٣].

قَـوْلُـهُ: «وَفِي الصَّحِيحِ»: أي صحيحي البخاري ومسلم.

قَـوْلُـهُ: «عَنْ ابْنِ المُسَيَّبِ، عَنْ أَبِيهِ»: هو المسيب بن حَزْن بفتح المهملة، وسكون الزاي[1].

قَـوْلُـهُ: «لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الوَفَاةُ»: أي قربت وفاته وحضرت دلائلها، وذلك قبل المعاينة والنزع، ولو كان في حال المعاينة والنزع لما نفعه الإيمان؛ لقول الله تعالىٰ: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٔـٰنَ﴾ [النساء:١٨]، ويدل علىٰ أنه قبل المعاينة محاورته للنبي ﷺ، ومع كفار قريش[2].

قال المهلب: «إنما تنفع كلمة التوحيد لمن قالها قبل المعاينة للملائكة التي تقبض الأرواح، فحينئذ تنفعه شهادة التوحيد، وهو الذي يدل عليه كتاب الله»[3].

قَـوْلُـهُ: «جَاءَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَعِنْدَهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ وَأَبُو جَهْلٍ»:
عبد الله بن أبي أمية المخزومي أخو أم سلمة، أسلم عام الفتح، وقيل: يوم الطائف، وكان شديدًا علىٰ المسلمين مخالفًا مبغضًا، واسم أبي أمية: حذيفة بن المغيرة، أمه: عاتكة بنت عبد المطلب، رمي يوم الطائف رمية فمات شهيدًا[4].

قَـوْلُـهُ: «فَقَالَ لَهُ: يَا عَمِّ قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ كَلِمَةً أُحَاجُّ لَكَ بِهَا»: أصلها أحاجج، والمراد أظهر لك بها الحجة[5].

---

(١) انظر: «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» (٨/ ٥٠٦).
(٢) انظر: «شرح صحيح مسلم» (١/ ٢١٤).
(٣) انظر: «شرح صحيح البخاري»، لابن بطال (٣/ ٣٤٤).
(٤) انظر: «معرفة الصحابة»، لأبي نعيم (٣/ ١٥٨٩)، و«الاستيعاب»، لابن عبد البر (٣/ ٨٦٨)، و«أسد الغابة»، لابن الأثير (٣/ ٧٣)، و«الإصابة»، لابن حجر العسقلاني (٤/ ١٠).
(٥) انظر: «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» (٥/ ٥٦٧).

قَوْلُهُ: «عِنْدَ اللهِ»: أي يوم القيامة[(١)].

قَوْلُهُ: «فَقَالَا لَهُ: أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ المطَّلِبِ؟»: الهمزة فيه للاستفهام على سبيل الإنكار، أي: أتعرض؟[(٢)].

قَوْلُهُ: «فَأَعَادَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ فَأَعَادَا»: أي أعاد النبي ﷺ على عمه أبي طالب مقالته: «يَا عَمِّ قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ كَلِمَةً أُحَاجُّ لَكَ بِهَا»، فأعاد عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ وَأَبُو جَهْلٍ مقالتهم لأبي طالب: «أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ المطَّلِبِ؟».

قَوْلُهُ: «فَكَانَ آخِرَ مَا قَالَ»: أي في آخر تكليمه إياهم[(٣)].

قَوْلُهُ: «هُوَ عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ المطَّلِبِ»: هذا من أحسن الآداب والتصرفات، وهو أن من حكى قول غيره القبيح أتى به بضمير الغيبة؛ لقبح صورة لفظه[(٤)].

قَوْلُهُ: «وَأَبَى أَنْ يَقُولَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»: هذا تأكيد من الراوي في نفي وقوع ذلك من أبي طالب[(٥)].

قَوْلُهُ: «فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ»»: كما استغفر إبراهيم لأبيه ما لم ينهني الله عن الاستغفار له[(٦)]، وليس المراد طلب المغفرة العامة والمسامحة بذنب الشرك، وإنما المراد تخفيف العذاب عنه[(٧)].

قَوْلُهُ: «فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ﴾»: أي ما كان ينبغي له ولا لهم الاستغفار للمشركين، وهو خبر

---

(١) انظر: «عمدة القاري شرح صحيح البخاري» (٢٣/ ١٩٩).
(٢) انظر: «عمدة القاري شرح صحيح البخاري» (٨/ ١٨١).
(٣) انظر: «عمدة القاري شرح صحيح البخاري» (٨/ ١٨١).
(٤) انظر: «شرح صحيح مسلم» (١/ ٢١٤).
(٥) انظر: «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» (٨/ ٥٠٧).
(٦) انظر: «إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري» (٦/ ٢٠١).
(٧) انظر: «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» (٨/ ٥٠٧-٥٠٨).

بمعنى النهي[١].

قَولُه: «وَأَنْزَلَ اللهُ فِي أَبِي طَالِبٍ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾»: قد أجمع المفسرون على أنها نزلت في أبي طالب، وكذا نقل إجماعهم على هذا الزجاج، وغيره[٢].

(١) انظر: «شرح صحيح مسلم» (١/ ٢١٥)، و«فتح الباري بشرح صحيح البخاري» (٨/ ٥٠٨)، و«عمدة القاري شرح صحيح البخاري» (٨/ ١٨١).

(٢) انظر: «شرح صحيح مسلم» (١/ ٢١٥).

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأُولَى: تَفْسِيرُ قَوْلِهِ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ الآيَةَ.

الثَّانِيَةُ: تَفْسِيرُ قَوْلِهِ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ﴾ الآيَةَ.

الثَّالِثَةُ: وَهِيَ المسْأَلَةُ الكَبِيرَةُ، تَفْسِيرُ قَوْلِهِ: «قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» بِخِلَافِ مَا عَلَيْهِ مَنْ يَدَّعِي العِلْمَ.

الرَّابِعَةُ: أَنَّ أَبَا جَهْلٍ وَمَنْ مَعَهُ يَعْرِفُونَ مُرَادَ النَّبِيِّ ﷺ إِذَا قَالَ لِلرَّجُلِ قُلْ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»؛ فَقَبَّحَ اللهُ مَنْ أَبُو جَهْلٍ أَعْلَمُ مِنْهُ بِأَصْلِ الإِسْلَامِ.

الخَامِسَةُ: جِدُّهُ ﷺ، وَمُبَالَغَتُهُ فِي إِسْلَامِ عَمِّهِ.

السَّادِسَةُ: الرَّدُّ عَلَى مَنْ زَعَمَ إِسْلَامَ عَبْدِ المطَّلِبِ وَأَسْلَافِهِ.

السَّابِعَةُ: كَوْنُهُ ﷺ اسْتَغْفَرَ لَهُ فَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ، بَلْ نُهِيَ عَنْ ذَلِكَ.

الثَّامِنَةُ: مَضَرَّةُ أَصْحَابِ السُّوءِ عَلَى الإِنْسَانِ.

التَّاسِعَةُ: مَضَرَّةُ تَعْظِيمِ الأَسْلَافِ وَالأَكَابِرِ.

العَاشِرَةُ: الشُّبْهَةُ لِلْمُبْطِلِينَ فِي ذَلِكَ، لِاسْتِدْلَالِ أَبِي جَهْلٍ بِذَلِكَ.

الحَادِيَةَ عَشْرَةَ: الشَّاهِدُ لِكَوْنِ الأَعْمَالِ بِالخَوَاتِيمِ، لِأَنَّهُ لَوْ قَالَهَا لَنَفَعَتْهُ.

الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ: التَّأَمُّلُ فِي كِبَرِ هَذِهِ الشُّبْهَةِ فِي قُلُوبِ الضَّالِّينَ؛ لِأَنَّ فِي القِصَّةِ أَنَّهُمْ لَمْ يُجَادِلُوهُ إِلَّا بِهَا، مَعَ مُبَالَغَتِهِ ﷺ وَتَكْرِيرِهِ، فَلِأَجْلِ عَظَمَتِهَا وَوُضُوحِهَا عِنْدَهُمْ اقْتَصَرُوا عَلَيْهَا.

الشَّرْح

قَوْلُهُ: «الأُولَى: تَفْسِيرُ قَوْلِهِ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ الآيَةَ»: أي هداية توفيق وإلهام لا هداية بيان وإرشاد.

قَوْلُهُ: «الثَّانِيَةُ: تَفْسِيرُ قَوْلِهِ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ﴾ الآيَةَ»: أي ما كان ينبغي

للنبي محمدٍ ﷺ والذين آمنوا به أن يدعوا بالمغفرة للمشركين، ولو كان المشركون الذين يستغفرون لهم ذوي قرابة لهم من بعد ما ماتوا علىٰ شركهم بالله وعبادة الأوثان، وتبين لهم أنهم من أهل النار؛ لأن الله قد قضىٰ أن لا يغفر لمشرك، فلا ينبغي لهم أن يسألوا ربهم أن يفعل ما قد علموا أنه لا يفعله[(١)].

قَوْلُهُ: «الثَّالِثَةُ: وَهِيَ المسْأَلَةُ الكَبِيرَةُ، تَفْسِيرُ قَوْلِهِ: «قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» بِخِلَافِ مَا عَلَيْهِ مَنْ يَدَّعِي العِلْمَ»: تفسيرها نفي الإلهية عن كل ما سوىٰ الله جَلَّلَهُ؛ لذا لم ينطق بها الكفار؛ لأنهم يفهمون معناها هذا بخلاف من يدعي العلم في زماننا ويقولها وهو مشرك بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في عبادته.

قَوْلُهُ: «الرَّابِعَةُ: أَنَّ أَبَا جَهْلٍ وَمَنْ مَعَهُ يَعْرِفُونَ مُرَادَ النَّبِيِّ ﷺ إِذَا قَالَ لِلرَّجُلِ قُلْ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»؛ فَقَبَّحَ اللهُ مَنْ أَبُو جَهْلٍ أَعْلَمُ مِنْهُ بِأَصْلِ الإِسْلَامِ»: لما عرفوا مراد النبي ﷺ نهوا أبا طالب عن قولها، وهذا دليل علىٰ أنهم أعرف بأصل الإسلام من مسلمي زماننا.

قَوْلُهُ: «الخَامِسَةُ: جِدُّهُ ﷺ، وَمُبَالَغَتُهُ فِي إِسْلَامِ عَمِّهِ»: يظهر هذا في حرصه ﷺ علىٰ إسلام عمه مما جعله يأتيه في مرض موته.

قَوْلُهُ: «السَّادِسَةُ: الرَّدُّ عَلَى مَنْ زَعَمَ إِسْلَامَ عَبْدِ المطَّلِبِ وَأَسْلَافِهِ»: كما في قول أبي جهل وعبد الله بن أمية لأبي طالب: أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ المطَّلِبِ؟ فَأَعَادَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ فَأَعَادَا، فَكَانَ آخِرَ مَا قَالَ: هُوَ عَلَىٰ مِلَّةِ عَبْدِ المطَّلِبِ، وَأَبَىٰ أَنْ يَقُولَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؛ فهذا يدل علىٰ أنه مات كافرا.

قَوْلُهُ: «السَّابِعَةُ: كَوْنُهُ ﷺ اسْتَغْفَرَ لَهُ فَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ، بَلْ نُهِيَ عَنْ ذَلِكَ»: كما قال ﷺ: «لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ»، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [التوبة:١١٣].

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١٤/ ٥٠٩).

قَـوْلُـهُ: «الثَّامِنَةُ: مَضَرَّةُ أَصْحَابِ السُّوءِ عَلَى الإِنْسَانِ»: كما يظهر في منع أبي جهل، وابن أبي أمية أبا طالب أن يقول: لا إله إلا الله.

قَـوْلُـهُ: «التَّاسِعَةُ: مَضَرَّةُ تَعْظِيمِ الأَسْلَافِ وَالْأَكَابِرِ»: لأن أبا طالب لم يترك ملة عبد المطلب لتعظيمه لها؛ لأجل ذلك ذكروه بها قائلين: «**أترغب عن ملة عبد المطلب**».

قَـوْلُـهُ: «العَاشِرَةُ: الشُّبْهَةُ لِلْمُبْطِلِينَ فِي ذَلِكَ»: أي بتعظيم الأسلاف، والأكابر، وأئمة المذاهب فوق الكتاب والسنة.

قَـوْلُـهُ: «لِاسْتِدْلَالِ أَبِي جَهْلٍ بِذَلِكَ»: أي استدل أبو جهل بتعظيم أبي طالب لملة عبد المطلب؛ لئلا يتركها ويدخل في الإسلام.

قَـوْلُـهُ: «الحَادِيَةَ عَشْرَةَ: الشَّاهِدُ لِكَوْنِ الأَعْمَالِ بِالخَوَاتِيمِ، لِأَنَّهُ لَوْ قَالَهَا لَنَفَعَتْهُ»: أي لو قال: لا إله إلا الله لنفعته؛ لأن النبي ﷺ قال لعمه: «**يَا عَمِّ قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ كَلِمَةً أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللهِ**».

قَـوْلُـهُ: «الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ: التَّأَمُّلُ فِي كِبَرِ هَذِهِ الشُّبْهَةِ فِي قُلُوبِ الضَّالِّينَ؛ لِأَنَّ فِي القِصَّةِ أَنَّهُمْ لَمْ يُجَادِلُوهُ إِلَّا بِهَا، مَعَ مُبَالَغَتِهِ ﷺ وَتَكْرِيرِهِ، فَلِأَجْلِ عَظَمَتِهَا وَوُضُوحِهَا عِنْدَهُمْ اقْتَصَرُوا عَلَيْهَا»: أي لأجل معرفة الكفار معنىٰ كلمة التوحيد اقتصروا علىٰ مجادلة النبي ﷺ عليها، وقالوا لأبي طالب: «**أترغب عن ملة عبد المطلب**».



[١٨] بَابُ مَا جَاءَ أَنَّ سَبَبَ كُفْرِ بَنِي آدَمَ وَتَرْكِهِمْ دِينَهُمْ هُوَ الغُلُوُّ فِي الصَّالِحِينَ

وَقَوْلِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ﴾[النساء:١٧١].

وَفِي الصَّحِيحِ: «عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا ٢٣﴾ [نوح:٢٣]، قَالَ: «هَذِهِ أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ، فَلَمَّا هَلَكُوا أَوْحَى الشَّيْطَانُ إِلَى قَوْمِهِمْ أَنِ انْصِبُوا إِلَى مَجَالِسِهِمْ الَّتِي كَانُوا يَجْلِسُونَ فِيهَا أَنْصَابًا وَسَمُّوهَا بِأَسْمَائِهِمْ، فَفَعَلُوا وَلَمْ تُعْبَدْ، حَتَّى إِذَا هَلَكَ أُولَئِكَ، وَنُسِيَ العِلْمُ عُبِدَتْ»[(١)].

قَالَ ابْنُ القَيِّمِ: قَالَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ: «لَمَّا مَاتُوا، عَكَفُوا عَلَى قُبُورِهِمْ، ثُمَّ صَوَّرُوا تَمَاثِيلَهُمْ، ثُمَّ طَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَعَبَدُوهُمْ»[(٢)].

وَعَنْ عُمَرَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ، فَقُولُوا: عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ»[(٣)] أَخْرَجَاهُ.

وَقَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ الغُلُوُّ»[(٤)].

وَلِمُسْلِمٍ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «هَلَكَ المُتَنَطِّعُونَ» قَالَهَا ثَلَاثًا[(٥)].

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٤٩٢٠).

(٢) انظر: «إغاثة اللهفان»، لابن القيم (١/ ١٨٤).

(٣) صحيح: رواه البخاري (٣٤٤٥).

(٤) صحيح: رواه النسائي (٣٠٥٧)، وابن ماجه (٣٠٢٩)، وأحمد (٣٢٤٨)، من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وصححه أحمد شاكر، والألباني.

(٥) صحيح: رواه مسلم (٢٦٧٠).

الشَّرْح

قَـوْلُـهُ: «بَابُ مَا جَاءَ أَنَّ سَبَبَ كُفْرِ بَنِي آدَمَ وَتَرْكِهِمْ دِينَهُمْ هُوَ الْغُلُوُّ فِي الصَّالِحِينَ»: أي هذا الباب فيه بيان سبب وقوع الكفر في بني آدم، وهو مغالاتهم في الصالحين.

وأصل الغلو في كل شيء مجاوزة حده الذي هو حدّه[1].

يقال ذلك إذا كان في السّعر غَلَاءٌ، وإذا كان في القدر والمنزلة غُلُوٌّ[2].

قَـوْلُـهُ: «وَقَوْلِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾»: أي يا أهل الإنجيل من النصارىٰ[3].

قَـوْلُـهُ: «﴿لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ﴾»: أي لا تجاوزوا الحق في دينكم فتفرطوا فيه، ولا تقولوا في عيسىٰ غير الحق، فإن قيلكم في عيسىٰ إنه ابن الله، قول منكم علىٰ الله غير الحق؛ لأن الله لم يتخذ ولدًا فيكون عيسىٰ أو غيره من خلقه له ابنًا[4].

قال ابن كثير في تفسير الآية: «ينهىٰ تعالىٰ أهل الكتاب عن الغلو والإطراء، وهذا كثير في النصارىٰ، فإنهم تجاوزوا حد التصديق بعيسىٰ، حتىٰ رفعوه فوق المنزلة التي أعطاه الله إياها، فنقلوه من حيز النبوة إلىٰ أن اتخذوه إلها من دون الله يعبدونه كما يعبدونه، بل قد غلوا في أتباعه وأشياعه، ممن زعم أنه علىٰ دينه، فادعوا فيهم العصمة واتبعوهم في كل ما قالوه، سواء كان حقًا أو باطلًا أو ضلالًا أو رشادًا، أو صحيحًا أو كذبًا...

وقوله: ﴿وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ﴾ أي: لا تفتروا عليه وتجعلوا له

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٩/ ١٤٦).

(٢) انظر: «المفردات في غريب القرآن»، صـ(٦١٣).

(٣) انظر: «تفسير الطبري» (٩/ ١٤٥).

(٤) انظر: «تفسير الطبري» (٩/ ١٤٥-١٤٦).

صاحبة وولدا -تعالىٰ الله عن ذلك علوا كبيرا، وتنزه وتقدس وتوحد في سؤدده وكبريائه وعظمته -فلا إله إلا هو، ولا رب سواه»[(١)].

قال ابن تيمية: «النصارىٰ أكثر غلوا في الاعتقادات والأعمال من سائر الطوائف، وإياهم نهىٰ الله عن الغلو في القرآن»[(٢)].

قَـوْلُـهُ: «وَفِي الصَّحِيحِ»: أي صحيح البخاري، وهو مذكور بالمعنىٰ.

أما لفظ البخاري: فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، «صَارَتِ الأَوْثَانُ الَّتِي كَانَتْ فِي قَوْمِ نُوحٍ فِي العَرَبِ بَعْدُ أَمَّا وَدٌّ كَانَتْ لِكَلْبٍ بِدَوْمَةِ الجَنْدَلِ، وَأَمَّا سُوَاعٌ كَانَتْ لِهُذَيْلٍ، وَأَمَّا يَغُوثُ فَكَانَتْ لِمُرَادٍ، ثُمَّ لِبَنِي غُطَيْفٍ بِالجَوْفِ عِنْدَ سَبَإٍ، وَأَمَّا يَعُوقُ فَكَانَتْ لِهَمْدَانَ، وَأَمَّا نَسْرٌ فَكَانَتْ لِحِمْيَرَ لِآلِ ذِي الكَلاعِ، أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ، فَلَمَّا هَلَكُوا أَوْحَىٰ الشَّيْطَانُ إِلَىٰ قَوْمِهِمْ، أَنِ انْصِبُوا إِلَىٰ مَجَالِسِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَجْلِسُونَ أَنْصَابًا وَسَمُّوهَا بِأَسْمَائِهِمْ، فَفَعَلُوا، فَلَمْ تُعْبَدْ، حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ أُولَئِكَ وَتَنَسَّخَ العِلْمُ عُبِدَتْ»[(٣)].

قَـوْلُـهُ: «عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ۝٢٣﴾ [نوح:٢٣]، قَالَ: «هَذِهِ أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ، فَلَمَّا هَلَكُوا»: أي الرجال الصالحون[(٤)].

قَـوْلُـهُ: «أَوْحَى الشَّيْطَانُ إِلَى قَوْمِهِمْ أَنِ انْصِبُوا إِلَى مَجَالِسِهِمْ التِي كَانُوا يَجْلِسُونَ فِيهَا أَنْصَابًا»: أنصابًا جمع نُصب، وهو ما ينصب لغرض[(٥)] كالعبادة[(٦)].

---

(١) انظر: «تفسير ابن كثير» (٢/ ٤٧٧).

(٢) انظر: «اقتضاء الصراط المستقيم»، لابن تيمية (١/ ٣٢٩).

(٣) صحيح: رواه البخاري (٤٩٢٠).

(٤) انظر: «إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري» (٧/ ٤٠١).

(٥) انظر: السابق (٧/ ٤٠١).

(٦) انظر: «عمدة القاري شرح صحيح البخاري» (٩/ ٢٦٣).

قَـوْلُـهُ: «وَسَمُّوهَا بِأَسْمَائِهِمْ»: أي هذه الأصنام بأسماء الصالحين المذكورين[١].

قَـوْلُـهُ: «فَفَعَلُوا»: أي نصبوا الأنصاب[٢].

قَـوْلُـهُ: «وَلَمْ تُعْبَدْ»: أي هذه الأنصاب التي هي الأصنام[٣].

قَـوْلُـهُ: «حَتَّى إِذَا هَلَكَ أُولَئِكَ»: أي حتىٰ إذا هلك الذين نصبوها[٤].

قَـوْلُـهُ: «وَنُسِيَ العِلْمُ عُبِدَتْ»: أي علم تلك الصور بخصوصها[٥]، أي تغير علمهم بصورة الحال وزالت معرفتهم بذلك[٦].

قَـوْلُـهُ: «قَالَ ابْنُ القَيِّمِ: قَالَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ السَّلَفِ: «لَمَّا مَاتُوا، عَكَفُوا عَلَى قُبُورِهِمْ، ثُمَّ صَوَّرُوا تَمَاثِيلَهُمْ، ثُمَّ طَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَعَبَدُوهُمْ»»: أي لما مات هؤلاء الصالحون المذكورون في الآية عكف الناس علىٰ قبورهم، ثم نصبوا لهم تماثيل لتذكرهم بالعبادة إذا قصروا، فلما طال عليهم العمر وهلك هذا الجيل، ونسي سبب تصويرها عبدت من دون الله ﷻ.

قَـوْلُـهُ: «وَعَنْ عُمَرَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَا تُطْرُونِي»»: من الإطراء، وهو المديح بالباطل، لا تمدحوني بالباطل، أو لا تجاوزوا الحدّ في مدحي[٧]، تقول: أطريت فلانا: مدحته فأفرطت في مدحه[٨].

---

(١) انظر: «عمدة القاري شرح صحيح البخاري» (٩/ ٢٦٣).

(٢) انظر: «عمدة القاري شرح صحيح البخاري» (٩/ ٢٦٣).

(٣) انظر: «إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري» (٧/ ٤٠١)، و«عمدة القاري شرح صحيح البخاري» (٩/ ٢٦٣).

(٤) انظر: «إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري» (٧/ ٤٠١).

(٥) انظر: «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» (٨/ ٦٩٩).

(٦) انظر: «إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري»(٧/ ٤٠١)، و«عمدة القاري شرح صحيح البخاري» (٩/ ٢٦٣).

(٧) انظر: «إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري»(٥/ ٤١٧).

(٨) انظر: «عمدة القاري شرح صحيح البخاري» (١٦/ ٣٧).

وقيل: الإطراء: مجاوزة الحد في المدح، والكذب فيه[١].

قَولُهُ: «كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ»: أي في دعواهم في عيسىٰ الإلهية، وغير ذلك[٢].

قَولُهُ: «إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ، فَقُولُوا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ»: فيه هضمه نفسه وإظهاره التواضع[٣].

قَولُهُ: «وَقَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ»»: أي التشدد فيه، ومجاوزة الحد، والبحث عن الغوامض[٤]، وهذا أسلوب تحذير.

قال ابن تيمية: «هذا عام في جميع أنواع الغلو، في الاعتقاد والأعمال.

والغلو: مجاوزة الحد بأن يزاد الشيء في حمده أو ذمه علىٰ ما يستحق، ونحو ذلك»[٥].

قَولُهُ: «فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ»: أي من الأمم[٦].

قَولُهُ: «الْغُلُوُّ»: أي في الصالحين، والأنبياء وغيرهم.

قَولُهُ: «وَلِمُسْلِمٍ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ»»: أي المتعمقون الغالون المجاوزون الحدود في أقوالهم، وأفعالهم[٧] الذين يتكلفون القول، والعمل[٨].

---

(١) انظر: «النهاية في غريب الحديث» (٣/ ١٢٣).

(٢) انظر: «إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري» (٥/ ٤١٧)، و«عمدة القاري شرح صحيح البخاري» (١٦/ ٣٧).

(٣) انظر: «عمدة القاري شرح صحيح البخاري» (١٦/ ٣٧).

(٤) انظر: «التيسير بشرح الجامع الصغير»، للمناوي (١/ ٤٠٤).

(٥) انظر: «اقتضاء الصراط المستقيم» (١/ ٣٢٨).

(٦) انظر: «التيسير بشرح الجامع الصغير»، للمناوي (١/ ٤٠٤).

(٧) انظر: «شرح صحيح مسلم» (١٦/ ٢٢٠).

(٨) انظر: «النهاية في غريب الحديث» (٥/ ٧٤).

قال ابن الأثير: «هم المتعمقون المغالون في الكلام المتكلمون بأقصىٰ حلوقهم مأخوذ من النِّطْع، وهو الغار الأعلىٰ من الفم، ثم استعمل في كل تعمق قولا، وفعلا»[1].



(١) **انظر:** «النهاية في غريب الحديث» (٥/ ٧٤).

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأُولَى: أَنَّ مَنْ فَهِمَ هَذَا البَابَ وَبَابَيْنِ بَعْدَهُ، تَبَيَّنَ لَهُ غُرْبَةُ الإِسْلَامِ، وَرَأَى مِنْ قُدْرَةِ اللهِ وَتَقْلِيبِهِ لِلْقُلُوبِ العَجَبَ.

الثَّانِيَةُ: مَعْرِفَةُ أَوَّلِ شِرْكٍ حَدَثَ فِي الأَرْضِ كَانَ بِشُبْهَةِ الصَّالِحِينَ.

الثَّالِثَةُ: مَعْرِفَةُ أَوَّلِ شَيْءٍ غُيِّرَ بِهِ دِينُ الأَنْبِيَاءِ، وَمَا سَبَبُ ذَلِكَ ؟ مَعَ مَعْرِفَةِ أَنَّ اللهَ أَرْسَلَهُمْ.

الرَّابِعَةُ: قَبُولُ البِدَعِ مَعَ كَوْنِ الشَّرَائِعِ وَالْفِطَرِ تَرُدُّهَا.

الخَامِسَةُ: أَنَّ سَبَبَ ذَلِكَ كُلِّهِ مَزْجُ الحَقِّ بِالْبَاطِلِ.

فَالْأَوَّلُ: مَحَبَّةُ الصَّالِحِينَ.

وَالثَّانِي: فِعْلُ أُنَاسٍ مِنْ أَهْلِ العِلْمِ وَالدِّيْنِ شَيْئًا أَرَادُوا بِهِ خَيْرًا فَظَنَّ مَنْ بَعْدَهُمْ أَنَّهُمْ أَرَادُوا بِهِ غَيْرَهُ.

السَّادِسَةُ: تَفْسِيرُ الآيَةِ الَّتِي فِي سُورَةِ نُوحٍ.

السَّابِعَةُ: جِبِلَّةُ الآدَمِيِّ فِي كَوْنِ الحَقِّ يَنْقُصُ فِي قَلْبِهِ وَالْبَاطِلُ يَزِيدُ.

الثَّامِنَةُ: فِيهِ شَاهِدٌ لِمَا نُقِلَ عَنْ السَّلَفِ أَنَّ البِدَعَ سَبَبُ الكُفْرِ.

التَّاسِعَةُ: مَعْرِفَةُ الشَّيْطَانِ بِمَا تَئُولُ إِلَيْهِ البِدْعَةُ وَلَوْ حَسُنَ قَصْدُ الفَاعِلِ.

العَاشِرَةُ: مَعْرِفَةُ القَاعِدَةِ الكُلِّيَّةِ، وَهِيَ النَّهْيُ عَنِ الغُلُوِّ وَمَعْرِفَةُ مَا يَئُولُ إِلَيْهِ.

الحَادِيَةَ عَشْرَةَ: مَضَرَّةُ العُكُوفِ عَلَى القَبْرِ لِأَجْلِ عَمَلٍ صَالِحٍ.

الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ: مَعْرِفَةُ النَّهْيِ عَنْ التَّمَاثِيلِ وَالْحِكْمَةِ فِي إِزَالَتِهَا.

الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ: عِظَمُ شَأْنِ هَذِهِ القِصَّةِ وَشِدَّةُ الحَاجَةِ إِلَيْهَا مَعَ الغَفْلَةِ عَنْهَا.

الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ: وَهِيَ أَعْجَبُ العَجَبِ قِرَاءَتُهُمْ إِيَّاهَا فِي كُتُبِ التَّفْسِيرِ وَالحَدِيثِ، وَمَعْرِفَتُهُمْ بِمَعْنَى الكَلَامِ، وَكَوْنُ اللهِ حَالَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ قُلُوبِهِمْ حَتَّى اعْتَقَدُوا أَنَّ فِعْلَ قَوْمِ نُوحٍ هُوَ أَفْضَلُ العِبَادَاتِ، وَاعْتَقَدُوا أَنَّ مَا نَهَى اللهُ

وَرَسُولُهُ عَنْهُ فَهُوَ الكُفْرُ المبِيحُ لِلدَّمِ وَالمالِ.

الخَامِسَةَ عَشْرَةَ: التَّصْرِيحُ بِأَنَّهُمْ لَمْ يُرِيدُوا إِلَّا الشَّفَاعَةَ.

السَّادِسَةَ عَشْرَةَ: ظَنُّهُمْ أَنَّ العُلَمَاءَ الذِينَ صَوَّرُوا الصُّوَرَ أَرَادُوا ذَلِكَ.

السَّابِعَةَ عَشْرَةَ: البَيَانُ العَظِيمُ فِي قَوْلِهِ: «لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ» فَصَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، بَلَّغَ البَلَاغَ المبِينَ.

الثَّامِنَةَ عَشْرَةَ: نَصِيحَتُهُ إِيَّانَا بِهَلَاكِ المتَنَطِّعِينَ.

التَّاسِعَةَ عَشْرَةَ: التَّصْرِيحُ بِأَنَّهَا لَمْ تُعْبَدْ حَتَّى نُسِيَ العِلْمُ، فَفِيهَا بَيَانُ مَعْرِفَةِ قَدْرِ وُجُودِهِ وَمَضَرَّةُ فَقْدِهِ.

العِشْرُونَ: أَنَّ سَبَبَ فَقْدِ العِلْمِ مَوْتُ العُلَمَاءِ.

الشَّرْح

قَولُـهُ: «الأُولَى: أَنَّ مَنْ فَهِمَ هَذَا البَابَ وَبَابَيْنِ بَعْدَهُ، تَبَيَّنَ لَهُ غُرْبَةُ الإِسْلَامِ، وَرَأَى مِنْ قُدْرَةِ اللهِ وَتَقْلِيبِهِ لِلْقُلُوبِ العَجَبَ»: أي من فهم السبب في كفر بني آدم، وهو الغلو في الصالحين تبين له غربة الإسلام؛ لأن أكثر الناس صاروا يغلون في الصالحين، ويرفعونهم فوق منزلتهم.

قَولُـهُ: «الثَّانِيَةُ: مَعْرِفَةُ أَوَّلِ شِرْكٍ حَدَثَ فِي الأَرْضِ كَانَ بِشُبْهَةِ الصَّالِحِينَ»: أي لما حدث الغلو في الصالحين.

قَولُـهُ: «الثَّالِثَةُ: مَعْرِفَةُ أَوَّلِ شَيْءٍ غُيِّرَ بِهِ دِينُ الأَنْبِيَاءِ، وَمَا سَبَبُ ذَلِكَ ؟ مَعَ مَعْرِفَةِ أَنَّ اللهَ أَرْسَلَهُمْ»: أي أول شيء غُيِّر به دين الأنبياء هو الغلو في الصالحين، ومن ثَمَّ عُبدوا من دون الله، وهذا هو سبب عبادتهم من دون الله.

قَولُـهُ: «الرَّابِعَةُ: قَبُولُ البِدَعِ مَعَ كَوْنِ الشَّرَائِعِ وَالْفِطَرِ تَرُدُّهَا»: أي مع أن الشرائع ترد البدع إلا أن الناس يقبلونها؛ لأن الشيطان يزينها لهم ويستحسنها.

قَولُهُ: «الخَامِسَةُ: أَنَّ سَبَبَ ذَلِكَ كُلِّهُ مَزْجُ الحَقِّ بِالْبَاطِلِ»: أي سبب الوقوع في الكفر هو خلط الحق بالباطل.

قَولُهُ: «فَالْأَوَّلُ: مَحَبَّةُ الصَّالِحِينَ»: هذا هو الحق.

قَولُهُ: «وَالثَّانِي: فِعْلُ أُنَاسٍ مِنْ أَهْلِ العِلْمِ وَالدِّيْنِ شَيْئًا أَرَادُوا بِهِ خَيْرًا فَظَنَّ مَنْ بَعْدَهُمْ أَنَّهُمْ أَرَادُوا بِهِ غَيْرَهُ»: هذا هو الباطل، وهو ما فعله أهل العلم والصلاح من نصب الأنصاب؛ لينشطوا في العبادة إذا كسلوا، فظن من أتىٰ بعدهم أن الأولين نصبوا الصور؛ لأجل عبادتها.

قَولُهُ: «السَّادِسَةُ: تَفْسِيرُ الآيَةِ التِي فِي سُورَةِ نُوحٍ»: أي قول الله تعالىٰ: ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾﴾ [نوح:٢٣].

قَولُهُ: «السَّابِعَةُ: جِبِلَّةُ الآدَمِيِّ فِي كَوْنِ الحَقِّ يَنْقُصُ فِي قَلْبِهِ، وَالْبَاطِلُ يَزِيدُ»: كما حدث لهؤلاء الذين نصبوا الأنصاب، فقد كانوا يحبون صالحيهم ويقتدون بهم، وهذا حق، فلما نصبوا الأنصاب، وعكفوا عليها انقلب الحق إلىٰ باطل وزاد.

قَولُهُ: «الثَّامِنَةُ: فِيهِ شَاهِدٌ لِمَا نُقِلَ عَنْ السَّلَفِ أَنَّ البِدَعَ سَبَبُ الكُفْرِ»: أي في هذه القاعدة شاهد لكلام السلف أن سبب كفر بني آدم هو البدع، فهؤلاء لما ابتدعوا وقعوا في الكفر.

قَولُهُ: «التَّاسِعَةُ: مَعْرِفَةُ الشَّيْطَانِ بِمَا تَئُولُ إِلَيْهِ البِدْعَةُ وَلَوْ حَسُنَ قَصْدُ الفَاعِلِ»: أي لما عرف الشيطان ما تئول إليه البدعة وهو الكفر حسنها في نفوسهم حتىٰ تعظم رغبتهم فيها؛ ليقعوا فيما يريد منهم وهو الكفر.

قَولُهُ: «العَاشِرَةُ: مَعْرِفَةُ القَاعِدَةِ الكُلِّيَّةِ، وَهِيَ النَّهْيُ عَنِ الغُلُوِّ، وَمَعْرِفَةُ مَا يَئُوْلُ إِلَيْهِ»: لأجل تجنب الوقوع فيه.

قَولُهُ: «الحَادِيَةَ عَشْرَةَ: مَضَرَّةُ العُكُوفِ عَلَى القَبْرِ لِأَجْلِ عَمَلٍ صَالِحٍ»: لأنه يؤدي إلىٰ عبادته.

قَولُـهُ: «الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ: مَعْرِفَةُ النَّهْيِ عَنِ التَّمَاثِيلِ وَالْحِكْمَةِ فِي إِزَالَتِهَا»: الحكمة من إزالتها أن تركها سبب لعبادتها.

قَولُـهُ: «الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ: عِظَمُ شَأْنِ هَذِهِ القِصَّةِ وَشِدَّةُ الحَاجَةِ إِلَيْهَا مَعَ الغَفْلَةِ عَنْهَا»: لأن الإنسان متىٰ جهل هذه القصة وقع فيما وقع فيه هؤلاء.

قَولُـهُ: «الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ: وَهِيَ أَعْجَبُ العَجَبِ قِرَاءَتُهُمْ إِيَّاهَا فِي كُتُبِ التَّفْسِيرِ وَالحَدِيثِ، وَمَعْرِفَتُهُمْ بِمَعْنَى الكَلَامِ، وَكَوْنُ اللهِ حَالَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ قُلُوبِهِمْ حَتَّى اعْتَقَدُوا أَنَّ فِعْلَ قَوْمِ نُوحٍ هُوَ أَفْضَلُ العِبَادَاتِ، وَاعْتَقَدُوا أَنَّ مَا نَهَى اللهُ وَرَسُولُهُ عَنْهُ فَهُوَ الكُفْرُ المبِيحُ لِلدَّمِ وَالمالِ»: أي أعجب الأشياء أن هؤلاء يقرؤون قصة قوم نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ في كتب التفاسير، ويعرفون معناها، ومع ذلك اعتقدوا أن فعل قوم نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ أفضل العبادات، وأن الكفر الذي يبيح الدم والمال هو ما نهىٰ عنه الله ورسوله ﷺ، وذلك لأن الله حال بينهم وبين قلوبهم.

قَولُـهُ: «الخَامِسَةَ عَشْرَةَ: التَّصْرِيحُ بِأَنَّهُمْ لَمْ يُرِيدُوا إِلَّا الشَّفَاعَةَ»: أي قوم نوح لم يريدوا من عبادتهم لأصنامهم إلا الشفاعة عند الله جَلَّ جَلَالُهُ.

قَولُـهُ: «السَّادِسَةَ عَشْرَةَ: ظَنُّهُمْ أَنَّ العُلَمَاءَ الذِينَ صَوَّرُوا الصُّوَرَ أَرَادُوا ذَلِكَ»: أي ظنت الأجيال اللاحقة أن العلماء الذين نصبوا الأنصاب إنما أراد عبادتها.

قَولُـهُ: «السَّابِعَةَ عَشْرَةَ: البَيَانُ العَظِيمُ فِي قَوْلِهِ: «لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ» فَصَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، بَلَّغَ البَلَاغَ المبِينَ»: أي الواضح الذي لا إشكال ولا خفاء فيه.

قَولُـهُ: «الثَّامِنَةَ عَشْرَةَ: نَصِيحَتُهُ إِيَّانَا بِهَلَاكِ المتَنَطِّعِينَ»: أي في قوله ﷺ: «هلك المتنطعون» ثلاثا.

قَولُـهُ: «التَّاسِعَةَ عَشْرَةَ: التَّصْرِيحُ بِأَنَّهَا لَمْ تُعْبَدْ حَتَّى نُسِيَ العِلْمُ، فَفِيهَا بَيَانُ مَعْرِفَةِ قَدْرِ وُجُودِهِ وَمَضَرَّةِ فَقْدِهِ»: أي لم تعبد الأنصاب حتىٰ نسي العلم،

وفي هذا بيان فضل وجود العلم، ومضرة عدم وجوده، فمتىٰ وجد العلم بالله انتفىٰ الجهل، ومتىٰ وجد الجهل وجد الشرك.

قَـوْلُـهُ: «العِشْرُونَ: أَنَّ سَبَبَ فَقْدِ العِلْمِ مَوْتُ العُلَمَاءِ»: أي من أسباب فقد العلم فقد العلماء، كما في حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ العَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ اللهَ لَا يَقْبِضُ العِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ العِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ العِلْمَ بِقَبْضِ العُلَمَاءِ، حَتَّىٰ إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا**»[(١)].



(١) متفق عليه: رواه البخاري (١٠٠)، ومسلم (٢٦٧٣).

[١٩] بَابُ مَا جَاءَ مِنْ التَّغْلِيظِ فِيمَنْ عَبَدَ اللهَ عِنْدَ قَبْرِ رَجُلٍ صَالِحٍ، فَكَيْفَ إِذَا عَبَدَهُ؟!

فِي الصَّحِيحِ عَنْ عَائِشَةَ: «أَنَّ أُمَّ سَلَمَةَ ذَكَرَتْ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ كَنِيسَةً رَأَتْهَا بِأَرْضِ الحَبَشَةِ، وَمَا فِيهَا مِنْ الصُّوَرِ، فَقَالَ: أُولَئِكِ إِذَا مَاتَ فِيهِمْ الرَّجُلُ الصَّالِحُ أَوْ العَبْدُ الصَّالِحُ، بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا، وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّوَرَ أُولَئِكِ شِرَارُ الخَلْقِ عِنْدَ اللهِ»[١]، فَهَؤُلَاءِ جَمَعُوا بَيْنَ الفِتْنَتَيْنِ: فِتْنَةِ القُبُورِ، وَفِتْنَةِ التَّمَاثِيلِ.

وَلَهُمَا عَنْهَا، قَالَتْ: «لَمَّا نَزَلَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ طَفِقَ يَطْرَحُ خَمِيصَةً لَهُ عَلَى وَجْهِهِ، فَإِذَا اغْتَمَّ بِهَا كَشَفَهَا، فَقَالَ وَهُوَ كَذَلِكَ: لَعْنَةُ اللهِ عَلَى اليَهُودِ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ، يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا، وَلَوْلَا ذَلِكَ أُبْرِزَ قَبْرُهُ غَيْرَ أَنَّهُ خَشِيَ أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا»[٢] أَخْرَجَاهُ.

وَلِمُسْلِمٍ عَنْ جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ بِخَمْسٍ، وَهُوَ يَقُولُ: «إِنِّي أَبْرَأُ إِلَى اللهِ أَنْ يَكُونَ لِي مِنْكُمْ خَلِيلٌ فَإِنَّ اللهَ قَدْ اتَّخَذَنِي خَلِيلًا كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا أَلَا وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ، أَلَّا فَلَا تَتَّخِذُوا القُبُورَ مَسَاجِدَ، فَإِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ»[٣].

فَقَدْ نَهَى عَنْهُ فِي آخِرِ حَيَاتِهِ، ثُمَّ إِنَّهُ لَعَنَ - وَهُوَ فِي السِّيَاقِ - مَنْ فَعَلَهُ[٤]، وَالصَّلَاةُ عِنْدَهَا مِنْ ذَلِكَ، وَإِنْ لَمْ يُبْنَ مَسْجِدٌ، وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِهِ: «خَشِيَ أَنْ يُتَّخَذَ

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٤٣٤)، ومسلم (٥٢٨).
(٢) متفق عليه: رواه البخاري (١٣٣٠)، ومسلم (٥٢٩).
(٣) صحيح: رواه مسلم (٥٣٢).
(٤) انظر: «اقتضاء الصراط المستقيم»، لابن تيمية (٢/ ١٨٥).

مَسْجِدًا» فَإِنَّ الصَّحَابَةَ لَمْ يَكُونُوا لِيَبْنُوا حَوْلَ قَبْرِهِ مَسْجِدًا، وَكُلُّ مَوْضِعٍ قُصِدَتِ الصَّلَاةُ فِيهِ فَقَدِ اتُّخِذَ مَسْجِدًا بَلْ كُلُّ مَوْضِعٍ يُصَلَّى فِيهِ يُسَمَّى مَسْجِدًا، كَمَا قَالَ ﷺ: «جُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا»[1].

وَلِأَحْمَدَ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَرْفُوعًا: «إِنَّ مِنْ شِرَارِ النَّاسِ مَنْ تُدْرِكُهُمُ السَّاعَةُ وَهُمْ أَحْيَاءٌ، وَالَّذِينَ يَتَّخِذُونَ القُبُورَ مَسَاجِدَ»[2] وَرَوَاهُ أَبُو حَاتِمٍ[3] فِي صَحِيحِهِ.

الشَّرْح

قَوْلُهُ: «بَابُ مَا جَاءَ مِنَ التَّغْلِيظِ فِيمَنْ عَبَدَ اللهَ عِنْدَ قَبْرِ رَجُلٍ صَالِحٍ»: أي متقربًا إلىٰ الله تعالىٰ متوسلًا إليه بعبادته عند قبر رجل صالح.

قَوْلُهُ: «فَكَيْفَ إِذَا عَبَدَهُ؟!»: أي عبد الرجل الصالح أو القبر بدعائه، أو الاستعانة، أو الاستغاثة، أو نحوه.

قَوْلُهُ: «فِي الصَّحِيحِ»: أي صحيح البخاري، ومسلم.

قَوْلُهُ: «عَنْ عَائِشَةَ: «أَنَّ أُمَّ سَلَمَةَ ذَكَرَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ»»: أي حدثت النبي ﷺ.

قَوْلُهُ: «كَنِيسَةً»: الكنيسة هي معبد النصارىٰ، وفي موضع آخر: يقال لها مارية[4]، والمارية بتخفيف الياء: البقرة، وبتشديدها: القطاة الملساء[5].

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٣٣٥)، ومسلم (٥٢١)، من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) صحيح: رواه أحمد (١٦٩٤)، وابن حبان في «صحيحه» (٣٤٠)، وابن خزيمة في «صحيحه» (٧٨٩)، وأبو يعلىٰ في «مسنده» (٥٣١٦)، والطبراني في «الكبير» (١٠٤١٣)، وصححه أحمد شاكر.

(٣) هو أبو حاتم محمد بن حبان البُستي. [انظر: «تذكرة الحفاظ»، للذهبي (٣/ ٨٩)].

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (٤٣٤)، ومسلم (٥٢٨).

(٥) انظر: «عمدة القاري شرح صحيح البخاري» (٤/ ١٧٤).

قَوْلُهُ: «رَأَتْهَا»: أي أم حبيبة، وأم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا[(١)].

قَوْلُهُ: «بِأَرْضِ الحَبَشَةِ، وَمَا فِيهَا مِنْ الصُّوَرِ»: أي التماثيل[(٢)].

قَوْلُهُ: «فَقَالَ: أُولَئِكِ»: بكسر الكاف خطابًا بالمؤنث، ويجوز فتحها[(٣)].

قَوْلُهُ: «إِذَا مَاتَ فِيهِمْ الرَّجُلُ الصَّالِحُ، أَوْ العَبْدُ الصَّالِحُ»: أي نبي، أو غيره[(٤)].

قَوْلُهُ: «بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا، وَصَوَّرُوا فِيهِ»: أي في المسجد[(٥)].

قَوْلُهُ: «تِلْكَ الصُّوَرَ»: إنما فعل ذلك أوائلهم ليأتنسوا برؤية تلك الصور ويتذكروا أحوالهم الصالحة فيجتهدوا كاجتهادهم، ثم خلف من بعدهم خلوف جهلوا مرادهم ووسوس لهم الشيطان أن أسلافكم كانوا يعبدون هذه الصور ويعظمونها فعبدوها، فحذر النبي ﷺ عن مثل ذلك سدا للذريعة المؤدية إلىٰ ذلك[(٦)]، وسدا للذرائع في قبره، وكان ذلك في مرض موته إشارة إلىٰ أنه من الأمر المحكم الذي لا ينسخ بعده، ولما احتاجت الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ والتابعون إلىٰ زيادة مسجده ﷺ بنوا علىٰ القبر حيطانا مرتفعة مستديرة حوله؛ لئلا تصل إليه العوام فيؤدي إلىٰ ذلك المحذور، ثم بنوا جدارين بين ركني القبر الشمالي حرفوها حتىٰ التقيا حتىٰ لا يمكن أحدٌ أن يستقبل القبر[(٧)].

قَوْلُهُ: «أُولَئِكِ شِرَارُ الخَلْقِ عِنْدَ اللهِ»: شرار جمع: الشر، كالخيار جمع

---

(١) انظر: «عمدة القاري شرح صحيح البخاري» (٤/ ١٧٤).
(٢) انظر: «عمدة القاري شرح صحيح البخاري» (٤/ ١٧٤).
(٣) انظر: «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» (١/ ٥٢٥)، و«إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري» (١/ ٤٣٤).
(٤) انظر: «إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري» (١/ ٤٣٤).
(٥) انظر: «إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري» (١/ ٤٣٤).
(٦) انظر: «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» (١/ ٥٢٥).
(٧) انظر: «عمدة القاري شرح صحيح البخاري» (٤/ ١٧٤).

الخير، والبحار جمع البحر[(١)].

قال ابن بطال: «فيه نهي عن اتخاذ القبور مساجد، وعن فعل التصاوير.

قال المهلب: وإنما نهىٰ عن ذلك، والله أعلم، قطعًا للذريعة ولقرب عبادتهم الأصنام واتخاذ القبور والصورة آلهة»[(٢)].

وقال البيضاوي: «لما كانت اليهود والنصارىٰ يسجدون لقبور الأنبياء تعظيما لشأنهم ويجعلونها قبلة يتوجهون في الصلاة نحوها واتخذوها أوثانا لعنهم، ومنع المسلمين عن مثل ذلك»[(٣)].

وقال ابن رجب: «هذا الحَدِيْث: يدل علىٰ تحريم التصوير في المساجد المبنية علىٰ القبور، والصور التي في البِيَع، والكنائس في معناها؛ لأنها صور مصورة علىٰ صور أنبيائهم وصالحيهم للتبرك بها - في زعمهم -، وكنائسهم وبيعهم منها ما هو علىٰ قبور أكابرهم، ومنها ما هو علىٰ أسمائهم، فالكل ملتحق بما بُني علىٰ القبور في المعنىٰ، فلهذا ذكر النبي ﷺ هذا الكلام عند ذكر الكنائس، وما فيها من الصور، وكفىٰ بذلك ذمًّا للكنائس المصور فيها، وأنها بيوت ينزل علىٰ أهلها الغضب والسخط، فلا ينبغي للمسلم أن يصلي فيها»[(٤)].

وقال ابن حجر: «في الحديث دليل علىٰ تحريم التصوير»[(٥)].

وقال العيني: «فيه دليل علىٰ تحريم تصوير الحيوان خصوصًا الآدمي الصالح، وفيه: منع بناء المساجد علىٰ القبور ومقتضاه التحريم، كيف وقد ثبت اللعن عليه؟»[(٦)].

---

(١) انظر: «عمدة القاري شرح صحيح البخاري» (٤/ ١٧٤).

(٢) انظر: شرح صحيح البخاري، لابن بطال (٢/ ٨٢).

(٣) انظر: «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» (١/ ٥٢٥).

(٤) انظر: «فتح الباري شرح صحيح البخاري»، لابن رجب (٣/ ٢٤٢-٢٤٣).

(٥) انظر: «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» (١/ ٥٢٥).

(٦) انظر: «عمدة القاري شرح صحيح البخاري» (٤/ ١٧٤).

قَـوْلُـهُ: «فَهَؤُلَاءِ جَمَعُوا بَيْنَ الفِتْنَتَيْنِ: فِتْنَةِ القُبُورِ، وَفِتْنَةِ التَّمَاثِيلِ»: أي العكوف علىٰ القبور، ونصب التماثيل للتقرب إليها بأنواع العبادات.

قَـوْلُـهُ: «وَلَهُمَا»: أي للبخاري، ومسلم.

قَـوْلُـهُ: «عَنْهَا»: أي عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

قَـوْلُـهُ: «قَالَتْ: «لَمَّا نَزَلَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ»: نزل بفتح النون والزاي، أي نزل ملك الموت والملائكة الكرام، وفي رواية أخرىٰ بضم النون وكسر الزاي، أي لما حضرت المنية والوفاة[1].

قَـوْلُـهُ: «طَفِقَ»: بمعنىٰ أخذ في الفعل وجعل يفعل، وهي من أفعال المقاربة[2].

قَـوْلُـهُ: «يَطْرَحُ خَمِيصَةً لَهُ عَلَى وَجْهِهِ»: أي يجعلها علىٰ وجهه من الحمىٰ[3]، والخميصة هي ثوب خزٍّ، أو صوف معلَّم.

وقيل لا تسمىٰ خميصة إلا أن تكون سوداء معلمة، وكانت من لباس الناس قديما، وجمعها الخمائص[4].

قَـوْلُـهُ: «فَإِذَا اغْتَمَّ»: أي إذا تسخَّن[5]، واحتبس نفسه عن الخروج، وهو افتعل من الغم: التغطية والستر[6].

قَـوْلُـهُ: «بِهَا»: أي بالخميصة[7].

---

(١) انظر: «شرح صحيح مسلم» (٥/ ١٢-١٣)، و«عمدة القاري شرح صحيح البخاري» (٤/ ١٩٣).
(٢) انظر: «النهاية في غريب الحديث» (٣/ ١٢٩).
(٣) انظر: «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» (١٠/ ٢٧٧).
(٤) انظر: «النهاية في غريب الحديث» (٢/ ٨٠-٨١).
(٥) انظر: «عمدة القاري شرح صحيح البخاري» (٤/ ١٩٣).
(٦) انظر: «النهاية في غريب الحديث» (٣/ ٣٨٨).
(٧) انظر: «عمدة القاري شرح صحيح البخاري» (٤/ ١٩٣).

قَولُه: «كَشَفَهَا»: أي عن وجهه كما في لفظ آخر[١].

قَولُه: «فَقالَ، وَهُوَ كَذَلِكَ»: أي في تلك الحال[٢]، حال الطرح والكشف[٣].

قَولُه: «لَعْنَةُ اللهِ عَلَى اليَهُودِ وَالنَّصَارَى»: أصل اللعن: الطرد والإبعاد من الله[٤].

قَولُه: «اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ»: جملة استئنافية كأنها جواب عن سؤال سائل ما سبب لعنهم؟، فأجيب بقوله: «اتخذوا»[٥].

قَولُه: «يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا»: أي أمته أن يصنعوا بقبره مثل ما صنع اليهود والنصارىٰ بقبور أنبيائهم[٦]، وهذا من قول الراوي، لا من قول الرسول ﷺ، وهي أيضًا جملة مستأنفة[٧]، كأنه قيل للراوي: ما حكمة ذكر ذلك في ذلك الوقت؟ فقال: «يحذِّر»[٨].

وإنما كان يحذرهم من ذلك الصنيع؛ لئلا يفعل بقبره مثله، ولعل الحكمة فيه أنه يصير بالتدريج شبيها بعبادة الأصنام[٩].

قَولُه: «وَلَوْلَا ذَلِكَ»: من كلام عائشة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا[١٠].

قَولُه: «أُبْرِزَ قَبْرُهُ»: أبرز علىٰ صيغة المجهول أي: أُظْهر[١].

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٤٣٥)، ومسلم (٥٣١).

(٢) انظر: «عمدة القاري شرح صحيح البخاري» (٤/ ١٩٣).

(٣) انظر: «إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري» (١/ ٤٣٥).

(٤) انظر: «النهاية في غريب الحديث» (٤/ ٢٥٥).

(٥) انظر: «عمدة القاري شرح صحيح البخاري» (٤/ ١٩٣-١٩٤).

(٦) انظر: «إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري» (١/ ٤٣٥).

(٧) انظر: «عمدة القاري شرح صحيح البخاري» (٤/ ١٩٤).

(٨) انظر: «إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري»(١/ ٤٣٥).

(٩) انظر: «عمدة القاري شرح صحيح البخاري» (٤/ ١٩٤).

(١٠) انظر: «عمدة القاري شرح صحيح البخاري» (٨/ ٢٢٤).

قَولُه: «غَيْرَ أَنَّهُ خَشِيَ أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا»: خشي علىٰ صيغة المعلوم أي رسول الله ﷺ، أو علىٰ صيغة المجهول، فالخاشي الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، أو عائشة، أو رسول الله ﷺ[(٢)].

قال القرطبي: «بالغ المسلمون في سد الذريعة في قبر النبي ﷺ، فأعلوا حيطان تربته، وسدوا الداخل إليها، وجعلوها محدقة بقبره ﷺ، ثم خافوا أن يتخذ موضع قبره قبلة إذ كان مستقبل المصلين فتتصور إليه الصلاة بصورة العبادة، فبنوا جدارين من ركني القبر الشماليين، وحرفوهما حتىٰ التقيا علىٰ زاوية مثلث من ناحية الشمال، حتىٰ لا يتمكن أحد من استقبال قبره، ولهذا المعنىٰ قالت عائشة: ولولا ذلك لأبرز قبره»[(٣)].

قَولُه: «أَخْرَجَاهُ»: أي البخاري، ومسلم.

قَولُه: «وَلِمُسْلِمٍ عَنْ جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ بِخَمْسٍ، وَهُوَ يَقُولُ: «إِنِّي أَبْرَأُ إِلَى اللهِ»»: أي أمتنع من هذا، وأنكره.

قَولُه: «أَنْ يَكُونَ لِي مِنْكُمْ خَلِيلٌ»: الخليل: الصديق، فعيل بمعنىٰ مفاعل، وقد يكون بمعنىٰ مفعول، والخلة بالضم: الصداقة والمحبة التي تخللت القلب فصارت خلاله: أي في باطنه، وإنما قال ذلك لأن خلته كانت مقصورة علىٰ حب الله تعالىٰ، فليس فيها لغيره متسع ولا شركة من محاب الدنيا والآخرة[(٤)].

وقيل: الخليل هو المنقطع إليه، وقيل: المختص بشيء دون غيره[(٥)].

---

(١) انظر: «عمدة القاري شرح صحيح البخاري» (٨/ ٢٢٤).
(٢) انظر: «عمدة القاري شرح صحيح البخاري» (٨/ ٢٢٤).
(٣) انظر: «فتح الباري شرح صحيح البخاري»، لابن رجب (٣/ ٢٤٨).
(٤) انظر: «النهاية في غريب الحديث» (٢/ ٧٢).
(٥) انظر: «شرح صحيح مسلم» (٥/ ١٣).

والخليل مشتق من الخَلة بفتح الخاء، وهي الحاجة والفقر، وعليه يكون معنىٰ الحديث: إني أبرأ من الاعتماد والافتقار إلىٰ أحد غير الله تعالىٰ[(١)].

وقيل: من الخلة بضم الخاء، وهي تخلل المودة في القلب، وعليه يكون معنىٰ الحديث: أن النبي ﷺ نفىٰ أن تكون حاجته وانقطاعه إلىٰ غير الله تعالىٰ[(٢)].

قَـوْلُـهُ: «فَإِنَّ اللهَ قَدْ اتَّخَذَنِي خَلِيلًا كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا»: الخلَّة تتضمَّن كمال المحبة ونهايتَها، بحيث لا يبقىٰ في قلب المحب سعة لغير محبوبه، وهي منصب لا يقبل المشاركة بوجهٍ ما، وهذا المنصب خَلَصَ لخليلين صلوات الله وسلامه عليهما: إبراهيم، ومحمد[(٣)].

قال ابن القيم: **«ما يظنه بعض الغالطين أن المحبة أكمل من الخلة، وأن إبراهيم خليل الله، ومحمد حبيب الله، فمن جهله، فإن المحبة عامة، والخلة خاصة، والخلة نهاية المحبة»**[(٤)].

قَـوْلُـهُ: «وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا»: عدم اتخاذه أبا بكر خليلًا لعدم اتخاذه خليلًا من الناس، فهذا الحديث وغيره دل علىٰ نفي الخلة من النبي ﷺ لأحد من الناس[(٥)].

قَـوْلُـهُ: «أَلَا وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ»: أي اليهود، والنصارىٰ.

قَـوْلُـهُ: «كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ»: أي يقصدونها بعبادتهم[(٦)].

قَـوْلُـهُ: «أَلَّا فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ، فَإِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ»: هذا

---

(١) انظر: «النهاية في غريب الحديث» (٢/ ٧٢).

(٢) انظر: «شرح صحيح مسلم» (٥/ ١٣).

(٣) انظر: «الداء والدواء»، لابن القيم، صـ(٤٤٥)، و«روضة المحبين»، له، صـ(٤٧).

(٤) انظر: «الداء والدواء»، لابن القيم، صـ(٤٤٦).

(٥) انظر: «عمدة القاري شرح صحيح البخاري» (١٦/ ١٧٧).

(٦) انظر: «شرح صحيح البخاري»، لابن بطال (٢/ ٨١).

يعم كل القبور[(١)].

قَولُهُ: «فَقَدْ نَهَى عَنْهُ فِي آخِرِ حَيَاتِهِ، ثُمَّ إِنَّهُ لَعَنَ - وَهُوَ فِي السِّيَاقِ»: أي في سياق الموت كما في حديث عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا المتقدم.

قَولُهُ: «مَنْ فَعَلَهُ»: أي من فعل ذلك من أهل الكتاب؛ ليحذر أمته أن يفعلوا ذلك[(٢)].

قَولُهُ: «وَالصَّلَاةُ عِنْدَهَا مِنْ ذَلِكَ، وَإِنْ لَمْ يُبْنَ مَسْجِدٌ»: أي والصلاة عند القبور من جنس من يتخذ القبر مسجدا يدخل في اللعن، وإن لم يبن مسجد على القبر.

قَولُهُ: «وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِهِ: «خَشِيَ أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا» فَإِنَّ الصَّحَابَةَ لَمْ يَكُونُوا لِيَبْنُوا حَوْلَ قَبْرِهِ مَسْجِدًا»: لأنهم يعلمون أن هذا الفعل ملعون صاحبه.

قَولُهُ: «وَكُلُّ مَوْضِعٍ قُصِدَتِ الصَّلَاةُ فِيهِ، فَقَدِ اتُّخِذَ مَسْجِدًا، بَلْ كُلُّ مَوْضِعٍ يُصَلَّى فِيهِ، يُسَمَّى مَسْجِدًا، كَمَا قَالَ ﷺ: «جُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا»»: هذه قاعدة عامة، فكل موضع يصلىٰ فيه يسمىٰ مسجدًا.

قال العلماء: «إنما نهىٰ النبي ﷺ عن اتخاذ قبره وقبر غيره مسجدًا خوفًا من المبالغة في تعظيمه والافتتان به، فربما أدىٰ ذلك إلىٰ الكفر كما جرىٰ لكثير من الأمم الخالية، ولمَّا احتاجت الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين والتابعون إلىٰ الزيادة في مسجد رسول الله ﷺ حين كثر المسلمون وامتدت الزيادة إلىٰ أن دخلت بيوت أمهات المؤمنين فيه، ومنها حجرة عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا مدفن رسول الله ﷺ، وصاحبيه أبي بكر وعمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا بنوا علىٰ القبر حيطانا مرتفعة مستديرة حوله؛ لئلا يظهر في المسجد فيصلي إليه العوام ويؤدي إلىٰ المحذور ثم بنوا

---

(١) **انظر**: «فتح الباري شرح صحيح البخاري»، لابن رجب (٣/ ١٩٩).

(٢) **انظر**: «اقتضاء الصراط المستقيم»، لابن تيمية (٢/ ١٨٥).

جدارين من ركني القبر الشماليين وحرفوهما حتىٰ التقيا حتىٰ لا يتمكن أحد من استقبال القبر»[١].

قَـوْلُـهُ: «وَلِأَحْمَدَ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَرْفُوعًا: «إِنَّ مِنْ شِرَارِ النَّاسِ مَنْ تُدْرِكُهُمُ السَّاعَةُ وَهُمْ أَحْيَاءٌ»: أي لا تقوم القيامة إلا علىٰ شرار الناس.

قال النووي: «أما حديث: «لاتزال طائفة من أمتي ظاهرين علىٰ الحق إلىٰ يوم القيامة»[٢]، فليس مخالفا لهذ الحديث؛ لأن معنىٰ هذا أنهم لا يزالون علىٰ الحق حتىٰ تقبضهم الريح اللينة قرب القيامة، وعند تظاهر أشراطها، فأطلق في هذا الحديث بقاءهم إلىٰ قيام الساعة علىٰ أشراطها ودنوها المتناهي في القرب»[٣].

وقال ابن حجر: «الجمع بينه، وبين حديث «لا تزال طائفة» حمل الغاية في حديث «لا تزال طائفة» علىٰ وقت هبوب الريح الطيبة التي تقبض روح كل مؤمن ومسلم، فلا يبقىٰ إلا الشرار فتهجم الساعة عليهم بغتة»[٤].

وقال ابن بطال: «إنه وإن كان لفظه العموم فالمراد به الخصوص، ومعناه: أن الساعة تقوم في الأكثر والأغلب علىٰ شرار الناس بدليل قوله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتىٰ علىٰ الحق منصورة لا يضرها من ناوأها حتىٰ تقوم الساعة»[٥]، فدل هذا الخبر أن الساعة تقوم أيضًا علىٰ قوم فضلاء، وأنهم في صبرهم علىٰ

(١) انظر: «شرح صحيح مسلم» (٥/ ١٣-١٤).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٣٦٤٠)، بلفظ: «لا يَزَالُ نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ حَتَّىٰ يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ» عن المغيرة بن شعبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومسلم (١٠٣٧)، بلفظ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي قَائِمَةً بِأَمْرِ اللهِ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ أَوْ خَالَفَهُمْ، حَتَّىٰ يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ عَلَىٰ النَّاسِ» عن معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) انظر: «شرح صحيح مسلم» (٢/ ١٣٢).

(٤) انظر: «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» (١٣/ ١٩).

(٥) حسن: رواه الهيثمي في «موارد الظمآن» (١٨٥١)، وحسنه حسين سليم.

دينهم كالقابض على الجمر»[١].

قال ابن حجر: «لا يتعين ما قال، فقد جاء ما يؤيد العموم المذكور كقوله في حديث ابن مسعود أيضًا رفعه «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ، إِلَّا عَلَىٰ شِرَارِ النَّاسِ»[٢]»[٣].

قَـوْلُـهُ: «وَالذِينَ يَتَّخِذُونَ القُبُورَ مَسَاجِدَ»: أي يقصدونها بعبادتهم[٤].

قَـوْلُـهُ: «وَرَوَاهُ أَبُو حَاتِمٍ فِي صَحِيحِهِ»: هو أبو حاتم محمد بن حبان البُستي[٥].

قال ابن القيم: «إن المسلمين قد أجمعوا علىٰ ما علموه بالاضطرار من دين رسول الله صلىٰ الله تعالىٰ عليه وآله وسلم أن الصلاة عند القبور منهي عنها، وأنه لعن من اتخذها مساجد.

فمن أعظم المحدثات وأسباب الشرك: الصلاة عندها، واتخاذها مساجد، وبناء المساجد عليها.

وقد تواترت النصوص عن النبي عليه الصلاة والسلام بالنهىٰ عن ذلك والتغليظ فيه.

فقد صرح عامة الطوائف بالنهي عن بناء المساجد عليها، متابعة منهم للسنة الصحيحة الصريحة.

وصرح أصحاب أحمد وغيرهم من أصحاب مالك والشافعي بتحريم ذلك، وطائفة أطلقت الكراهة، والذىٰ ينبغي أن يحمل علىٰ كراهة التحريم إحسانا للظن بالعلماء، وأن لا يظن بهم أن يجوزوا فعل ما تواتر عن رسول الله

---

(١) انظر: «شرح صحيح البخاري»، لابن بطال (١٠/ ١٤).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٩٤٩).

(٣) انظر: «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» (١٣/ ١٩).

(٤) انظر: «تذكرة الحفاظ»، للذهبي (٣/ ٨٩).

(٥) انظر: «شرح صحيح البخاري»، لابن بطال (٢/ ٨١).

صلىٰ الله تعالىٰ عليه وآله وسلم لعن فاعله والنهي عنه»[(١)].

وقال أيضًا: «القباب التي علىٰ القبور يجب هدمها كلها؛ لأنها أسست علىٰ معصية الرسول؛ لأنه قد نهىٰ عن البناء علىٰ القبور... وقد أمر رسول الله صلىٰ الله تعالىٰ عليه وآله وسلم بهدم القبور المشرفة...

فهدم القباب والبناء والمساجد التي بنيت عليها أولىٰ وأحرىٰ؛ لأنه لعن متخذي المساجد عليها، ونهىٰ عن البناء عليها فيجب المبادرة والمساعدة إلىٰ هدم ما لعن رسول الله تعالىٰ عليه وآله وسلم فاعله ونهىٰ عنه....

وكذلك يجب إزالة كل قنديل أو سراج علىٰ قبر، وطَفيهُ، فإن فاعل ذلك ملعون بلعنة رسول الله صلىٰ الله تعالىٰ عليه وآله وسلم»[(٢)].



(١) **انظر**: «إغاثة اللهفان»، لابن القيم (١/ ١٨٥).
(٢) **انظر**: «إغاثة اللهفان»، لابن القيم (١/ ٢١١).

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأُولَى: مَا ذَكَرَ الرَّسُولُ فِيمَنْ بَنَى مَسْجِدًا يُعْبَدُ اللهُ فِيهِ عِنْدَ قَبْرِ رَجُلٍ صَالِحٍ، وَلَوْ صَحَّتْ نِيَّةُ الفَاعِلِ.

الثَّانِيَةُ: النَّهْيُ عَنْ التَّمَاثِيلِ وَغِلَظُ الأَمْرِ فِي ذَلِكَ.

الثَّالِثَةُ: العِبْرَةُ فِي مُبَالَغَتِهِ ﷺ فِي ذَلِكَ كَيْفَ بَيَّنَ لَهُمْ هَذَا أَوَّلًا، ثُمَّ قَبْلَ مَوْتِهِ بِخَمْسٍ قَالَ مَا قَالَ، ثُمَّ لَمَّا كَانَ فِي السِّيَاقِ لَمْ يَكْتَفِ بِمَا تَقَدَّمَ.

الرَّابِعَةُ: نَهْيُهُ عَنْ فِعْلِهِ عِنْدَ قَبْرِهِ قَبْلَ أَنْ يُوجَدَ القَبْرُ.

الخَامِسَةُ: أَنَّهُ مِنْ سُنَنِ اليَهُودِ وَالنَّصَارَى فِي قُبُورِ أَنْبِيَائِهِمْ.

السَّادِسَةُ: لَعْنَهُ إِيَّاهُمْ عَلَى ذَلِكَ.

السَّابِعَةُ: أَنَّ مُرَادَهُ ﷺ تَحْذِيرُهُ إِيَّانَا عَنْ قَبْرِهِ.

الثَّامِنَةُ: العِلَّةُ فِي عَدَمِ إِبْرَازِ قَبْرِهِ.

التَّاسِعَةُ: فِي مَعْنَى اتِّخَاذِهَا مَسْجِدًا.

العَاشِرَةُ: أَنَّهُ قَرَنَ بَيْنَ مَنِ اتَّخَذَهَا، وَبَيْنَ مَنْ تَقُومُ عَلَيْهِمُ السَّاعَةُ، فَذَكَرَ الذَّرِيعَةَ إِلَى الشِّرْكِ قَبْلَ وُقُوعِهِ مَعَ خَاتِمَتِهِ.

الحَادِيَةَ عَشْرَةَ: ذِكْرُهُ فِي خُطْبَتِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ بِخَمْسٍ الرَّدَّ عَلَى الطَّائِفَتَيْنِ اللَّتَيْنِ هُمَا أَشَرُّ أَهْلِ البِدَعِ، بَلْ أَخْرَجَهُمْ بَعْضُ أَهْلِ العِلْمِ مِنَ الثِّنْتَيْنِ وَالسَّبْعِينَ فِرْقَةً، وَهُمْ الرَّافِضَةُ وَالجَهْمِيَّةُ، وَبِسَبَبِ الرَّافِضَةِ حَدَثَ الشِّرْكُ وَعِبَادَةُ القُبُورِ، وَهُمْ أَوَّلُ مَنْ بَنَى عَلَيْهَا المَسَاجِدَ.

الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ: مَا بُلِيَ بِهِ ﷺ مِنْ شِدَّةِ النَّزْعِ.

الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ: مَا أُكْرِمَ بِهِ مِنَ الخُلَّةِ.

الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ: التَّصْرِيحُ بِأَنَّهَا أَعْلَى مِنَ المحَبَّةِ.

الخَامِسَةَ عَشْرَةَ: التَّصْرِيحُ بِأَنَّ الصِّدِّيقَ أَفْضَلُ الصَّحَابَةِ.

السَّادِسَةَ عَشْرَةَ: الإِشَارَةُ إِلَى خِلَافَتِهِ.

الشَّرْح

قَوْلُهُ: «الأُولَى: مَا ذَكَرَ الرَّسُولُ فِيمَنْ بَنَى مَسْجِدًا يُعْبَدُ اللهُ فِيهِ عِنْدَ قَبْرِ رَجُلٍ صَالِحٍ، وَلَوْ صَحَّتْ نِيَّةُ الفَاعِلِ»: أي لعن الرسول ﷺ من فعل ذلك، وإن كانت نيته صحيحة؛ لأن النية الصحيحة لا تصلح العمل الفاسد.

قَوْلُهُ: «الثَّانِيَةُ: النَّهْيُ عَنِ التَّمَاثِيلِ وَغِلَظُ الأَمْرِ فِي ذَلِكَ»: أي في التمثيل كما في قوله ﷺ: «أُولَئِكِ إِذَا مَاتَ فِيهِمْ الرَّجُلُ الصَّالِحُ أَوْ العَبْدُ الصَّالِحُ، بَنَوْا عَلَىٰ قَبْرِهِ مَسْجِدًا، وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّوَرَ، أُولَئِكِ شِرَارُ الخَلْقِ عِنْدَ اللهِ».

قَوْلُهُ: «الثَّالِثَةُ: العِبْرَةُ فِي مُبَالَغَتِهِ ﷺ فِي ذَلِكَ كَيْفَ بَيَّنَ لَهُمْ هَذَا أَوَّلًا، ثُمَّ قَبْلَ مَوْتِهِ بِخَمْسٍ قَالَ مَا قَالَ، ثُمَّ لَمَّا كَانَ فِي السِّيَاقِ لَمْ يَكْتَفِ بِمَا تَقَدَّمَ»: العبرة من مبالغته ﷺ في التحذير من ذلك؛ خوفًا علىٰ أمته أن يفعلوا مثل فعل أهل الكتاب.

قَوْلُهُ: «الرَّابِعَةُ: نَهْيُهُ عَنْ فِعْلِهِ عِنْدَ قَبْرِهِ قَبْلَ أَنْ يُوجَدَ القَبْرُ»: كما في قول الراوي: «يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا».

قَوْلُهُ: «الخَامِسَةُ: أَنَّهُ مِنْ سُنَنِ اليَهُودِ وَالنَّصَارَى فِي قُبُورِ أَنْبِيَائِهِمْ»: كما في قوله ﷺ: «أُولَئِكِ إِذَا مَاتَ فِيهِمْ الرَّجُلُ الصَّالِحُ أَوْ العَبْدُ الصَّالِحُ، بَنَوْا عَلَىٰ قَبْرِهِ مَسْجِدًا، وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّوَرَ».

قَوْلُهُ: «السَّادِسَةُ: لَعْنُهُ إِيَّاهُمْ عَلَى ذَلِكَ»: كما في قوله ﷺ: «لَعْنَةُ اللهِ عَلَىٰ اليَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ».

قَوْلُهُ: «السَّابِعَةُ: أَنَّ مُرَادَهُ ﷺ تَحْذِيرُهُ إِيَّانَا عَنْ قَبْرِهِ»: أي مراد النبي ﷺ من لعن اليهود والنصارىٰ هو تحذير أمته، كما في قول الراوي: «يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا».

قَوْلُهُ: «الثَّامِنَةُ: العِلَّةُ فِي عَدَمِ إِبْرَازِ قَبْرِهِ»: هي مبالغته في التحذير من اتخاذه مسجدا.

قَوْلُهُ: «التَّاسِعَةُ: فِي مَعْنَى اتِّخَاذِهَا مَسْجِدًا»: أي من صلىٰ فيها فقد اتخذها مسجدا.

قَوْلُهُ: «العَاشِرَةُ: أَنَّهُ قَرَنَ بَيْنَ مَنِ اتَّخَذَهَا، وَبَيْنَ مَنْ تَقُومُ عَلَيْهِمُ السَّاعَةُ»: كما في قوله ﷺ: «إِنَّ مِنْ شِرَارِ النَّاسِ مَنْ تُدْرِكُهُمُ السَّاعَةُ وَهُمْ أَحْيَاءٌ، وَالذِينَ يَتَّخِذُونَ القُبُورَ مَسَاجِدَ».

قَوْلُهُ: «فَذَكَرَ الذَّرِيعَةَ إِلَى الشِّرْكِ قَبْلَ وُقُوعِهِ»: أي اتخاذ القبور مساجد ذريعة ووسيلة تفضي إلىٰ الشرك.

قَوْلُهُ: «مَعَ خَاتِمَتِهِ»: أي خاتمة الشرك، كما في الحديث المتقدم.

قَوْلُهُ: «الحَادِيَةَ عَشْرَةَ: ذِكْرُهُ فِي خُطْبَتِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ بِخَمْسٍ الرَّدَّ عَلَى الطَّائِفَتَيْنِ اللَّتَيْنِ هُمَا أَشَرُّ أَهْلِ البِدَعِ، بَلْ أَخْرَجَهُمْ بَعْضُ أَهْلِ العِلْمِ مِنَ الثِّنْتَيْنِ وَالسَّبْعِينَ فِرْقَةً، وَهُمْ الرَّافِضَةُ وَالجَهْمِيَّةُ»: أي لأجل شركهم، والرافضة تلعن أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قَوْلُهُ: «وَبِسَبَبِ الرَّافِضَةِ حَدَثَ الشِّرْكُ وَعِبَادَةُ القُبُورِ، وَهُمْ أَوَّلُ مَنْ بَنَى عَلَيْهَا المَسَاجِدَ»: لأنهم غالوا في آل بيت النبي ﷺ، فبنوا لهم الأضرحة والمشاهد، وعبدوها من دون الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وسميت الرافضة بذلك؛ لأنهم رفضوا خلافة أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

والجهمية نسبة إلىٰ الجهم بن صفوان الذي نفىٰ الأسماء والصفات الثابتة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قَوْلُهُ: «الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ: مَا بُلِيَ بِهِ ﷺ مِنْ شِدَّةِ النَّزْعِ»: كما في حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: «لَمَّا نَزَلَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ طَفِقَ يَطْرَحُ خَمِيصَةً لَهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ، فَإِذَا اغْتَمَّ بِهَا كَشَفَهَا».

قَـوْلُـهُ: «الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ: مَا أُكْرِمَ بِهِ مِنَ الخُلَّةِ»: كما في قوله ﷺ: «فَإِنَّ اللهَ قَدْ اتَّخَذَنِي خَلِيلًا كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا».

قَـوْلُـهُ: «الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ: التَّصْرِيحُ بِأَنَّهَا أَعْلَى مَنْ المحَبَّةِ»: أي الخلة أعلىٰ من المحبة؛ لأن النبي ﷺ نفاها عن أهل الأرض جميعا، وأخبر أنه يحب بعض صحابته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

قَـوْلُـهُ: «الخَامِسَةَ عَشْرَةَ: التَّصْرِيحُ بِأَنَّ الصِّدِّيقَ أَفْضَلُ الصَّحَابَةِ»: كما في قوله ﷺ: «وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا».

قَـوْلُـهُ: «السَّادِسَةَ عَشْرَةَ: الإِشَارَةُ إِلَى خِلَافَتِهِ»: لأنه ﷺ خص أبا بكر بهذه الدرجة، فدل علىٰ أنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أحق بالخلافة من غيره.

[٢٠] باب ما جاء أن الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثانا تعبد من دون الله

رَوَى مَالِكٌ فِي المُوَطَّأِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «اللهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ اشْتَدَّ غَضَبُ اللهِ عَلَى قَوْمٍ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ»[١].

وَلِابْنِ جَرِيرٍ بِسَنَدِهِ عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝١٩﴾ قَالَ: كَانَ يَلُتُّ لَهُمُ السَّوِيقَ، فَمَاتَ، فَعَكَفُوا عَلَى قَبْرِهِ[٢].

وَكَذَا قَالَ أَبُو الجَوْزَاءِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: كَانَ يَلُتُّ السَّوِيقَ لِلْحَاجِّ[٣].

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: «لَعَنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ زَائِرَاتِ القُبُورِ، وَالمُتَّخِذِينَ عَلَيْهَا المَسَاجِدَ وَالسُّرُجَ»[٤] رَوَاهُ أَهْلُ السُّنَنِ.

الشَّرْح

قَوْلُهُ: «بَابُ مَا جَاءَ أَنَّ الغُلُوَّ فِي قُبُورِ الصَّالِحِينَ يُصَيِّرُهَا أَوْثَانًا تُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ»: أي هذا باب بيان ما جاء من النصوص أن الغلو -وهو مجاوزة الحد المحدد شرعا- في قبور الصالحين يجعلها أوثانا تعبد من دون الله ﷻ؛ كأن تدعىٰ من دون الله، أو يستغاث بها، أو يستشفع بها، أو نحو ذلك.

---

(١) صحيح: رواه مالك في «الموطأ» (٨٥) عن عطاء بن يسار مرسلًا، وأحمد (٧٣٥٢) عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وصححه الألباني في «المشكاة» (٧٥٠).

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (٢٢/ ٥٢٣).

(٣) صحيح: رواه البخاري (٤٨٥٩).

(٤) حسن: رواه أبو داود (٣٢٣٦)، والترمذي (٣٢٠)، وحسنه، والنسائي (٢٠٤٣)، وأحمد (٢٠٣٠)، وصححه أحمد شاكر، وحسنه الألباني في «المشكاة» (٧٤٠)، وضعفه في «الإرواء» (٧٦١).

والوثن: صنم يعبد[(١)].

وأصل الأوثان عند العرب: كل تمثال من خشب، أو حجارة، أو ذهب، أو فضة، أو نحاس، ونحوها، وكانت العرب تنصبها وتصلي إليها، وتعبدها[(٢)].

قال ابن تيمية: **«الغلو في الأمة وقع في طائفتين:**

طائفة من ضلال الشيعة الذين يعتقدون في الأنبياء والأئمة من أهل البيت الألوهية.

وطائفة من جهال المتصوفة يعتقدون نحو ذلك في الأنبياء والصالحين.

فمن توهم في نبينا أو غيره من الأنبياء شيئًا من الألوهية والربوبية فهو من جنس النصارىٰ، وإنما حقوق الأنبياء ما جاء به الكتاب والسنة عنهم»[(٣)].

فائدة: الفرق بين الصنم والوثن:

قيل: الصنم ما كان مصورًا من فضة، أو ذهب، أو غير ذلك.

والوثن: ما كان غير مصور[(٤)].

وقيل: الوثن كل ما له جثة معمولة من جواهر الأرض، أو من الخشب والحجارة، كصورة الآدمي تعمل وتنصب فتعبد، وقد يطلق الوثن علىٰ غير الصورة.

والصنم: الصورة بلا جثة[(٥)].

وقيل: ما اتخذوه من آلهة فكان غير صورة فهو وثن، فإذا كان له صورة فهو صنم.

---

(١) **انظر:** «العين»، مادة «وثن».

(٢) **انظر:** «التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد» (٥/ ٤٥)، و«تهذيب اللغة»، لأبي منصور الأزهري (١٥/ ١٠٥).

(٣) **انظر:** «مجموع الفتاوىٰ» (١/ ٦٦).

(٤) **انظر:** «معجم الفروق اللغوية»، لأبي هلال العسكري، صـ (٣٢٣).

(٥) **انظر:** «النهاية في غريب الحديث» (٥/ ١٥١).

ومن العرب من جعل الوثن المنصوب صنما[١].

وقيل: لا فرق بينهما، وهما بمعنىٰ واحد، فكل ما يعبد من دون الله فهو وثن صنما كان أو غير صنم[٢].

والخلاصة أن الصنم ما كان علىٰ صورة، والوثن ما كان علىٰ غير صورة، والوثن أعم من الصنم، فكل صنم وثن، وليس كل وثن صنما.

قَولُه: «رَوَى مَالِكٌ فِي المُوَطَّأ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «اللهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ»»: أي لا تجعل قبري صنمًا يصلىٰ إليه، ويسجد نحوه، ويعبد[٣]، وهذا دليل علىٰ أن القبور قد تجعل أوثانًا، وهو ﷺ خاف من ذلك، فدعا الله أن لا يفعله بقبره، واستجاب الله دعاءه رغم أنف المشركين الضّالين الذين يشبّهون قبر غيره بقبره، ويريدون أن يجعلوه وثنا يحجّ إليه ويدعىٰ من دون الله[٤].

فقبره ﷺ لا يمكن أحد أن يصل إليه حتىٰ يتخذه وثنا، وإنما يصل إلىٰ مسجده[٥].

قَولُه: «اشْتَدَّ غَضَبُ اللهِ عَلَى قَوْمٍ»: هم اليهود والنصارىٰ[٦].

قَولُه: «اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ»: لهذا لم يصلِّ أحد علىٰ قبره، ولا شرع الصلاة علىٰ قبره عند أحد من العلماء... فلا يصلّىٰ علىٰ قبره بالإجماع؛ لأن المقصود بالصلاة علىٰ القبور وزيارتها هو الدعاء[٧]، وإنما قال ﷺ ذلك في

---

(١) **انظر:** «لسان العرب»، لابن منظور (١٢/ ٣٤٩).

(٢) **انظر:** «التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد» (٥/ ٤٥)، و«النهاية في غريب الحديث» (٥/ ١٥١).

(٣) **انظر:** «التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد» (٥/ ٤٥).

(٤) **انظر:** «الرد علىٰ الإخنائي»، لابن تيمية، صـ (١٦٨).

(٥) **انظر:** السابق، صـ (٢١٠).

(٦) **انظر:** «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٢/ ٦٢٨).

(٧) **انظر:** «الرد علىٰ الإخنائي»، صـ (٩١).

مرضه تحذيرا مما صنعه اليهود والنصارىٰ من ذلك[(١)].

وكان رسول الله ﷺ يحذر أصحابه وسائر أمته من سوء صنيع الأمم قبله الذين صلوا إلىٰ قبور أنبيائهم واتخذوها قبلة ومسجدا كما صنعت الوثنية بالأوثان التي كانوا يسجدون إليها ويعظمونها، وذلك الشرك الأكبر، فكان النبي ﷺ يخبرهم بما في ذلك من سخط الله، وغضبه، وأنه مما لا يرضاه خشية عليهم امتثال طرقهم، وكان ﷺ يحب مخالفة أهل الكتاب وسائر الكفار، وكان يخاف علىٰ أمته اتباعهم[(٢)].

قال الطيبي: «الأظهر أنه إخبار عما وقع في الأمم السالفة تحذيرا للأمة المرحومة من أن يفعلوا فعلهم، فيشتد غضبه عليهم»[(٣)].

وقال ابن عبد البر: «ليس فيه حكم أكثر من التحذير أن يصلىٰ إلىٰ قبره، وأن يتخذ مسجدًا، وفي ذلك أمر بأن لا يعبد إلا الله وحده»[(٤)].

قَـوْلُـهُ: «وَلِابْنِ جَرِيرٍ بِسَنَدِهِ عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝١٩﴾ قَالَ: كَانَ يَلُتُّ لَهُمُ السَّوِيقَ»: أي يخلطه[(٥)]، واللَّتُّ: الدَّقُّ، والفَتُّ[(٦)]، والسويق طعام يتخذ من الحنطة والشعير[(٧)].

قَـوْلُـهُ: «فَمَاتَ، فَعَكَفُوا عَلَىٰ قَبْرِهِ»: أي أقاموا عند قبره، ولزموه[(٨)].

قال ابن تيمية: «تعظيم قبور الصالحين، واتخاذ التماثيل لها هي العلة التي

---

(١) انظر: «المنتقىٰ شرح الموطأ»، لأبي الوليد الباجي (١/ ٣٠٧).

(٢) انظر: «التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد» (٥/ ٤٥).

(٣) انظر: «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٢/ ٦٢٨).

(٤) انظر: «الاستذكار» (٢/ ٣٦٠).

(٥) انظر: «النهاية في غريب الحديث» (٤/ ٢٣٠).

(٦) انظر: «القاموس المحيط»، مادة «لتت».

(٧) انظر: «لسان العرب»، مادة «سوق».

(٨) انظر: «تهذيب اللغة»، مادة «عكف».

لأجلها نهىٰ الشارع عن اتخاذ المساجد علىٰ القبور هي التي أوقعت كثيرًا من الأمم إما في الشرك الأكبر، أو فيما دونه من الشرك، فإن النفوس قد أشركت بتماثيل القوم الصالحين، وتماثيل يزعمون أنه طلاسم للكواكب ونحو ذلك، فإن الشرك بقبر الرجل الذي يعتقد صلاحه أقرب إلىٰ النفوس من الشرك بخشبة أو حجر»[(١)].

قَـوْلُـهُ: «وَكَذَا قَالَ أَبُو الجَوْزَاءِ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: كَانَ يَلُتُّ السَّوِيقَ لِلْحَاجِّ»:

أي يصنعه لمن يأتي البيت الحرام حاجا.

قَـوْلُـهُ: «وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «لَعَنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ زَائِرَاتِ القُبُورِ»:

أي لعن نساء زائرات القبور[(٢)]، فإنهن مأمورات بالقرار في بيوتهن، فمن خالفت، وهي يخشىٰ منها أو عليها الفتنة استحقت اللعن، أي الإبعاد عن منازل الأبرار[(٣)].

قال الترمذي: «قد رأىٰ بعض أهل العلم أن هذا كان قبل أن يرخص النبي ﷺ في زيارة القبور، فلما رخص دخل في رخصته الرجال والنساء، وقال بعضهم: إنما كره زيارة القبور للنساء لقلة صبرهن وكثرة جزعهن»[(٤)].

وقال ابن عبد البر: «ممكن أن يكون هذا قبل الإباحة، وتوقي ذلك للنساء المتجملات أحب إلي، فأما الشواب فلا تؤمن الفتنة عليهن وبهِنَّ حيث خرجن، ولا شيء للمرأة أفضل من لزوم قعر بيتها، ولقد كره أكثر العلماء خروجهن إلىٰ الصلوات، فكيف إلىٰ المقابر، وما أظن سقوط فرض الجمعة عنهن إلا دليلا علىٰ إمساكهن عن الخروج فيما عداها»[(٥)].

---

(١) انظر: «إغاثة اللهفان»، لابن القيم (١/ ١٨٤).
(٢) انظر: «شرح سنن أبي داود»، للعيني (٦/ ١٩٢).
(٣) انظر: «فيض القدير شرح الجامع الصغير»، للمناوي (٥/ ٢٧٤).
(٤) انظر: «سنن الترمذي» (٣/ ٣٦٢).
(٥) انظر: «التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد» (٣/ ٢٣٢-٢٣٣).

ونقل البغوي نفس كلام الترمذي المتقدم[(١)].

والمراد بالترخص حديث بُرَيْدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ فَزُورُوهَا**»[(٢)].

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ، أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَقْبَلَتْ ذَاتَ يَوْمٍ مِنَ الْمَقَابِرِ فَقُلْتُ لَهَا: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتِ؟ قَالَتْ: مِنْ قَبْرِ أَخِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ، فَقُلْتُ لَهَا: أَلَيْسَ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ نَهَىٰ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، «**كَانَ قَدْ نَهَىٰ، ثُمَّ أُمِرَ بِزِيَارَتِهَا**»[(٣)].

وقال ابن تيمية: قيل: الجواب عن هذا من وجوه:

أحدها: أن الخطاب بالإذن لم يتناول النساء، فلا يدخلن في الحكم الناسخ.

الثاني: أنه خاص في النساء، وهو قوله ﷺ: «**لعن الله زوارات القبور**»[(٤)]، أو «**زائرات القبور**»[(٥)]، وقوله: «**فزوروها**» بطريق التبع، فيدخلن بعموم ضعيف إما أن يكون مختصا بالرجال، وإما أن يكون متناولا للنساء، والعام إذا عرف أنه بعد الخاص لم يكن ناسخا له عند جمهور العلماء، وهو مذهب الشافعي وأحمد في أشهر الروايتين عنه، وهو المعروف عند أصحابه، فكيف إذا لم يعلم أن هذا العام بعد الخاص، إذ قد يكون قوله: «**لعن الله زوارات القبور**» بعد إذنه للرجال في الزيارة ويدل علىٰ ذلك أنه قرنه بالمتخذين عليها المساجد والسرج، وذكر

---

(١) **انظر:** «شرح السنة»، للبغوي (٢/ ٤١٧).

(٢) **صحيح:** رواه مسلم (٩٧٧).

(٣) **صحيح:** رواه الحاكم في «المستدرك» (١٣٩٢)، والبيهقي في «الكبرىٰ» (٧٢٠٧)، وصححه الألباني في «الإرواء» (٧٧٥).

(٤) **حسن:** رواه الترمذي (١٠٥٦)، وقال: حسن صحيح، وابن ماجه (١٥٧٤)، وأحمد (٨٤٤٩)، وحسنه الألباني.

(٥) **حسن:** رواه أبو داود (٣٢٣٦)، والترمذي (٣٢٠)، وحسنه، والنسائي (٢٠٤٣)، وأحمد (٢٠٣٠)، وصححه أحمد شاكر، وحسنه الألباني في «المشكاة» (٧٤٠)، وضعفه في «الإرواء» (٧٦١).

هذا بصيغة التذكير التي تتناول الرجال، ولعن الزائرات جعله مختصا بالنساء، ومعلوم أن اتخاذ المساجد والسرج باق محكم، كما دلت عليه الأحاديث الصحيحة، فكذلك الآخر.

وأما ما ذكر عن عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا، فأحمد احتج به في إحدىٰ الروايتين عنه، لما أداه اجتهاده إلىٰ ذلك، والرواية الأخرىٰ عنه تناقض ذلك، وهي اختيار الخرقي وغيره من قدماء أصحابه.

ولا حجة في حديث عائشة، فإن المحتج عليها احتج بالنهي العام، فدفعت ذلك بأن النهي منسوخ، وهو كما قالت رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا، ولم يذكر لها المحتج النهي المختص بالنساء الذي فيه لعنهن علىٰ الزيارة يبين ذلك قولها: «**قد أمر بزيارتها**»، فهذا يبين أنه أمر بها أمرا يقتضي الاستحباب، والاستحباب إنما هو ثابت للرجال خاصة، ولكن عائشة بينت أن أمره الثاني نسخ نهيه الأول، فلم يصلح أن يحتج به وهو النساء علىٰ أصل الإباحة، ولو كانت عائشة تعتقد أن النساء مأمورات بزيارة القبور لكانت تفعل ذلك كما يفعله الرجال، ولم تقل لأخيها: «**لَمَا زُرْتُكَ**».

الجواب الثالث: جواب من يقول بالكراهة من أصحاب أحمد، والشافعي، وهو أنهم قالوا: حديث اللعن يدل علىٰ التحريم، وحديث الإذن يرفع التحريم، وبقي أصل الكراهة، يؤيد هذا «**قول أم عطية: نهينا عن اتباع الجنائز، ولم يعزم علينا**»[1].

والزيارة من جنس الاتباع فيكون كلاهما مكروها غير محرم.

الجواب الرابع: جواب طائفة منهم: كإسحاق بن راهويه، فإنهم يقولون: اللعن قد جاء بلفظ «**الزوارات**»، وهن المكثرات للزيارة، فالمرة الواحدة في

---

(١) **متفق عليه:** رواه البخاري (١٢٧٨)، ومسلم (٩٣٨).

الدهر لا تتناول ذلك، ولا تكن المرأة زائرة، ويقولون: عائشة زارت مرة واحدة، ولم تكن زوارة.

وأما القائلون بالتحريم، فيقولون: قد جاء بلفظ «**الزوارات**»، ولفظ «**الزوارات**» قد يكون لتعددهن، كما يقال: فتحت الأبواب، إذ لكل باب فتح يخصه، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾[الزُّمَر:٧٣]، ومعلوم أن لكل باب فتحًا واحدًا.

قالوا: ولأنه لا ضابط في ذلك بين ما يحرم، وما لا يحرم، واللعن صريح في التحريم.

وأما قول أم عطية: «**وَلَمْ يُعْزَمْ عَلَيْنَا**»(١)، فقد يكون مرادها لم يؤكد النهي، وهذا لا ينفي التحريم، وقد تكون هي ظنت أنه ليس بنهي تحريم، والحجة في قول النبي ﷺ لا في ظن غيره.

الجواب الخامس: أن النبي ﷺ علل الإذن للرجال بأن ذلك يذكِّر بالموت، ويرقق القلب، ويدمع العين(٢)، ومعلوم أن المرأة إذا فتح لها هذا الباب أخرجها إلىٰ الجزع والندب والنياحة، لما فيها من الضعف، وكثرة الجزع، وقلة الصبر، وأيضًا فإن ذلك سبب لتأذي الميت ببكائها، ولافتتان الرجال بصوتها، وصورتها.

وإذا كانت زيارة النساء مظنة وسببا للأمور المحرمة في حقهن، وحق الرجال، والحكمة هنا غير مضبوطة، فإنه لا يمكن أن يُحدَّ المقدار الذي لا يفضي إلىٰ ذلك، ولا التمييز بين نوع ونوع.

ومن أصول الشريعة أن الحكمة إذا كانت خفية، أو غير منتشرة عُلِّق الحكم بمظنتها، فيحرم هذا الباب سدا للذريعة، كما حرم النظر إلىٰ الزينة الباطنة لما في

---

(١) **متفق عليه:** رواه البخاري (١٢٧٨)، ومسلم (٩٣٨).

(٢) **صحيح:** رواه أحمد (١٣٤٨٧)، من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٤٥٨٤).

ذلك من الفتنة، وكما حرم الخلوة بالأجنبية وغير ذلك من النظر، وليس في ذلك من المصلحة ما يعارض هذه المفسدة، فإنه ليس في ذلك إلا دعاؤها للميت، وذلك ممكن في بيتها.

ولهذا قال الفقهاء: إذا علمت المرأة من نفسها أنها إذا زارت المقبرة بدا منها ما لا يجوز من قول أو عمل، لم تجز لها الزيارة بلا نزاع(١).

قَوْلُهُ: «وَالمتَّخِذِينَ عَلَيْهَا المسَاجِدَ وَالسُّرُجَ»: لما فيه من المغالاة في التعظيم(٢).

والسُّرُج جمع سراج؛ ككتب جمع كتاب، وهو المصباح(٣).

قال ابن تيمية: «قد اتفق أئمة الدين علىٰ أنه لا يشرع بناء المساجد علىٰ القبور، ولا أن تعلق عليها الستور، ولا أن ينذر لها النذور، ولا أن يوضع عندها الذهب والفضة، بل حكم هذه الأموال أن تصرف في مصالح المسلمين إذا لم يكن لها مستحق معين، ويجب هدم كل مسجد بني علىٰ قبر كائنا من كان الميت، فإن ذلك من أكبر أسباب عبادة الأوثان»(٤).

وقال أيضًا: «هذه المساجد المبنية علىٰ قبور الأنبياء والصالحين، والملوك وغيرهم- يتعين إزالتها بهدم أو بغيره، هذا مما لا أعلم فيه خلافًا بين العلماء المعروفين، وتكره الصلاة فيها من غير خلاف أعلمه، ولا تصح عندنا في ظاهر المذهب لأجل النهي واللعن الوارد في ذلك، ولأحاديث أخر»(٥).

وقال الشوكاني: «فيه(٦) دليل علىٰ تحريم اتخاذ السرج علىٰ المقابر لما

---

(١) انظر: «الفتاوىٰ الكبرىٰ»، لابن تيمية (٣/ ٥٥-٥٧).
(٢) انظر: «التيسير بشرح الجامع الصغير»، للمناوي (٢/ ٢٩٤).
(٣) انظر: «لسان العرب»، مادة «سرج».
(٤) انظر: «مجموعة الرسائل والمسائل»، لابن تيمية (١/ ٥٤).
(٥) انظر: «اقتضاء الصراط المستقيم»، لابن تيمية (٢/ ١٨٧).
(٦) أي في الحديث المتقدم.

يفضي إليه ذلك من الاعتقادات الفاسدة»[(١)].

قَوْلُهُ: «رَوَاهُ أَهْلُ السُّنَنِ»: أي أصحاب السنن الأربعة، وهم أبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه إلا أن ابن ماجه لم يرو هذا الحديث.

قال العيني: «يستفاد من الحديث ثلاث فوائد:

الأولى: كراهة زيارة النساء القبور، واختلف العلماء هل هو كراهة تنزيه أو تحريم، قيل: تنزيه، والجمهور علىٰ أنه تحريم وهو الأصح، وعليه الفتوىٰ.

الثانية: كراهة اتخاذ المساجد علىٰ القبور.

الثالثة: كراهة اتخاذ السرج عليها»[(٢)].



(١) انظر: «نيل الأوطار»، للشوكاني (٤/ ١١١).

(٢) انظر: «شرح سنن أبي داود»، للعيني (٦/ ١٩٢-١٩٣).

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأُولَى: تَفْسِيرُ الأَوْثَانِ.

الثَّانِيَةُ: تَفْسِيرُ العِبَادَةِ.

الثَّالِثَةُ: أَنَّهُ ﷺ لَمْ يَسْتَعِذْ إِلَّا مِمَّا يُخَافُ وُقُوعُهُ.

الرَّابِعَةُ: قَرْنُهُ بِهَذَا اتِّخَاذَ قُبُورِ الأَنْبِيَاءِ مَسَاجِدَ.

الخَامِسَةُ: ذِكْرُ شِدَّةِ الغَضَبِ مِنَ اللهِ.

السَّادِسَةُ: وَهِيَ مِنْ أَهَمِّهَا مَعْرِفَةُ صِفَةِ عِبَادَةِ اللَّاتِ الَّتِي هِيَ مِنْ أَكْبَرِ الأَوْثَانِ.

السَّابِعَةُ: مَعْرِفَةُ أَنَّهُ قَبْرُ رَجُلٍ صَالِحٍ.

الثَّامِنَةُ: أَنَّهُ اسْمُ صَاحِبِ القَبْرِ، وَذِكْرُ مَعْنَى التَّسْمِيَةِ.

التَّاسِعَةُ: لَعْنُهُ زَوَّارَاتِ القُبُورِ.

العَاشِرَةُ: لَعْنُهُ مَنْ أَسْرَجَهَا.

الشَّرْح

قَوْلُهُ: «الأُولَى: تَفْسِيرُ الأَوْثَانِ»: الأوثان كما تقدم جمع وثن، وهو كل ما عبد من دون الله، سواء كان منحوتا، أو لا.

قَوْلُهُ: «الثَّانِيَةُ: تَفْسِيرُ العِبَادَةِ»: بمعنىٰ أن كل من دعا صاحب قبر، أو صلىٰ عند قبره متقربا إليه، فقد عبده، واتخذه إلها.

قَوْلُهُ: «الثَّالِثَةُ: أَنَّهُ ﷺ لَمْ يَسْتَعِذْ إِلَّا مِمَّا يُخَافُ وُقُوعُهُ»: كما في قوله ﷺ: **«اللهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ اشْتَدَّ غَضَبُ اللهِ عَلَىٰ قَوْمٍ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ»**، وذلك لأجل خوفه من وقوع أمته في مثل ما وقع فيه اليهود والنصارىٰ.

لما وقع من اليهود والنصارىٰ ما وقع خاف أن يقع من أمته عند قبره مثل

ذلك فدعا الله أن لا يجعل قبره وثنا يعبد.

قَولُه: «الرَّابِعَةُ: قَرْنُهُ بِهَذَا اتِّخَاذَ قُبُورِ الأَنْبِيَاءِ مَسَاجِدَ»: أي قرن النبي ﷺ بين دعائه ألا يجعل قبره وثنا يعبد، وبين شدة غضب الله ﷻ من اتخاذ القبور مساجد؛ لأجل تحذير أمته من أن يتخذوا قبره مسجدا، كما صنعت اليهود والنصارىٰ.

قَولُه: «الخَامِسَةُ: ذِكْرُ شِدَّةِ الغَضَبِ مِنْ اللهِ»: كما في قوله ﷺ: «**اشْتَدَّ غَضَبُ اللهِ عَلَىٰ قَوْمٍ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**»، وذلك لأن هذا الفعل أعظم الذنوب.

قَولُه: «السَّادِسَةُ: وَهِيَ مِنْ أَهَمِّهَا مَعْرِفَةُ صِفَةِ عِبَادَةِ اللَّاتِ الَّتِي هِيَ مِنْ أَكْبَرِ الأَوْثَانِ»: صفة عبادتها هي العكوف عندها.

قَولُه: «السَّابِعَةُ: مَعْرِفَةُ أَنَّهُ قَبْرُ رَجُلٍ صَالِحٍ»: كما في قول ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، ومجاهد: «**كَانَ يَلُتُّ لَهُمْ السَّوِيقَ**» أي للحجيج.

قَولُه: «الثَّامِنَةُ: أَنَّهُ اسْمُ صَاحِبِ القَبْرِ»: أي اللات اسم صاحب القبر الذي عكفوا حوله.

قَولُه: «وَذِكْرُ مَعْنَى التَّسْمِيَةِ»: سمي «**اللات**» من اللتِّ، وهو الطبخ.

قَولُه: «التَّاسِعَةُ: لَعْنُهُ زَوَّارَاتِ القُبُورِ»: أي النساء اللاتي يذهبن إلىٰ القبور.

قَولُه: «العَاشِرَةُ: لَعْنُهُ مَنْ أَسْرَجَهَا»: أي الذين يتخذون السرج -وهي المصابيح- علىٰ القبور.



[٢١] بَابُ مَا جَاءَ فِي حِمَايَةِ المصطفى ﷺ جَنَابَ التَّوْحِيدِ وَسَدِّهِ كُلَّ طَرِيقٍ يُوصِلُ إِلَى الشِّرْكِ

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ [التوبة:١٢٨] الآيَةَ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا، وَلَا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيدًا، وَصَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ، تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ»(١) رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ، وَرُوَاتُهُ ثِقَاتٌ.

وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ الحُسَيْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنَّهُ رَأَى رَجُلًا يَجِيءُ إِلَى فُرْجَةٍ كَانَتْ عِنْدَ قَبْرِ النَّبِيِّ ﷺ فَيَدْخُلُ فِيهَا فَيَدْعُو، فَنَهَاهُ، وَقَالَ: أَلَا أُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا سَمِعْتُهُ مِنْ أَبِي عَنْ جَدِّي عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَا تَتَّخِذُوا قَبْرِي عِيدًا، وَلَا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا، وَصَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّ تَسْلِيمَكُمْ يَبْلُغُنِي أَيْنَ كُنْتُمْ» رَوَاهُ فِي «المُخْتَارَةِ»(٢).

الشَّرْح

قَوْلُهُ: «بَابُ مَا جَاءَ فِي حِمَايَةِ المصْطَفَى ﷺ جَنَابَ التَّوْحِيدِ، وَسَدِّهِ كُلَّ طَرِيقٍ يُوَصِّلُ إِلَى الشِّرْكِ»: هذا من كمال حرص النبي ﷺ علىٰ أمته.

والجناب: أي الناحية، ويقال: أخصب جَناب القوم، أي ما حولهم(٣).

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (٢٠٤٢)، وصححه الألباني.

(٢) حسن لغيره: رواه البزار في «مسنده» (٥٠٩)، والضياء في «الأحاديث المختارة» (٤٢٨)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٧٥٤٢)، وأبو يعلىٰ في «مسنده» (٤٦٩)، قال الألباني في «تحذير الساجد»، صـ (١٢٨): «سنده مسلسل بأهل البيت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ إلا أن أحدهم وهو علي بن عمر مستور كما قال الحافظ في التقريب».

(٣) انظر: العين، مادة «جنب».

قَـولُـهُ: «وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ﴾»: أي لقد جاءكم أيها القوم رسول الله إليكم من العرب من بني إسماعيل تعرفونه لا من غيركم(١)، بل هو من جنسكم، ولغتكم(٢).

قَـولُـهُ: «﴿عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ﴾»: أي شديد عليه مشقتكم، وكل مضرة، ومكروه، وأذىٰ يصيبكم(٣).

قَـولُـهُ: «الآيَةَ»: مفعول به لفعل محذوف تقديره: انظر الآيةَ، وهي: ﴿حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٢٨﴾[التوبة:١٢٨].

قوله تعالىٰ: ﴿حَرِيصٌ عَلَيۡكُم﴾: أي حريص علىٰ هُدَىٰ ضُلَّالِكم، وتوبتهم ورجوعهم إلىٰ الحق(٤).

قوله تعالىٰ: ﴿بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾: أي رفيق رؤوف بالمطيعين رحيم بالمذنبين(٥).

والشاهد من هذه الآية: شدة حرص النبي ﷺ علىٰ حماية أمته من الوقوع في الشرك، وترك التوحيد.

قَـولُـهُ: «عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا»»: أي لا تتركوا الصلاة في بيوتكم حتىٰ تجعلوها كالقبور التي لا يصلىٰ فيها، ولا تعطلوا البيوت من الصلاة فيها والدعاء والقراءة، فتكون بمنزلة القبور، فأمر بتحري العبادة بالبيوت ونهىٰ عن تحريها عند القبور عكس ما يفعله المشركون من النصارىٰ ومن تشبه بهم من هذه الأمة(٦).

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١٤/ ٥٨٤)، و«التفسير الوجيز»، صـ (٤٨٨).

(٢) انظر: «تفسير ابن كثير» (٤/ ٢٤١).

(٣) انظر: «تفسير الطبري» (١٤/ ٥٨٤)، و«التفسير الوجيز»، صـ (٤٨٨).

(٤) انظر: «تفسير الطبري» (١٤/ ٥٨٤).

(٥) انظر: «تفسير الطبري» (١٤/ ٥٨٤)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٤٠٨).

(٦) انظر: «حاشية ابن القيم علىٰ سنن أبي داود» (٦/ ٢٢-٢٣).

شبه المكان الخالي عن العبادة بالقبور والغافل عنها بالميت(١).

وقيل: أي لا تناموا فتكونوا كالأموات فتكون بيوتكم كالقبور(٢).

وقيل: أي كالقبور في خلوها عن الصلاة والذكر والعبادة، بل اشغلوها بذلك(٣)، أو: لا تكونوا كالموتىٰ الذين لا يصلون في بيوتهم وهي القبور، أو: لا تتركوا الصلاة فيها حتىٰ تصيروا كالموتىٰ، وتصير هي كالقبور(٤).

قَوْلُهُ: «وَلَا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيدًا»: أي لا تتخذوا قبري مظهر عيد، ومعناه النهي عن الاجتماع لزيارته كاجتماعهم للعيد إما لدفع المشقة، أو كراهة أن يتجاوزوا حد التعظيم.

وقيل: العيد ما يعاد إليه أي لا تجعلوا قبري عيدا تعودون إليه متىٰ أردتم أن تصلوا علي وظاهره ينهىٰ عن المعاودة والمراد المنع عما يوجبه، وهو ظنهم أن دعاء الغائب لا يصل إليه(٥).

قال ابن القيم: «العيد: ما يعتاد مجيئه وقصده من مكانٍ، وزمانٍ»(٦).

فأما الزمان، فكقوله ﷺ: «**يَوْمُ عَرَفَةَ، وَيَوْمُ النَّحْرِ، وَأَيَّامُ التَّشْرِيقِ عِيدُنَا أَهْلَ الْإِسْلَامِ**»(٧).

وأما المكان، فكقوله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في هذا الحديث: «**وَلَا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيدًا**».

وعن ثَابِتِ بْنِ الضَّحَّاكِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: نَذَرَ رَجُلٌ عَلَىٰ عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنْ

---

(١) **انظر**: «عون المعبود» (٦/ ٢٢).

(٢) **انظر**: «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» (٤/ ٢٦٩).

(٣) **انظر**: «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٣/ ٢٧٤).

(٤) **انظر**: «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٢/ ٧٤٤).

(٥) **انظر**: «فيض القدير شرح الجامع الصغير» (٤/ ١٩٩).

(٦) **انظر**: «إغاثة اللهفان»، لابن القيم (١/ ١٩٠).

(٧) **صحيح**: رواه أبو داود (٢٤١٩)، والترمذي (٧٧٣)، وقال: حسن صحيح، والنسائي (٣٠٠٤)، وأحمد (١٧٣٧٩) عن عُقْبَةَ بْنَ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني.

يَنْحَرَ إِبِلًا بِبُوَانَةَ فَأَتَىٰ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: إِنِّي نَذَرْتُ أَنْ أَنْحَرَ إِبِلًا بِبُوَانَةَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**هَلْ كَانَ فِيهَا وَثَنٌ مِنْ أَوْثَانِ الجَاهِلِيَّةِ يُعْبَدُ؟**» قَالُوا: لَا، قَالَ: «**هَلْ كَانَ فِيهَا عِيدٌ مِنْ أَعْيَادِهِمْ؟**»، قَالُوا: لَا، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَوْفِ بِنَذْرِكَ، فَإِنَّهُ لَا وَفَاءَ لِنَذْرٍ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ، وَلَا فِيمَا لَا يَمْلِكُ ابْنُ آدَمَ**»[(١)].

والعيد: مأخوذ من المعاودة، والاعتياد[(٢)]، فإذا كان اسما للمكان، فهو المكان الذي يقصد الاجتماع فيه وانتيابه للعبادة، أو لغيرها، كما أن المسجد الحرام، ومنىٰ، ومزدلفة، وعرفة، والمشاعر، جعلها الله تعالىٰ عيدًا للحنفاء، ومثابة، كما جعل أيام التعبد فيها عيدا.

وكان للمشركين أعياد زمانية ومكانية، فلما جاء الله بالإسلام أبطلها، وعوَّض الحنفاء منها عيد الفطر، وعيد النحر، وأيام منىٰ، كما عوّضهم عن أعياد المشركين المكانية بالكعبة البيت الحرام، وعرفة، ومنىٰ، والمشاعر[(٣)].

قَولُهُ: «وَصَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ، تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ»: أي لا تتكلفوا المعاودة إليَّ، فقد استغنيتم بالصلاة عليَّ[(٤)].

يشير بذلك ﷺ إلىٰ أن ما ينالني منكم من الصلاة والسلام يحصل مع قربكم من قبري، وبُعدكم منه فلا حاجة بكم إلىٰ اتخاذه عيدًا[(٥)].

قَولُهُ: «وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ الحُسَيْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنَّهُ رَأَى رَجُلًا يَجِيءُ إِلَى فُرْجَةٍ كَانَتْ عِنْدَ قَبْرِ النَّبِيِّ ﷺ فَيَدْخُلُ فِيهَا فَيَدْعُو، فَنَهَاهُ، وَقَالَ: أَلَا أُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا سَمِعْتُهُ مِنْ أَبِي عَنْ جَدِّي عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَا تَتَّخِذُوا قَبْرِي

---

(١) **صحيح:** رواه أبو داود (٣٣١٣)، وصححه الألباني.

(٢) **انظر:** «مقاييس اللغة»، مادة «عود».

(٣) **انظر:** «إغاثة اللهفان»، لابن القيم (١/ ١٩٠).

(٤) **انظر:** «فيض القدير شرح الجامع الصغير» (٤/ ١٩٩).

(٥) **انظر:** «اقتضاء الصراط المستقيم»، لابن تيمية (٢/ ١٧٣).

عِيدًا، وَلَا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا، وَصَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّ تَسْلِيمَكُمْ يَبْلُغُنِي أَيْنَ كُنْتُمْ»»: نهاه لأجل أنه يتحرىٰ الدعاء والصلاة عند القبر، وهذا داخل في نهي الرسول ﷺ.

قال ابن تيمية: «قد تواتر عن الصحابة أنهم كانوا إذا نزلت بهم الشدائد كحالهم في الجدب والاستسقاء، وعند القتال والاستنصار يدعون الله، ويستغيثونه في المساجد والبيوت، ولم يكونوا يقصدوا الدعاء عند قبر النبي ﷺ، ولا غيره من قبور الأنبياء والصالحين»[(١)].

قال الشيخ الألباني: «في هذه الآثار النهي عن قصد قبور الأنبياء، وتتبع آثارهم للصلاة والدعاء عندها، وذلك سدًّا للذريعة، وخشية الغلو فيهم، المؤدي إلىٰ الشرك بالله تعالىٰ، ولذا لم يكن ذلك من فعل السلف الصالح رضي الله عنهم»[(٢)].

وقال ابن تيمية: «أما قصد الصلاة في تلك البقاع التي صلىٰ فيها اتفاقا، فهذا لم ينقل عن غير ابن عمر من الصحابة، بل كان أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، وسائر السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار يذهبون من المدينة إلىٰ مكة حجاجا وعمارا ومسافرين، ولم ينقل عن أحد منهم أنه تحرىٰ الصلاة في مصليات النبي ﷺ، ومعلوم أن هذا لو كان عندهم مستحبا لكانوا إليه أسبق، فإنهم أعلم بسنته وأتبع لها من غيرهم، وقد قال ﷺ: «عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»[(٣)].

وتحري هذا ليس من سنة الخلفاء الراشدين، بل هو مما ابتدع، وقول الصحابي إذا خالفه نظيره، ليس بحجة، فكيف إذا انفرد به عن جماهير الصحابة؟

---

(١) انظر: «الفتاوىٰ الكبرىٰ»، لابن تيمية (٢/ ٤٣١).

(٢) انظر: «تخريج أحاديث فضائل الشام»، للألباني، صـ(٥٢).

(٣) صحيح: رواه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وقال: حسن صحيح، وابن ماجه (٤٢)، وأحمد (١٧١٤٢)، وصححه الألباني.

أيضًا فإن تحري الصلاة فيها ذريعة إلىٰ اتخاذها مساجد والتشبه بأهل الكتاب مما نهينا عن التشبه بهم فيه وذلك ذريعة إلىٰ الشرك بالله، والشارع قد حسم هذه المادة بالنهي عن الصلاة عند طلوع الشمس، وعند غروبها، وبالنهي عن اتخاذ القبور مساجد، فإذا كان قد نهىٰ عن الصلاة المشروعة في هذا المكان وهذا الزمان سدا للذريعة.

فكيف يستحب قصد الصلاة والدعاء في مكان اتفق قيامهم فيه، أو صلاتهم فيه من غير أن يكونوا قد قصدوه للصلاة فيه والدعاء فيه؟.

ولو ساغ هذا لاستحب قصد جبل حراء والصلاة فيه، وقصد جبل ثور والصلاة فيه، وقصد الأماكن التي يقال: إن الأنبياء قاموا فيها، كالمقامين اللذين بطريق جبل قاسِيُون بدمشق، اللذين يقال: إنهما مقام إبراهيم وعيسىٰ، والمقام الذي يقال إنه مغارة دم قابيل، وأمثال ذلك، من البقاع التي بالحجاز والشام وغيرهما.

ثم ذلك يفضي إلىٰ ما أفضت إليه مفاسد القبور، فإنه يقال: إن هذا مقام نبي، أو قبر نبي، أو ولي، بخبر لا يعرف قائله، أو بمنام لا تعرف حقيقته، ثم يترتب علىٰ ذلك اتخاذه مسجدا، فيصير وثنا يعبد من دون الله تعالىٰ شرك مبني علىٰ إفك، والله سبحانه يقرن في كتابه بين الشرك والكذب، كما يقرن بين الصدق والإخلاص»(١).



(١) انظر: «اقتضاء الصراط المستقيم»، لابن تيمية (٢/ ٢٧٨-٢٧٩).

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأُولَى: تَفْسِيرُ آيَةِ «بَرَاءَة».

الثَّانِيَةُ: إِبْعَادُهُ أُمَّتَهُ عَنْ هَذَا الحِمَى غَايَةَ البُعْدِ.

الثَّالِثَةُ: ذِكْرُ حِرْصِهِ عَلَيْنَا وَرَأْفَتِهِ وَرَحْمَتِهِ.

الرَّابِعَةُ: نَهْيُهُ عَنْ زِيَارَةِ قَبْرِهِ عَلَى وَجْهٍ مَخْصُوصٍ، مَعَ أَنَّ زِيَارَتَهُ مِنْ أَفْضَلِ الأَعْمَالِ.

الخَامِسَةُ: نَهْيُهُ عَنِ الإِكْثَارِ مِنَ الزِّيَارَةِ.

السَّادِسَةُ: حَثُّهُ عَلَى النَّافِلَةِ فِي البَيْتِ.

السَّابِعَةُ: أَنَّهُ مُتَقَرِّرٌ عِنْدَهُمْ أَنَّهُ لَا يُصَلَّى فِي المَقْبَرَةِ.

الثَّامِنَةُ: تَعْلِيلُ ذَلِكَ بِأَنَّ صَلَاةَ الرَّجُلِ وَسَلَامَهُ عَلَيْهِ يَبْلُغُهُ وَإِنْ بَعُدَ، فَلَا حَاجَةَ إِلَى مَا يَتَوَهَّمُهُ مَنْ أَرَادَ القُرْبَ.

التَّاسِعَةُ: كَوْنُهُ ﷺ فِي البَرْزَخِ تُعْرَضُ أَعْمَالُ أُمَّتِهِ فِي الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ.

الشَّرح

قَوْلُهُ: «الأُولَى: تَفْسِيرُ آيَةِ «بَرَاءَة»»: أي قوله تعالىٰ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾[التوبة:١٢٨].

قَوْلُهُ: «الثَّانِيَةُ: إِبْعَادُهُ أُمَّتَهُ عَنْ هَذَا الحِمَى غَايَةَ البُعْدِ»: هذا من شدة حرص النبي ﷺ علىٰ أمته من الوقوع في الشرك.

قَوْلُهُ: «الثَّالِثَةُ: ذِكْرُ حِرْصِهِ عَلَيْنَا وَرَأْفَتِهِ وَرَحْمَتِهِ»: كما في قوله تعالىٰ: ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[التوبة:١٢٨].

قَوْلُهُ: «الرَّابِعَةُ: نَهْيُهُ عَنْ زِيَارَةِ قَبْرِهِ عَلَى وَجْهٍ مَخْصُوصٍ، مَعَ أَنَّ زِيَارَتَهُ

مِنْ أَفْضَلِ الأَعْمَالِ»: أي أن النبي ﷺ نهىٰ عن زيارة قبره خاصة مع أن زيارة القبور؛ لأجل العبرة، ورقة القلب من أفضل الأعمال.

قَـوْلُـهُ: «الخَامِسَةُ: نَهْيُهُ عَنْ الإِكْثَارِ مِنْ الزِّيَارَةِ»: كما في قوله ﷺ: «وَلَا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيدًا»، والعيد سمي عيدا؛ لأجل اعتياد الزيارة وكثرتها.

قَـوْلُـهُ: «السَّادِسَةُ: حَثُّهُ عَلَى النَّافِلَةِ فِي البَيْتِ»: كما في قوله ﷺ: «لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا».

قَـوْلُـهُ: «السَّابِعَةُ: أَنَّهُ مُتَقَرِّرٌ عِنْدَهُمْ أَنَّهُ لَا يُصَلَّى فِي المَقْبَرَةِ»: لقوله ﷺ: «لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا».

قَـوْلُـهُ: «الثَّامِنَةُ: تَعْلِيلُ ذَلِكَ بِأَنَّ صَلَاةَ الرَّجُلِ وَسَلَامَهُ عَلَيْهِ يَبْلُغُهُ وَإِنْ بَعُدَ، فَلَا حَاجَةَ إِلَى مَا يَتَوَهَّمُهُ مَنْ أَرَادَ القُرْبَ»: أي أن الصلاة علىٰ النبي ﷺ تصل إليه وإن بعُدَ المصلي عليه، فلا حاجة إلىٰ من يتوهمه من أراد القرب من النبي ﷺ.

قَـوْلُـهُ: «التَّاسِعَةُ: كَوْنُهُ ﷺ فِي البَرْزَخِ تُعْرَضُ أَعْمَالُ أُمَّتِهِ فِي الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ»: كما في قوله ﷺ: «وَصَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ، تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ».

[٢٢] باب ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّـٰغُوتِ﴾ [النساء:٥١].

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّـٰغُوتَ﴾ [المائدة:٦٠].

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ [الكهف:٢١].

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَتَتَّبِعُنَّ سُنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَذْوَ القُذَّةِ بِالْقُذَّةِ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمُوهُ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ اليَهُودُ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: «فَمَنْ؟»[١]. أَخْرَجَاهُ.

وَلِمُسْلِمٍ عَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللهَ زَوَى لِيَ الأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا، وَأُعْطِيتُ الكَنْزَيْنِ الأَحْمَرَ، وَالأَبْيَضَ، وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي أَنْ لَا يُهْلِكَهَا بِسَنَةٍ بِعَامَّةٍ، وَأَنْ لَا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ، فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ، وَإِنَّ رَبِّي قَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لَا يُرَدُّ، وَإِنِّي أَعْطَيْتُكَ لِأُمَّتِكَ أَنْ لَا أُهْلِكَهُمْ بِسَنَةٍ بِعَامَّةٍ، وَأَنْ لَا أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ، وَلَوْ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بِأَقْطَارِهَا، حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا، وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا»[٢].

وَرَوَاهُ الْبَرْقَانِيُّ فِي صَحِيحِهِ، وَزَادَ: «وَإِنَّمَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي الأَئِمَّةَ المُضِلِّينَ،

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٣٤٥٦)، ومسلم (٢٦٦٩)، إلا لفظة: «حَذْوَ القُذَّةِ بِالْقُذَّةِ» لم يخرجاها.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٨٨٩).

وَإِذَا وَقَعَ عَلَيْهِمُ السَّيْفُ، لَمْ يُرْفَعْ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ، وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَلْحَقَ حَيٌّ مِنْ أُمَّتِي بِالمشْرِكِينَ، وَحَتَّى تَعْبُدَ فِئَامٌ مِنْ أُمَّتِي الأَوْثَانَ، وَإِنَّهُ سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي كَذَّابُونَ ثَلَاثُونَ كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ، لَا نَبِيَّ بَعْدِي، وَلَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الحَقِّ مَنْصُورَةٌ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، وَلَا مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى»[١].

الشَّرْح

قَوْلُهُ: «بَابُ مَا جَاءَ أَنَّ بَعْضَ هَذِهِ الأُمَّةِ يَعْبُدُ الأَوْثَانَ»: أي هذا باب ذكر ما جاء من النصوص الشرعية أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان.

وقد تقدَّم بيان معنىٰ الأوثان، وأنها أعم من الأصنام، فتطلق ويراد بها ما كان علىٰ صورة مجسَّمة أو غيرها.

والدليل علىٰ أن الأوثان تطلق علىٰ الأصنام: قول إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَـٰنًا﴾ [العنكبوت:١٧].

مع قوله تعالىٰ: ﴿قَالُواْ نَعْبُدُ أَصْنَامًا﴾ [الشعراء:٧١].

فدل ذلك علىٰ أن الأوثان تطلق علىٰ الأصنام.

قَوْلُهُ: «وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾»: أي ألم تنظر، وتعلم يا محمد ﷺ[٢].

قَوْلُهُ: «﴿إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ﴾»: إلىٰ الذين أُعطُوا حظا من كتاب الله فعلموه[٣]، وهم علماء اليهود[٤].

---

(١) رواه أبو داود (٤٢٥٢)، وابن ماجه (٣٩٥٢)، وأحمد (١٧١١٥)، والبزار في «مسنده» (٣٤٨٧)، وابن حبان في «صحيحه» (٦٧١٤)، والحاكم في «المستدرك» (٨٣٩٠)، والبيهقي في «الكبرىٰ» (١٨٦١٧)، والأصبهاني في «الحلية» (٢/ ٢٨٩)، وصححه الألباني.

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (٨/ ٤٦١)، و«حاشية علىٰ كتاب التوحيد»، لابن قاسم، صـ(١٧٥).

(٣) انظر: «تفسير الطبري» (٨/ ٤٦١).

(٤) انظر: «التفسير الوجيز»، صـ(٢٦٨).

قوله: «﴿يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡجِبۡتِ وَٱلطَّٰغُوتِ﴾»: أي يصدقون بالجبت والطاغوت، ويكفرون بالله(١).

والجبت: الأصنام، وقيل: السحر(٢).

والطاغوت: الشيطان، وقيل: الكاهن(٣).

قوله: «وَقَوۡلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُلۡ هَلۡ أُنَبِّئُكُم﴾»: أي قل يا نبينا ﷺ لهؤلاء الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار: هل أخبركم يا معشر أهل الكتاب(٤).

قوله: «﴿بِشَرّٖ مِّن ذَٰلِكَ﴾»: أي الذي ذكرتم، وهو قولكم: لم نر أهل دين أقل حظا في الدنيا والآخرة منكم ولا دينا شرا من دينكم(٥).

قوله: «﴿مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ﴾»: أي ثوابا وجزاء(٦).

قوله: «﴿مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيۡهِ وَجَعَلَ مِنۡهُمُ ٱلۡقِرَدَةَ وَٱلۡخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ﴾»: أي من أبعده الله من رحمته، وغضب عليه، ومسخهم قردة وخنازير، وجعل منهم من يعبد الطاغوت وهم اليهود(٧)، فالقردة أصحاب السبت، والخنازير كفار مائدة عيسىٰ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ(٨).

قوله: «وَقَوۡلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِمۡ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيۡهِم مَّسۡجِدٗا﴾»: الظاهر أن الذين قالوا ذلك هم أصحاب الكلمة والنفوذ، وهذا

---

(١) **انظر:** «تفسير الطبري» (٨/ ٤٦١).
(٢) **انظر:** «تفسير الطبري» (٨/ ٤٦١-٤٦٣)، و«التفسير الوجيز»، صـ(٢٦٨).
(٣) **انظر:** «تفسير الطبري» (٨/ ٤٦٢-٤٦٥).
(٤) **انظر:** «تفسير الطبري» (١٠/ ٤٣٥).
(٥) **انظر:** «تفسير الطبري» (١٠/ ٤٣٥).
(٦) **انظر:** «تفسير البغوي» (٢/ ٦٦).
(٧) **انظر:** «تفسير الطبري» (١/ ٤٣٧-٤٣٩).
(٨) **انظر:** «تفسير البغوي» (٢/ ٦٦).

فيه ذم لهم[١]؛ لأن النبي ﷺ قَالَ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ: «لَعَنَ اللهُ اليَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسْجِدًا»[٢]، يُحَذِّرُ مِثْلَ مَا صَنَعُوا[٣].

قَولُه: «وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَتَتَّبِعُنَّ سُنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَذْوَ القُذَّةِ بِالْقُذَّةِ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمُوهُ»»: أي تعملون مثل أعمالهم كما تقدَّر كل واحدة من القُذَذ علىٰ قدر صاحبتها وتقطع، وهذا مثل يُضرَب للشيئين يستويان، ولا يتفاوتان[٤].

والقذَّة: هي ريش السهم[٥]، وهو نهاية السهم، وفائدة الريش للسهم أنه يعطيه التوازن والثبات عند إطلاقه.

قال سفيان بن عيينة: «من فسد من علمائنا ففيه شبه من اليهود، ومن فسد من عبادنا ففيه شبه من النصارىٰ»[٦].

قَولُه: «قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ اليَهُودُ وَالنَّصَارَى؟»: أي أتعني اليهود والنصارىٰ؟، وهذا سؤال استفهامي.

قَولُه: «قَالَ: «فَمَنْ؟»»: أي فمن غيرهم، وهذا استفهام إنكاري.

قَولُه: «أَخْرَجَاهُ»: أي البخاري ومسلم في صحيحهما.

قَولُه: «وَلِمُسْلِمٍ عَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللهَ زَوَى لِيَ الأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا»: أي جمع لي الأرض، فرأيتها جميعها[٧].

---

(١) **انظر:** «تفسير ابن كثير» (٥/ ١٤٧).

(٢) **متفق عليه:** رواه البخاري (١٣٣٠)، ومسلم (٥٢٩)، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٣) **صحيح:** رواه مسلم (٥٣١).

(٤) **انظر:** «النهاية في غريب الحديث» (٤/ ٢٨).

(٥) **انظر:** «النهاية في غريب الحديث» (٤/ ٢٨).

(٦) **انظر:** «اقتضاء الصراط المستقيم»، لابن تيمية (١/ ٧٩)، و«الحكم الجديرة بالإذاعة»، لابن رجب الحنبلي، صـ (٤٤).

(٧) **انظر:** «معالم السنن» (٤/ ٣٣٩).

قَـوْلُـهُ: «وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا»: هذا فيه عَلَم من أعلام نبوته ﷺ لظهوره كما قال، وأن مُلك أمته اتسع في المشارق والمغارب كما أخبر، ولم يتسع ذلك الاتساع من جهة الجنوب والشمال الذي لم يذكر ﷺ أنه أُريَه، وأن مُلك أمته سيبلغه[(١)].

قَـوْلُـهُ: «وَأُعْطِيتُ الكَنْزَيْنِ الأَحْمَرَ، وَالْأَبْيَضَ»: ظاهره الذهب والفضة، والأشبه أنه أراد كنز كسرىٰ وقيصر، وقصورهما وبلادهما، ويدل عليه قول النبي: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتُنْفَقَنَّ كُنُوزُهُمَا فِي سَبِيلِ اللهِ»[(٢)(٣)].

قال ابن الأثير: **«هي ما أفاء الله علىٰ أمته من كنوز الملوك، فالأحمر الذهب، والأبيض الفضة، والذهب كنوز الروم؛ لأنه الغالب علىٰ نقودهم، والفضة كنوز الأكاسرة؛ لأنها الغالب علىٰ نقودهم، وقيل: أراد العرب والعجم جمعهم الله علىٰ دينه وملته»**[(٤)].

وقد ظهر ذلك ووجد كذلك في زمان الفتوح في إمارة عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فإنه سيق إليه تاج كسرىٰ وحليته، وما كان في بيوت أمواله وجميع ما حوته مملكته علىٰ سعتها وعظمتها، وكذلك فعل الله بقيصر لما فتحت بلاده[(٥)].

قَـوْلُـهُ: «وَإِنِّي سَأَلتُ رَبِّي لِأُمَّتِي أَنْ لَا يُهْلِكَهَا بِسَنَةٍ بِعَامَّةٍ»: أي بشدة وجدب يعم يجتاحهم، ويعم جميعهم بالهلاك[(٦)].

---

(١) انظر: «إكمال المُعلِم بفوائد مسلم» (٨/ ٤٢٥).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٣١٢٠)، ومسلم (٢٩١٨)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٣) انظر: «معالم السنن» (٤/ ٣٣٩)، و«إكمال المُعلِم بفوائد مسلم» (٨/ ٤٢٥).

(٤) انظر: «النهاية في غريب الحديث» (١/ ٤٣٨).

(٥) انظر: «تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد»، صـ(٣١٤-٣١٥).

(٦) انظر: «كشف المشكل من حديث الصحيحين»، لابن الجوزي (٤/ ٢١٨)، و«إكمال المُعلِم بفوائد مسلم» (٨/ ٤٢٧).

قَولُه: «وَأَنْ لَا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ، فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ»: أي لا يسلط عليهم الكفار فيستبيحوا جماعتهم وأصلهم، وبيضتهم: مأخوذ من بيضة الطائر؛ لتحصينها ما فيها، واجتماعها عليه[1].

قَولُه: «وَإِنَّ رَبِّي قَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لَا يُرَدُّ»: أي حكمت حكمًا مُبرمًا لا يُردُّ بشيء بخلاف الحكم المعلَّق بشرط وجود شيء أو عدمه[2].

قَولُه: «وَإِنِّي أَعْطَيْتُكَ لِأُمَّتِكَ أَنْ لَا أُهْلِكَهُمْ بِسَنَةٍ بِعَامَّةٍ، وَأَنْ لَا أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ»: أي أعطيتك عهدي وميثاقي لأجل أمة إجابتك أن لا أهلكهم بسنة بعامة بحيث يعمهم القحط ويهلكهم بالكلية، ولا أسلط عليهم الكفار فيستأصلوهم[3].

قَولُه: «وَلَوْ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بِأَقْطَارِهَا، حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا، وَيَسْبِيَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا»: أي لا يستطيع الكفار أن يستأصلوهم ولو اجتمع علىٰ محاربتهم جميع أقطار الأرض ونواحيها حتىٰ يكون هلاكهم ببعضهم، ويأسر بعضهم بعضا[4].

قَولُه: «وَرَوَاهُ الْبَرْقَانِيُّ فِي صَحِيحِهِ، وَزَادَ: «وَإِنَّمَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي الْأَئِمَّةَ الْمُضِلِّينَ»»: أي المائلين عن الحق المميلين عنه[5].

---

(١) انظر: «كشف المشكل من حديث الصحيحين» (٤/ ٢١٨)، و«إكمال المُعلِم بفوائد مسلم» (٨/ ٤٢٧).

(٢) انظر: «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٩/ ٣٦٧٧).

(٣) انظر: السابق (٩/ ٣٦٧٧).

(٤) انظر: «كشف المشكل من حديث الصحيحين» (٤/ ٢١٨)، و«مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٩/ ٣٦٧٧).

(٥) انظر: «التيسير بشرح الجامع الصغير» (١/ ٣٥٩).

الأئمة: جمع إمام، وهو مقتدىٰ القوم ورئيسهم، ومن يدعوهم إلىٰ قول، أو فعل، أو اعتقاد[(١)].

قَـوْلُـهُ: «وَإِذَا وَقَعَ عَلَيْهِمُ السَّيْفُ، لَمْ يُرْفَعْ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ»: أي إذا ظهرت الحرب فيهم تبقىٰ إلىٰ يوم القيامة، وقد وضع السيف بقتل عثمان فلم يزل إلىٰ الآن[(٢)]، فإن لم يكن في بلد يكون في بلد آخر[(٣)]، وخُص السيف؛ لغلبة القتال[(٤)].

قَـوْلُـهُ: «وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَلْحَقَ حَيٌّ مِنْ أُمَّتِي بِالمُشْرِكِينَ»: أي يلحقون بأهل الشرك، ويرتدون عن الإسلام.

والمعنى: أنهم ينزلون معهم في ديارهم، ويصيرون منهم بالردة ونحوها[(٥)].

قَـوْلُـهُ: «وَحَتَّى تَعْبُدَ فِئَامٌ مِنْ أُمَّتِي الأَوْثَانَ»: أي تعبد جماعات من أمتي الأوثان، والفئام: الجماعات[(٦)].

وهذا هو شاهد الترجمة، ففيه الرد علىٰ من قال بخلافه من عباد القبور الذين ينكرون وقوع الشرك، وعبادة الأوثان في هذه الأمة[(٧)].

قَـوْلُـهُ: «وَإِنَّهُ سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي كَذَّابُونَ ثَلَاثُونَ كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ»: هذا فيه عَلَم من أعلام نبوته ﷺ.

قال ابن حجر: «قد ظهر مصداق ذلك في آخر زمن النبي ﷺ، فخرج مسيلمة باليمامة، والأسود العنسي باليمن.

---

(١) انظر: «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٨/ ٣٣٨٩).

(٢) انظر: «حاشية السندي علىٰ سنن ابن ماجه» (٢/ ٤٦٥).

(٣) انظر: «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٨/ ٣٣٨٩).

(٤) انظر: «التيسير بشرح الجامع الصغير» (١/ ١٣٣).

(٥) انظر: «تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد»، صـ (٣٢٠).

(٦) انظر: «معالم السنن» (٤/ ٢١٨).

(٧) انظر: «تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد»، صـ (٣٢٠).

ثم خرج في خلافة أبي بكر طليحة بن خويلد في بني أسد بن خزيمة، وسَجاح التميمية في بني تميم...

وقُتل الأسود قبل أن يموت النبي ﷺ، وقُتل مسيلمة في خلافة أبي بكر، وتاب طليحة ومات على الإسلام على الصحيح في خلافة عمر، ونُقل أن سجاح أيضًا تابت...

ثم كان أول من خرج منهم المختار بن أبي عبيد الثقفي غلب على الكوفة في أول خلافة ابن الزبير فأظهر محبة أهل البيت ودعا الناس إلى طلب قتلة الحسين فتبعهم فقَتل كثيرًا ممن باشر ذلك أو أعان عليه، فأحبه الناس ثم إنه زين له الشيطان أن ادعى النبوة وزعم أن جبريل يأتيه... وقُتل المختار سنة بضع وستين.

ومنهم الحارث الكذاب خرج في خلافة عبد الملك بن مروان فقُتل.

وخرج في خلافة بني العباس جماعة.

وليس المراد بالحديث من ادعى النبوة مطلقًا، فإنهم لا يُحصَون كثرة لكون غالبهم ينشأ لهم ذلك عن جنون أو سوداء، وإنما المراد من قامت له شوكة وبدت له شبهة كمن وصفنا، وقد أهلك الله تعالى من وقع له ذلك منهم، وبقي منهم من يلحقه بأصحابه، وآخرهم الدجال الأكبر»[1].

قَولُهُ: «وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ»: أي آخرهم الذي ختمهم، وخُتموا به ﷺ[2].

قَولُهُ: «لَا نَبِيَّ بَعْدِي»: أي ولا رسول بعده ﷺ[3]، ولا يقدح فيه نزول عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بعده؛ لأنه إذا نزل يكون على دينه مع أن المراد أنه آخر من نُبئ[4].

---

(١) انظر: «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» (٦/ ٦١٧).

(٢) انظر: السابق (١/ ١١٠).

(٣) انظر: «فيض القدير شرح الجامع الصغير» (٣/ ٤٣).

(٤) انظر: «إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري» (٦/ ٢١).

قوله: «وَلَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الحَقِّ مَنْصُورَةٌ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، وَلَا مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ»: أي لا تزال جماعة من أمة النبي ﷺ منتصرين لا يضرهم من خذلهم وخالفهم حتىٰ قرب قيام الساعة[1].

والمراد بقوله ﷺ: «حَتَّىٰ يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ»: أي الريح اللينة التي تأتي قرب قيام الساعة، فتأخذ روح كل مؤمن ومؤمنة[2].

وعن جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لَنْ يَبْرَحَ هَذَا الدِّينُ قَائِمًا، يُقَاتِلُ عَلَيْهِ عِصَابَةٌ مِنَ المُسْلِمِينَ، حَتَّىٰ تَقُومَ السَّاعَةُ»[3].

وعَنْ عَبدِ اللهِ بنِ عَمرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: «ثُمَّ يَبْعَثُ اللهُ رِيحًا كَرِيحِ المِسْكِ مَسُّهَا مَسُّ الحَرِيرِ، فَلَا تَتْرُكُ نَفْسًا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنَ الإِيمَانِ إِلَّا قَبَضَتْهُ، ثُمَّ يَبْقَىٰ شِرَارُ النَّاسِ عَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ»[4].

والطائفة المنصورة هم أهل الحديث.

قال الإمام أحمد: «إن لم تكن هذه الطائفة المنصورة أصحاب الحديث، فلا أدري من هم؟»[5].

وقال علي ابن المديني: «هم أهل الحديث، والذين يتعاهدون مذاهب الرسول، ويذبون عن العلم؛ لولاهم لم تجد عند المعتزلة والرافضة والجهمية وأهل الإرجاء والرأي شيئًا من السنن»[6].

---

(١) انظر: «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» (١٣/ ٢٩٤).

(٢) انظر: «شرح صحيح مسلم» (٢/ ١٣٢، ١٣/ ٦٦).

(٣) صحيح: رواه مسلم (١٩٢٢).

(٤) صحيح: رواه مسلم (١٩٢٤).

(٥) انظر: «مشتبه أسامي المحدثين»، للهروي، صـ (٢١-٢٢).

(٦) انظر: «شرف أصحاب الحديث»، للخطيب البغدادي، صـ (١٠).

وقال البخاري: «بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَىٰ الحَقِّ» يُقاتِلُون وهم أهل العلم»[1].



(١) **انظر:** «صحيح البخاري» (٩/ ١٠١).

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: تَفْسِيرُ آيَةِ النِّسَاءِ.

الثَّانِيَةُ: تَفْسِيرُ آيَةِ المائِدَةِ.

الثَّالِثَةُ: تَفْسِيرُ آيَةِ الكَهْفِ.

الرَّابِعَةُ: وَهِيَ أَهَمُّهَا مَا مَعْنَى الإِيمَانِ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ فِي هَذَا الموْضِعِ؟ هَلْ هُوَ اعْتِقَادُ قَلْبٍ؟ أَوْ هُوَ مُوَافَقَةُ أَصْحَابِهَا مَعَ بُغْضِهَا وَمَعْرِفَةِ بُطْلَانِهَا؟

الخَامِسَةُ: قَوْلُهُمْ: إِنَّ الكُفَّارَ الذِينَ يَعْرِفُونَ كُفْرَهُمْ أَهْدَى سَبِيلًا مِنَ المؤْمِنِينَ.

السَّادِسَةُ: وَهِيَ المقْصُودَةُ بِالتَّرْجَمَةِ أَنَّ هَذَا لَا بُدَّ أَنْ يُوجَدَ فِي هَذِهِ الأُمَّةِ كَمَا تَقَرَّرَ فِي حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ.

السَّابِعَةُ: تَصْرِيحُهُ بِوُقُوعِهَا -أَعْنِي عِبَادَةَ الأَوْثَانِ- فِي هَذِهِ الأُمَّةِ فِي جُمُوعٍ كَثِيرَةٍ.

الثَّامِنَةُ: العَجَبُ العُجَابُ خُرُوجُ مَنْ يَدَّعِي النُّبُوَّةَ، مِثْلُ المخْتَارِ مَعَ تَكَلُّمِهِ بِالشَّهَادَتَيْنِ، وَتَصْرِيحِهِ بِأَنَّهُ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ، وَأَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ، وَأَنَّ القُرْآنَ حَقٌّ، وَفِيهِ أَنَّ مُحَمَّدًا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ، وَمَعَ هَذَا يُصَدَّقُ فِي هَذَا كُلِّهِ مَعَ التَّضَادِّ الوَاضِحِ، وَقَدْ خَرَجَ المخْتَارُ فِي آخِرِ عَصْرِ الصَّحَابَةِ، وَتَبِعَهُ فِئَامٌ كَثِيرَةٌ.

التَّاسِعَةُ: البِشَارَةُ بِأَنَّ الحَقَّ لَا يَزُولُ بِالْكُلِّيَّةِ كَمَا زَالَ فِيمَا مَضَى، بَلْ لَا تَزَالُ عَلَيْهِ طَائِفَةٌ.

العَاشِرَةُ: الآيَةُ العُظْمَى أَنَّهُمْ مَعَ قِلَّتِهِمْ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ وَلَا مَنْ خَالَفَهُمْ.

الحَادِيَةَ عَشْرَةَ: أَنَّ ذَلِكَ الشَّرْطَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ.

الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ: مَا فِيهِ مِنَ الآيَاتِ العَظِيمَةِ مِنْهَا إِخْبَارُهُ بِأَنَّ اللهَ زَوَى لَهُ

الْمَشَارِقَ وَالْمَغَارِبَ، وَأَخْبَرَ بِمَعْنَى ذَلِكَ، فَوَقَعَ كَمَا أَخْبَرَ بِخِلَافِ الْجَنُوبِ وَالشَّمَالِ، وَإِخْبَارُهُ بِأَنَّهُ أُعْطِيَ الْكَنْزَيْنِ وَإِخْبَارُهُ بِإِجَابَةِ دَعْوَتِهِ لِأُمَّتِهِ فِي الاثْنَتَيْنِ وَإِخْبَارُهُ بِأَنَّهُ مُنِعَ الثَّالِثَةَ، وَإِخْبَارُهُ بِوُقُوعِ السَّيْفِ، وَأَنَّهُ لَا يُرْفَعُ إِذْ وَقَعَ، وَإِخْبَارُهُ بِإِهْلَاكِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا، وَسَبْيِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا، وَخَوْفِهِ عَلَى أُمَّتِهِ مِنَ الْأَئِمَّةِ الْمُضِلِّينَ، وَإِخْبَاره بِظُهُورِ الْمُتَنَبِّئِينَ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَإِخْبَارُهُ بِبَقَاءِ الطَّائِفَةِ الْمَنْصُورَةِ، وَكُلُّ هَذَا وَقَعَ كَمَا أَخْبَرَ، مَعَ أَنَّ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا مِنْ أَبْعَدِ مَا يَكُونُ فِي الْعُقُولِ.

الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ: حَصْرُ الْخَوْفِ عَلَى أُمَّتِهِ مِنَ الْأَئِمَّةِ الْمُضِلِّينَ.

الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ: التَّنْبِيهُ عَلَى مَعْنَى عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ.

الشَّرْح

قَوْلُهُ: «الْأُولَى: تَفْسِيرُ آيَةِ النِّسَاءِ»: أي قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ﴾[النساء:٥١].

قَوْلُهُ: «الثَّانِيَةُ: تَفْسِيرُ آيَةِ الْمَائِدَةِ»: أي قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [المائدة:٦٠].

قَوْلُهُ: «الثَّالِثَةُ: تَفْسِيرُ آيَةِ الْكَهْفِ»: أي قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾[الكهف:٢١].

قَوْلُهُ: «الرَّابِعَةُ: وَهِيَ أَهَمُّهَا مَا مَعْنَى الْإِيمَانِ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ؟ هَلْ هُوَ اعْتِقَادُ قَلْبٍ؟ أَوْ هُوَ مُوَافَقَةُ أَصْحَابِهَا مَعَ بُغْضِهَا، وَمَعْرِفَةِ بُطْلَانِهَا؟»: أي ليس اعتقاد قلب، وإنما جعله الله إيمانا بالجبت والطاغوت؛ لأجل أنهم وافقوا أصحابها، ويعرفون أنها باطلة.

قال الشيخ العثيمين: «أما إيمان القلب واعتقاده؛ فهذا لا شك في دخوله في الآية.

وأما موافقة أصحابها في العمل مع بغضها ومعرفة بطلانها؛ فهذا يحتاج إلىٰ تفصيل، فإن كان وافق أصحابها بناء علىٰ أنها صحيحة؛ فهذا كفر، وإن كان وافق أصحابها ولا يعتقد أنها صحيحة؛ فإنه لا يكفر، لكنه لا شك علىٰ خطر عظيم يخشىٰ أن يؤدي به الحال إلىٰ الكفر والعياذ بالله»[1].

قَولُهُ: «الخَامِسَةُ: قَوْلُهُمْ: إِنَّ الكُفَّارَ الذِينَ يَعْرِفُونَ كُفْرَهُمْ أَهْدَى سَبِيلًا مِنَ المُؤْمِنِينَ»: أي أن هذا كفر بالله ﷻ؛ فمن قال: إن الكفار الذي يعرفون كفرهم أهدىٰ طريقا من المؤمنين فهو كافر؛ لأنه قدم الكفر علىٰ الإيمان.

قَولُهُ: «السَّادِسَةُ: وَهِيَ المَقْصُودَةُ بِالتَّرْجَمَةِ أَنَّ هَذَا لَا بُدَّ أَنْ يُوجَدَ فِي هَذِهِ الأُمَّةِ كَمَا تَقَرَّرَ فِي حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ»: أي الإيمان بالجبت والطاغوت، وعبادة الأوثان واقع في الأمة لا محالة.

قَولُهُ: «السَّابِعَةُ: تَصْرِيحُهُ بِوُقُوعِهَا -أَعْنِي عِبَادَةَ الأَوْثَانِ- فِي هَذِهِ الأُمَّةِ فِي جُمُوعٍ كَثِيرَةٍ»: كما في قوله ﷺ: «حتىٰ تعبد فِئامٌ من أمتي الأوثان».

قَولُهُ: «الثَّامِنَةُ: العَجَبُ العُجَابُ خُرُوجُ مَنْ يَدَّعِي النُّبُوَّةَ، مِثْلُ المُخْتَارِ مَعَ تَكَلُّمِهِ بِالشَّهَادَتَيْنِ، وَتَصْرِيحِهِ بِأَنَّهُ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ، وَأَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَأَنَّ القُرْآنَ حَقٌّ، وَفِيهِ أَنَّ مُحَمَّدًا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ، وَمَعَ هَذَا يُصَدَّقُ فِي هَذَا كُلِّهِ مَعَ التَّضَادِّ الوَاضِحِ، وَقَدْ خَرَجَ المُخْتَارُ فِي آخِرِ عَصْرِ الصَّحَابَةِ، وَتَبِعَهُ فِئَامٌ كَثِيرَةٌ»: أي كيف يدعي النبوة وهو يؤمن بالقرآن الذي فيه قوله تعالىٰ: ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، فهذا تضاد.

قَولُهُ: «التَّاسِعَةُ: البِشَارَةُ بِأَنَّ الحَقَّ لَا يَزُولُ بِالْكُلِّيَّةِ كَمَا زَالَ فِيمَا مَضَى، بَلْ لَا تَزَالُ عَلَيْهِ طَائِفَةٌ»: كما في قوله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي منصورة...».

قَولُهُ: «العَاشِرَةُ: الآيَةُ العُظْمَى أَنَّهُمْ مَعَ قِلَّتِهِمْ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ وَلَا

---

(١) انظر: «القول المفيد علىٰ كتاب التوحيد» (١/ ٤٣٨).

مَنْ خَالَفَهُمْ»: كما في قوله ﷺ: «لا يضرهم من خذلهم، ولا من خالفهم».

قَـولُـهُ: «الحَادِيَةَ عَشْرَةَ: أَنَّ ذَلِكَ الشَّرْطَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ»: أي لا تزال هذه الطائفة منصورة إلىٰ قيام الساعة كما في قوله ﷺ: «حتىٰ يأتي أمر الله وهم علىٰ ذلك».

قَـولُـهُ: «الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ: مَا فِيهِ مِنَ الآيَاتِ العَظِيمَةِ مِنْهَا إِخْبَارُهُ بِأَنَّ اللهَ زَوَى لَهُ المَشَارِقَ وَالمَغَارِبَ، وَأَخْبَرَ بِمَعْنَى ذَلِكَ، فَوَقَعَ كَمَا أَخْبَرَ بِخِلَافِ الجَنُوبِ وَالشَّمَالِ، وَإِخْبَارُهُ بِأَنَّهُ أُعْطِيَ الكَنْزَيْنِ، وَإِخْبَارُهُ بِإِجَابَةِ دَعْوَتِهِ لِأُمَّتِهِ فِي الاثْنَتَيْنِ، وَإِخْبَارُهُ بِأَنَّهُ مُنِعَ الثَّالِثَةَ، وَإِخْبَارُهُ بِوُقُوعِ السَّيْفِ، وَأَنَّهُ لَا يُرْفَعُ إِذْ وَقَعَ، وَإِخْبَارُهُ بِإِهْلَاكِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا، وَسَبْيِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا، وَخَوْفِهِ عَلَى أُمَّتِهِ مِنَ الْأَئِمَّةِ المضِلِّينَ، وَإِخْبَاره بِظُهُورِ المتَنَبِّئِينَ فِي هَذِهِ الأُمَّةِ، وَإِخْبَارُهُ بِبَقَاءِ الطَّائِفَةِ المنْصُورَةِ، وَكُلُّ هَذَا وَقَعَ كَمَا أَخْبَرَ، مَعَ أَنَّ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا مِنْ أَبْعَدِ مَا يَكُونُ فِي العُقُولِ»: هذا كله فيه دليل علىٰ نبوته ﷺ، وقد حدث ما أخبر عنه ﷺ.

قَـولُـهُ: «الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ: حَصْرُ الخَوْفِ عَلَى أُمَّتِهِ مِنَ الأَئِمَّةِ المضِلِّينَ»: كما في قوله ﷺ: «وإنما أخاف علىٰ أمتي الأئمة المضلين».

قَـولُـهُ: «الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ: التَّنْبِيهُ عَلَى مَعْنَى عِبَادَةِ الأَوْثَانِ»: كما في قوله ﷺ: «وَحَتَّىٰ تَعْبُدَ فِئَامٌ مِنْ أُمَّتِي الأَوْثَانَ».



[٢٣] بَابُ مَا جَاءَ فِي السِّحْرِ

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾ [البقرة:١٠٢].

وَقَوْلِهِ: ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ [النساء:٥١].

قَالَ عُمَرُ: «الجِبْتُ السِّحْرُ، وَالطَّاغُوتُ الشَّيْطَانُ»(١).

وَقَالَ جَابِرٌ: «الطَّوَاغِيتُ كُهَّانٌ، كَانَ يَنْزِلُ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ، فِي كُلِّ حَيٍّ وَاحِدٌ»(٢).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الموبِقَاتِ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: «الشِّرْكُ بِاللهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ اليَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ المحْصَنَاتِ الغَافِلَاتِ المؤْمِنَاتِ»(٣).

وَعَنْ جُنْدَبٍ مَرْفُوعًا: «حَدُّ السَّاحِرِ ضَرْبَةٌ بِالسَّيْفِ»(٤) رَوَاهُ الترمذي،

---

(١) صحيح: رواه البخاري بصيغة الجزم (٦/ ٤٥)، ووصله سعيد بن منصور في «سننه» (٢٥٣٤)، وابن جرير في «تفسيره» (٩٧٦٦)، وابن كثير في «مسند الفاروق» (٢/ ٥٦٩)، وقال ابن حجر في «الفتح» (٨/ ٢٥٢): «وصله عبد بن حميد في تفسيره، ومسدَّد في مسنده، وعبد الرحمن بن رُسْتَة في «كتاب الإيمان»، كلهم من طريق أبي إسحاق عن حسان بن فائد عن عمر مثله وإسناده قوي».

(٢) صحيح: رواه البخاري بصيغة الجزم (٦/ ٤٥)، ووصله ابن جرير في «تفسيره» (٥٨٤٥)، وقال ابن حجر في «الفتح» (٨/ ٢٥٢): «وصله بن أبي حاتم من طريق وهب بن منبه».

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٢٧٦٦)، ومسلم (٨٩).

(٤) صحيح موقوف: رواه الترمذي (١٤٦٠)، والطبراني في «الكبير» (١٦٦٥)، والدار قطني (٣٢٠٤)، والحاكم في «المستدرك» (٨٠٧٣)، وصححه، ووافقه الذهبي، والبيهقي في «الكبرى» (١٦٥٠٠)، وقال في «السلسلة الضعيفة» (٣/ ٦٤١): «والصحيح عن جندب موقوف».

وَقَالَ: «الصَّحِيحُ أَنَّهُ مَوْقُوفٌ».

وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ[(١)] عَنْ بَجَالَةَ بْنِ عَبَدَةَ قَالَ: «كَتَبَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنِ اقْتُلُوا كُلَّ سَاحِرٍ وَسَاحِرَةٍ»، قَالَ: «فَقَتَلْنَا ثَلَاثَ سَوَاحِرَ»[(٢)].

وَصَحَّ عَنْ حَفْصَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا «أَنَّهَا أَمَرَتْ بِقَتْلِ جَارِيَةٍ لَهَا سَحَرَتْهَا فَقُتِلَتْ»[(٣)].

وَكَذَلِكَ صَحَّ عَنْ جُنْدَبٍ[(٤)].

قَالَ أَحْمَدُ: عَنْ ثَلَاثَةٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ.

الشَّرْح

قَولُهُ: «بَابُ مَا جَاءَ فِي السِّحْرِ»: السحر لغة: صرف الشيء عن وجهه[(٥)]، وكلُّ ما لَطُفَ مَأْخَذُهُ ودَقَّ فهو سِحْرٌ[(٦)].

والسحر اصطلاحًا: فعلٌ يخفىٰ سببُه ويوهم قلبَ الشيءِ عن حقيقته[(٧)].

ويطلق علىٰ ما يفعله صاحب الحِيل بمعونة الآلات، والأدوية، وما يُريك

---

(١) لم أجده في صحيح البخاري بهذا اللفظ.

(٢) رواه الشافعي في «مسنده» (٢٩٠)، وعبد الرزاق في «مصنفه» (٩٩٧٢)، وسعيد بن منصور في «سننه» (٢١٨٠)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢٨٩٨٢)، وأحمد (١٦٥٧)، وأبو يعلىٰ في «مسنده» (٨٦٠)، والدار قطني (٢١٤١)، واللالكائي في «أصول الاعتقاد» (٢٢٧٧)، والبيهقي في «الكبرىٰ» (١٦٤٩٨)، و«المعرفة» (١٦٤٥٦)، وصحح إسناده أحمد شاكر، والأرنؤوط.

(٣) رواه مالك في «الموطأ» بلاغا (١٤)، ووصله الشافعي في «مسنده»، صـ (٣٨٣)، والبيهقي في «المعرفة» (١٦٤٥٧).

(٤) رواه ابن أبي شيبة (٢٨٩٧٧)، والبخاري في «التاريخ الكبير» (٢٢٦٨)، والدار قطني (٣٢٠٥)، والطبراني في «الكبير» (١٧٢٥)، واللالكائي في «أصول الاعتقاد» (٧/ ١٢٨٣)، والبيهقي في «الكبرىٰ» (١٦٥٠١).

(٥) انظر: «تهذيب اللغة»، مادة «سحر»، و«النهاية في غريب الحديث» (٢/ ٣٤٦).

(٦) انظر: «الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية»، مادة «سحر».

(٧) انظر: «كشاف اصطلاحات الفنون»، للتهانوي (١/ ٩٣٥)

صاحب خفة اليد(١).

وهو عمل يتقرب به إلىٰ الشيطان، ومعونةً منه(٢).

وسمي السحر سحرا؛ لأنه صرف الشيء عن جهته، فكأنَّ الساحر لمَّا أُري الباطل حقًّا أي في صورة الحق، وخُيّل الشيء علىٰ غير حقيقته، فقد سحر الشيء عن وجهه أي صرفه(٣).

قال ابن قدامة المقدسي: «السحر عزائم ورقىٰ وعُقَد تؤثر في الأبدان، والقلوب، فيمرض، ويقتل، ويفرق بين المرء وزوجه، ويأخذ أحد الزوجين عن صاحبه.

قال الله تعالىٰ: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾ [البقرة:١٠٢].

وقال الله سبحانه: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾﴾[الفَلَق:١]، إلىٰ قوله: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾﴾ [الفَلَق:٤]، يعني: السواحر اللاتي يعقدن في سحرهن، وينفُثن في عقدهن، ولولا أن للسحر حقيقة، لم يأمر بالاستعاذة منه»(٤).

وقالتْ عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا: سُحِرَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّىٰ إِنَّهُ لَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَفْعَلُ الشَّيْءَ وَمَا فَعَلَهُ، حَتَّىٰ إِذَا كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ وَهُوَ عِنْدِي، دَعَا اللهَ وَدَعَاهُ، ثُمَّ قَالَ: **«أَشَعَرْتِ يَا عَائِشَةُ أَنَّ اللهَ قَدْ أَفْتَانِي فِيمَا اسْتَفْتَيْتُهُ فِيهِ؟»** قُلْتُ: وَمَا ذَاكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: **«جَاءَنِي رَجُلانِ، فَجَلَسَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي، وَالآخَرُ عِنْدَ رِجْلَيَّ، ثُمَّ قَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: مَا وَجَعُ الرَّجُلِ؟ قَالَ: مَطْبُوبٌ، قَالَ: وَمَنْ طَبَّهُ؟ قَالَ: لَبِيدُ بْنُ**

---

(١) انظر: «الكليات»، لأبي البقاء الكفوي، صـ(٥١٠).

(٢) انظر: «كشاف اصطلاحات الفنون»، للتهانوي (١/ ٩٣٥)

(٣) انظر: «تهذيب اللغة»، للأزهري (٤/ ١٧٠-١٧١).

(٤) انظر: «الكافي»، لابن قدامة (٥/ ٣٣١-٣٣٢).

الأَعْصَم اليَهُودِيُّ مِنْ بَنِي زُرَيْقٍ، قَالَ: فِي أَيِّ شَيءٍ؟ قَالَ: فِي مُشْطٍ وَمُشَاطَةٍ، وَجُفِّ طَلْعَةٍ ذَكَرٍ، قَالَ: فَأَيْنَ هُوَ؟ قَالَ: فِي بِئْرِ ذِي أَرْوَانَ»[١].

وقال المازري: «أهل السنة، وجمهور العلماء من الأمة علىٰ إثبات السحر، وأن له حقيقة كحقائق غيره من الأشياء الثابتة، خلافا لمن أنكره، ونفىٰ حقيقته وأضاف ما يتفق منه إلىٰ خيالات باطلة لا حقائق لها، وقد ذكر الله سبحانه في كتابه العزيز، وذكر أنه مما يُتَعلم، وذكر ما يشير إلىٰ أنه مما يكفر به، وأنه يفرِّق به بين المرء وزوجه.

وهذا كله لا يمكن أن يكون فيما لا حقيقة له، وكيف يُتعلم ما لا حقيقة له.

وهذا الحديث فيه أيضًا إثباته، وأنه أشياء دفنت وأخرجت»[٢].

وقال ابن هبيرة: «وأجمعوا علىٰ أن السحر له حقيقة إلا أبا حنيفة فإنه قال: لا حقيقة له عندي»[٣].

فائدة: حكم من يتعلم السحر:

اختلف العلماء فيمن يتعلم السحر، ويستعمله علىٰ ثلاثة أقوال[٤]:

القول الأول: يكفر بذلك.

القائلون به: أبو حنيفة، ومالك، وأحمد

القول الثاني: من تعلمه؛ ليتقيه، أو ليجتنبه فلا يكفر بذلك، ومن تعلمه معتقدا جوازه أو أنه ينفعه كفر، وكذا من اعتقد أن الشياطين تفعل له ما يشاء فهو كافر.

---

(١) **متفق عليه:** رواه البخاري (٥٧٦٦)، ومسلم (٢١٨٩).

(٢) **انظر:** «المعلم بفوائد مسلم»، للمازري (٢/ ٢٥٦).

(٣) **انظر:** «إجماع الأئمة الأربعة واختلافهم»، لابن هبيرة (٢/ ٣٢٥).

(٤) **انظر:** السابق (٢/ ٣٢٥).

القائلون به: بعض أصحاب أبي حنيفة.

القول الثالث: من تعلم السحر قلنا له: صف لنا سحرك، فإن وصف ما يوجب الكفر مثل ما اعتقده أهل بابل من التقرب إلىٰ الكواكب السبعة، وأنها تفعل ما يُلتمس منها، فهو كافر، وإن كان لا يوجب الكفر، فإن اعتقد إباحته، فهو كافر.

القائلون به: الشافعي.

والصحيح أن السحر يكون شركا إذا كان بواسطة الشياطين؛ يعبدهم، ويتقرب إليهم؛ ليسلطهم علىٰ المسحور.

ويكون عدوانا، وفسقا إذا كان بالأدوية، والعقاقير[1].

قوله: «وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾»: أي ليس لمن عمل بالسحر في الدار الآخرة نصيب من الجنة[2]؛ وهذا فيه دلالة علىٰ كفر الساحر.

قوله: «وَقَوْلِهِ: ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾»: تقدم الكلام علىٰ الجبت والطاغوت.

قوله: «قَالَ عُمَرُ: «الْجِبْتُ السِّحْرُ، وَالطَّاغُوتُ الشَّيْطَانُ»»: هذا تفسير للآية من أمير المؤمنين عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قوله: «وَقَالَ جَابِرٌ: «الطَّوَاغِيتُ كُهَّانٌ، كَانَ يَنْزِلُ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ»»: أي الطواغيت منهم الكهان الذين كانت تنزل عليهم الشياطين، وتخبرهم بما سيحدث في المستقبل، وهذا كان عن طريق استراق الوحي، وكان قبل البعثة، فلما بُعثَ النبي ﷺ حجبت عن السماع بالشهب.

---

(١) **انظر:** «القول المفيد علىٰ كتاب التوحيد» (١/ ٤٨٩).

(٢) **انظر:** «تفسير الطبري» (٢/ ٤٥٢-٤٥٣)، و«تفسير الواحدي»، صـ(١٢١).

قَولُهُ: «فِي كُلِّ حَيٍّ وَاحِدٌ»: أي في كل قبيلة كاهن تنزل عليهم الشياطين.

قَولُهُ: «وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «اجْتَنِبُوا»»: أي ابتعدوا، مأخوذ من الاجتناب، وهو أبلغ من: ابعَدوا، واحذروا، ونحو ذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ﴾ [الإسراء:٣٢]؛ وهو أبلغ من لا تفعلوا؛ لأن نهي القربان أبلغ من نهي المباشرة[١].

قَولُهُ: «السَّبْعَ»: أي الكبائر السبع المذكورات في هذا الحديث، ولا ينافيه عدها في أحاديث أكثر؛ لأنه أخبر في كل مجلس بما أوحىٰ إليه، أو سنح له باعتبار أحوال السائل أو تفاوت الأوقات أو لزيادة فحشها وفظاظة قبحها، أو لأن مفهوم العدد غير حجة[٢].

قَولُهُ: «الموبِقَاتِ»: يعني المهلكات[٣]، والمراد به من الكبائر سبع، وإنما وقع الاقتصار علىٰ هذه السبع؛ لكونها من أفحش الكبائر مع كثرة وقوعها لا سيما فيما كانت عليه الجاهلية[٤].

واختلف العلماء في تعريف الكبيرة على أقوال:

القول الأول: هي كل ذنب ختمه الله تعالىٰ بنار، أو غضب، أو لعنة، أو عذاب.

القائلون به: ابن عباس، والحسن البصري.

القول الثاني: هي ما أوعد الله عليه بنار، أو حدٍّ في الدنيا.

القول الثالث: هي كل معصية يقدم المرء عليها من غير استشعار خوف، وحَذَار ندم كالمتهاون بارتكابها والمتجرئ عليه اعتيادا، فما أشعر بهذا

---

(١) انظر: «عمدة القاري شرح صحيح البخاري» (١٤/ ٦١)، و«فيض القدير شرح الجامع الصغير» (١/ ١٥٣).

(٢) انظر: «فيض القدير شرح الجامع الصغير» (١/ ١٥٣)، و«التيسير بشرح الجامع الصغير» (١/ ٣٤).

(٣) انظر: «كشف المشكل من حديث الصحيحين» (٣/ ٤١٠).

(٤) انظر: «شرح صحيح مسلم» (٢/ ٨٤).

الاستخفاف والتهاون فهو كبيرة.

القائلون به: أبو حامد الغزالي.

القول الرابع: هي كل ذنب كبُر وعظُم عظما يصح معه أن يطلق عليه اسم الكبيرة ووُصف بكونه عظيما علىٰ الإطلاق، لها أمارات منها: إيجاب الحد، ومنها: الإيعاد عليها بالعذاب بالنار- ونحوها في الكتاب أو السنة، ومنها وصف فاعلها بالفسق نصا، ومنها: اللعن كلعن الله ﷻ من غيَّر منار الأرض.

القائلون به: أبو عمرو بن الصلاح.

القول الخامس: هي كل ذنب قُرن به وعيد أو حد أو لعن، فعلىٰ هذا كل ذنب علم أن مفسدتُه كمفسدة ما قُرن به الوعيد، أو الحد، أو اللعن، أو أكثر من مفسدته فهو كبيرة.

القائلون به: بعض أهل العلم.

والصحيح أن حد الكبيرة غير معروف بل ورد الشرع بوصف أنواع من المعاصي بأنها كبائر، وأنواع بأنها صغائر، وأنواع لم توصف وهي مشتملة علىٰ صغائر وكبائر.

والحكمة في عدم بيانه: أن يكون العبد ممتنعا من جميعها مخافة أن يكون من الكبائر، وهذا شبيه بإخفاء ليلة القدر وساعة يوم الجمعة، وساعة إجابة الدعاء من الليل، واسم الله الأعظم، ونحو ذلك مما أخفي.

والإصرار علىٰ الصغيرة يجعلها كبيرة(١).

قال العز بن عبد السلام: «لم أقف لأحد من العلماء علىٰ ضابط للكبيرة لا يسلم من الاعتراض، والأولىٰ ضبطها بما يشعر بتهاون مرتكبها بدينه إشعارا

(١) انظر: «شرح صحيح مسلم» (٢/ ٨٥-٨٦).

دون الكبائر المنصوص عليها»[(١)].

قال ابن حجر بعد ذكره لكلام العز بن عبد السلام المتقدم: «وهو ضابط جيد»[(٢)].

قَـوْلُـهُ: «قَالُوا»: أي الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ.

قَـوْلُـهُ: «يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا هُنَّ؟»: أي ما هن الموبقات السبع؟

قَـوْلُـهُ: «قَالَ: «الشِّرْكُ بِاللهِ»»: أي الأول: الشرك بالله، الشرك جعل أحد شريكا لآخر، والمراد هنا: اتخاذ إله غير الله يدعوه ويرجوه من دون الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ[(٣)].

قَـوْلُـهُ: «وَالسِّحْرُ»: أي الثاني: السحر، ومنه سحر التخييل، كسحر سحرة فرعون، ومنه السحر الحقيقي الذي يستعين فيه الساحر بالشياطين[(٤)].

قَـوْلُـهُ: «وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالحَقِّ»: أي الثالث: لا تقتلوا النفس التي هي معصومة في الأصل إلا محقِّين في قتلها[(٥)]، فإذا فَعَلَت ما يوجب القتل جاز قتلها، كما في حديث عَبْدِ اللهِ بنِ مَسْعودٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**لا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَّا بِإِحْدَىٰ ثَلاثٍ: النَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالثَّيِّبُ الزَّانِي، وَالمَارِقُ مِنَ الدِّينِ التَّارِكُ لِلْجَمَاعَةِ**»[(٦)].

قَـوْلُـهُ: «وَأَكْلُ الرِّبَا»: أي الرابع: أكل الربا، وهو تفاضل في أشياء، ونَسَاء

---

(١) انظر: «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» (١٠/ ٤١٠-٤١١).

(٢) انظر: «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» (١٠/ ٤١١).

(٣) انظر: «عمدة القاري شرح صحيح البخاري» (١٤/ ٦١)، و«إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري» (٥/ ٢٢).

(٤) انظر: «عمدة القاري شرح صحيح البخاري» (١٤/ ٦١)، و«إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري» (٥/ ٢٢).

(٥) انظر: «شرح صحيح مسلم» (٢/ ٨١).

(٦) متفق عليه: رواه البخاري (٦٨٧٨)، ومسلم (١٦٧٦).

في أشياء[١]، كما هو مقرر في كتب الفقه.

قَوْلُهُ: «وَأَكْلُ مَالِ اليَتِيمِ»: أي الخامس: أكل مال اليتيم، وهو: من مات أبوه وهو ما دون البلوغ، وفي البهائم: ما ماتت أمه[٢].

قَوْلُهُ: «وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ»: أي السادس: الفرار عن القتال يوم ازدحام الطائفتين، ويقال: التولي الإعراض عن الحرب والفرار من الكفار إذا كان بإزاء كل مسلم كافران، وإن كان بإزاء كل مسلم أكثر من كافرين يجوز الفرار، والزحف: الجماعة الذين يزحفون إلىٰ العدو أي يُمسون إليهم بمشقة، من زحف الصبي إذا دب علىٰ أَسته[٣].

قَوْلُهُ: «وَقَذْفُ المحْصَنَاتِ»: أي السابع: قذف المحصنات، والقذف الرمي البعيد، استعير للشتم والعيب والبهتان كما استعير للرمي، والمحصنات جمع محصنة، بفتح الصاد، اسم مفعول أي: التي أحصنها الله تعالىٰ وحفظها من الزنا، وبكسرها اسم فاعل أي: التي حفظت فرجها من الزنا[٤].

قَوْلُهُ: «الغَافِلَاتِ»: كناية عن البريئات لأن البريء غافل عما بُهِتَ به من الزنا[٥].

قَوْلُهُ: «المؤْمِنَاتِ»: احترز به عن قذف الكافرات، فإن قذفهن ليس من الكبائر، وإن كانت ذمية فقذفها من الصغائر لا يوجب الحد، وفي قذف الأمة المسلمة التعزير دون الحد[٦].

---

(١) انظر: «الإقناع»، للحجاوي (٢/ ٢٤٥).
(٢) انظر: «عمدة القاري شرح صحيح البخاري» (١٤/ ٦١).
(٣) انظر: «عمدة القاري شرح صحيح البخاري» (١٤/ ٦١).
(٤) انظر: «عمدة القاري شرح صحيح البخاري» (١٤/ ٦١).
(٥) انظر: «عمدة القاري شرح صحيح البخاري» (١٤/ ٦١).
(٦) انظر: «عمدة القاري شرح صحيح البخاري» (١٤/ ٦١).

ويدخل في قذف المؤمنات قذف المؤمنين.

قال ابن بطال: «أجمع المسلمون أن حكم المحصنين في القذف كحكم المحصنات قياسًا، واستدلالًا، وأن من قذف حرًا عفيفًا مؤمنًا عليه الحد ثمانون كمن قذف حرة مؤمنة»[(١)].

قَولُه: «وَعَنْ جُنْدَبٍ مَرْفُوعًا: «حَدُّ السَّاحِرِ ضَرْبَةٌ بِالسَّيْفِ»»: أي لأجل كفره، وقيل: لأجل الفساد في الأرض، لكن جمهور هؤلاء يرون قتله حدًّا[(٢)].

قَولُه: «رَوَاهُ الترمذي، وَقَالَ: «الصَّحِيحُ أَنَّهُ مَوْقُوفٌ»»: أي على جندب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال الترمذي: «والعمل على هذا عند بعض أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ، وغيرهم، وهو قول مالك بن أنس، وقال الشافعي: إنما يقتل الساحر إذا كان يعمل في سحره ما يبلغ به الكفر، فإذا عمل عملا دون الكفر فلم نر عليه قتلا»[(٣)].

قَولُه: «وَفِي صَحِيحِ البُخَارِيِّ عَنْ بَجَالَةَ بْنِ عَبَدَةَ قَالَ: «كَتَبَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنِ اقْتُلُوا كُلَّ سَاحِرٍ وَسَاحِرَةٍ»، قَالَ: «فَقَتَلْنَا ثَلَاثَ سَوَاحِرَ»»: هذا اللفظ لا يوجد عند البخاري.

قَولُه: «وَصَحَّ عَنْ حَفْصَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا «أَنَّهَا أَمَرَتْ بِقَتْلِ جَارِيَةٍ لَهَا سَحَرَتْهَا فَقُتِلَتْ»»: حفصة هي زوج النبي ﷺ، وابنة الفاروق عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قَولُه: «وَكَذَلِكَ صَحَّ عَنْ جُنْدَبٍ»: أي أنه قتل الساحر.

قَولُه: «قَالَ أَحْمَدُ: عَنْ ثَلَاثَةٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ»: أي صح قتل الساحر عن ثلاثة من أصحاب النبي ﷺ، وهم عمر، وحفصة، وجندب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

---

(١) انظر: «شرح صحيح البخاري»، لابن بطال (٨/ ٤٨٩).

(٢) انظر: «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ٣٤٦).

(٣) انظر: «سنن الترمذي» (٤/ ٦٠).

فائدة [١]: اختلف العلماء في الساحر هل يُقتل بمجرد تعلمه واستعماله السحر على أربعة أقوال[1]:

القول الأول: يقتل بمجرد ذلك وإن لم يَقتُل به.

القائلون به: مالك، وأحمد.

القول الثاني: لا يقتل بذلك حتىٰ يتكرر ذلك منه، فإن قَتل بالسحر قُتل.

القائلون به: أبو حنيفة.

القول الثالث: لا يُقتل حتىٰ يقر أني قتلت إنسانا بعينه.

القائلون به: رواية عن أبي حنيفة.

القول الرابع: لا يُقتل بذلك، فإن قَتل بالسحر قُتل.

القائلون به: الشافعي.

والصحيح أنه يجب قتل السحرة، سواء قلنا بكفرهم أم لم نقل؛ لأنهم يمرضون ويقتلون، ويفرقون بين المرء وزوجه، وكذلك بالعكس؛ فقد يعطفون فيؤلفون بين الأعداء، ويتوصلون إلىٰ أغراضهم؛ فإن بعضهم قد يسحر أحدا ليعطفه إليه وينال مأربه منه، كما لو سحر امرأة ليبغي بها، ولأنهم كانوا يسعون في الأرض فسادا؛ فكان واجبا علىٰ ولي الأمر قتلهم بدون استتابة ما دام أنه لدفع ضررهم وفظاعة أمرهم، فإن الحد لا يستتاب صاحبه، متىٰ قبض عليه وجب أن ينفذ فيه الحد[2].

فائدة [٢]: اختلف العلماء في الساحر هل يقتل قصاصا أو حدًّا؟ على قولين[3]:

---

(١) انظر: «إجماع الأئمة الأربعة واختلافهم» (٢/ ٣٢٦).

(٢) انظر: «القول المفيد علىٰ كتاب التوحيد» (١/ ٥٠٩).

(٣) انظر: «إجماع الأئمة الأربعة واختلافهم» (٢/ ٣٢٦).

القول الأول: يُقتل حدًّا.

القائلون به: أبو حنيفة، ومالك، وأحمد.

القول الثاني: يقتل قصاصا.

القائلون به: الشافعي.

والصحيح: أنه يُقتل حدًّا.

وثمرة **الخلاف** أن **من قال** بأنه يقتل حدًّا، قال: لا تقبل توبته.

ومن **قال** بأنه يقتل قصاصا، قال: تقبل توبته.

فائدة [٣]: اختلف العلماء في الساحر هل تقبل توبته؟ على قولين[(١)]:

القول الأول: لا تقبل توبته ولا تسمع قولا واحدا.

القائلون به: أبو حنيفة في المشهور عنه، ومالك، ورواية عن أحمد.

القول الثاني: تقبل توبته قولا واحدا.

القائلون به: الشافعي، ورواية عن أحمد.

والصحيح: أنه لا تقبل توبته؛ لأنه يقتل حدا، وليس قصاصا، ولم ينقل عن أحد من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أنه استتاب ساحرا، ولأن السحر معنىً في قلبه، ولا يزول بالتوبة، فيُشبه من لم يتب[(٢)].

فائدة [٣]: اختلف العلماء في الساحرة المسلمة هل تعامل معاملة الرجل؟ على قولين[(٣)]:

القول الأول: حكمها حكم الرجل.

القائلون به: مالك، والشافعي، وأحمد.

---

(١) انظر: «إجماع الأئمة الأربعة واختلافهم» (٢/ ٣٢٦).

(٢) انظر: «المغني»، لابن قدامة (١٢/ ٣٠٣).

(٣) انظر: «إجماع الأئمة الأربعة واختلافهم» (٢/ ٣٢٦).

القول الثاني: تُحبس ولا تُقتل.

القائلون به: أبو حنيفة.

والصحيح: أن الساحرة المسلمة تعامل معاملة الرجل؛ لعموم الأخبار الواردة في قتل الساحر، فهي تشمل الرجل، والمرأة، وصح عن حفصة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها قتلت جارية سحرتها.



فِيهِ مَسَائِلُ:

الأُولَى: تَفْسِيرُ آيَةِ البَقَرَةِ.

الثَّانِيَةُ: تَفْسِيرُ آيَةِ النِّسَاءِ.

الثَّالِثَةُ: تَفْسِيرُ الجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَالْفَرْقُ بَيْنَهُمَا.

الرَّابِعَةُ: أَنَّ الطَّاغُوتَ قَدْ يَكُونُ مِنَ الجِنِّ وَقَدْ يَكُونُ مِنَ الإِنْسِ.

الخَامِسَةُ: مَعْرِفَةُ السَّبْعِ الموبِقَاتِ المخْصُوصَاتِ بِالنَّهْيِ.

السَّادِسَةُ: أَنَّ السَّاحِرَ يَكْفُرُ.

السَّابِعَةُ: أَنَّهُ يُقْتَلُ وَلَا يُسْتَتَابُ.

الثَّامِنَةُ: وُجُودُ هَذَا فِي المسْلِمِينَ عَلَى عَهْدِ عُمَرَ، فَكَيْفَ بَعْدَهُ؟.

الشَّرْح

قَوْلُهُ: «الأُولَى: تَفْسِيرُ آيَةِ البَقَرَةِ»: أي قوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾[البقرة:١٠٢].

قَوْلُهُ: «الثَّانِيَةُ: تَفْسِيرُ آيَةِ النِّسَاءِ»: أي قوله تعالىٰ: ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾[النساء:٥١].

قَوْلُهُ: «الثَّالِثَةُ: تَفْسِيرُ الجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَالْفَرْقُ بَيْنَهُمَا»: الجبت هو السحر، والطاغوت هو الشيطان كما تقدم من قول عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قَوْلُهُ: «الرَّابِعَةُ: أَنَّ الطَّاغُوتَ قَدْ يَكُونُ مِنَ الجِنِّ وَقَدْ يَكُونُ مِنَ الإِنْسِ»: فالجني يسمىٰ شيطانا، والإنسي يسمىٰ كاهنا.

قَوْلُهُ: «الخَامِسَةُ: مَعْرِفَةُ السَّبْعِ الموبِقَاتِ المخْصُوصَاتِ بِالنَّهْيِ»: أي السبع المهلكات المذكورات في الحديث.

قَوْلُهُ: «السَّادِسَةُ: أَنَّ السَّاحِرَ يَكْفُرُ»: كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَكِنَّ

ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحۡرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلۡمَلَكَيۡنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنۡ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحۡنُ فِتۡنَةٞ فَلَا تَكۡفُرۡۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنۡهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَزَوۡجِهِۦۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنۡ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡۚ وَلَقَدۡ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشۡتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖۚ وَلَبِئۡسَ مَا شَرَوۡاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَمَثُوبَةٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ خَيۡرٞۖ لَّوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴿١٠٣﴾﴾[البقرة:١٠٢-١٠٣].

الشاهد على كفر الساحر من هاتين الآيتين من وجوه[1]:

الوجه الأول: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتۡلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلۡكِ سُلَيۡمَٰنَ﴾، أي ما تتقوله، وتزوِّره الشياطين في مُلك، وعهد سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ، وتركوا ما أوحىٰ الله تعالىٰ إلىٰ رسوله ﷺ، فهذا من عبادة الطاغوت، وقد سمىٰ الله تعالىٰ طاعة العلماء والأمراء في تحليل ما حرم الله أو تحريم ما أحله عبادة، فقال الله تعالىٰ: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾ [التوبة:٣١]، قال عَدِيُّ بنُ حَاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين سمعَ رسولَ الله ﷺ يتلوها: إنا لسنا نعبدهم، قَال: «**أَمَا إِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَعْبُدُونَهُمْ، وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا أَحَلُّوا لَهُمْ شَيْئًا اسْتَحَلُّوهُ، وَإِذَا حَرَّمُوا عَلَيْهِمْ شَيْئًا حَرَّمُوهُ**»[2]، فإذا كان هذا في طاعة الأحبار والرهبان، فكيف إذا كان في طاعة الشيطان فيما ينافي الوحي؟.

الوجه الثاني: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيۡمَٰنُ﴾ برَّأ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ نبيه عَلَيْهِ السَّلَامُ من الكفر، وهذا الكفر الذي برأه تعالىٰ منه هو علم الساحر وعمله، وإن كان بريئا من الكفر كله معصوما مما هو دونه، لكن سياق الآية في خصوص السحر، وأنه بريء منه.

---

(١) **انظر**: «غاية المأمول من معارج القبول»، لخالد بن محمود الجهني، صـ(٨٢-٨٤).

(٢) **حسن**: رواه الترمذي (٣٠٩٥)، وحسنه الألباني.

الوجه الثالث: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحۡرَ﴾، أكذب الله تعالىٰ اليهود فيما نسبوه إلىٰ نبيه سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ بقوله: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيۡمَٰنُ﴾، وهم إنما نسبوا السحر إليه، ولازم ما نسبوه إليه هو الكفر؛ لأن السحر كفر؛ ولهذا أثبت كفر الشياطين بتعليمهم الناس السحر، فقال الله تعالىٰ: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحۡرَ﴾، وكذلك كل من تعلم السحر، أو علَّمه، أو عمل به يكفر ككفر الشياطين الذين علَّموه الناس، إذا لا فرق بينه وبينهم.

الوجه الرابع: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنۡ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحۡنُ فِتۡنَةٞ فَلَا تَكۡفُرۡ﴾، يعني: من أراد أن يتعلم السحر، فلا بد أن يكفر.

الوجه الخامس: ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡۚ وَلَقَدۡ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشۡتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖ﴾، يعني: من حظ ولا نصيب، وهذا الوعيد لم يطلق إلا فيما هو كفر لا بقاء للإيمان معه، فإنه ما من مؤمن إلا ويدخل الجنة، وكفىٰ بدخول الجنة خلاقا، ولا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة.

الوجه السادس: ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَمَثُوبَةٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ خَيۡرٞۚ لَّوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ١٠٣﴾، يعنىٰ: لو آمنوا بمحمد ﷺ والقرآن، واتقوا السحر وسائر الذنوب، وهذا من أصرح الأدلة علىٰ كفر الساحر، ونفي الإيمان عنه بالكلية، فإنه لا يقال للمؤمن المتقي: ولو أنه آمن واتقىٰ.

قَوْلُهُ: «السَّابِعَةُ: أَنَّهُ يُقْتَلُ، وَلَا يُسْتَتَابُ»: لأنه يُقتل حدًّا، ولا يستتاب؛ ولأن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ الذين رُوي عنهم قتله لم يُنقل أنهم استتابوه.

قَوْلُهُ: «الثَّامِنَةُ: وُجُودُ هَذَا فِي الْمُسْلِمِينَ عَلَى عَهْدِ عُمَرَ، فَكَيْفَ بَعْدَهُ؟»: أي وجود السحر علىٰ زمان عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فكيف يكون الحال في الأزمنة اللاحقة؟.

[٢٤] بَابُ بَيَانِ شَيْءٍ مِنْ أَنْوَاعِ السِّحْرِ

قَالَ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا عَوْفٌ، عَنْ حَيَّانَ بْنِ الْعَلَاءِ، حَدَّثَنَا قَطَنُ بْنُ قَبِيصَةَ عَنْ أَبِيهِ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الْعِيَافَةَ وَالطَّرْقَ وَالطِّيَرَةَ مِنَ الْجِبْتِ»[١].

قَالَ عَوْفٌ: الْعِيَافَةُ: «زَجْرُ الطَّيْرِ، وَالطَّرْقُ: الْخَطُّ يُخَطُّ بِالْأَرْضِ».

وَالْجِبْتُ قَالَ الْحَسَنُ: «رَنَّةُ الشَّيْطَانِ». إِسْنَادُهُ جَيِّدٌ.

وَلِأَبِي دَاوُدَ وَالنَّسَائِيِّ، وَابْنِ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ الْمُسْنَدُ مِنْهُ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ النُّجُومِ، فَقَدِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ السِّحْرِ، زَادَ مَا زَادَ»[٢] رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ، وَإِسْنَادُهُ صَحِيحٌ.

وَلِلنَّسَائِيِّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ: «مَنْ عَقَدَ عُقْدَةً ثُمَّ نَفَثَ فِيهَا، فَقَدْ سَحَرَ، وَمَنْ سَحَرَ؛ فَقَدْ أَشْرَكَ، وَمَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا، وُكِلَ إِلَيْهِ»[٣].

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «أَلَا هَلْ أُنَبِّئُكُمْ مَا الْعَضْهُ؟ هِيَ النَّمِيمَةُ، الْقَالَةُ بَيْنَ النَّاسِ»[٤] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَلَهُمَا عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا»[٥].

---

(١) ضعيف: رواه أبو داود (٣٩٠٧)، والنسائي في «الكبرى» (١١٠٤٣)، وأحمد (١٥٩١٥)، وحسنه النووي في «رياض الصالحين» (١٦٧٠)، وضعفه الألباني

(٢) حسن: رواه أبو داود (٣٩٠٥)، وابن ماجه (٣٧٢٦)، وأحمد (٢٨٤١)، وصححه أحمد شاكر، وحسنه الألباني.

(٣) ضعيف: رواه النسائي (٤٠٧٩)، وضعفه الألباني.

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٦٠٦).

(٥) متفق عليه: رواه البخاري (٥١٤٦)، ومسلم (٨٦٩).

الشَّرح

قَولُهُ: «بَابُ بَيَانِ شَيْءٍ مِنْ أَنْوَاعِ السِّحْرِ»: أي من الخوارق والشعوذة ونحوها، ومنها كفر أكبر، ومنها كفر أصغر.

قَولُهُ: «قَالَ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا عَوْفٌ، عَنْ حَيَّانَ بْنِ الْعَلَاءِ، حَدَّثَنَا قَطَنُ بْنُ قَبِيصَةَ عَنْ أَبِيهِ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الْعِيَافَةَ»: العِيَافة: زجر الطير والتفاؤل بأسمائها وأصواتها وممرها، وهو من عادة العرب كثيرًا[(١)].

قَولُهُ: «وَالطَّرْقَ»: الطَّرْق: الضرب بالحصا الذي يفعله النساء، وقيل: هو الخط في الرمل[(٢)].

قَولُهُ: «وَالطِّيَرَةَ»: الطِّيَرة هي التفاؤل والتشاؤم بالشيء.

قَولُهُ: «مِنَ الْجِبْتِ»»: أي من السحر، كما تقدم.

قَولُهُ: «قَالَ عَوْفٌ: الْعِيَافَةُ زَجْرُ الطَّيْرِ، وَالطَّرْقُ الْخَطُّ يُخَطُّ بِالْأَرْضِ»: هذا تفسير للحديث من راويه، وهو عوف البصري.

قَولُهُ: «وَالْجِبْتُ قَالَ الْحَسَنُ: رَنَّةُ الشَّيْطَانِ»: أي صوت الشيطان، وهذا تفسير الجبت ببعض معانيه.

قَولُهُ: «وَلِأَبِي دَاوُدَ وَالنَّسَائِيِّ، وَابْنِ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ الْمُسْنَدُ مِنْهُ»: أي أبو داود والنسائي وابن حبان رووا هذا الحديث المتقدم واقتصروا علىٰ المسند إلىٰ النبي ﷺ فقط، ولم يرووا قول عوف، وقول الحسن.

قَولُهُ: «وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا؛ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ النُّجُومِ، فَقَدِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ السِّحْرِ»: أي من تعلم شيئًا من

---

(١) انظر: «النهاية في غريب الحديث» (٣/ ٣٣٠).

(٢) انظر: «النهاية في غريب الحديث» (٣/ ١٢١).

النجوم، فقد تعلم شيئًا من السحر، يقال: قبست العلم واقتبسته إذا تعلمته، والقبَس: الشعلة من النار، واقتباسها: الأخذ منها[(١)].

قَـوْلُـهُ: «زَادَ مَا زَادَ»: أي كلما زاد من علم النجوم زاد له من الإثم مثل إثم الساحر[(٢)].

قال الخطابي: «علم النجوم المنهي عنه هو ما يدعيه أهل التنجيم من علم الكوائن والحوادث التي لم تقع وستقع في مستقبل الزمان كأخبارهم بأوقات هبوب الرياح، ومجيء المطر، وظهور الحر والبرد وتغير الأسعار، وما كان في معانيها من الأمور، يزعمون أنهم يدركون معرفتها بسير الكواكب في مجاريها وباجتماعها واقترانها ويدعون لها تأثيرا في السُّفْليات وأنها تتصرف علىٰ أحكامها وتجري علىٰ قضايا موجباتها، وهذا منهم تحكم علىٰ الغيب وتعاط لعلم استأثر الله سبحانه به لا يعلم الغيب أحد سواه.

فأما علم النجوم الذي يدرك من طريق المشاهدة والحس الذي يُعرف به الزوال ويُعلم به جهة القبلة فإنه غير داخل فيما نهي عنه، وذلك أن معرفة رصد الظل ليس شيئًا بأكثر من أن الظل ما دام متناقصا فالشمس بعد صاعدة نحو وسط السماء من الأفق الشرقي، وإذا أخذ في الزيادة فالشمس هابطة من وسط السماء نحو الأفق الغربي، وهذا علم يصح دركه من جهة المشاهدة، إلا أن أهل هذه الصناعة قد دبروه بما اتخذوا له من الآلة التي يستغني الناظر فيها عن مراعاة مدته ومراصدته.

وأما ما يستدل به من جهة النجوم علىٰ جهة القبلة فإنما هي كواكب أرصدها أهل الخبرة بها من الأئمة الذين لا نشك في عنايتهم بأمر الدين ومعرفتهم بها وصدقهم فيما أخبروا به عنها مثل أن يشاهدوها بحضرة الكعبة ويشاهدوها في

---

(١) انظر: «النهاية في غريب الحديث» (٤/ ٤).

(٢) انظر: «فيض القدير شرح الجامع الصغير» (٦/ ٨٠).

حال الغيبة عنها فكان إدراكهم الدلالة عنها بالمعاينة وادراكنا لذلك بقبولنا لخبرهم إذ كانوا غير متهمين في دينهم ولا مقصرين في معرفتهم»[(١)].

قَوْلُهُ: «وَلِلنَّسَائِيِّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ: «مَنْ عَقَدَ عُقْدَةً ثُمَّ نَفَثَ فِيهَا، فَقَدْ سَحَرَ»»: دَأْبُ أهل السحر أن أحدهم يأخذ خيطا فيعقد عليه عقدة ويتكلم عليه بالسحر بنفث، فمن أتىٰ بذلك فقد أتىٰ بعمل من أعمال أهل السحر[(٢)].

قَوْلُهُ: «وَمَنْ سَحَرَ، فَقَدْ أَشْرَكَ»: أي فقد أشرك شركا أكبر.

قَوْلُهُ: «وَمَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا»: أي من علَّق شيئًا بعنقه، أو عنق طفل صغير؛ من التعلُّق بمعنىٰ التعليق، قيل: المراد تمائم الجاهلية مثل الخرزات، وأظفار السباع، وعظامها[(٣)].

قَوْلُهُ: «وُكِلَ إِلَيْهِ»: هذا كناية عن عدم العون من الله تعالىٰ[(٤)].

قَوْلُهُ: «وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «أَلَا هَلْ أُنَبِّئُكُمْ مَا الْعَضْهُ؟ هِيَ النَّمِيمَةُ، الْقَالَةُ بَيْنَ النَّاسِ»»: أي كثرة القول وإيقاع الخصومة بين الناس بما يحكىٰ للبعض عن البعض[(٥)].

قَوْلُهُ: «وَلَهُمَا عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا»»: أي منه ما يصرف قلوب السامعين وإن كان غير حق وكذلك السحر.

فإن أريد بالحديث المدح فالمعنىٰ أنه يستمال به القلوب ويرضىٰ به الساخط، ويُسْتَنْزَلُ به الصعب.

---

(١) انظر: «معالم السنن» (٤/ ٣٢٩-٣٣٠).

(٢) انظر: «حاشية السندي علىٰ سنن النسائي» (٧/ ١١٢).

(٣) انظر: «حاشية السندي علىٰ سنن النسائي» (٧/ ١١٢).

(٤) انظر: «حاشية السندي علىٰ سنن النسائي» (٧/ ١١٢-١١٣).

(٥) انظر: «النهاية في غريب الحديث» (٤/ ١٢٣).

وإن أريد به الذم فالمعنىٰ أنه يكتسب به من الإثم ما يكتسبه الساحر[(١)].

قال الدِّينَوَرِيُّ: «يريد أن منه ما يقرِّب البعيد، ويباعد القريب، ويزيِّن القبيح ويعظِّم الصغير، فكأنه سحر وما قام مقام السحر، أو أشبهه، أو ضارعه، فهو مكروه كما أن السحر محرم»[(٢)].

قال ابن بطال: فالرجل يكون عليه الحق وهو ألحن بالحجج من صاحب الحق، فيسحر القوم ببيانه، فيذهب بالحق وهو عليه.

وقال آخرون: هو كلام خرج علىٰ مدح البيان والإعجاب لا يقع إلا بما يحسن ويطيب سماعه، وتشبيهه بالسحر مدح له؛ لأن معنىٰ السحر الاستمالة، وكل من استمالك فقد سحرك، وكان رسول الله ﷺ أميز الناس بفضل البلاغة لبلاغته، فأعجبه ذلك القول، واستحسنه، ولذلك شبهه بالسحر[(٣)].



(١) **انظر:** «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» (١/ ١٣٠).
(٢) **انظر:** «تأويل مختلف الحديث»، للدينوري، صـ(٤٢٦).
(٣) **انظر:** «شرح صحيح البخاري»، لابن بطال (٩/ ٤٤٧-٤٤٨).

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: أَنَّ الْعِيَافَةَ، وَالطَّرْقَ، وَالطِّيَرَةَ مِنَ الْجِبْتِ.

الثَّانِيَةُ: تَفْسِيرُ الْعِيَافَةِ، وَالطَّرْقِ.

الثَّالِثَةُ: أَنَّ عِلْمَ النُّجُومِ نَوْعٌ مِنَ السِّحْرِ.

الرَّابِعَةُ: الْعُقَدُ مَعَ النَّفْثِ مِنْ ذَلِكَ.

الخَامِسَةُ: أَنَّ النَّمِيمَةَ مِنْ ذَلِكَ.

السَّادِسَةُ: أَنَّ مِنْ ذَلِكَ بَعْضَ الْفَصَاحَةِ.

الشَّرْح

قَوْلُهُ: «الْأُولَى: أَنَّ الْعِيَافَةَ، وَالطَّرْقَ، وَالطِّيَرَةَ مِنَ الْجِبْتِ»: كما تقدم في الحديث، وهو ضعيف كما تقدم.

قَوْلُهُ: «الثَّانِيَةُ: تَفْسِيرُ الْعِيَافَةِ، وَالطَّرْقِ»: كما فسرهما عوف الراوي: «الْعِيَافَةُ: زَجْرُ الطَّيْرِ، وَالطَّرْقُ: الخَطُّ يُخَطُّ بِالْأَرْضِ».

قَوْلُهُ: «الثَّالِثَةُ: أَنَّ عِلْمَ النُّجُومِ نَوْعٌ مِنَ السِّحْرِ»: كما في قول النبي ﷺ: «مَنِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ النُّجُومِ؛ فَقَدِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ السِّحْرِ زَادَ مَا زَادَ».

قَوْلُهُ: «الرَّابِعَةُ: الْعُقَدُ مَعَ النَّفْثِ مِنْ ذَلِكَ»: كما في قول النبي ﷺ: «مَنْ عَقَدَ عُقْدَةً ثُمَّ نَفَثَ فِيهَا، فَقَدْ سَحَرَ».

قَوْلُهُ: «الخَامِسَةُ: أَنَّ النَّمِيمَةَ مِنْ ذَلِكَ»: كما في قول النبي ﷺ: «أَلَا هَلْ أُنَبِّئُكُمْ مَا الْعَضْهُ؟ هِيَ النَّمِيمَةُ، الْقَالَةُ بَيْنَ النَّاسِ».

قَوْلُهُ: «السَّادِسَةُ: أَنَّ مِنْ ذَلِكَ بَعْضَ الْفَصَاحَةِ»: كما في قول النبي ﷺ: «إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا».



[٢٥] بَابُ مَا جَاءَ فِي الْكُهَّانِ وَنَحْوِهِمْ

رَوَى مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ بَعْضِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَتَى عَرَّافًا، فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ، فَصَدَّقَهُ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ يَوْمًا»(١).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَتَى كَاهِنًا، فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ»(٢) رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ.

وَلِلْأَرْبَعَةِ وَالْحَاكِمِ -وَقَالَ: «صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِهِمَا» -: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ «مَنْ أَتَى عَرَّافًا، أَوْ كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ»(٣).

وَلِأَبِي يَعْلَى بِسَنَدٍ جَيِّدٍ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ مِثْلُهُ مَوْقُوفًا(٤).

وَعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ مَرْفُوعًا: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَطَيَّرَ أَوْ تُطُيِّرَ لَهُ، أَوْ تَكَهَّنَ أَوْ تُكُهِّنَ لَهُ، أَوْ سَحَرَ أَوْ سُحِرَ لَهُ، وَمَنْ أَتَى كَاهِنًا، فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ»(٥) رَوَاهُ الْبَزَّارُ بِإِسْنَادٍ جَيِّدٍ.

وَرَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ، دُونَ

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٢٣٠).

(٢) صحيح: رواه أبو داود (٣٩٠٤)، والترمذي (١٣٥)، والنسائي في «الكبرىٰ» (٨٩٦٨)، وابن ماجه (٦٣٩)، وأحمد (١٠١٦٧)، وصححه الألباني.

(٣) صحيح: رواه أحمد (٩٥٣٦)، وإسحاق بن راهويه في «مسنده» (٥٠٣)، والخلال في «السنة» (١٤٠٠)، والبيهقي في «الكبرىٰ» (١٦٤٩٦)، وابن بطة في «الإبانة» (٩٩٢)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٩٣٩).

(٤) صحيح: رواه أبو يعلىٰ في «مسنده» (٥٤٠٨)، وابن الجعد في «مسنده» (٤٢٥)، والطبراني في «الأوسط» (١٤٥٣).

(٥) حسن: رواه البزار في «مسنده» (٣٥٧٨)، و«الدولابي في الكنىٰ والأسماء» (٢٠٨٣)، وحسنه الألباني في «الصحيحة» (٢١٩٥).

قَوْلِهِ: «وَمَنْ أَتَى» إِلَى آخِرِهِ[(١)].

قَالَ الْبَغَوِيُّ: «الْعَرَّافُ: الَّذِي يَدَّعِي مَعْرِفَةَ الْأُمُورِ بِمُقَدِّمَاتٍ يُسْتَدَلُّ بِهَا عَلَى المسْرُوقِ وَمَكَانِ الضَّالَّةِ وَنَحْوِ ذَلِكَ»[(٢)].

وَقِيلَ: هُوَ الْكَاهِنُ، وَالْكَاهِنُ هُوَ الَّذِي يُخْبِرُ عَنِ المغَيَّبَاتِ فِي المسْتَقْبَلِ.

وَقِيلَ: الَّذِي يُخْبِرُ عَمَّا فِي الضَّمِيرِ.

وَقَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ: الْعَرَّافُ اسْمٌ لِلْكَاهِنِ، وَالمنَجِّمِ، وَالرَّمَّالِ، وَنَحْوِهِمْ مِمَّنْ يَتَكَلَّمُ فِي مَعْرِفَةِ الْأُمُورِ بِهَذِهِ الطُّرُقِ[(٣)].

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي قَوْمٍ يَكْتُبُونَ «أَبَا جَادٍ»، وَيَنْظُرُونَ فِي النُّجُومِ: «مَا أَرَى مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ لَهُ عِنْدَ اللهِ مِنْ خَلَاقٍ»[(٤)].

الشَّرْح

قَوْلُهُ: «بَابُ مَا جَاءَ فِي الْكُهَّانِ وَنَحْوِهِمْ»: أي من كل من يدعي علم الغيب بأي طريق من الطرق، وذلك أن الله تعالىٰ هو المنفرد بعلم الغيب، فمن ادعىٰ مشاركة الله في شيء من ذلك بكهانة أو عرافة أو غيرهما، أو صدق من ادعىٰ ذلك، فقد جعل لله شريكا فيما هو من خصائصه، وقد كذب الله ورسوله ﷺ، وكثير من الكهانة المتعلقة بالشياطين لا تخلو من الشرك، والتقرب إلىٰ الوسائط التي تستعين بها علىٰ دعوىٰ العلوم الغيبية، فهو شرك من جهة دعوىٰ مشاركة الله في علمه الذي اختُصَّ به، ومن جهة التقرب إلىٰ غير الله[(٥)].

---

(١) برقم (٤٨٤٤).

(٢) انظر: «شرح السنة»، للبغوي (١٢/ ١٨٢).

(٣) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (٣٥/ ١٧٣).

(٤) حسن لغيره: رواه معمر بن راشد في «الجامع» (١٩٨٠٥)، و«الخرائطي في مساوئ الأخلاق» (٧٣٩)، والبيهقي في «الشعب» (٤٨٣١)، و«الكبرىٰ» (١٦٥١٤).

(٥) انظر: «القول السديد شرح كتاب التوحيد»، للشيخ السعدي، صـ (١١٢).

قال الخطابي: «الكاهن: هو الذي يدعي مطالعة علم الغيب ويخبر الناس عن الكوائن، وكان في العرب كهنة يدعون أنهم يعرفون كثيرا من الأمور.

فمنهم من كان يزعم أن لَه رؤيا من الجن وتابعة تلقي إليه الأخبار.

ومنهم من كان يدعي أنه يستدرك الأمور بفهم أُعطيه، وكان منهم من يسمىٰ عرافا»(١).

وقال ابن الأثير: «الكاهن: الذي يتعاطىٰ الخبر عن الكائنات في مستقبل الزمان، ويدَّعي معرفة الأسرار»(٢).

وقال ابن القيم: «الناس قسمان: أتباع الكهنة، وأتباع رسل الله، فلا يجتمع في العبد أن يكون من هؤلاء وهؤلاء، بل يبعد عن رسول الله صلىٰ الله تعالىٰ عليه وآله وسلم بقدر قُربه من الكاهن، ويكذب الرسول بقدر تصديقه للكاهن»(٣).

قَـوْلُـهُ: «رَوَى مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ بَعْضِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَتَى عَرَّافًا، فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ، فَصَدَّقَهُ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ يَوْمًا»»: العراف هو الذي يزعم أنه يعرف الأمور بمقدمات أسباب يستدل بها علىٰ مواقعها، كالشيء يسرق فيعرف المظنون به السرقة، وتُتَّهم المرأة بالزَّنْية فيعرف من صاحبها، ونحو ذلك من الأمور(٤).

قال النووي: «أما عدم قبول صلاته فمعناه: أنه لا ثواب له فيها، وإن كانت مجزئة في سقوط الفرض عنه، ولا يحتاج معها إلىٰ إعادة»(٥).

قَـوْلُـهُ: «وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَتَى كَاهِنًا»»: هذا

---

(١) انظر: «معالم السنن» (٤/ ٢٢٨-٢٢٩).

(٢) انظر: «النهاية في غريب الحديث» (٤/ ٢١٤).

(٣) انظر: «إغاثة اللهفان» (١/ ٢٥٣).

(٤) انظر: «معالم السنن» (٤/ ٢٢٩).

(٥) انظر: «شرح صحيح مسلم» (١٤/ ٢٢٧).

يشتمل علىٰ إتيان الكاهن، والعراف، والمنجم[1].

قوله: «فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ»: أي من الأمور الغيبية.

قوله: «فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ»: أي الكتاب، والسنة[2].

قال الخطابي: «الحديث يشتمل علىٰ النهي عن إتيان هؤلاء كلهم والرجوع إلىٰ قولهم وتصديقهم علىٰ ما يدعونه من هذه الأمور»[3].

قال ابن حجر: «هذا الحديث ورد مرة مقيدا بالتصديق، ومرة غير مقيد، فيُحمل علىٰ الحالين، فمن أتىٰ كاهنا فصدقه فقد كفر بما أنزل علىٰ محمد ﷺ، ومن أتىٰ كاهنا فلم يصدقه لم تقبل له صلاة أربعين يوما»[4].

قوله: «وَلِلْأَرْبَعَةِ وَالحَاكِمِ -وَقَالَ: «صَحِيحٌ عَلَىٰ شَرْطِهِمَا»-: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ «مَنْ أَتَىٰ عَرَّافًا، أَوْ كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ»»: هذه الرواية فيها زيادة «عرافا».

قوله: «وَلِأَبِي يَعْلَىٰ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ مِثْلُهُ مَوْقُوفًا»: أي علىٰ ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

قوله: «وَعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ مَرْفُوعًا: «لَيْسَ مِنَّا»»: أي ليس علىٰ سيرتنا ومذهبنا[5]، وهذا وعيد يدل علىٰ أن الفعل المذكور من الكبائر.

قال ابن بطال: «أي ليس متأسيًا بسنتنا، ولا مقتديًا بنا، ولا ممتثلًا لطريقتنا التي نحن عليها»[6].

---

(١) انظر: «النهاية في غريب الحديث» (٤/ ٢١٥).

(٢) انظر: «فيض القدير شرح الجامع الصغير» (٦/ ٢٣).

(٣) انظر: «معالم السنن» (٤/ ٢٢٩).

(٤) انظر: «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» (١٠/ ٢١٧).

(٥) انظر: «معالم السنن» (٣/ ١١٨).

(٦) انظر: «شرح صحيح البخاري»، لابن بطال (٣/ ٢٧٧).

قَولُهُ: «مَنْ تَطَيَّرَ»: أي فَعَل فِعْلَ الطِّيرة.

قَولُهُ: «أَوْ تُطُيِّرَ لَهُ»: أي فُعِلَ له فِعْل الطِّيَرة وهو راضٍ.

وقال ابن حجر: «ذلك إذا اعتقد أن الذي يشاهده من حال الطير موجِبا ما ظنه، ولم يضف التدبير إلىٰ الله تعالىٰ.

فأما إن علم أن الله هو المدبر، ولكنه أشفق من الشر؛ لأن التَّجارِب قضت بأن صوتا من أصواتها معلوما أو حالا من أحوالها معلومة يردفها مكروه، فإن وطَّن نفسه علىٰ ذلك أساء، وإن سأل الله الخير واستعاذ به من الشر ومضىٰ متوكلا لم يضره ما وجد في نفسه من ذلك، وإلا فيؤاخذ به وربما وقع به ذلك المكروه بعينه الذي اعتقده عقوبة له كما كان يقع كثيرا لأهل الجاهلية»[(١)].

قَولُهُ: «أَوْ تَكَهَّنَ»: أي فَعَل فِعْلَ الكهانة.

قَولُهُ: «أَوْ تُكُهِّنَ لَهُ»: أي فُعِلَ له فِعْل الكهانة وهو راضٍ.

قَولُهُ: «أَوْ سَحَرَ»: أي فَعَل فِعْلَ السِّحْر.

قَولُهُ: «أَوْ سُحِرَ لَهُ»: أي فُعِلَ له فِعْل السحر وهو راضٍ.

قَولُهُ: «وَمَنْ أَتَى كَاهِنًا، فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ»: أي بالكتاب والسنة كما تقدم.

قَولُهُ: «وَرَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ، دُونَ قَوْلِهِ: «وَمَنْ أَتَى» إِلَى آخِرِهِ»: أي آخر الحديث المتقدم.

قَولُهُ: «قَالَ الْبَغَوِيُّ: «الْعَرَّافُ الَّذِي يَدَّعِي مَعْرِفَةَ الْأُمُورِ بِمُقَدِّمَاتٍ يُسْتَدَلُّ بِهَا عَلَى الْمَسْرُوقِ وَمَكَانِ الضَّالَّةِ وَنَحْوِ ذَلِكَ»»: ظاهره: أن العراف هو الذي يخبر عن الوقائع كالسرقة وسارقها، والضالة، ومكانها[(٢)].

---

(١) انظر: «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» (١٠/ ٢١٥).

(٢) انظر: «فتح المجيد شرح كتاب التوحيد»، صـ(٢٩٨).

قَوْلُـهُ: «وَقِيلَ: هُوَ الْكَاهِنُ، وَالْكَاهِنُ هُوَ الَّذِي يُخْبِرُ عَنِ المغَيَّبَاتِ فِي المسْتَقْبَلِ»: أي الأشياء الغيبية المستَقْبَلة.

قَوْلُـهُ: «وَقِيلَ: الَّذِي يُخْبِرُ عَمَّا فِي الضَّمِيرِ»: أي ما في القلب.

قَوْلُـهُ: «وَقَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ: الْعَرَّافُ اسْمٌ لِلْكَاهِنِ، وَالمنَجِّمِ، وَالرَّمَّالِ، وَنَحْوِهِمْ مِمَّنْ يَتَكَلَّمُ فِي مَعْرِفَةِ الْأُمُورِ بِهَذِهِ الطُّرُقِ»: المنجم هو من يستعمل النجوم في معرفة الأمور الغيبية[1].

والرَّمَّال: هو من يستعمل الرمل في معرفة الأمور الغيبية.

قَوْلُـهُ: «وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي قَوْمٍ يَكْتُبُونَ «أَبَا جَادٍ»، وَيَنْظُرُونَ فِي النُّجُومِ: «مَا أَرَى مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ لَهُ عِنْدَ اللهِ مِنْ خَلَاقٍ»»: أي من تعلم الحروف الأبجدية، أو نظر في النجوم ليستدل بها علىٰ علم الغيب فليس له عند الله عَزَّوَجَلَّ يوم القيامة من نصيب في الجنة.



(١) انظر: «النهاية في غريب الحديث» (٢/ ٢٠٦).

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: أَنَّهُ لَا يَجْتَمِعُ تَصْدِيقُ الْكَاهِنِ مَعَ الْإِيمَانِ بِالْقُرْآنِ.

الثَّانِيَةُ: التَّصْرِيحُ بِأَنَّهُ كُفْرٌ.

الثَّالِثَةُ: ذِكْرُ مَنْ تُكُهِّنَ لَهُ.

الرَّابِعَةُ: ذِكْرُ مَنْ تُطُيِّرَ لَهُ.

الخَامِسَةُ: ذِكْرُ مَنْ سُحِرَ لَهُ.

السَّادِسَةُ: ذِكْرُ مَنْ تَعَلَّمَ أَبَا جَادٍ.

السَّابِعَةُ: ذِكْرُ الْفَرْقِ بَيْنَ الْكَاهِنِ، وَالْعَرَّافِ.

الشَّرْح

قَوْلُهُ: «الْأُولَى: أَنَّهُ لَا يَجْتَمِعُ تَصْدِيقُ الْكَاهِنِ مَعَ الْإِيمَانِ بِالْقُرْآنِ»: لأنه يزعم معرفة الغيب، والقرآن ينهىٰ عن ذلك.

قَوْلُهُ: «الثَّانِيَةُ: التَّصْرِيحُ بِأَنَّهُ كُفْرٌ»: كما في قوله ﷺ: «مَنْ أَتَىٰ كَاهِنًا، فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ».

قَوْلُهُ: «الثَّالِثَةُ: ذِكْرُ مَنْ تُكُهِّنَ لَهُ»: أي رضي بالكهانة له، وإن لم يقم بها.

قَوْلُهُ: «الرَّابِعَةُ: ذِكْرُ مَنْ تُطُيِّرَ لَهُ»: أي رضي بالتطير له، وإن لم يقم به.

قَوْلُهُ: «الخَامِسَةُ: ذِكْرُ مَنْ سُحِرَ لَهُ»: أي رضي بالسحر له، وإن لم يقم به.

قَوْلُهُ: «السَّادِسَةُ: ذِكْرُ مَنْ تَعَلَّمَ أَبَا جَادٍ»: كما في قول ابن عباس المتقدم.

قَوْلُهُ: «السَّابِعَةُ: ذِكْرُ الْفَرْقِ بَيْنَ الْكَاهِنِ، وَالْعَرَّافِ»: الكاهن: هو الذي يخبر عن المغيبات في المستقبل، والعراف الذي يدعي معرفة الأمور بمقدمات يستدل بها، وقيل: لا فرق بينهما.



[٢٦] بَابُ مَا جَاءَ فِي النُّشْرَةِ

عَنْ جَابِرٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ سُئِلَ عَنِ النُّشْرَةِ؟ فَقَالَ: «هِيَ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ»(١) رَوَاهُ أَحْمَدُ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ، وَأَبُو دَاوُدَ.

وَقَالَ: سُئِلَ أَحْمَدُ عَنْهَا؟ فَقَالَ: «ابْنُ مَسْعُودٍ يَكْرَهُ هَذَا كُلَّهُ».

وَفِي الْبُخَارِيِّ عَنْ قَتَادَةَ، قُلْتُ لِابْنِ المسَيِّبِ: رَجُلٌ بِهِ طِبٌّ أَوْ يُؤَخَّذُ عَنِ امْرَأَتِهِ، أَيُحَلُّ عَنْهُ أَوْ يُنْشَرُ؟ قَالَ: «لَا بَأْسَ بِهِ، إِنَّمَا يُرِيدُونَ بِهِ الْإِصْلَاحَ، فَأَمَّا مَا يَنْفَعُ، فَلَمْ يُنْهَ عَنْهُ»(٢).

وَرُوِيَ عَنِ الحَسَنِ أَنَّهُ قَالَ: «لَا يَحِلُّ السِّحْرَ إِلَّا سَاحِرٌ».

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ: النُّشْرَةُ: حَلُّ السِّحْرِ عَنِ المسْحُورِ، وَهِيَ نَوْعَانِ أَحَدُهُمَا: حَلٌّ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ، وَهُوَ الَّذِي مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ، وَعَلَيْهِ يُحْمَلُ قَوْلُ الحَسَنِ، فَيَتَقَرَّبُ النَّاشِرُ وَالمنْتَشَرُ إِلَى الشَّيْطَانِ، بِمَا يُحِبُّ، فَيُبْطِلُ عَمَلَهُ عَنِ المسْحُورِ، وَالثَّانِي: النُّشْرَةُ بِالرُّقْيَةِ وَالتَّعَوُّذَاتِ وَالْأَدْوِيَةِ وَالدَّعَوَاتِ المبَاحَةِ، فَهَذَا جَائِزٌ(٣).

الشَّــرْح

قَــوْلُــهُ: «بَابُ مَا جَاءَ فِي النُّشْرَةِ»: النشرة هي ضرب من الرقية والعلاج، يُعَالج به من كان يُظَن أن به مسًّا من الجن، سميت نشرة؛ لأنه ينشر بها عنه ما خامره من الداء: أي يكشف ويزال(٤).

قال القاضي عياض: «النُّشرة أمر معروف عند أهل التعزيم، وسميت بذلك؛

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (٣٨٦٨)، وأحمد (١٤١٣٥)، عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني.

(٢) صحيح: رواه البخاري معلقًا بصيغة الجزم (٧/ ١٣٧)، وصححه الحافظ في «التغليق» (٥/ ٤٩).

(٣) انظر: «إعلام الموقعين» (٤/ ٣٠١).

(٤) انظر: «النهاية في غريب الحديث» (٥/ ٥٤).

لأنها تنشر عن صاحبها أي تَحلُّ عنه»[(١)].

وقال الحسن: «النُّشرة من السحر»[(٢)].

وقال القاضي عياض بعد ذكره لكلام الحسن المتقدم: «يحمل هذا علىٰ أنها أشياء خارجة عن كتاب الله وعن ذكره، وعن المداواة المعروفة التي هي من جنس الطب المباح، ولعلها ألفاظ لا تجوز، أو استعمال بعض الأجساد علىٰ غير جهة صناعة الطب والتداوي، علىٰ حسب ما كانت تعتقده الجاهلية من إضافة الأفعال لذوات هذه الأشياء»[(٣)].

قال ابن حجر: «الحصر المنقول عن الحسن ليس علىٰ ظاهره؛ لأنه قد ينحل بالرقىٰ والأدعية والتعويذ، ولكن يحتمل أن تكون النشرة نوعين»[(٤)].

وقال ابن الجوزي: «النشرة حل السحر عن المسحور، ولا يكاد يقدر عليه إلا من يعرف السحر»[(٥)].

وقال البغوي: «والمنهي من الرقىٰ ما كان فيه شرك، أو كان يذكر مردة الشياطين، أو ما كان منها بغير لسان العرب، ولا يدرىٰ ما هو، ولعله يدخله سحر، أو كفر، فأما ما كان بالقرآن، وبذكر الله عَزَّوَجَلَّ، فإنه جائز مستحب، فإن النبي ﷺ، «كان ينْفُثُ علىٰ نفْسِه بالمعوذات»[(٦)]»[(٧)].

قَولُهُ: «عَنْ جَابِرٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ سُئِلَ عَنْ النُّشْرَةِ؟ فَقَالَ: «هِيَ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ»»: هذا إشارة إلىٰ أصلها، ويختلف الحكم بالقصد فمن قصد بها

---

(١) انظر: «إكمال المُعلِم بفوائد مسلم» (٧/ ٩٩).

(٢) رواه الشافعي في «المسند» (٢/ ٨٩).

(٣) انظر: «إكمال المُعلِم بفوائد مسلم» (٧/ ٩٩).

(٤) انظر: «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» (١٠/ ٢٣٣).

(٥) انظر: «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» (١٠/ ٢٣٣).

(٦) متفق عليه: رواه البخاري (٤٤٣٩)، ومسلم (٢١٩٢)، من حديث عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنهَا.

(٧) انظر: «شرح السنة»، للبغوي (١٢/ ١٥٩).

خيرا كان خيرا وإلا فهو شر[١].

قَوْلُهُ: «وَقَالَ: سُئِلَ أَحْمَدُ عَنْهَا؟ فَقَالَ: «ابْنُ مَسْعُودٍ يَكْرَهُ هَذَا كُلَّهُ»»: أي النشرة التي هي من عمل الشيطان.

قَوْلُهُ: «وَفِي الْبُخَارِيِّ عَنْ قَتَادَةَ، قُلْتُ لِابْنِ المسَيِّبِ: «رَجُلٌ بِهِ طِبٌّ»»: أي به سحر[٢].

قَوْلُهُ: «أَوْ يُؤَخَّذُ عَنِ امْرَأَتِهِ»: أي يحبس عن امرأته، ولا يصل إلىٰ جماعها، والأُخذة هي الكلام الذي يقوله الساحر، وقيل: خرزة يرقىٰ عليها، أو هي الرقية نفسها[٣].

قَوْلُهُ: «أَيُحَلُّ عَنْهُ أَوْ يُنْشَرُ؟ قَالَ: لَا بَأْسَ بِهِ، إِنَّمَا يُرِيدُونَ بِهِ الْإِصْلَاحَ، فَأَمَّا مَا يَنْفَعُ، فَلَمْ يُنْهَ عَنْهُ»: أي ما ينفع يجوز؛ لأنهم يريدون به الإصلاح، ويحمل هذا علىٰ النشرة الجائزة.

قَوْلُهُ: «وَرُوِيَ عَنِ الحَسَنِ أَنَّهُ قَالَ: «لَا يَحِلُّ السِّحَرَ إِلَّا سَاحِرٌ»»: أي لا يحل السحر عن المسحور إلا ساحر في الغالب، هذا إن صح الأثر[٤].

قَوْلُهُ: «قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ: النُّشْرَةُ: حَلُّ السِّحَرِ عَنِ المسْحُورِ، وَهِيَ نَوْعَانِ أَحَدُهُمَا: حَلٌّ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ، وَهُوَ الَّذِي مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ، وَعَلَيْهِ يُحْمَلُ قَوْلُ الحَسَنِ، فَيَتَقَرَّبُ النَّاشِرُ وَالمنْتَشَرُ إِلَى الشَّيْطَانِ، بِمَا يُحِبُّ، فَيُبْطِلُ عَمَلَهُ عَنِ المسْحُورِ، وَالثَّانِي: النُّشْرَةُ بِالرُّقْيَةِ وَالتَّعَوُّذَاتِ وَالْأَدْوِيَةِ وَالدَّعَوَاتِ المبَاحَةِ، فَهَذَا جَائِزٌ»: هذا فيه توضيح لما سبق، فمتىٰ كانت النشرة بالرقية والتعوذات والأدوية المباحة كانت جائزة، ومتىٰ كانت بغير هذا فهي من عمل الشيطان.

---

(١) انظر: «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» (١٠/ ٢٣٣).

(٢) انظر: «النهاية في غريب الحديث» (٣/ ١١٠).

(٣) انظر: «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» (١٠/ ٢٣٣).

(٤) انظر: «القول المفيد علىٰ كتاب التوحيد» (١/ ٥٥٧).

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: النَّهْيُ عَنِ النُّشْرَةِ.

الثَّانِيَةُ: الْفَرَقُ بَيْنَ المنْهِيِّ عَنْهُ، وَالمرَخَّصِ فِيهِ مِمَّا يُزِيلُ الْإِشْكَالَ.

الشَّرْح

قَوْلُهُ: «الْأُولَى: النَّهْيُ عَنِ النُّشْرَةِ»: كما تقدم من حديث جابر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

قَوْلُهُ: «الثَّانِيَةُ: الْفَرَقُ بَيْنَ المنْهِيِّ عَنْهُ، وَالمرَخَّصِ فِيهِ مِمَّا يُزِيلُ الْإِشْكَالَ»: كما تقدم من كلام ابن القيم.



[٢٧] بَابُ مَا جَاءَ فِي التَّطَيُّرِ

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ١٣١﴾ [الأعراف:١٣١].

وَقَوْلِهِ: ﴿قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡۚ أَئِن ذُكِّرۡتُمۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ ١٩﴾ [يس:١٩].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَا عَدْوَى، وَلَا طِيَرَةَ، وَلَا هَامَةَ، وَلَا صَفَرَ»(١) أَخْرَجَاهُ.

زَادَ مُسْلِمٌ: «وَلَا نَوْءَ، وَلَا غُولَ»(٢).

وَلَهُمَا عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا عَدْوَى، وَلَا طِيَرَةَ، وَيُعْجِبُنِي الْفَأْلُ» قَالُوا: وَمَا الْفَأْلُ؟ قَالَ: «الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ»(٣).

وَلِأَبِي دَاوُدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: «ذُكِرَتِ الطِّيَرَةُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «أَحْسَنُهَا الْفَأْلُ، وَلَا تَرُدُّ مُسْلِمًا، فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يَكْرَهُ، فَلْيَقُلِ: اللهُمَّ لَا يَأْتِي بِالحَسَنَاتِ إِلَّا أَنْتَ وَلَا يَدْفَعُ السَّيِّئَاتِ إِلَّا أَنْتَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ»(٤).

وَلَهُ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ مَرْفُوعًا: «الطِّيَرَةُ شِرْكٌ، الطِّيَرَةُ شِرْكٌ، وَمَا مِنَّا إِلَّا، وَلَكِنَّ اللهَ يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ»(٥) رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ، وَالتِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ وَجَعَلَ

---

(١) متفق عليه: راه البخاري (٥٧٠٧)، ومسلم (٢٢٢٠).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٢٢٠) بزيادة: «ولا نوء»، وبرقم (٢٢٢٢) بزيادة «ولا غول».

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٥٧٥٦)، ومسلم (٢٢٢٤).

(٤) ضعيف: رواه أبو داود (٣٩١٩)، وصححه النووي في «شرحه علىٰ صحيح مسلم» (١٤/ ٢٢٤)، وضعفه الألباني.

(٥) صحيح: رواه أبو داود (٣٩١٠)، والترمذي (١٦١٤)، وقال: حسن صحيح، وابن ماجه (٣٥٣٨)، وأحمد (٣٦٨٧)، وصححه أحمد شاكر، والألباني.

آخِرَهُ[1] مِنْ قَوْلِ ابْنِ مَسْعُودٍ.

وَلِأَحْمَدَ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَمْرٍو: «مَنْ رَدَّتْهُ الطِّيَرَةُ عَنْ حَاجَتِهِ، فَقَدْ أَشْرَكَ»، قَالُوا: فَمَا كَفَّارَةُ ذَلِكَ؟ قَالَ: «أَنْ يَقُولَ: اللهُمَّ لَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُكَ، وَلَا طَيْرَ إِلَّا طَيْرُكَ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ»[2].

وَلَهُ مِنْ حَدِيثِ الْفَضْلِ بْنِ عَبَّاسٍ: «إِنَّمَا الطِّيَرَةُ مَا أَمْضَاكَ، أَوْ رَدَّكَ»[3].

الشرح

قوله: «بَابُ مَا جَاءَ فِي التَّطَيُّرِ»: تقدم بيان معنىٰ التطير في باب من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب، وأنه يعني التشاؤم والتفاؤل بالطير.

قوله: «وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ﴾»: أي ألا طائر آل فرعون -أي تشاؤمهم بموسىٰ وقومه- عند الله، وإنما جاءهم لكفرهم بالله[4]، وما نصيبهم من الخِصب، والجَدْب، والخير والشر كله من الله[5]، وذلك أنهم كانوا إذا ﴿جَآءَتۡهُمُ ٱلۡحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓۗ﴾ [الأعراف:١٣١] أي إذا جاءتهم العافية، والخصب، والرخاء، وسعة الرزق قالوا: نحن أحق بها، وإنا مستحقوه علىٰ العادة التي جرت لنا من النعمة ولم يعلموا أنه من الله فيشكروا عليه، وإن أصابهم بلاء، أو قحط، أو عقوبة تشاءموا بموسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقومه، وقالوا: إنما أصابنا هذا الشر بسببهم[6].

قال ابن عباس: «طائرهم ما قضىٰ الله عليهم وقدر لهم»[7].

---

(١) أي: «وَمَا مِنَّا». [انظر: «سنن الترمذي» (٤/ ١٦٠)].

(٢) صحيح: رواه أحمد (٧٠٤٥)، وصححه أحمد شاكر.

(٣) ضعيف: رواه أحمد (١٨٢٤)، وضعفه أحمد شاكر.

(٤) انظر: «تفسير الطبري» (١٣/ ٤٨)، و«التفسير الوجيز»، صـ(٤٠٩).

(٥) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ٢٢٣).

(٦) انظر: «تفسير الطبري» (١٣/ ٤٨)، و«التفسير الوجيز»، صـ(٤٠٩)، و«تفسير ابن كثير» (٣/ ٤٦١).

(٧) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ٢٢٣).

وفي رواية عنه: «شؤمهم عند الله ومن قِبَل الله»[(١)]، أي: إنما جاءهم الشؤم بكفرهم بالله.

وقيل: «معناه الشؤم العظيم هو الذي لهم عند الله من عذاب النار»[(٢)].

قَولُهُ: «﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾»: أي أن الذي أصابهم من الله، فلجهلهم بذلك كانوا يطيرون بموسىٰ ومن معه[(٣)].

قَولُهُ: «وَقَوْلِهِ: ﴿ قَالُوا ﴾»: أي قالت الرسل لأصحاب القرية الذين قالوا: ﴿إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ [يس:١٨][(٤)].

قَولُهُ: «﴿طَائِرُكُم مَّعَكُمْ ﴾»: أي شؤمكم معكم بكفركم وتكذيبكم يعني أصابكم الشؤم من قِبَلِكم[(٥)]، وأعمالكم وأرزاقكم وحظكم من الخير والشر معكم، ذلك كله في أعناقكم، وما ذلك من شؤمنا إن أصابكم سوء فيما كتب عليكم، وسبق لكم من الله[(٦)].

قَولُهُ: «﴿أَئِن ذُكِّرْتُم﴾»: أي إن وعِّظْتم، وخوِّفتم تطيرتم[(٧)].

قَولُهُ: «﴿ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾»: أي مشركون مجاوزون الحد بشرككم[(٨)].

قال ابن كثير: «قوله: ﴿أَئِن ذُكِّرْتُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾ أي: من أجل

---

(١) **انظر:** «التفسير الوسيط» (٢/ ٣٩٨).

(٢) **انظر:** «تفسير البغوي» (٢/ ٢٢٣).

(٣) **انظر:** «تفسير الطبري» (١٣/ ٤٨)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٢٢٣).

(٤) **انظر:** «تفسير الطبري» (٢٠/ ٥٠٣).

(٥) **انظر:** التفسير الوجيز، صـ (٨٩٨).

(٦) **انظر:** «تفسير الطبري» (٢٠/ ٥٠٣).

(٧) **انظر:** «تفسير الطبري» (٢٠/ ٥٠٣)، و«التفسير الوجيز»، صـ (٨٩٨).

(٨) **انظر:** «التفسير الوجيز»، صـ (٨٩٨)، و«تفسير البغوي» (٤/ ١١).

أَنَّا ذكرناكم وأمرناكم بتوحيد الله وإخلاص العبادة له، قابلتمونا بهذا الكلام، وتوعدتمونا وتهددتمونا؟ بل أنتم قوم مسرفون»[(١)].

ومناسبة الآيتين للترجمة: أن التطير من عمل أهل الجاهلية والمشركين، وقد ذمهم الله تعالىٰ به ومقتهم، وقد نهىٰ رسول الله ﷺ عن التطير وأخبر أنه شرك[(٢)].

قَـوْلُـهُ: «عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَا عَدْوَى»: المراد به نفي ما كانت الجاهلية تزعمه، وتعتقده أن المرض والعاهة تعدي بطبعها لا بفعل الله تعالىٰ[(٣)]، وأما ما يكون سببا بخلق الله سبحانه وتعالى فلم ينفه[(٤)].

قال ابن عبد البر: «معناه: أنه لا يُعدي شيء شيئًا ولا يعدي سقيم صحيحا، والله يفعل ما يشاء لا شيء إلا ما شاء.

قال رسول الله ﷺ: «لا عدوىٰ» إعلاما منه أن ما اعتقد من ذلك من اعتقده منهم كان باطلًا»[(٥)].

والعدوى: اسم من الإعداء، كالرَّعوىٰ والبَقْوىٰ من الإرعاء، والإبقاء؛ يقال: أعداه الداء يعديه إعداء، وهو أن يصيبه مثل ما بصاحب الداء، وذلك أن يكون بعير جرب مثلًا فتُتَّقىٰ مخالطته بإبل أخرىٰ حذارا أن يتعدَّىٰ ما به من الجرب إليها فيصيبها ما أصابه، وقد أبطله الإسلام؛ لأنهم كانوا يظنون أن المرض بنفسه يتعدىٰ، فأعلمهم النبي ﷺ أنه ليس الأمر كذلك، وإنما الله هو الذي يمرض ويُنزل الداء، ولهذا قال في بعض الأحاديث: «فمن أعدىٰ البعيرَ الأوَّلَ؟»[(٦)] أي

---

(١) **انظر:** «تفسير ابن كثير» (٦/ ٥٧٠).

(٢) **انظر:** «فتح المجيد شرح كتاب التوحيد»، صـ(٣٠٦).

(٣) **انظر:** «إكمال المُعلِم بفوائد مسلم» (٧/ ١٤٢)، و«المعلم بفوائد مسلم» (٢/ ٣٧١).

(٤) **انظر:** «إكمال المُعلِم بفوائد مسلم» (٧/ ١٤١-١٤٢).

(٥) **انظر:** «الاستذكار»، لابن عبد البر (٨/ ٤٢٢).

(٦) **متفق عليه:** رواه البخاري (٥٧١٧)، ومسلم (٢٢٢٠)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

من أين صار فيه الجرب؟»[١].

قال ابن الجوزي: «كانت العرب تتوهم الفعل في الأسباب، كما كانت تتوهم نزول المطر بفعل الأنواء، فأبطل النبي ﷺ ذلك بقوله: «لا عدوىٰ»، وإنما أراد إضافة الأشياء إلىٰ القدر، ولهذا قال في حديث أبي هريرة: «فمن أعدىٰ الأول؟»، ونهىٰ عن الورود إلىٰ بلد فيه الطاعون؛ لئلا يقف الإنسان مع السبب وينسىٰ المسبِّب»[٢].

وقال ابن القيم: «قال بعض العلماء: إن الجاهلية كانت تعتقد أن الأمراض المعدية تعدي بطبعها من غير إضافة إلىٰ الله سبحانه، فأبطل النبي ﷺ اعتقادهم ذلك، وأكل مع المجذوم؛ ليبين لهم أن الله سبحانه هو الذي يُمرض ويشفي، ونهىٰ عن القُرْب منه؛ ليتبين لهم أن هذا من الأسباب التي جعلها الله مفضية إلىٰ مسبباتها، ففي نهيه إثبات الأسباب، وفي فعله بيان أنها لا تستقل بشيء، بل الرب سبحانه إن شاء سلبها قواها، فلا تؤثر شيئًا، وإن شاء أبقىٰ عليها قواها فأثرت»[٣].

قَولُـهُ: «وَلَا طِيَرَةَ»: لأجل أنهم كانوا يعتقدون أنها تأتي بالنفع، وتدفع الضر، فنهىٰ الشرع عنها؛ لأنها لا نفع فيها، ولا تأثير لها[٤].

قال النووي: «كانوا يتطيرون بالسوانح والبوارح فينفِّرون الظباء والطيور، فإن أخذت ذات اليمين تبرَّكوا به ومضوا في سفرهم وحوائجهم، وإن أخذت ذات الشمال رجعوا عن سفرهم وحاجتهم وتشاءموا بها، فكانت تصدُّهم في كثير من الأوقات عن مصالحهم، فنفىٰ الشرع ذلك وأبطله ونهىٰ عنه وأخبر أنه ليس له تأثير بنفع ولا ضر»[٥].

---

(١) انظر: «النهاية في غريب الحديث» (٣/ ١٩٢).
(٢) انظر: «كشف المشكِل من حديث الصحيحين» (٢/ ٤٧١).
(٣) انظر: «زاد المعاد» (٤/ ١٤٠-١٤١).
(٤) انظر: «المعلم بفوائد مسلم» (٢/ ٢٧٣)، و«شرح صحيح مسلم» (١٤/ ٢١٩).
(٥) انظر: «شرح صحيح مسلم» (١٤/ ٢١٩).

قَولُه: «وَلَا هَامَةَ»: الهامة طائر من طير الليل، وقيل: هي البومة[(١)].

قيل: كانت العرب تتشاءم بالهامة إذا سقطت علىٰ دار أحدهم، فيراها ناعيةَ نفسه أو أحدًا من أهله، وإلىٰ هذا التفسير ذهب مالك.

وقيل: كانت العرب تعتقد أن عظام الميت تنقلب هامة تطير، فأنكر ﷺ هذا كله وأبطله[(٢)].

قال النووي: «وهذا تفسير أكثر العلماء وهو المشهور، ويجوز أن يكون المراد النوعين، فإنهما جميعًا باطلان فبين النبي ﷺ إبطال ذلك، وضلالة الجاهلية فيما تعتقده من ذلك»[(٣)].

قَولُه: «وَلَا صَفَرَ»: الصَّفَر هو تأخيرهم المحرم إلىٰ صفر في النسيء الذي كانوا يفعلونه.

وقيل: الصفر دود في البطن، وكانوا يعتقدون أن الصفر دابة في البطن يراها العرب أعدىٰ من الجرب[(٤)].

وصحح النووي التفسير الثاني، وقال: «**ويجوز أن يكون المراد هذا، والأول جميعا، وأن الصفرين جميعا باطلان لا أصل لهما**»[(٥)].

قَولُه: «زَادَ مُسْلِمٌ: «وَلَا نَوْءَ»»: أي لا تقولوا: مطرنا بنوء كذا، ولا تعتقدوه[(٦)].

---

(١) انظر: «شرح صحيح مسلم» (١٤/ ٢١٥-٢١٦).
(٢) انظر: «المعلم بفوائد مسلم» (٢/ ٢٧٢-٢٧٣).
(٣) انظر: «النهاية في غريب الحديث» (٥/ ٢٨٣).
(٤) انظر: «المعلم بفوائد مسلم» (٢/ ٢٧٢)، و«الاستذكار» (٨/ ٤٢٤)، و«كشف المشكل من حديث الصحيحين» (٣/ ٩٣)، و«النهاية في غريب الحديث» (٣/ ٣٥).
(٥) انظر: «شرح صحيح مسلم» (١٤/ ٢١٥).
(٦) انظر: «شرح صحيح مسلم» (١٤/ ٢١٦).

والنوء: النجم، وإنما سُمِّي نَوْءا، لأنه إذا سقط الساقط منها بالمغرب ناء الطالع بالمشرق، ينوء نوءا، أي: نهض وطلع، وذلك النهوض هو النوء، فسمي النجم به[1].

قَـوْلُـهُ: «وَلَا غُولَ»: أي أن الجن لا تستطيع أن تغول أحدًا، أو تضله، أو تُغَيِّر صفته[2].

قال المازري: «كانت العرب تقول: إن الغيلان في الفلوات تتراءىٰ للناس وتتغول: أي تتلون لهم، فتضلهم عن الطريق، وتفزعهم وتهلكهم، فأبطل الشرع صحة ذلك»[3].

قال النووي: «قيل: ليس المراد بالحديث نفي وجود الغُول، وإنما معناه إبطال ما تزعمه العرب من تلوُّن الغول بالصور المختلفة واغتيالها، قالوا: ومعنىٰ لا غول أي لا تستطيع أن تضل أحدا»[4].

قَـوْلُـهُ: «وَلَهُمَا عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا عَدْوَى، وَلَا طِيَرَةَ، وَيُعْجِبُنِي الْفَأْلُ» قَالُوا: وَمَا الْفَأْلُ؟ قَالَ: «الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ»»: الفأل إنما هو أن يسمع الإنسان الكلمة الحسنة فيفأل بها أي: يتبرك بها ويتأولها علىٰ المعنىٰ الذي يطابق اسمها[5].

ومعنى التفاؤل: مثل أن يكون رجل مريض فيتفاءل بما يسمع من كلام، فيسمع آخر يقول: يا سالم، أو يكون طالب ضالة فيسمع آخر يقول: يا واجد، فيقع في ظنه أنه يبرأ من مرضه ويجد ضالته[6].

---

(١) انظر: «تهذيب اللغة»، مادة «نوء».
(٢) انظر: «إكمال المُعلِم بفوائد مسلم» (٧/ ١٤٥).
(٣) انظر: «المعلم بفوائد مسلم» (٢/ ٢٧٥).
(٤) انظر: «شرح صحيح مسلم» (١٤/ ٢١٧).
(٥) انظر: «معالم السنن» (٤/ ٢٣٥).
(٦) انظر: «النهاية في غريب الحديث» (٣/ ٤٠٦).

قال الخطابي: «العرب كانت تتشاءم ببروح الطير إذا كانوا في سفر أو مسير، ومنهم من كان يتطير بسنوحها، فيصدهم ذلك عن المسير ويردهم عن بلوغ ما يمَّمُوه من مقاصدهم، فأبطل ﷺ أن يكون لشيء منها تأثير في اجتلاب ضرر أو نفع، واستحب الفأل بالكلمة الحسنة يسمعها من ناحية حسن الظن بالله»(١).

وإنما كان ﷺ يعجبه الفأل؛ لأن التشاؤم سوء ظن بالله تعالىٰ بغير سبب محقق، والتفاؤل حسن ظن به، والمؤمن مأمور بحسن الظن بالله تعالىٰ علىٰ كل حال»(٢).

قال الطيبي: «معنىٰ الترخص في الفأل، والمنع من الطيرة هو أن الشخص لو رأىٰ شيئًا فظنه حسنا محرِّضا علىٰ طلب حاجته فليفعل ذلك، وإن رآه بضد ذلك فلا يقبله بل يمضي لسبيله، فلو قبل وانتهىٰ عن المضي فهو الطيرة التي اختصت بأن تستعمل في الشؤم»(٣).

وقال النووي: «قال العلماء: وإنما أحب الفأل؛ لأن الإنسان إذا أمِل فائدة الله تعالىٰ وفضله عند سبب قوي أو ضعيف فهو علىٰ خير في الحال، وإن غلط في جهة الرجاء فالرجاء له خير، وأما إذا قطع رجاءه وأمَله من الله تعالىٰ، فإن ذلك شر له والطيرة فيها سوء الظن وتوقع البلاء»(٤).

وقال ابن بطال: «وقد جعل الله في فطرة الناس محبة الكلمة الطيبة والفأل الصالح والأنس به، كما جعل فيهم الارتياح للبشرىٰ والمنظر الأنيق، وقد يمر الرجل بالماء الصافي فيعجبه وهو لا يشربه»(٥).

---

(١) **انظر**: «معالم السنن» (٤/ ٢٣٥).
(٢) **انظر**: «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» (١٠/ ٢١٥).
(٣) **انظر**: «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» (١٠/ ٢١٥).
(٤) **انظر**: «شرح صحيح مسلم» (١٤/ ٢١٩-٢٢٠).
(٥) **انظر**: «شرح صحيح البخاري»، لابن بطال (٩/ ٤٣٧).

فائدة: الفرق بين الطيرة، والفأل:

الفأل كما تقدم إنما هو أن يسمع الإنسان الكلمة الحسنة فيفأل بها أي يتبرك بها ويتأولها علىٰ المعنىٰ الذي يطابق اسمها.

والطيرة بخلافها[(١)].

قال القاضي عياض: «كلاهما فأل من سماع كلام يُستحسن أو يُستقبح أو رؤية حيوان يمثل ذلك تعليق النفس بما يقتضيه المسموع أو المرئي، فإذا علقها بخير علىٰ ما سمعه أو رآه من خير واقعه فهو من حسن الظن بالله، وبضده التطير بالمكروه والشر، وتعليق النفس به، فهو من سوء الظن»[(٢)].

وقال ابن الأثير: «الفأل مهموز فيما يسر ويسوء، والطيرة لا تكون إلا فيما يسوء، وربما استعملت فيما يسر، وإنما أحب الفأل، لأن الناس إذا أملوا فائدة الله تعالىٰ، ورجوا عائدته عند كل سبب ضعيف، أو قوي فهم علىٰ خير، ولو غلطوا في جهة الرجاء فإن الرجاء لهم خير، وإذا قطعوا أملهم ورجاءهم من الله كان ذلك من الشر. وأما الطيرة فإن فيها سوء الظن بالله وتوقع البلاء»[(٣)].

وقال النووي: «قال العلماء: يكون الفأل فيما يَسرُّ وفيما يسوء، والغالب في السرورِ، والطيرةُ لا تكون إلا فيما يسوء، قالوا: وقد تستعمل مجازا في السرور»[(٤)].

وقال ابن حجر بعد ذكره كلام النووي في التفريق بين الطيرة والفأل: «كأن ذلك بحسب الواقع، وأما الشرع فخص الطيرة بما يسوء، والفأل بما يسرُّ، ومن شرطه أن لا يقصد إليه، فيصير من الطيرة»[(٥)].

---

(١) **انظر:** «معالم السنن» (٤/ ٢٣٥).

(٢) **انظر:** «إكمال المُعلِم بفوائد مسلم» (٧/ ١٤٤).

(٣) **انظر:** «النهاية في غريب الحديث» (٣/ ٤٠٥-٤٠٦).

(٤) **انظر:** «شرح صحيح مسلم» (١٤/ ٢١٩)، و**انظر:** «المعلم بفوائد مسلم» (٢/ ٢٣٧).

(٥) **انظر:** «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» (١٠/ ٢١٥).

قَولُهُ: «وَلِأَبِي دَاوُدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: ذُكِرَتِ الطِّيَرَةُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «أَحْسَنُهَا الْفَأْلُ»»: لما فيه من حسن الظن بالله عَزَّوَجَلَّ[1].

قَولُهُ: «وَلَا تَرُدُّ مُسْلِمًا»: أي لا ترد الطيرة مسلما، والمعنىٰ: أن أحسن الطيرة ما يشابه الفأل المندوب إليه، ومع ذلك لا تمنع الطيرة مسلما عن المضي في حاجته، فإن ذلك ليس من شأن المسلم الكامل، بل شأنه أن يتوكَّل علىٰ الله في جميع أموره، ويمضي في سبيله[2].

قال البكري: «هذا نفي بمعنىٰ النهي، أي: شأن المسلم ألا يرجع عما عزم عليه من أجلها، لعلمه أن لا أثر لغير الله تعالىٰ أصلًا»[3].

قَولُهُ: «فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يَكْرَهُ»: أي إذا علم مما يُتَطَيَّر به شيئًا يكرهه[4].

قَولُهُ: «فَلْيَقُلِ: اللهُمَّ لَا يَأْتِي بِالْحَسَنَاتِ إِلَّا أَنْتَ»: أي لا يأتي بالأمور الحسنة الشاملة للنعمة والطاعة إلا أنت يا ربنا[5].

قَولُهُ: «وَلَا يَدْفَعُ السَّيِّئَاتِ إِلَّا أَنْتَ»: أي لا يرد الأمور المكروهة الكافلة للنقمة والمعصية إلا أنت يا ربنا[6].

قَولُهُ: «وَلَا حَوْلَ»: أي علىٰ دفع السيئة[7]، والتحول من حال إلىٰ حال.

---

(١) انظر: «دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين»، للبكري (٨/ ٥٠٦).
(٢) انظر: «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٧/ ٢٩٠٢).
(٣) انظر: «دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين» (٨/ ٥٠٦).
(٤) انظر: «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٧/ ٢٩٠٢)، و«دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين» (٨/ ٥٠٦).
(٥) انظر: «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٧/ ٢٩٠٢).
(٦) انظر: «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٧/ ٢٩٠٢).
(٧) انظر: «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٧/ ٢٩٠٢).

قَولُه: «وَلَا قُوَّةَ»: أي علىٰ تحصيل الحسنة[1]، والأرزاق.

قَولُه: «إِلَّا بِكَ»: أي يا ربنا.

قَولُه: «وَلَهُ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ مَرْفُوعًا: «الطِّيَرَةُ شِرْكٌ، الطِّيَرَةُ شِرْكٌ»»: أي اعتقاد أنها تنفع أو تضر إذ عملوا بمقتضاها معتقدين تأثيرها فهو شرك؛ لأنهم جعلوا لها أثرا في الفعل والإيجاد[2].

قال ابن حجر: «وإنما جعل ذلك شركًا؛ لاعتقادهم أن ذلك يجلب نفعًا أو يدفع ضرًا فكأنهم أشركوه مع الله تعالىٰ»[3].

قَولُه: «وَمَا مِنَّا إِلَّا»: أي إلا وقد يعتريه التطير وتسبق إلىٰ قلبه الكراهة[4]، وهذا من كلام ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ كما تقدم من قول الترمذي.

قَولُه: «وَلَكِنَّ اللهَ يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ»: أي أنه إذا خطر له عارض التطير فتوكل علىٰ الله وسلم إليه ولم يعمل بذلك الخاطر غفره الله له ولم يؤاخذه به[5].

قال ابن حجر: «فيه إشارة إلىٰ أن من وقع له ذلك فسلم لله ولم يعبأ بالطيرة أنه لا يؤاخذ بما عرض له من ذلك»[6].

قَولُه: «وَلِأَحْمَدَ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَمْرٍو: «مَنْ رَدَّتْهُ الطِّيَرَةُ عَنْ حَاجَتِهِ»: أي من تطير، فردته الطيرة عن أمر يريده.

قَولُه: «فَقَدْ أَشْرَكَ»: أي بالله تعالىٰ؛ لاعتقاده أن لله شريكًا في تقدير الخير، والشر[7].

---

(١) انظر: «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٧/ ٢٩٠٢).
(٢) انظر: «شرح صحيح مسلم» (١٤/ ٢١٩).
(٣) انظر: «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» (١٠/ ٢١٣).
(٤) انظر: «النهاية في غريب الحديث» (٣/ ١٥٢).
(٥) انظر: «النهاية في غريب الحديث» (٣/ ١٥٢).
(٦) انظر: «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» (١٠/ ٢١٣).
(٧) انظر: «فيض القدير شرح الجامع الصغير» (٦/ ١٣٦).

قَـوْلُـهُ: «قَالُوا: فَمَا كَفَّارَةُ ذَلِكَ؟ قَالَ: «أَنْ يَقُولَ: اللهُمَّ لَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُكَ، وَلَا طَيْرَ إِلَّا طَيْرُكَ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ»»: فينبغي لمن طرقته الطيرة أن يسأل الله تعالىٰ الخير ويستعيذ به من الشر ويمضي في حاجته متوكلا عليه[1].

قَـوْلُـهُ: «وَلَهُ مِنْ حَدِيثِ الْفَضْلِ بْنِ عَبَّاسٍ: «إِنَّمَا الطِّيَرَةُ مَا أَمْضَاكَ أَوْ رَدَّكَ»»: هذا حد الطيرة المنهي عنها أنها ما يحمل الإنسان علىٰ المضي فيما أراده، ويمنعه من المضي فيه كذلك، وأما الفأل الذي كان يحبه النبي ﷺ فيه نوع بشارة، فيسر به العبد ولا يعتمد عليه بخلاف ما يمضيه أو يرده، فإن للقلب عليه نوع اعتماد[2].



(١) انظر: «فيض القدير شرح الجامع الصغير» (٦/ ١٣٦).
(٢) انظر: «فتح المجيد شرح كتاب التوحيد»، صـ (٣١٥-٣١٦).

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: التَّنْبِيهُ عَلَى قَوْلِهِ: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ﴾ مَعَ قَوْلِهِ: ﴿طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ﴾.

الثَّانِيَةُ: نَفْيُ الْعَدْوَى.

الثَّالِثَةُ: نَفْيُ الطِّيَرَةِ.

الرَّابِعَةُ: نَفْيُ الهَامَةِ.

الخَامِسَةُ: نَفْيُ الصَّفَرِ.

السَّادِسَةُ: أَنَّ الْفَأْلَ لَيْسَ مِنْ ذَلِكَ، بَلْ مُسْتَحَبٌّ.

السَّابِعَةُ: تَفْسِيرُ الْفَأْلِ.

الثَّامِنَةُ: أَنَّ الْوَاقِعَ فِي الْقُلُوبِ مِنْ ذَلِكَ مَعَ كَرَاهَتِهِ لَا يَضُرُّ بَلْ يُذْهِبُهُ اللهُ بِالتَّوَكُّلِ.

التَّاسِعَةُ: ذِكْرُ مَا يَقُولُ مَنْ وَجَدَهُ.

الْعَاشِرَةُ: التَّصْرِيحُ بِأَنَّ الطِّيَرَةَ شِرْكٌ.

الحَادِيَةَ عَشْرَةَ: تَفْسِيرُ الطِّيَرَةِ المَذْمُومَةِ.

الشَّرْح

قَوْلُهُ: «الْأُولَى: التَّنْبِيهُ عَلَى قَوْلِهِ: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ﴾ مَعَ قَوْلِهِ: ﴿طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ﴾»: تقدم تفسير هاتين الآيتين، وأن المراد منهما: أن ما أصاب العبد من شر فهو من عند الله بسبب ذنوبه.

قَوْلُهُ: «الثَّانِيَةُ: نَفْيُ الْعَدْوَى»: أي بطبعها أو بنفسها.

قَوْلُهُ: «الثَّالِثَةُ: نَفْيُ الطِّيَرَةِ»: أي التشاؤم والتفاؤل بالطير، فلا ينفع، ولا يضر.

قَولُهُ: «الرَّابِعَةُ: نَفْيُ الهَامَةِ»: أي البومة، فلا تنفع ولا تضر من دون الله.

قَولُهُ: «الخَامِسَةُ: نَفْيُ الصَّفرِ»: أي لا ينفع ولا يضر، وتقدم تفسيره.

قَولُهُ: «السَّادِسَةُ: أَنَّ الْفَأْلَ لَيْسَ مِنْ ذَلِكَ، بَلْ مُسْتَحَبٌّ»: أي الفأل ليس من الطيرة، بل مستحب كما في الحديث: «لَا عَدْوَىٰ، وَلَا طِيَرَةَ، وَيُعْجِبُنِي الْفَأْلُ».

قَولُهُ: «السَّابِعَةُ: تَفْسِيرُ الْفَأْلِ»: كما فسره النبي ﷺ بالكلمة الطيبة.

قَولُهُ: «الثَّامِنَةُ: أَنَّ الْوَاقِعَ فِي الْقُلُوبِ مِنْ ذَلِكَ مَعَ كَرَاهَتِهِ لَا يَضُرُّ بَلْ يُذْهِبُهُ اللهُ بِالتَّوَكُّلِ»: أي من خطر له عارض التطير فتوكل علىٰ الله وسلم إليه ولم يعمل بذلك الخاطر غفره الله له ولم يؤاخذه به.

قَولُهُ: «التَّاسِعَةُ: ذِكْرُ مَا يَقُولُ مَنْ وَجَدَهُ»: يقول: «اللهُمَّ لَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُكَ، وَلَا طَيْرَ إِلَّا طَيْرُكَ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ».

قَولُهُ: «الْعَاشِرَةُ: التَّصْرِيحُ بِأَنَّ الطِّيَرَةَ شِرْكٌ»: كما في قول النبي ﷺ: «الطِّيَرَةُ شِرْكٌ، الطِّيَرَةُ شِرْكٌ».

قَولُهُ: «الحَادِيَةَ عَشْرَةَ: تَفْسِيرُ الطِّيَرَةِ المَذْمُومَةِ»: الطيرة المذمومة هي ما ردت صاحبها عن حاجته.

[٢٨] بَابُ مَا جَاءَ فِي التَّنْجِيمِ

قَالَ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ: قَالَ قَتَادَةُ: «خَلَقَ اللهُ هَذِهِ النُّجُومَ لِثَلَاثٍ: زِينَةً لِلسَّمَاءِ، وَرُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ، وَعَلَامَاتٍ يُهْتَدَى بِهَا، فَمَنْ تَأَوَّلَ فِيهَا غَيْرَ ذَلِكَ أَخْطَأَ، وَأَضَاعَ نَصِيبَهُ، وَتَكَلَّفَ مَا لَا عِلْمَ لَهُ بِهِ»(١) انْتَهَى.

وَكَرِهَ قَتَادَةُ تَعَلُّمَ مَنَازِلِ الْقَمَرِ، وَلَمْ يُرَخِّصِ ابْنُ عُيَيْنَةَ فِيهِ، ذَكَرَهُ حَرْبٌ عَنْهُمَا.

وَرَخَّصَ فِي تَعَلُّمِ المَنَازِلِ أَحْمَدُ، وَإِسْحَاقُ.

وَعَنْ أَبِي مُوسَى، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «ثَلَاثَةٌ لَا يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ: مُدْمِنُ الخَمْرِ، وَقَاطِعُ الرَّحِمِ، وَمُصَدِّقٌ بِالسِّحْرِ»(٢)، رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ.

الشَّرْح

قَوْلُهُ: «بَابُ مَا جَاءَ فِي التَّنْجِيمِ»: التنجيم نوعان:

أحدهما: **علم التأثير**؛ وهو الاستدلال علىٰ الحوادث الأرضية التي لم تقع وستقع في مستقبل الزمان بالأحوال الفلكية، كالإخبار بأوقات هبوب الرياح، ومجيء المطر، وظهور الحر والبرد وتغير الأسعار، ونحو ذلك(٣).

قال ابن خلدون: **«هذه الصناعة يزعم أصحابها أنهم يعرفون بها الكائنات في عالم العناصر قبل حدوثها من قبل معرفة قوىٰ الكواكب وتأثيرها في المولِّدات العنصرية مفردة ومجتمعة، فتكون لذلك أوضاع الأفلاك والكواكب**

---

(١) انظر: «صحيح البخاري» (٤/ ١٠٧).

(٢) صحيح: رواه أحمد (٦١٨٠)، وابن حبان في «صحيحه» (٥٣٤٦)، وصححه أحمد شاكر، والألباني في «صحيح الجامع» (٣٠٧١).

(٣) انظر: «معالم السنن» (٤/ ٣٢٩-٣٣٠)، و«مجموع الفتاوىٰ» (٣٥/ ١٩٢).

دالة علىٰ ما سيحدث من نوع من أنواع الكائنات الكلّيّة والشّخصيّة»[١].

حكمه: صناعة محرمة بالكتاب، والسنة، وإجماع الأمة، بل هي محرمة علىٰ لسان جميع المرسلين في جميع الملل[٢]، وهو منافٍ للتوحيد[٣].

قال الخطابي: «هذا تحكم علىٰ الغيب وتعاط لعلم استأثر الله سبحانه به لا يعلم الغيب أحد سواه»[٤].

النوع الثاني: **علم التسيير**؛ وهو الاستدلال بالشمس والقمر والكواكب علىٰ القبلة والأوقات والجهات.

حكمه: لا بأس به، بل كثير منه نافع قد حث عليه الشارع إذا كان وسيلة إلىٰ معرفة أوقات العبادات، أو الاهتداء به في الجهات[٥].

قَولُهُ: «قَالَ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ: قَالَ قَتَادَةُ: «خَلَقَ اللهُ هَذِهِ النُّجُومَ لِثَلَاثٍ: زِينَةً لِلسَّمَاءِ»»: كما قال تعالىٰ: ﴿ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ ﴾ [فُصِّلَت:١٢]، أي بالنجوم، والكواكب، وجعلها مصابيح لإضاءتها[٦].

وقال تعالىٰ: ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِزِينَةٍ ٱلۡكَوَاكِبِ ۝٦ ﴾ [الصافات:٦].

قَولُهُ: «وَرُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ»: كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدۡ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلۡنَٰهَا رُجُومٗا لِّلشَّيَٰطِينِ ﴾ [المُلك:٥]، أي وجعلنا المصابيح التي زينا بها السماء الدنيا رجومًا للشياطين تُرْجم بها[٧].

---

(١) **انظر:** «مقدمة ابن خلدون»، صـ(٧١٤).

(٢) **انظر:** «مجموع الفتاوىٰ» (٣٥/ ١٩٢).

(٣) **انظر:** «القول السديد شرح كتاب التوحيد»، صـ(١١٦).

(٤) **انظر:** «معالم السنن» (٤/ ٢٣٠).

(٥) **انظر:** «معالم السنن» (٤/ ٢٣٠)، و«القول السديد شرح كتاب التوحيد»، صـ(١١٦).

(٦) **انظر:** «تفسير الطبري» (٢١/ ٤٤١، ٢٣/ ٥٠٨).

(٧) **انظر:** «تفسير الطبري» (٢٣/ ٥٠٨).

قَـوْلُـهُ: «وَعَلَامَاتٍ يُهْتَدَى بِهَا»: أي دلائل يستدل بها المسافرون برا وبحرا إذا ضلوا الطريق[(١)]، كما قال تعالىٰ: ﴿وَعَلَـٰمَـٰتٍۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ ١٦﴾ [النحل:١٦].

قَـوْلُـهُ: «فَمَنْ تَأَوَّلَ فِيهَا غَيْرَ ذَلِكَ»: أي زعم فيها غير ما ذكر الله تعالىٰ في هذه الثلاث، فادَّعىٰ بها علم الغيب[(٢)].

قَـوْلُـهُ: «أَخْطَأَ»: أي حيث تكلم رجمًا بالغيب[(٣)]، وزعم شيئًا ما أنزل الله به من سلطان[(٤)].

قَـوْلُـهُ: «وَأَضَاعَ نَصِيبَهُ»: أي حظه من عمره؛ لأنه اشتغل بما لا فائدة فيه، بل مضرة محضة[(٥)].

قَـوْلُـهُ: «وَتَكَلَّفَ مَا لَا عِلْمَ لَهُ بِهِ»: أي تعاطىٰ شيئًا لا يتصور علمه؛ لأن أخبار السماء، والأمور المغيبة لا تعلم إلا من طريق الكتاب والسنة، وليس فيهما أزيد مما تقدم[(٦)].

قال الداودي: «قول قتادة في النجوم حسن إلا قوله: أخطأ وأضاع نفسه، فإنه قصَّر في ذلك، بل قائل ذلك كافر»[(٧)].

وقال ابن حجر: «ولم يتعين الكفر في حق من قال ذلك، وإنما يكفر من نسب الاختراع إليها، وأما من جعلها علامة علىٰ حدوث أمر في الأرض فلا»[(٨)].

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١٧/ ١٨٦)، و«تفسير ابن كثير» (٥/ ٥٦٤).

(٢) انظر: «تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد»، صـ (٣٨٠).

(٣) انظر: «تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد»، صـ (٣٨٠).

(٤) انظر: «فتح المجيد شرح كتاب التوحيد»، صـ (٣١٨).

(٥) انظر: «تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد»، صـ (٣٨٠).

(٦) انظر: «تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد»، صـ (٣٨٠).

(٧) انظر: «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» (٦/ ٢٩٥).

(٨) انظر: «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» (٦/ ٢٩٥).

قَولُـهُ: «وَكَرِهَ قَتَادَةُ تَعَلُّمَ مَنَازِلِ الْقَمَرِ، وَلَمْ يُرَخِّصِ ابْنُ عُيَيْنَةَ فِيهِ، ذَكَرَهُ حَرْبٌ عَنْهُمَا»: قال ابن رجب: «وهذا محمول علىٰ علم التأثير لا علم التسيير؛ فإن علم التأثير باطل محرم، فعلم تأثير النجوم باطل محرم، والعمل بمقتضاه كالتقرب إلىٰ النجوم، وتقريب القرابين لها كفر.

وأما علم التسيير فإذا تعلم منه ما يحتاج إليه للاهتداء ومعرفة القبلة، والطرق كان جائزًا عند الجمهور»[1].

قَولُـهُ: «وَرَخَّصَ فِي تَعَلُّمِ المنَازِلِ أَحْمَدُ، وَإِسْحَاقُ»: هذا هو الصحيح؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَعَلَٰمَٰتٖۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ ﴿١٦﴾﴾[النحل:١٦].

وقوله تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمۡسَ ضِيَآءٗ وَٱلۡقَمَرَ نُورٗا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَۚ﴾[يونس:٥].

قَولُـهُ: «وَعَنْ أَبِي مُوسَى، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «ثَلَاثَةٌ لَا يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ»»: هذا من نصوص الوعيد التي كره السلف تأويلها، وقالوا: أمروها كما جاءت، وإن كان صاحبها لا ينتقل عن الملة عندهم، وكأن المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ يميل إلىٰ هذا القول.

وقالت طائفة: هو علىٰ ظاهره فلا يدخل الجنة أصلا مدمن الخمر ونحوه، ويكون هذا مخصصًا لعموم الأحاديث الدالة علىٰ خروج الموحدين من النار ودخولهم الجنة، وحمله أكثر الشراح علىٰ من فعل ذلك مستحِلًّا، أو علىٰ معنىٰ أنهم لا يدخلون الجنة إلا بعد العذاب إن لم يتوبوا[2].

وأحسن ما يقال: إن كل عمل دون الشرك والكفر المخرج عن ملة الإسلام، فإنه يرجع إلىٰ مشيئة الله، فإن عذَّبه فقد استوجب العذاب، وإن غفر له

---

(١) انظر: «مجموع رسائل ابن رجب» (٣/ ١٢).

(٢) انظر: «تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد»، صـ (٣٨٦-٣٨٧).

فبفضله وعفوه ورحمته[١].

قَوْلُهُ: «مُدْمِنُ الخَمْرِ»: أي المداوم علىٰ شربها[٢].

قَوْلُهُ: «وَقَاطِعُ الرَّحِمِ»: أي القرابة، ومات بلا توبة[٣].

قَوْلُهُ: «وَمُصَدِّقٌ بِالسِّحْرِ»: أي صدق بما يخبره به السحرة من الغيب، ويدخل فيه التنجيم[٤].

قال الشيخ العثيمين: «من صدق بما يخبره به السحرة، فإنه لا يدخل الجنة؛ لأنه صدق بعلم، قال تعالىٰ: ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل:٦٥]»[٥].

فائدة: حكم الإخبار عن الأحوال الجوية:

الإخبار عن كسوف الشمس، أو خسوف القمر، أو أحوال الطقس جائز لا شيء فيه؛ لأن هذه الأمور تدرك بالحساب، وتستند إلىٰ أمور حسية، وليست من علم الغيب[٦].

---

(١) انظر: «فتح المجيد شرح كتاب التوحيد»، صـ (٣٢٠).
(٢) انظر: «التيسير بشرح الجامع الصغير» (١/ ٤٧٨).
(٣) انظر: «التيسير بشرح الجامع الصغير» (١/ ٤٧٨)، و«حاشية السندي علىٰ سنن النسائي» (٥/ ٨٠).
(٤) انظر: «فتح المجيد شرح كتاب التوحيد»، صـ (٣٢٠).
(٥) انظر: «القول المفيد علىٰ كتاب التوحيد» (٢/ ١٣-١٤).
(٦) انظر: «القول المفيد علىٰ كتاب التوحيد» (١/ ٥٣١-٥٣٢).

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: الْحِكْمَةُ فِي خَلْقِ النُّجُومِ.

الثَّانِيَةُ: الرَّدُّ عَلَى مَنْ زَعَمَ غَيْرَ ذَلِكَ.

الثَّالِثَةُ: ذِكْرُ الْخِلَافِ فِي تَعَلُّمِ الْمَنَازِلِ.

الرَّابِعَةُ: الْوَعِيدُ فِيمَنْ صَدَّقَ بِشَيْءٍ مِنَ السِّحْرِ، وَلَوْ عَرَفَ أَنَّهُ بَاطِلٌ.

الشَّرْح

قَوْلُهُ: «الْأُولَى: الْحِكْمَةُ فِي خَلْقِ النُّجُومِ»: أنها خلقت لثلاثة أشياء:

١- تزيين السماء.

٢- حراسة السماء، ورجم الشياطين.

٣- علامات ودلائل؛ ليستدل بها المسافرون في سفرهم علىٰ معرفة الطرق.

قَوْلُهُ: «الثَّانِيَةُ: الرَّدُّ عَلَى مَنْ زَعَمَ غَيْرَ ذَلِكَ»: كما تقدم في كلام قتادة بأنه أخطأ، وأضاع نصيبه، وتكلف ما لا علم له به.

قَوْلُهُ: «الثَّالِثَةُ: ذِكْرُ الْخِلَافِ فِي تَعَلُّمِ الْمَنَازِلِ»: أي بعض العلماء نهىٰ عنه، وبعضهم رخص فيه.

قَوْلُهُ: «الرَّابِعَةُ: الْوَعِيدُ فِيمَنْ صَدَّقَ بِشَيْءٍ مِنَ السِّحْرِ، وَلَوْ عَرَفَ أَنَّهُ بَاطِلٌ»: كما في حديث أبي موسىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**ومصدِّق بالسحر**»، ومنه التنجيم.

[٢٩] بَابُ مَا جَاءَ فِي الاسْتِسْقَاءِ بِالأَنْوَاءِ

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الواقعة:٨٢].

وَعَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الجَاهِلِيَّةِ لَا يَتْرُكُونَهُنَّ: الْفَخْرُ بِالْأَحْسَابِ، وَالطَّعْنُ فِي الْأَنْسَابِ، وَالِاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ، وَالنِّيَاحَةُ».

وَقَالَ: «النَّائِحَةُ إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا، تُقَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطِرَانٍ، وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ»[(١)] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَلَهُمَا عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ صَلَاةَ الصُّبْحِ بِالحُدَيْبِيَةِ عَلَى إِثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ، فَقَالَ: «هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «قَالَ: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ، فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا، فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ»[(٢)].

وَلَهُمَا مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ مَعْنَاهُ، وَفِيهِ: «قَالَ بَعْضُهُمْ: لَقَدْ صَدَقَ نَوْءُ كَذَا وَكَذَا، فَأَنْزَلَ اللهُ هَذِهِ الْآيَاتِ: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الواقعة:٧٥-٨٢]»[(٣)].

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٩٣٤).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (١٠٣٨)، ومسلم (٧١).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٧٣).

الشَّـرح

قَـوْلُـهُ: «بَابُ مَا جَاءَ فِي الِاسْتِسْقَاءِ بِالْأَنْوَاءِ»: أي ما جاء من الوعيد في نسبة السقيا إلىٰ النجوم.

والاستسقاء: استفعال من طلب السقيا أي: إنزال الغيث علىٰ البلاد والعباد، يقال: واستسقيت فلانا إذا طلبت منه أن يسقيك[(١)].

والأنواء: جمع نوء، وهو النجم، وَإِنَّمَا سُمِّي نَوْءا، لأنه إذا سقط الساقط منها بالمغرب ناء الطالع بالمشرق، ينوء نوءا، أي: نهض وطلع، وذلك النهوض هو النوء، فسمي النجم به[(٢)].

قَـوْلُـهُ: «وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ ٨٢﴾»: أي وتجعلون شكر الله علىٰ رزقه إياكم التكذيب، وذلك كقول القائل: جعلت إحساني إليك إساءة منك إلي.

وقد ذُكر عن الهيثم بن عدي أن من لغة أزد شنوءة: ما رزق فلان بمعنىٰ: ما شكر[(٣)].

عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ ٨٢﴾ [الواقعة:٨٢]، قَالَ: «شُكْرُكُمْ، تَقُولُونَ: مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا، وَبِنَجْمِ كَذَا وَكَذَا»[(٤)].

وقال ابن عباس: «شُكْرَكُمْ»[(٥)].

قَـوْلُـهُ: «وَعَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «أَرْبَعٌ فِي

---

(١) **انظر:** «النهاية في غريب الحديث» (٢/ ٣٨١).
(٢) **انظر:** «تهذيب اللغة»، مادة «نوء».
(٣) **انظر:** «تفسير الطبري» (٢٣/ ١٥٣).
(٤) **حسن لغيره:** رواه الترمذي (٣٢٩٥)، وأحمد (٦٧٧)، وحسن إسناده الأرنؤوط.
(٥) **صحيح:** رواه البخاري معلقًا بصيغة الجزم (٢/ ٣٣)، وصححه ابن حجر في «الفتح» (٢/ ٥٢٢).

أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الجَاهِلِيَّةِ»»: أي من أمور وخصال أهل الجاهلية المعتادة، طبع عليهن كثير من الأمة[(١)].

والجاهلية: ما قبل البعثة، سُمُّوا به؛ لفرط جهلهم[(٢)].

والمعنى: أنها كائنة في أمته ﷺ[(٣)].

قَولُه: «لَا يَتْرُكُونَهُنَّ»: أي لا تترك أمتي شيئًا من تلك الخصال الأربع غالبًا[(٤)].

قال الطيبي: «المعنىٰ أن هذه الخصال تدوم في الأمة لا يتركونهن بأسرهم تركهم لغيرها من سنن الجاهلية، فإنهن إن يتركهن طائفة جاءهن آخرون»[(٥)].

قَولُه: «الْفَخْرُ»: أي الافتخار[(٦)].

قَولُه: «بِالْأَحْسَابِ»: أي في شأنها وسببها، والحسب ما يعده الرجل من الخصال التي تكون فيه: كالشجاعة والفصاحة وغير ذلك، وقيل: الحسب ما يعده الإنسان من مفاخر آبائه[(٧)].

والمعنى: الشرف بالآباء والتعاظم بمناقبهم[(٨)].

ولا كرم إلا بالتقوىٰ كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحُجُرات:١٣].

---

(١) انظر: «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٣/ ١٢٣٤).

(٢) انظر: «فيض القدير شرح الجامع الصغير» (١/ ٤٦٢).

(٣) انظر: «التيسير بشرح الجامع الصغير» (١/ ١٣٧).

(٤) انظر: «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٣/ ١٢٣٤)، و«فيض القدير شرح الجامع الصغير» (١/ ٤٦٢).

(٥) انظر: «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٣/ ١٢٣٤).

(٦) انظر: «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٣/ ١٢٣٤).

(٧) انظر: «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٣/ ١٢٣٤).

(٨) انظر: «التيسير بشرح الجامع الصغير» (١/ ١٣٧).

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ إِلَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمۡ فِي ٱلۡغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ٣٧﴾ [سبأ:٣٧][1].

قَـوْلُـهُ: «وَالطَّعْنُ فِي الْأَنْسَابِ»: أي إدخال العيب، والذم، والقدح في أنساب الناس[2].

والمعنىٰ تحقير الرجل آباء غيره، وتفضيل آبائه علىٰ آباء غيره[3].

ولما عيّر أبو ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رجلًا بأمه قال له النبي ﷺ: «**يَا أَبَا ذَرٍّ أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ؟ إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ**»[4]، فدل علىٰ أن الطعن في الأنساب من عمل الجاهلية؛ وأن المسلم قد يكون فيه شيء من هذه الخصال المسماة بجاهلية ويهودية ونصرانية، ولا يوجب ذلك كفره ولا فسقه[5].

قَـوْلُـهُ: «وَالِاسْتِسْقَاءُ»: أي طلب السقيا[6].

قَـوْلُـهُ: «بِالنُّجُومِ»: أي بسببها[7]، أو باعتقاد أن نزول المطر بنجم كذا[8].

قال الطيبي: «أي: طلب السقيا، أي: توقع الأمطار عن وقوع النجوم في الأنواء، كما كانوا يقولون: مطرنا بنوء كذا»[9].

---

(١) **انظر:** «فتح المجيد شرح كتاب التوحيد»، صـ (٣٢٣).

(٢) **انظر:** «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٣/ ١٢٣٤)، و«التيسير بشرح الجامع الصغير» (١/ ١٣٧).

(٣) **انظر:** «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٣/ ١٢٣٤).

(٤) **متفق عليه:** رواه البخاري (٣٠)، ومسلم (١٦٦١).

(٥) **انظر:** «فتح المجيد شرح كتاب التوحيد»، صـ (٣٢٣).

(٦) **انظر:** «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٣/ ١٢٣٤).

(٧) **انظر:** «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٣/ ١٢٣٤).

(٨) **انظر:** «التيسير بشرح الجامع الصغير» (١/ ١٣٧).

(٩) **انظر:** «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٣/ ١٢٣٤).

والمعنى: أن اعتقاد الرجل نزول المطر بظهور نجم كذا حرام، وإنما يجب أن يقال: مطرنا بفضل الله تعالىٰ[1].

قَولُهُ: «وَالنِّيَاحَةُ»: أي رفع الصوت بندب الميت وتعديد شمائله[2]، وهي قول: وا ويلاه، وا حسرتاه، والندبة عند شمائل الميت، مثل وا شجاعاه، وا أسداه، وا جبلاه[3].

قَولُهُ: «وَقَالَ»: أي النبي ﷺ.

قَولُهُ: «النَّائِحَةُ»: أي التي صَنعتُها النياحة[4].

قَولُهُ: «إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا»: أي قبل حضور موتها[5].

وإنما قُيِّد بكون التوبة قبل الموت ليُعلم أن من شرط التوبة أن يتوب وهو يأمل البقاء، ويتمكن من تأتِّي العمل الذي يتوب عليه، ومصداق ذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ ٱلْـَٔانَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾﴾[النساء:١٨][6].

قَولُهُ: «تُقَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»: أي بين أهل النار، وأهل الموقف للفضيحة[7].

قَولُهُ: «وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ»: أي قميص مطلي[8].

---

(١) انظر: «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٣/ ١٢٣٤).
(٢) انظر: «التيسير بشرح الجامع الصغير» (١/ ١٣٧).
(٣) انظر: «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٣/ ١٢٣٥).
(٤) انظر: «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٣/ ١٢٣٥).
(٥) انظر: «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٣/ ١٢٣٥).
(٦) انظر: «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٣/ ١٢٣٥).
(٧) انظر: «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٣/ ١٢٣٥).
(٨) انظر: «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٣/ ١٢٣٥).

قَوْلُهُ: «مِنْ قَطِرَانٍ»: القطران: طلاء يطلىٰ به، وقيل: دهن يدهن به الجمل الأجرب[1].

قَوْلُهُ: «وَدِرْعٌ»: درع المرأة: قميصها، السربال: القميص مطلقا[2].

قَوْلُهُ: «مِنْ جَرَبٍ»: أي من أجل جرب كائن بها[3].

قال الطيبيُّ: «أي يسلط علىٰ أعضائها الجرب والحكة، بحيث يغطي جلدها تغطية الدرع، فتطلىٰ مواقعه بالقطران؛ لتُدَاوَىٰ، فيكون الدواء أدوىٰ من الداء؛ لاشتماله علىٰ لذع القطران، وإسراع النار في الجلود»[4].

وقال المناوي: «أي يصير جلدها أجرب حتىٰ يكون الجرب كقميص علىٰ بدنها»[5].

وخُصَّت بدرع من الجرب؛ لأنها كانت تجرح بكلماتها المحرقة قلوب ذوات المصيبات، وتحك بها بواطنهن، فعوقبت في ذلك المعنىٰ بما يماثله في الصورة.

وخُصَّت أيضًا بسرابيل من قطران؛ لأنها كانت تلبس الثياب السود في المآتم، فألبسها الله تعالىٰ السرابيل؛ لتذوق وبال أمرها.

فإن قيل: ذكر النبي ﷺ الخلال الأربع ولم يرتِّب عليها الوعيد سوىٰ النياحة، فما الحكمة فيه؟

فالجواب: النياحة مختصة بالنساء، وهن لا ينزجرن من هُجْرانهن انزجار الرجال، فاحتجن إلىٰ مزيد الوعيد[6].

---

(١) انظر: «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٣/ ١٢٣٥).
(٢) انظر: «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٣/ ١٢٣٥).
(٣) انظر: «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٣/ ١٢٣٥).
(٤) انظر: «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٣/ ١٢٣٥).
(٥) انظر: «التيسير بشرح الجامع الصغير» (٢/ ٤٦٢).
(٦) انظر: «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٣/ ١٢٣٥).

قال النووي: «فيه دليل علىٰ تحريم النياحة وهو مجمع عليه، وفيه صحة التوبة ما لم يمت المكلف ولم يصل إلىٰ الغرغرة»[1].

قَولُهُ: «وَلَهُمَا عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: «صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ صَلَاةَ الصُّبْحِ»»: أي لأجلنا وهو من باب المجاز، وإلا فالصلاة لله لا لغيره، أو: اللام بمعنىٰ الباء، أي: صلّىٰ بنا[2].

قَولُهُ: «بِالحُدَيْبِيَةِ»: الحديبية موضع معروف في آخر الجبل، وأول الحرم، وفيه كان الصلح بين قريش وبين رسول الله ﷺ، وفيه كانت بيعة الرضوان تحت الشجرة[3].

قَولُهُ: «عَلَى إِثْرِ سَمَاءٍ»: أي عقب مطر، وسُمِّي المطر سماء؛ لأنه ينزل من السماء، يقال: ما زلنا نطأ السماء حتىٰ أتيناكم: أي المطر[4].

وأصل السماء: كل ما ارتفع فأظل وعلا، وسماء كل شيء ما علا منه، وبه سميت السماء والسحاب، ثم سُمِّي المطرُ به لمجيء السحاب به، كما سمىٰ مُزْنا، والمزن: السحاب[5].

قَولُهُ: «كَانَتْ مِنَ اللَّيْلِ»: أي السماء[6]، والمراد: المطر.

قَولُهُ: «فَلَمَّا انْصَرَفَ»: أي من صلاته، وفرغ منها، فظاهره: أنه لم يكن يثبت في مكان صلاته بعد سلامه؛ بل كان ينتقل عنه، ويتغير عن حالته[7].

---

(١) انظر: «شرح صحيح مسلم» (٦/ ٢٣٦).

(٢) انظر: «إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري» (٢/ ٢٥٧).

(٣) انظر: «الاستذكار» (٢/ ٤٣٦).

(٤) انظر: «معالم السنن» (٤/ ٢٣١)، و«إكمال المُعلِم بفوائد مسلم» (١/ ٣٣٠)، و«النهاية في غريب الحديث» (٢/ ٤٠٦)، و«إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري» (٢/ ٢٥٧).

(٥) انظر: «إكمال المُعلِم بفوائد مسلم» (١/ ٣٣٠).

(٦) انظر: «إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري» (٢/ ٢٥٧).

(٧) انظر: «المُفهِم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم»، للقرطبي (١/ ٢٥٨).

قَولُهُ: «أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ»: أي بوجهه الكريم ﷺ[1].

قَولُهُ: «فَقَالَ: «هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟»»: هذا استفهام علىٰ سبيل التنبيه، ووقع عند النسائي في رواية سفيان عن صالح: «أَلَمْ تَسْمَعُوا مَا قَالَ رَبُّكُمُ اللَّيْلَةَ؟»[2]، وهذا من الأحاديث القدسية[3].

وهذا يدل علىٰ أن الله تعالىٰ يتكلم بمشيئته، واختياره[4].

قَولُهُ: «قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «قَالَ: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي»»: هذه الإضافة فيه تدل علىٰ العموم بدليل التقسيم إلىٰ مؤمن وكافر، بخلاف مثل الإضافة في قوله: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ﴾[الحجر:٤٢]، فإن الإضافة فيه للتشريف[5].

قَولُهُ: «مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ»: قسم الله ﷻ الناس بحسب الاعتقاد في نزول المطر قسمين: مؤمنين، وكافرين.

قال القرطبي: «ظاهره: أنه الكفر الحقيقي؛ لأنه قابل به المؤمن الحقيقي، فيحمل علىٰ من اعتقد أن المطر من فعل الكواكب وخلقها، لا من فِعل الله تعالىٰ؛ كما يعتقده بعض جهال المنجمين، والطبائعيين، والعرب.

فأما من اعتقد أن الله تعالىٰ هو الذي خلق المطر واخترعه، ثم تكلم بذلك القول، فليس بكافر؛ ولكنه مخطئ من وجهين:

أحدهما: أنه خالف الشرع؛ فإنه قد حذر من ذلك الإطلاق.

وثانيهما: أنه قد تشبه بأهل الكفر في قولهم، وذلك لا يجوز؛ لأنا قد أُمرنا

---

(١) انظر: «إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري» (٢/ ٢٥٧).

(٢) صحيح: رواه النسائي في «الكبرىٰ» (١٨٤٧).

(٣) انظر: «عمدة القاري شرح صحيح البخاري» (٦/ ١٣٧).

(٤) انظر: «فتح الباري شرح صحيح البخاري»، لابن رجب (٩/ ٢٥٩).

(٥) انظر: «عمدة القاري شرح صحيح البخاري» (٦/ ١٣٧).

بمخالفتهم، ونُهينا عن التشبه بهم؛ وذلك يقتضي الأمر بمخالفتهم في الأفعال والأقوال...

فلو قال غير هذا اللفظ الممنوع يريد به الإخبار عما أجرىٰ الله تعالىٰ به سنته جاز»[1].

قَولُهُ: «فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ، فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ»: أي مصدِّق بأن المطر خلْقي لا خلق الكواكب، أرحم به عبادي، وأتفضل عليهم به، كما قال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾﴾[الشورىٰ:٢٨].

قَولُهُ: «وَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا»: النوء واحد الأنواء، وهي الكواكب الثمانية والعشرون التي هي منازل القمر كانوا يزعمون أن القمر إذا نزل بعض تلك الكواكب مطروا فأبطل ﷺ قولهم، وجعل سقوط المطر من فعل الله سبحانه دون فعل غيره[2].

قَولُهُ: «فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ»: أي مصدق بالكوكب، فمن أضاف نعمة الغيث وإنزاله إلىٰ الأرض إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، وفضله ورحمته، فهو مؤمن بالله حقًّا، ومن أضافه إلىٰ الأنواء، كما كانت الجاهلية تعتاده، فهو كافر بالله، مؤمن بالكوكب[3].

فالناس ثلاثة أقسام:

أحدها: من اعتقد أن النجم هو الذي يُنزِل المطر.

حكمه: كافر كفرًا أكبر مخرِجًا من الملة.

الثاني: من اعتقد أن النجم سبب في إنزال المطر.

---

(١) انظر: «المُفهِم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» (١/ ٢٥٩-٢٦٠).

(٢) انظر: «معالم السنن» (٤/ ٢٣١).

(٣) انظر: «فتح الباري شرح صحيح البخاري»، لابن رجب (٩/ ٢٥٩).

حكمه: مشرك شركًا أصغر؛ لأن الشارع لم يجعل النوء سببًا؛ لإنزال المطر، وإنما هو فضل من الله تعالىٰ، ورحمة منه.

الثالث: من اعتقد أن الله هو الذي ينزِل المطر برحمته وفضله.

حكمه: مؤمن بالله ﷻ.

قال ابن عبد البر: قوله ﷺ حاكيًا عن الله عَزَّوَجَلَّ: **«أصبح من عبادي مؤمن بي، وكافر»** معناه عندي علىٰ وجهين:

أحدهما: أن القائل: مطرنا بنوء كذا أي: بسقوط نجم كذا، أو بطلوع نجم كذا إن كان يعتقد أن النوء هو المنزِل للمطر والخالق له، والمنشئ للسحاب من دون الله.

حكمه: هذا كافر كفرًا صريحًا ينقل عن الملة، وإن كان من أهلها استتيب، فإن رجع إلىٰ ذلك إلىٰ الإيمان بالله وحده وإلا قُتل؛ لنبذه الإسلام ورده القرآن.

الثاني: إن كان أراد أن الله عَزَّوَجَلَّ جعل النَّوْء علامة للمطر، ووقتًا له، وسببًا من أسبابه كما تُحيىٰ الأرض بالماء بعد موتها، وينبت به الزرع ويفعل به ما يشاء.

حكمه: هذا مؤمن لا كافر، ويلزمه مع هذا أن يعلم أن نزول الماء لحكمة الله تعالىٰ ورحمته وقدرته لا بغير ذلك؛ لأنه مرة يُنزِله بالنوء، ومرة بغير نوء كيف يشاء لا إله إلا هو[1].

وقال أيضًا: **«أن يعتقد أن النوء ينزل الله به الماء، وأنه سبب الماء علىٰ ما قدره الله وسبق في علمه، فهذا وإن كان وجهًا مباحًا، فإن فيه أيضًا كفرًا بنعمة الله عَزَّوَجَلَّ، وجهلًا بلطيف حكمته؛ لأنه يُنزل الماء متىٰ شاء مرة بنوء كذا ومرة دون النوء وكثيرًا ما يخوىٰ النوء فلا ينزل معه شيء من الماء، وذلك من الله لا من النوء»**[2].

---

(١) انظر: «الاستذكار»، لابن عبد البر (٢/ ٤٣٧).

(٢) انظر: «التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد» (١٦/ ٢٨٦).

وقال المازري: «هذا يحمل علىٰ أن المراد به تكفير من اعتقد أن المطر من فعل الكواكب، وخلقها دون أن يكون خلقا لله، كما يقول بعض الفلاسفة من أن الله تعالىٰ لم يخلق من الأشياء إلا واحدًا وهو العقل الأول عندهم، وكان عن العقل الأول غيره، وهكذا عن واحد آخر إلىٰ أن كان عن كل ذلك ما تحته، حتىٰ ينتهي الأمر إلىٰ الأمطار والنبات....

وأما من اعتقد أن لا خالق إلا الله سبحانه، ولكن جعل في بعض الاتصالات من الكواكب دلالة علىٰ وقوع المطر من خلقه تعالىٰ، علىٰ عادة جرت في ذلك فلا يكفر بهذا، إذا عبر عنه بعبارة لا يمنع الشرع منها.

والظن بمن قال من العوام: هذا نوءُ الثُرَيَّا، ونوْءُ الراعي، أنه إنما يريد هذا المعنىٰ»[1].

وقال القاضي عياض: «قال الحربىٰ: إنما جاءت الآثار بالتغليظ؛ لأن العرب كانت تزعم أن ذلك المطر من فعل النجم، ولا يجعلونه من سقي الله تعالىٰ، فأما من نسبه إلىٰ الله وجعل النوء مثل أوقات الليل والنهار كان ذلك واسعا»[2].

قَـوْلُـهُ: «وَلَهُمَا مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ مَعْنَاهُ، وَفِيهِ: «قَالَ بَعْضُهُمْ: لَقَدْ صَدَقَ نَوْءُ كَذَا وَكَذَا، فَأَنْزَلَ اللهُ هَذِهِ الْآيَاتِ: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾»»: أي فلا أقسم بمساقط ومغارب النجوم.

وقال بعض العلماء: فلا أقسم بمنازل القرآن، وقالوا: أنزل القرآن علىٰ رسول الله ﷺ نجوما متفرقة[3].

(١) انظر: «المعلم بفوائد مسلم» (١/ ٦٦-٦٧).

(٢) انظر: «إكمال المُعلِم بفوائد مسلم» (١/ ٣٣١).

(٣) انظر: «تفسير الطبري» (٢٣/ ١٤٧-١٤٨)، و«التفسير الوجيز»، صـ(١٠٦٣).

قَوْلُهُ: «﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾»: أي إن هذا القسم الذي أقسمت لقسم لو تعلمون ما هو، وما قدره، قسم عظيم(١).

قَوْلُهُ: «﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ﴾»: أي فلا أقسم بمواقع النجوم أن هذا القرآن لقرآن كريم حسن عزيز(٢)، والهاء في قوله: ﴿إِنَّهُۥ﴾ من ذِكر القرآن(٣).

قَوْلُهُ: «﴿فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ﴾»: أي في كتاب مصون عند الله لا يمسه شيء من أذىً من غبار، ولا غيره(٤).

قَوْلُهُ: «﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾»: أي لا يمس ذلك الكتاب المكنون إلا الذين قد طهرهم الله من الذنوب، وهم الملائكة، والرسل، والمتطهرون من الجنابات، والأحداث(٥).

قَوْلُهُ: «﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾»: أي هذا القرآن تنزيل من رب العالمين نزله من الكتاب المكنون(٦).

قَوْلُهُ: «﴿أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾»: أي أفبهذا القرآن الذي أنبأتكم خبره، وقصصت عليكم أمره أيها الناس(٧).

قَوْلُهُ: «﴿أَنتُم مُّدْهِنُونَ﴾»: أي مكذبون(٨)، وقيل: أنتم تلينون القول للمكذبين به، مُمَالَأَةً منكم لهم علىٰ التكذيب به، والكفر(٩).

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٢٣/ ١٤٩).
(٢) انظر: «تفسير الطبري» (٢٣/ ١٤٩)، و«التفسير الوجيز»، صـ(١٠٦٣).
(٣) انظر: «تفسير الطبري» (٢٣/ ١٤٩).
(٤) انظر: «تفسير الطبري» (٢٣/ ١٤٩).
(٥) انظر: «تفسير الطبري» (٢٣/ ١٥٠-١٥٢)، و«التفسير الوجيز»، صـ(١٠٦٤).
(٦) انظر: «تفسير الطبري» (٢٣/ ١٥٢).
(٧) انظر: «تفسير الطبري» (٢٣/ ١٥٢-١٥٣).
(٨) انظر: «تفسير الطبري» (٢٣/ ١٥٢-١٥٣)، و«التفسير الوجيز»، صـ(١٠٦٤).
(٩) انظر: «تفسير الطبري» (٢٣/ ١٥٢-١٥٣).

قال ابن كثير: «أي: تريدون أن تمالئوهم فيه، وتركنوا إليهم»[(١)].

قَـوْلُـهُ: «﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾»: أي تجعلون شكر رزقكم أنكم تكذبون بسقيا الله إذا مطرتم، وتقولون: مطرنا بنوء كذا[(٢)].



(١) **انظر**: «تفسير ابن كثير» (٧/ ٥٤٥).

(٢) **انظر**: «التفسير الوجيز»، صـ(١٠٦٤).

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: تَفْسِيرُ آيَةِ الْوَاقِعَةِ.

الثَّانِيَةُ: ذِكْرُ الْأَرْبَعِ الَّتِي مِنْ أَمْرِ الجَاهِلِيَّةِ.

الثَّالِثَةُ: ذِكْرُ الْكُفْرِ فِي بَعْضِهَا.

الرَّابِعَةُ: أَنَّ مِنَ الْكُفْرِ مَا لَا يُخْرِجُ مِنَ المِلَّةِ.

الخَامِسَةُ: قَوْلُهُ: «أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ» بِسَبَبِ نُزُولِ النِّعْمَةِ.

السَّادِسَةُ: التَّفَطُّنُ لِلْإِيمَانِ فِي هَذَا المَوْضِعِ.

السَّابِعَةُ: التَّفَطُّنُ لِلْكُفْرِ فِي هَذَا المَوْضِعِ.

الثَّامِنَةُ: التَّفَطُّنُ لِقَوْلِهِ: «لَقَدْ صَدَقَ نَوْءُ كَذَا، وَكَذَا».

التَّاسِعَةُ: إِخْرَاجُ الْعَالِمِ لِلْمُتَعَلِّمِ المَسْأَلَةَ بِالِاسْتِفْهَامِ عَنْهَا لِقَوْلِهِ: «أَتَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟»

الْعَاشِرَةُ: وَعِيدُ النَّائِحَةِ.

الشَّرْح

قَولُهُ: «الْأُولَى: تَفْسِيرُ آيَةِ الْوَاقِعَةِ»: أي قوله تعالىٰ: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الواقعة:٨٢].

قَولُهُ: «الثَّانِيَةُ: ذِكْرُ الْأَرْبَعِ الَّتِي مِنْ أَمْرِ الجَاهِلِيَّةِ»: هي: الفخر بالأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة علىٰ الميت.

قَولُهُ: «الثَّالِثَةُ: ذِكْرُ الْكُفْرِ فِي بَعْضِهَا»: أي الاستسقاء بالأنواء والطعن في النسب والنياحة علىٰ الميت، كما في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اثْنَتَانِ فِي النَّاسِ هُمَا بِهِمْ كُفْرٌ: الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ، وَالنِّيَاحَةُ عَلَىٰ المَيِّتِ»[1].

(١) صحيح: رواه مسلم (١/ ٨٢).

قَـوْلُـهُ: «الرَّابِعَةُ: أَنَّ مِنَ الْكُفْرِ مَا لَا يُخْرِجُ مِنَ الْمِلَّةِ»: أي مثل الطعن في النسب والنياحة؛ لأنه كفر أصغر.

قَـوْلُـهُ: «الخَامِسَةُ: قَوْلُهُ: «أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ» بِسَبَبِ نُزُولِ النِّعْمَةِ»: أي لما نزل المطر من الناس من نسبه لله، فآمن بالله، ومنهم من نسبه للنجم، وكفر بالله.

قَـوْلُـهُ: «السَّادِسَةُ: التَّفَطُّنُ لِلْإِيمَانِ فِي هَذَا الموْضِعِ»: أي هو الإقرار بالنعمة أنها من الله، ونسبتها لله وحده إيمان.

قَـوْلُـهُ: «السَّابِعَةُ: التَّفَطُّنُ لِلْكُفْرِ فِي هَذَا الموْضِعِ»: أي إنكار النعمة، ونسبتها للنجم كفر.

قَـوْلُـهُ: «الثَّامِنَةُ: التَّفَطُّنُ لِقَوْلِهِ: «لَقَدْ صَدَقَ نَوْءُ كَذَا وَكَذَا»»: أي لما قالوا ذلك نزل قوله تعالىٰ: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾[الواقعة:٨٢].

قَـوْلُـهُ: «التَّاسِعَةُ: إِخْرَاجُ الْعَالِمِ لِلْمُتَعَلِّمِ المسْأَلَةَ بِالِاسْتِفْهَامِ عَنْهَا لِقَوْلِهِ: «أَتَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟»»: لتنبيه السامع، وحثه علىٰ الاهتمام بما سيُلقىٰ عليه.

قَـوْلُـهُ: «الْعَاشِرَةُ: وَعِيدُ النَّائِحَةِ»: كما في قول النبي ﷺ: «النَّائِحَةُ إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا، تُقَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطِرَانٍ وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ».



[٣٠] بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى:

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:١٦٥]

وَقَوْلِهِ: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [التوبة:٢٤].

عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ، وَوَالِدِهِ، وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»[١] أَخْرَجَاهُ.

وَلَهُمَا عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا للهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ»[٢].

وَفِي رِوَايَةٍ: «لَا يَجِدُ أَحَدٌ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ حَتَّى»[٣] إِلَى آخِرِهِ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: «مَنْ أَحَبَّ فِي اللهِ، وَأَبْغَضَ فِي اللهِ، وَوَالَى فِي اللهِ، وَعَادَى فِي اللهِ، فَإِنَّمَا تُنَالُ وَلَايَةُ اللهِ بِذَلِكَ، وَلَنْ يَجِدَ عَبْدٌ طَعْمَ الْإِيمَانِ - وَإِنْ كَثُرَتْ صَلَاتُهُ وَصَوْمُهُ - حَتَّى يَكُونَ كَذَلِكَ، وَقَدْ صَارَتْ عَامَّةُ مُؤَاخَاةِ النَّاسِ

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (١٥)، ومسلم (٤٤).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (١٦)، ومسلم (٤٣).

(٣) صحيح: رواه البخاري (٦٠٤١).

عَلَى أَمْرِ الدُّنْيَا، وَذَلِكَ لَا يُجْدِي عَلَى أَهْلِهِ شَيْئًا»[١]. رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ.

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾ [البقرة:١٦٦]، قَالَ: «المَوَدَّةُ»[٢].

الشَّرْح

قَوْلُهُ: «بَابٌ»: أي هذا الباب في عبادة المحبة.

قَوْلُهُ: «قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾»: أي ومن الناس من يتخذ أيها المؤمنون من دون الله أندادًا، يحبونهم كحبهم الله[٣].

قال ابن كثير في تفسير الآية: «يذكر تعالىٰ حال المشركين به في الدنيا وما لهم في الدار الآخرة حيث جعلوا له أندادًا، أي: أمثالًا ونظراء يعبدونهم معه ويحبونهم كحبه، وهو الله لا إله إلا هو، ولا ضد له ولا ند له، ولا شريك معه»[٤].

قال ابن القيم في تفسير الآية: «فأخبر أن من أحب من دون الله شيئًا، كما يحب الله تعالىٰ، فهو ممن اتخذ من دون الله أندادا، فهذا ند في المحبة، لا في الخلق والربوبية، فإن أحدا من أهل الأرض لم يثبت هذا الند في الربوبية، بخلاف ند المحبة، فإن أكثر أهل الأرض قد اتخذوا من دون الله أندادًا في الحب والتعظيم»[٥].

ثم قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة:١٦٥].

---

(١) **ضعيف**: رواه ابن المبارك في «الزهد» (٣٥٣)، وابن أبي شيبة (٣٤٧٧٠)، ورواه الطبراني في «الكبير» (١٣٥٣٧)، والأصبهاني في «الحلية» (١٣٥٣٧)، عن ابن عمر، وفيه «بيث بن أبي سليم» قال عنه ابن حجر في «التقريب»، صـ(٤٦٤): «صدوق اختلط جدًّا، ولم يتميز حديثه فترك».

(٢) **صحيح**: رواه ابن جرير (٢٤٢٣)، والحاكم (٣٠٧٦)، وصححه، ووافقه الذهبي.

(٣) **انظر**: «تفسير الطبري» (٣/ ٢٧٩)، و«مجموع الفتاوىٰ» (١٠/ ٥٦).

(٤) **انظر**: «تفسير ابن كثير» (١/ ٤٧٦).

(٥) **انظر**: «مدارج السالكين» (٣/ ٢١).

قال الطبري في تفسير الآية: «أخبرهم أن المؤمنين أشد حبا لله، من متخذي هذه الأنداد لأندادهم»[(١)].

وقال ابن كثير في تفسير الآية: «لحبهم لله وتمام معرفتهم به، وتوقيرهم وتوحيدهم له، لا يشركون به شيئًا، بل يعبدونه وحده ويتوكلون عليه، ويلجؤون في جميع أمورهم إليه»[(٢)].

وقال ابن القيم: «في تقدير الآية قولان:

أحدهما: والذين آمنوا أشد حبا لله من أصحاب الأنداد لأندادهم وآلهتهم التي يحبونها، ويعظمونها من دون الله.

والثاني: والذين آمنوا أشد حبا لله من محبة المشركين بالأنداد لله؛ فإن محبة المؤمنين خالصة، ومحبة أصحاب الأنداد قد ذهبت أندادهم بقسطٍ منها، والمحبة الخالصة: أشد من المشتركة.

والقولان مرتبان على القولين في قوله تعالىٰ: ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:١٦٥]؛ فإن فيها قولان.

أحدهما: يحبونهم كما يحبون الله، فيكون قد أثبت لهم محبة الله، ولكنها محبة يشركون فيها مع الله أندادًا.

والثاني: أن المعنىٰ يحبون أندادهم كما يحب المؤمنون الله، ثم بين أن محبة المؤمنين لله أشد من محبة أصحاب الأنداد لأندادهم.

وكان شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ يرجِّح القول الأول، ويقول: إنما ذموا بأن أشركوا بين الله وبين أندادهم في المحبة، ولم يخلصوها لله كمحبة المؤمنين له»[(٣)].

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٣/ ٢٧٩).
(٢) انظر: «تفسير ابن كثير» (١/ ٤٧٦).
(٣) انظر: «مدارج السالكين» (٣/ ٢١).

فائدة: أنواع المحبة ثلاثة أقسام[(١)]:

الأول: محبة الله التي هي أصل الإيمان والتوحيد.

الثاني: المحبة في الله، وهي محبة أنبياء الله ورسله وأتباعهم، ومحبة ما يحبه الله من الأعمال والأزمنة والأمكنة وغيرهم، وهذه تابعة لمحبة الله ومكملة لها.

الثالث: محبة مع الله، وهي محبة المشركين لآلهتهم وأندادهم من شجر، وحجر، وبشر، ومَلَك، وغيرها، وهي أصل الشرك، وأساسه.

قوله: «وقوله: ﴿قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٞ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٤﴾»: يقول تبارك وتعالىٰ لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد للمتخلفين عن الهجرة إلىٰ دار الإسلام، المقيمين بدار الشرك: إن كان المقام مع آبائكم وأبنائكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم، وكانت ﴿وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا﴾ أي: التي اكتسبتموها، ﴿وَتِجَٰرَةٞ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا﴾ أي: بفراقكم بلدكم، ﴿وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ﴾ أي: تحبونها لطيبها وحسنها يعني القصور والمنازل، فسكنتموها ﴿أَحَبَّ إِلَيۡكُم﴾ أي: إن كانت هذه الأشياء أحب إليكم من الهجرة إلىٰ الله ورسوله، من دار الشرك، ﴿وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ﴾، أي في نصرة دين الله الذي ارتضاه، ﴿فَتَرَبَّصُواْ﴾ أي: فانتظروا ماذا يحل بكم من عقابه ونكاله بكم ﴿حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦ﴾ أي: حتىٰ يأتي الله بفتح مكة، وهذا أمر تهديد، ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾، أي: والله لا يوفق ولا يرشد للخير الخارجين عن طاعته وفي معصيته، وهذا تهديد لهؤلاء بحرمان الهداية[(٢)].

---

(١) **انظر:** «زاد المعاد» (٤/ ٢٤٩)، و«القول السديد شرح كتاب التوحيد»، صـ(١٢٨).

(٢) **انظر:** «تفسير الطبري» (١٤/ ١٧٧)، و«التفسير الوجيز»، صـ(٤٥٨)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٣٢٨)، «تفسير ابن كثير» (٤/ ١٢٤).

قَوْلُهُ: «عَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ، وَوَالِدِهِ، وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»»: أي من استكمل الإيمان علم أن حق النبي ﷺ، وفضله آكد عليه من حق أبيه، وابنه، والناس أجمعين؛ لأن بالنبي ﷺ استنقذنا الله من النار، وهُدِينا من الضلال[(١)].

قال الخطابي: «لم يُرِد به حب الطبع بل أراد به حب الاختيار؛ لأن حب الإنسان نفسه طبعٌ، ولا سبيل إلىٰ قلبه، فمعناه: لا تصدُق في حبي حتىٰ تفني في طاعتي نفسك وتؤثر رضاي علىٰ هواك وإن كان فيه هلاكك»[(٢)].

قال العلماء: هذا من جوامع الكلم الذىٰ أوتيه ﷺ؛ لأنه قد جمع في هذه الألفاظ اليسيرة معانىٰ كثيرة؛ لأن أقسام المحبة ثلاثة:

أحدها: محبة إجلال، وعظمة كمحبة الوالد.

والثاني: محبة شفقة، ورحمة كمحبة الولد.

والثالث: محبة استحسان، ومشاكلة كمحبة سائر الناس.

فحصر صنوف المحبة[(٣)].

قال القاضي عياض: «ومن الإشفاق في محبته ﷺ: نصرة سنته والذب عن شريعته، وتمني حضور حياته، فيبذل ماله ونفسه دونه.

وإذا تحقق ما ذكرناه تبين أن حقيقة الإيمان لا تتم إلا بذلك، ولا يصحُّ الإيمان إلا بتحقيق إعلاء قدر النبي ﷺ، ومنزلته علىٰ كل والد وولد، ومحسن ومُفْضِلٍ، ومن لم يعتقد هذا واعتقد سواه فليس بمؤمن»[(٤)].

قَوْلُهُ: «وَلَهُمَا عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ

---

(١) **انظر:** «شرح صحيح البخاري»، لابن بطال (١/ ٦٦)، و«شرح صحيح مسلم» (٢/ ١٦).
(٢) **انظر:** «شرح صحيح مسلم» (٢/ ١٥).
(٣) **انظر:** «شرح صحيح البخاري»، لابن بطال (١/ ٦٦)، و«إكمال المُعلِم بفوائد مسلم» (١/ ٢٨٠).
(٤) **انظر:** «إكمال المُعلِم بفوائد مسلم» (١/ ٢٨٠-٢٨١).

بِهِنَّ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ»: معنىٰ حلاوة الإيمان: استلذاذ الطاعات، وتحمل المشقات في رضىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، ورسوله ﷺ، وإيثار ذلك علىٰ عرَض الدنيا، ومحبة العبد ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بفعل طاعته، وترك مخالفته وكذلك محبة رسول الله ﷺ[1].

قَولُـهُ: «أَنْ يَكُونَ اللهُ، وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا»: أي تكون محبة الله، ورسوله ﷺ في قلبه أعظم من محبة غيرهما، كالنفس والولد، والزوجة، ونحوهم.

قال القاضي عياض: «ومن محبته، ومحبة رسوله ﷺ التزام شريعته، ووقوفه عند حدوده ومحبة أهل ملته، وهو تمام محبته، فيُحب العبد لا يحبه إلا لله؛ لأن من أحبَّ شيئًا أحبَّ ما يُحبهُ، ومن يحبه، ومن هو من سببه،... وإذا حصل هذا بين المؤمنين حصلت منه الألفةُ الموجبة للتعاون علىٰ البر والتقوىٰ، والمزيدة لأمر الدين، والدنيا، والمحبة لله، والبغض فيه من واجبات الإسلام»[2].

قَولُـهُ: «وَأَنْ يُحِبَّ المرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا للهِ»: لا يحبه لغرض وعرض وعوض، ولا يشوب محبته حظ دنيوي ولا أمر بشري، بل محبته تكون خالصة لله تعالىٰ فيكون متصفا بالحب في الله، وداخلا في المتحابين لله[3].

قال يحيىٰ بن معاذ: «حقيقة الحب في الله أن لا يزيد بالبرِّ، ولا ينقص بالجفاء»[4].

وقال ابن بطال: «صفة التحاب في الله تعالىٰ: أن يكون كل واحد منهما لصاحبه في تواصلهما وتحابهما بمنزلة نفسه في كل ما نابه»[5].

---

(١) انظر: «شرح صحيح مسلم» (٢/ ١٣).

(٢) انظر: «إكمال المُعلِم بفوائد مسلم» (١/ ٢٧٩).

(٣) انظر: «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (١/ ٧٥).

(٤) انظر: «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» (١/ ٦٢).

(٥) انظر: «شرح صحيح البخاري»، لابن بطال (٩/ ٢٣٦).

وقال القاضي عياض: «ومعنىٰ حب العبد لله: استقامته في طاعته، والتزامه أوامره ونواهيه في كل شيء، ولهذا قال بعضهم: المحبةُ مواطأة القلب علىٰ ما يُرضي الرب، فيحب ما أحب، ويكره ما كره»[(١)].

قَولُهُ: «وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ»: أي يكره أن يصير في الكفر بعد أن أنقذه الله منه بالإسلام كما يكره أن يُرمىٰ في النار[(٢)].

قال القاضي عياض: «وذلك أنه لا تصح محبة الله ورسوله حقيقة، والحب للغير في الله وكراهة الرجوع إلىٰ الكفر، إلا لمن قوىٰ بالإيمان يقينه، واطمأنت به نفسه، وانشرح له صدره، وخالط دمه ولحمه، وهذا هو الذىٰ وجد حلاوته.

والحب في الله من ثمرات الحب لله»[(٣)].

قَولُهُ: «وَفِي رِوَايَةٍ: «لَا يَجِدُ أَحَدٌ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ حَتَّىٰ»»: شبه ﷺ الإيمان بالعسل بجامع ميل القلوب إليهما، وأسند إليه ما هو من خواص العسل فهو استعارة[(٤)].

قَولُهُ: «وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: «مَنْ أَحَبَّ فِي اللهِ»»: أي أحب أهل الطاعة والإيمان في ذات الله لا لشوب رياء ولا هوىٰ[(٥)].

قَولُهُ: «وَأَبْغَضَ فِي اللهِ»: أي أبغض أهل المعصية والكفر في الله، ومن البغض في الله بغض النفس الأمارة بالسوء وأعداء الدين، وبغضُهما مخالفة أمرهما، والمجاهدة مع النفس بحبسها في طاعة الله بما أمر ونهىٰ ومع أعدائه

---

(١) انظر: «إكمال المُعلِم بفوائد مسلم» (١/ ٢٧٨).

(٢) انظر: «شرح صحيح مسلم» (٢/ ١٤).

(٣) انظر: «إكمال المُعلِم بفوائد مسلم» (١/ ٢٧٨).

(٤) انظر: «إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري» (٩/ ٣٤).

(٥) انظر: «فيض القدير شرح الجامع الصغير» (٢/ ٢٨).

تعالىٰ بالمصابرة معهم، والمرابطة لأجلهم.

وفي هذا الحديث: أنه يجب أن يكون للإنسان أعداء يبغضهم في الله كما له أصدقاء يحبهم في الله تعالىٰ[1].

قَولُه: «وَوَالَى فِي اللهِ»: أي والىٰ ونصر أهل الطاعة والإيمان لله، وهذا من ثمرات المحبة في الله.

قَولُه: «وَعَادَى فِي اللهِ»: أي عادىٰ أهل المعصية والكفر؛ وهذا من ثمرات البغض في الله.

وسمي إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ خليلا؛ لأنه والىٰ في الله تعالىٰ، وعادىٰ فيه[2].

قَولُه: «فَإِنَّمَا تُنَالُ وَلَايَةُ اللهِ بِذَلِكَ»: أي بالحب في الله، والبغض في الله، والولاء، والمعادة.

والوَلاية: هي النُّصرة، أما الوِلاية بكسر الواو: فهي الإمارة[3].

قَولُه: «وَلَنْ يَجِدَ عَبْدٌ طَعْمَ الْإِيمَانِ - وَإِنْ كَثُرَتْ صَلَاتُهُ وَصَوْمُهُ - حَتَّى يَكُونَ كَذَلِكَ»: أي يحب في الله، ويبغض في الله، ويوالي في الله، ويعادي في الله.

وعَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ: «**مَنْ أَحَبَّ للهِ، وَأَبْغَضَ للهِ، وَأَعْطَى للهِ، وَمَنَعَ للهِ فَقَدِ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ**»[4].

وعَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: «**إِنَّ أَوْثَقَ عُرَى الْإِيمَانِ أَنْ تُحِبَّ فِي اللهِ، وَتُبْغِضَ فِي اللهِ**»[5].

---

(١) **انظر**: السابق (٢/ ٢٨).

(٢) **انظر**: «شرح صحيح مسلم» (١٥/ ١٥١).

(٣) **انظر**: «تهذيب اللغة»، مادة «ولي».

(٤) **صحيح**: رواه أبو داود (٤٦٨١)، وصححه الألباني.

(٥) **صحيح**: رواه أحمد (١٨٥٢٤)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٠٠٧).

قَـوْلُـهُ: «وَقَدْ صَارَتْ عَامَّةُ مُؤَاخَاةِ النَّاسِ عَلَى أَمْرِ الدُّنْيَا، وَذَلِكَ لَا يُجْدِي عَلَى أَهْلِهِ شَيْئًا»: أي لا ينفعهم بل يضرهم، كما قال تعالىٰ: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزُّخرُف:٦٧].

فإذا كانت البلوىٰ قد عمت بهذا في زمن ابن عباس خير القرون، فما زاد الأمر بعد ذلك إلا شدة، حتىٰ وقعت الموالاة علىٰ الشرك، والبدع، والفسوق، والعصيان[1].

قَـوْلُـهُ: «وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾ [البقرة:١٦٦]، قَالَ: «المَوَدَّةُ»»: أي الوصلات التي كانت بينهم في الدنيا من الأرحام والمودة، وصارت مخالطتهم عداوة[2].

(١) انظر: «فتح المجيد شرح كتاب التوحيد»، صـ (٣٤٢).

(٢) انظر: «التفسير الوجيز»، صـ (١٤٣).

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: تَفْسِيرُ آيَةِ «الْبَقَرَةِ».

الثَّانِيَةُ: تَفْسِيرُ آيَةِ «بَرَاءَةَ».

الثَّالِثَةُ: وُجُوبُ مَحَبَّتِهِ ﷺ عَلَى النَّفْسِ، وَالْأَهْلِ، وَالمالِ.

الرَّابِعَةُ: أَنَّ نَفْيَ الْإِيمَانِ لَا يَدُلُّ عَلَى الخُرُوجِ مِنَ الْإِسْلَامِ.

الخَامِسَةُ: أَنَّ لِلْإِيمَانِ حَلَاوَةً قَدْ يَجِدُهَا الْإِنْسَانُ، وَقَدْ لَا يَجِدُهَا.

السَّادِسَةُ: أَعْمَالُ الْقَلْبِ الْأَرْبَعُ الَّتِي لَا تُنَالُ وَلَايَةُ اللهِ إِلَّا بِهَا، وَلَا يَجِدُ أَحَدٌ طَعْمَ الْإِيمَانِ إِلَّا بِهَا.

السابعةُ: فَهْمُ الصَّحَابِيِّ لِلْوَاقِعِ أَنَّ عَامَّةَ المؤَاخَاةِ عَلَى أَمْرِ الدُّنْيَا.

الثَّامِنَةُ: تَفْسِيرُ ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾[البقرة:١٦٦].

التَّاسِعَةُ: أَنَّ مِنَ المشْرِكِينَ مَنْ يُحِبُّ اللهَ حُبًّا شَدِيدًا.

الْعَاشِرَةُ: الْوَعِيدُ عَلَى مَنْ كَانَتِ الثَّمَانِيَةُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ دِينِهِ.

الحَادِيَةَ عَشْرَةَ: أَنَّ مَنِ اتَّخَذَ نِدًّا تُسَاوِي مَحَبَّتُهُ مَحَبَّةَ اللهِ، فَهُوَ الشِّرْكُ الْأَكْبَرُ.

الشَّرْح

قَوْلُهُ: «الْأُولَى: تَفْسِيرُ آيَةِ «الْبَقَرَةِ»»: أي قوله تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾[البقرة:١٦٥].

قَوْلُهُ: «الثَّانِيَةُ: تَفْسِيرُ آيَةِ «بَرَاءَةَ»»: أي قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾[التوبة:٢٤].

قَوْلُهُ: «الثَّالِثَةُ: وُجُوبُ مَحَبَّتِهِ ﷺ عَلَى النَّفْسِ، وَالْأَهْلِ، وَالمالِ»: كما في قوله

ﷺ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ، وَوَالِدِهِ، وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ».

قَوْلُهُ: «الرَّابِعَةُ: أَنَّ نَفْيَ الْإِيمَانِ لَا يَدُلُّ عَلَى الْخُرُوجِ مِنَ الْإِسْلَامِ»: أي قوله ﷺ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ..» لا يدل علىٰ نفي الإيمان بالكلية، وإنما يدل علىٰ نفي الإيمان الكامل.

قَوْلُهُ: «الخَامِسَةُ: أَنَّ لِلْإِيمَانِ حَلَاوَةً قَدْ يَجِدُهَا الْإِنْسَانُ، وَقَدْ لَا يَجِدُهَا»: كما في قوله ﷺ: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ..».

قَوْلُهُ: «السَّادِسَةُ: أَعْمَالُ الْقَلْبِ الْأَرْبَعُ الَّتِي لَا تُنَالُ وَلَايَةُ اللهِ إِلَّا بِهَا، وَلَا يَجِدُ أَحَدٌ طَعْمَ الْإِيمَانِ إِلَّا بِهَا»: أي الحب في الله، والبغض في الله، والولاء في الله، والمعاداة في الله.

قَوْلُهُ: «السابعة: فَهْمُ الصِّحَابِيِّ لِلْوَاقِعِ أَنَّ عَامَّةَ المؤَاخَاةِ عَلَى أَمْرِ الدُّنْيَا»: أي من أجل عَرَض، أو غرض من الدنيا، وهذا لا ينفع.

قَوْلُهُ: «الثَّامِنَةُ: تَفْسِيرُ ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾»: أي الوصلات التي كانت بينهم في الدنيا من الأرحام والمودة.

قَوْلُهُ: «التَّاسِعَةُ: أَنَّ مِنَ المشْرِكِينَ مَنْ يُحِبُّ اللهَ حُبًّا شَدِيدًا»: كما في قوله تعالىٰ: ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾[البقرة:١٦٥].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾[البقرة:١٦٥].

فأثبت الله للمشركين محبة له ﷻ.

قَوْلُهُ: «الْعَاشِرَةُ: الْوَعِيدُ عَلَى مَنْ كَانَتِ الثَّمَانِيَةُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ دِينِهِ»: كما في قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ﴾ [التوبة:٢٤].

قَولُـهُ: «الحَادِيَةَ عَشْرَةَ: أَنَّ مَنِ اتَّخَذَ نِدًّا تُسَاوِي مَحَبَّتُهُ مَحَبَّةَ اللهِ، فَهُوَ الشِّرْكُ الْأَكْبَرُ»: لأن المحبة عبادة، ومن صرف العبادة لغير الله أشرك، كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾﴾ [البقرة:١٦٥- ١٦٧].



[٣١] باب قول الله تعالى:

﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (١٧٥)﴾ [آل عمران:١٧٥]

وَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ ۖ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ (١٨)﴾ [التوبة:١٨].

وَقَوْلِهِ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ ۚ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ (١٠)﴾ [العنكبوت:١٠].

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه مَرْفُوعًا: «إِنَّ مِنْ ضَعْفِ الْيَقِينِ أَنْ تُرْضِيَ النَّاسَ بِسَخَطِ اللهِ، وَأَنْ تَحْمَدَهُمْ عَلَى رِزْقِ اللهِ، وَأَنْ تَذُمَّهُمْ عَلَى مَا لَمْ يُؤْتِكَ اللهُ، إِنَّ رِزْقَ اللهِ لَا يَجُرُّهُ حِرْصُ حَرِيصٍ، وَلَا يَرُدُّهُ كَرَاهِيَةُ كَارِهٍ»(١).

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَنِ الْتَمَسَ رِضَا اللهِ بِسَخَطِ النَّاسِ؛ رَضِيَ اللهُ عنهُ، وَأَرْضَى عَنْهُ النَّاسَ، وَمَنِ الْتَمَسَ رِضا النَّاسِ بِسَخَطِ اللهِ سَخِطَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَسْخَطَ عَلَيْهِ النَّاسَ»(٢) رَوَاهُ ابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ.

---

(١) ضعيف: رواه الأصبهاني في «الحلية» (٥/ ١٠٦)، والبيهقي في «الشعب» (٢٠٣)، وقال: «فيه محمد بن مروان ضعيف».

(٢) صحيح: رواه ابن حبان (١٥٤٢)، واللفظ له، والترمذي (٢٤١٤)، وصححه الألباني.
ولفظ الترمذي: «مَنِ التَمَسَ رِضَاءَ اللهِ بِسَخَطِ النَّاسِ كَفَاهُ اللهُ مُؤْنَةَ النَّاسِ، وَمَنِ التَمَسَ رِضَاءَ النَّاسِ بِسَخَطِ اللهِ وَكَلَهُ اللهُ إِلَى النَّاسِ».

الشَّرْح

قَوْلُهُ: «بَابٌ»: هذا الباب في عبادة الخوف.

فائدة: الخوف أربعة أقسام(١):

أحدها: خوف السر: هو أن يخاف من غير الله أن يصيبه بما يشاء من مرض، أو فقر، أو قتل، ونحو ذلك بقدرته ومشيئته، سواء ادعىٰ أن ذلك كرامة للمخوف بالشفاعة، أو علىٰ سبيل الاستقلال، فهذا الخوف لا يجوز تعلقه بغير الله أصلًا؛ لأن هذا من لوازم الإلهية، فمن اتخذ مع الله ندًّا يخافه هذا الخوف فهو مشرك.

وهذا هو الذي كان المشركون يعتقدونه في أصنامهم وآلهتهم.

وهذا هو الواقع اليوم من عباد القبور، فإنهم يخافون الصالحين بل الطواغيت، كما يخافون الله بل أشد.

الثاني: خوف محرم: هو أن يترك الإنسان ما يجب عليه من الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بغير عذر إلا لخوف من الناس، وهو الذي نزلت فيه الآية المترجم لها.

الثالث: خوف عبادة: هو الخوف من وعيد الله الذي توعد به العصاة وهو الذي قال الله فيه: ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ١٤﴾[إبراهيم:١٤].

وقال: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ٤٦﴾[الرحمن:٤٦].

وهذا الخوف من أعلىٰ مراتب الإيمان، ونسبة الأول إليه كنسبة الإسلام إلىٰ الإحسان وإنما يكون محمودًا إذا لم يوقع في القنوط واليأس من روح الله، ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية: هذا الخوف ما حجزك عن معاصي الله، فما زاد علىٰ ذلك، فهو غير محتاج إليه.

---

(١) انظر: «تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد»، صـ(٤١٦-٤١٩).

الرابع: الخوف الطبيعي: كالخوف من عدو وسبع وهدم وغرق ونحو ذلك، فهذا لا يذم، وهو الذي ذكره الله عن موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ في قوله: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾[القصص:٢١].

قَوْلُهُ: «قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾»: أي يخوِّفكم بأوليائه يعني: الكفار[(١)].

قال السُّدِّي: «يعظِّم أولياءه في صدورهم؛ ليخافوهم»[(٢)].

قَوْلُهُ: «﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ﴾»: أي في ترك أمري[(٣)].

قَوْلُهُ: «﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾»: أي إن كنتم مصدقين لوعدي؛ لأني متكفِّل لكم بالنصر، والظَّفَر[(٤)].

قال الطبري في تفسير الآية: «أي إنما الذي قال لكم أيها المؤمنون: ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ﴾ [آل عمران:١٧٣]، فخوَّفوكم بجموع عدوكم ومسيرهم إليكم، من فِعل الشيطان ألقاه علىٰ أفواه من قال ذلك لكم، يخوِّفكم بأوليائه من المشركين -أبي سفيان وأصحابه من قريش- لترهبوهم، وتجبنوا عنهم»[(٥)].

قَوْلُهُ: «وَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ﴾»: أي بزيارتها والقعود فيها[(٦)].

قَوْلُهُ: «﴿مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ﴾»: أي المصدق بوحدانية الله، المخلص له العبادة[(٧)].

---

(١) انظر: «التفسير الوجيز»، صـ(٢٤٣)، و«تفسير البغوي» (١/ ٥٤٢)، و«تفسير ابن كثير» (٢/ ١٣٩).
(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (٣/ ٢١٤).
(٣) انظر: «التفسير الوجيز»، صـ(٢٤٣).
(٤) انظر: «التفسير الوجيز»، صـ(٢٤٣)، و«تفسير البغوي» (١/ ٥٤٢).
(٥) انظر: «تفسير الطبري» (٧/ ٤١٦).
(٦) انظر: «التفسير الوجيز»، صـ(٤٥٧).
(٧) انظر: «تفسير الطبري» (١٤/ ١٦٧).

قَولُه: «﴿وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾»: أي الذي يصدق ببعث الله الموتىٰ أحياء من قبورهم يوم القيامة[١].

قَولُه: «﴿وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾»: أي المكتوبة[٢] التي هي أكبر عبادات البدن[٣]، والتي هي أفضل الأعمال المتعدية إلىٰ برِّ الخلائق[٤].

قَولُه: «﴿وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ﴾»: أي الواجبة عليه في ماله إلىٰ من أوجبها الله له[٥].

والمعنى: من كان بهذه الصفة فهو من أهل عمارة المسجد[٦].

قَولُه: «﴿وَلَمۡ يَخۡشَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾»: أي لم يخف في الدين غير الله، ولم يترك أمر الله ونهيه لخشية غيره[٧]، ولم يرهب عقوبة شيء علىٰ معصيته إياه سوىٰ الله[٨].

قَولُه: «﴿فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾»: أي فخليق بأولئك الذين هذه صفتهم أن يكونوا عند الله ممن قد هداه الله للحق وإصابة الصواب[٩]، وهم المهتدون، والمتمسكون بطاعة الله التي تؤدي إلىٰ الجنة[١٠].

وعسىٰ من الله واجب[١١].

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١٤/ ١٦٧).
(٢) انظر: «تفسير الطبري» (١٤/ ١٦٧).
(٣) انظر: «تفسير ابن كثير» (٤/ ١٢١).
(٤) انظر: «تفسير ابن كثير» (٤/ ١٢١).
(٥) انظر: «تفسير الطبري» (١٤/ ١٦٧).
(٦) انظر: «التفسير الوجيز»، صـ (٤٥٧).
(٧) انظر: «التفسير الوجيز»، صـ (٤٥٧)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٣٢٣).
(٨) انظر: «تفسير الطبري» (١٤/ ١٦٧).
(٩) انظر: «تفسير الطبري» (١٤/ ١٦٧).
(١٠) انظر: «التفسير الوجيز»، صـ (٤٥٧).
(١١) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ٣٢٤).

قَـوْلُـهُ: «وَقَوْلِهِ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾»: أي أقررنا بالله فوحَّدناه[(١)].

قَـوْلُـهُ: «﴿فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ﴾»: أي أصابه بلاء من الناس[(٢)].

قَـوْلُـهُ: «﴿جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾»: أي جعل أذية الناس وعذابهم له، كعذاب الله في الآخرة، فارتدَّ عن إيمانه بالله راجعا إلىٰ الكفر به[(٣)]، وجزع من ذلك كما يجزع من عذاب الله ولا يصبر علىٰ الأذية في الله[(٤)]، فأطاع الناس كما يطيع الله من خاف من عذابه[(٥)].

قَـوْلُـهُ: «﴿وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ﴾»: أي إذا جاء أهلَ الإيمان بالله نصرٌ وفتح من ربك يا محمد ﷺ[(٦)].

قَـوْلُـهُ: «﴿لَيَقُولُنَّ﴾»: أي هؤلاء المرتدون عن إيمانهم الجاعلون فتنة الناس كعذاب الله حين أوذوا[(٧)].

قَـوْلُـهُ: «﴿إِنَّا كُنَّا﴾»: أي كنا أيها المؤمنون علىٰ عدوكم وكنا مسلمين وإنما أُكرهنا حتىٰ قلنا ما قلنا[(٨)]، وهم كاذبون[(٩)].

قَـوْلُـهُ: «﴿مَعَكُمْ﴾»: أي ننصركم علىٰ أعدائكم كذبا وإفكا[(١٠)].

قَـوْلُـهُ: «﴿أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ﴾»: أي إنه عالم بإيمان المؤمن وكفر الكافر[(١)]

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٢٠/ ١٢).
(٢) انظر: السابق (٣/ ٥٥١).
(٣) انظر: «تفسير الطبري» (٢٠/ ١٢)، و«التفسير الوجيز»، صـ(٨٢٩).
(٤) انظر: التفسير الوجيز، صـ(٨٢٩).
(٥) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٥٥٢).
(٦) انظر: «تفسير الطبري» (٢٠/ ١٢)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٥٥٢).
(٧) انظر: «تفسير الطبري» (٢٠/ ١٢)، و«التفسير الوجيز»، صـ(٨٢٩).
(٨) انظر: «تفسير الطبري» (٢٠/ ١٢)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٥٥٢).
(٩) انظر: «التفسير الوجيز»، صـ(٨٢٩).
(١٠) انظر: «تفسير الطبري» (٢٠/ ١٢).

أيها القوم من كل أحد[٢].

قَوْلُهُ: «﴿بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ﴾»: أي بما في صدور جميع خلقه القائلين: آمنا بالله، وغيرهم، فإذا أوذي في الله ارتد عن دين الله فكيف يخادع من كان لا يخفى عليه خافية، ولا يستتر عنه سرًّا ولا علانية[٣].

قال ابن كثير في تفسير الآية: «يقول تعالى مخبرا عن صفات قوم من المكذبين الذين يدعون الإيمان بألسنتهم، ولم يثبت الإيمان في قلوبهم، بأنهم إذا جاءتهم فتنة ومحنة في الدنيا اعتقدوا أن هذا من نقمة الله تعالى بهم، فارتدوا عن الإسلام؛ ولهذا قال: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ﴾.

قال ابن عباس: يعني فتنته أن يرتد عن دينه إذا أوذي في الله، وكذا قال غيره من علماء السلف.

ثم قال: ﴿وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ﴾ أي: ولئن جاء نصر قريب من ربك -يا محمد- وفتح ومغانم، ليقولن هؤلاء لكم: إنا كنا معكم، أي كنا إخوانكم في الدين، كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء:١٤١]، وقال تعالى: ﴿فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [المائدة:٥٢].

وقال تعالى مخبرا عنهم هاهنا: ﴿وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ﴾.

---

(١) انظر: «التفسير الوجيز»، صـ(٨٢٩).

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (٢٠/ ١٢).

(٣) انظر: «تفسير الطبري» (٢٠/ ١٢-١٣).

ثم قال تعالىٰ: ﴿أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أي: أوليس الله بأعلم بما في قلوبهم، وما تكنه ضمائرهم، وإن أظهروا لكم الموافقة؟»[1].

قَولُهُ: «عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ مَرْفُوعًا: «إِنَّ مِنْ ضَعْفِ الْيَقِينِ أَنْ تُرْضِيَ النَّاسَ بِسَخَطِ اللهِ»»: إذ لولا ضعفه لما فعل ذلك؛ لأن من قوي يقينه علم أن الله تعالىٰ هو النافع الضار، وأنه لا معوَّل إلا علىٰ رضاه، وليس لأحد غيره من الأمر شيء فلا يهاب أحدًا ولا يخشاه حتىٰ يرضيه لخوف لحوقِ ضرر منه إليه[2].

قال ابن تيمية: «إن اليقين يتضمن اليقين في القيام بأمر الله وما وعد الله أهل طاعته، ويتضمن اليقين بقدر الله وخلقه وتدبيره، فإذا أرضيتهم بسخط الله لم تكن موقِنا لا بوعده ولا برزقه، فإنه إنما يحمل الإنسان علىٰ ذلك إما ميل إلىٰ ما في أيديهم من الدنيا، فيترك القيام فيهم بأمر الله؛ لما يرجوه منهم، وإما ضعف تصديق بما وعد الله أهل طاعته من النصر والتأييد والثواب في الدنيا والآخرة، فإنك إذا أرضيت الله نصرك ورزقك وكفاك مؤنتهم، فإرضاؤهم بسخطه إنما يكون خوفا منهم ورجاء لهم؛ وذلك من ضعف اليقين وإذا لم يقدر لك ما تظن أنهم يفعلونه معك، فالأمر في ذلك إلىٰ الله لا لهم، فإنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن فإذا ذممتهم علىٰ ما لم يقدر كان ذلك من ضعف يقينك فلا تخفهم، ولا ترجهم، ولا تذمهم من جهة نفسك وهواك؛ لكن من حمده الله ورسوله ﷺ فهو المحمود ومن ذمه الله ورسوله ﷺ فهو المذموم»[3].

قَولُهُ: «وَأَنْ تَحْمَدَهُمْ عَلَىٰ رِزْقِ اللهِ»: أي تصفهم بالجميل علىٰ ما وصل

---

(١) انظر: «تفسير ابن كثير» (٦/ ١٦٥-١٦٦).
(٢) انظر: «فيض القدير شرح الجامع الصغير» (٢/ ٥٣٩).
(٣) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (١/ ٥١-٥٢).

إليك علىٰ يدهم من رزق الله؛ لأن الله هو الرزاق وحده[(١)].

قَـوْلُـهُ: «وَأَنْ تَذُمَّهُمْ عَلَى مَا لَمْ يُؤْتِكَ اللهُ»: أي علىٰ ما منعهم ما بأيديهم عنك مع أن المانع إنما هو الله لا هم، فإنهم مأمورون مسخَّرون[(٢)].

قَـوْلُـهُ: «إِنَّ رِزْقَ اللهِ لَا يَجُرُّهُ حِرْصُ حَرِيصٍ»: أي اجتهاد مجتهِد متهالِكٍ علىٰ تحصيله، والحرص: الشُّح علىٰ الشيء أن يضيع، أو يتلف[(٣)].

قَـوْلُـهُ: «وَلَا يَرُدُّهُ كَرَاهِيَةُ كَارِهٍ»: أي ولا يرده عنك إن كره أحد حصوله لك، فما لم يقدّر لك لم يأتك علىٰ كل حال، وما قُدِّر لك خرَق الحجاب، وطرق عليك الباب[(٤)].

قَـوْلُـهُ: «وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَنِ الْتَمَسَ رِضَا اللهِ بِسَخَطِ النَّاسِ»»: أي من طلب رضاه في شيء يسخط الناس عليه بسببه[(٥)].

السخط: الكراهة للشيء، وعدم الرضا به.

قَـوْلُـهُ: «رَضِيَ اللهُ عنهُ، وَأَرْضَى عَنْهُ النَّاسَ»: فيه إثبات صفة الرضا لله تعالىٰ علىٰ الوجه الذي يليق به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قَـوْلُـهُ: «وَمَنِ الْتَمَسَ رِضا النَّاسِ بِسَخَطِ اللهِ»: أي من التمس محامد الناس بسخط الله، عاد حامده من الناس ذاما له[(٦)].

قَـوْلُـهُ: «سَخِطَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَسْخَطَ عَلَيْهِ النَّاسَ»: فيه إثبات صفة السَّخط لله تعالىٰ علىٰ الوجه الذي يليق به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

---

(١) انظر: «فيض القدير شرح الجامع الصغير» (٢/ ٥٣٩).
(٢) انظر: «فيض القدير شرح الجامع الصغير» (٢/ ٥٣٩).
(٣) انظر: «فيض القدير شرح الجامع الصغير» (٢/ ٥٣٩).
(٤) انظر: «فيض القدير شرح الجامع الصغير» (٢/ ٥٣٩).
(٥) انظر: «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٨/ ٣٢٠٤).
(٦) انظر: «جامع العلوم والحكم» (١/ ٤١١).

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: تَفْسِيرُ آيَةِ «آلِ عِمْرَانَ».

الثَّانِيَةُ: تَفْسِيرُ آيَةِ «بَرَاءَة».

الثَّالِثَةُ: تَفْسِيرُ آيَةِ «الْعَنْكَبُوتِ».

الرَّابِعَةُ: أَنَّ الْيَقِينَ يَضْعُفُ، وَيَقْوَى.

الخَامِسَةُ: عَلَامَةُ ضَعْفِهِ، وَمِنْ ذَلِكَ هَذِهِ الثَّلَاثُ.

السَّادِسَةُ: أَنَّ إِخْلَاصَ الخَوْفِ للهِ مِنَ الْفَرَائِضِ.

السَّابِعَةُ: ذِكْرُ ثَوَابِ مَنْ فَعَلَهُ.

الثَّامِنَةُ: ذِكْرُ عِقَابِ مَنْ تَرَكَهُ.

الشَّرْح

قَولُهُ: «الْأُولَى: تَفْسِيرُ آيَةِ «آلِ عِمْرَانَ»»: أي قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾[آل عمران:١٧٥].

قَولُهُ: «الثَّانِيَةُ: تَفْسِيرُ آيَةِ «بَرَاءَة»»: أي قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾﴾[التوبة:١٨].

قَولُهُ: «الثَّالِثَةُ: تَفْسِيرُ آيَةِ «الْعَنْكَبُوتِ»»: أي قوله تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾﴾[العنكبوت:١٠].

قَولُهُ: «الرَّابِعَةُ: أَنَّ الْيَقِينَ يَضْعُفُ، وَيَقْوَى»: كما في قوله ﷺ: «إِنَّ مِنْ

ضَعْفِ الْيَقِينِ».

قَـوْلُـهُ: «الخَامِسَةُ: عَلَامَةُ ضَعْفِهِ، وَمِنْ ذَلِكَ هَذِهِ الثَّلَاثُ»: هي:

- أَنْ تُرْضِيَ النَّاسَ بِسَخَطِ اللهِ.
- وَأَنْ تَحْمَدَهُمْ عَلَىٰ رِزْقِ اللهِ.
- وَأَنْ تَذُمَّهُمْ عَلَىٰ مَا لَمْ يُؤْتِكَ اللهُ.

قَـوْلُـهُ: «السَّادِسَةُ: أَنَّ إِخْلَاصَ الخَوْفِ للهِ مِنَ الْفَرَائِضِ»: لقوله تعالىٰ: ﴿وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾، فجعل الإيمان متوقِّفا عليه.

قَـوْلُـهُ: «السَّابِعَةُ: ذِكْرُ ثَوَابِ مَنْ فَعَلَهُ»: أي من خاف اللهَ وأرضاه رضي اللهُ عنه، وأرضىٰ الناس عليه.

قَـوْلُـهُ: «الثَّامِنَةُ: ذِكْرُ عِقَابِ مَنْ تَرَكَهُ»: أي من أرضىٰ الناس، وأسخط الناس، سخط اللهُ عليه، وسخط الناس عليه.



[٣٢] بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى:

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [المائدة:٢٣]

وَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ﴾ [الأنفال:٢] الآيَة.

وَقَوْلِهِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ﴾ [الأنفال:٦٤] الآيَة.

وَقَوْلِهِ: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ﴾ [الطلاق:٣] الآيَة.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: «﴿حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ﴾ [آل عمران:١٧٣] قَالَهَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَقَالَهَا مُحَمَّدٌ ﷺ حِينَ قَالُوا لَهُ: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا﴾ [آل عمران:١٧٣] الآيَةَ»[(١)]. رَوَاهُ البُخَارِيُّ، وَالنَّسَائِيُّ.

الشَّرْح

قَوْلُهُ: «بَابُ»: أي في عبادة التوكل.

والتوكل: هو أن يقيم الإنسانُ غيرَه في أموره، أو بعضها[(٢)].

فائدة: التوكل قسمان[(٣)]:

أحدهما: التوكل في الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله، كالذين يتوكلون على الأموات، والطواغيت في رجاء مطالبهم من النصر والحفظ والرزق والشفاعة، فهذا شرك أكبر فإن هذه الأمور ونحوها لا يقدر عليها إلا الله تبارك وتعالى.

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٤٥٦٣)، والنسائي في «الكبرى» (١١٠١٦).

(٢) انظر: «تهذيب اللغة»، و«لسان العرب»، مادة «وكل».

(٣) انظر: «جامع المسائل»، لابن تيمية (١/ ٨٩-٩٠)، و«تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد»، صـ (٤٢٨-٤٢٩)، و«فتح المجيد شرح كتاب التوحيد»، صـ (٣٥٣).

الثاني: التوكل في الأسباب الظاهرة، كمن يتوكل علىٰ أمير أو سلطان فيما أقدره الله تعالىٰ عليه من رزق، أو دفع أذىٰ ونحو ذلك، فهو نوع شرك أصغر.

والوكالة الجائزة: هي توكيل الإنسان غيره في فعل ما يقدر عليه نيابة عنه، لكن ليس له أن يعتمد عليه في حصول ما وُكل فيه، بل يتوكل علىٰ الله في تيسير أمره الذي يطلبه بنفسه أو نائبه، وذلك من جملة الأسباب التي يجوز فعلها، ولا يعتمد عليها بل يعتمد علىٰ المسبِّب الذي أوجد السببَ والمسبَّب.

قال ابن تيمية: «إن الله كافي من توكل عليه، وإنه يتولىٰ عبده توليًّا حسنا، وينصره نصرًا عزيزًا»[1]، و«من توكَّل علىٰ غير الله ورجاه خُذِل من جهته وحُرِم»[2].

وقال ابن القيم: «من توكل علىٰ الله وحده كفاه من غيره»[3]، و«ما خاب من توكل عليه، ولاذ به، ولجأ إليه»[4]، و«من توكّل علىٰ غير الله فقد شبّهه به»[5].

قَولُـهُ: «قَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾»: هذا يدل علىٰ انتفاء الإيمان عند انتفاء التوكل، فمن لا توكل له لا إيمان له[6].

قال ابن كثير في تفسير الآية: «أي متىٰ توكلتم علىٰ الله واتبعتم أمره، ووافقتم رسوله، نصركم الله علىٰ أعدائكم وأيدكم وظفركم بهم»[7].

قال ابن تيمية: «القلب لا يتوكل إلا علىٰ من يرجوه، فمن رجا قوته، أو عمله، أو علمه، أو حاله، أو صديقه، أو قرابته، أو شيخه، أو مُلْكه، أو ماله غير

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (١٦/ ٤٤٩).

(٢) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (٨/ ١٦٥).

(٣) انظر: «مفتاح دار السعادة»، لابن القيم (٢/ ٢٥٦).

(٤) انظر: «مدارج السالكين» (١/ ٤٣١).

(٥) انظر: «الداء والدواء»، لابن القيم، صـ(٣١٥).

(٦) انظر: «مدارج السالكين» (٢/ ١٢٨)، و«طريق الهجرتين»، صـ(٢٥٥).

(٧) انظر: «تفسير ابن كثير» (٣/ ٧٧).

ناظر إلىٰ الله كان فيه نوع توكل علىٰ ذلك السبب، وما رجا أحد مخلوقا أو توكل عليه إلا خاب ظنه فيه، فإنه مشرك: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾﴾ [الحج:٣١]»[(١)].

قَوْلُهُ: «وَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾»: أي ليس المؤمن بالذي يخالف الله ورسوله، ويترك اتباع ما أنزله إليه في كتابه من حدوده وفرائضه، والانقياد لحكمه، ولكن المؤمن هو الذي إذا ذكر الله وجِل قلبه، وانقاد لأمره، وخضع لذكره، خوفًا منه، وفرَقًا من عقابه[(٢)].

قَوْلُهُ: «﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾»: أي إذا قرئت عليه آيات كتابه صدَّق بها، وأيقن أنها من عند الله، فازداد بتصديقه بذلك إلىٰ تصديقه بما كان قد بلغه منه قبل ذلك تصديقا[(٣)].

والآية فيها دليل على زيادة الإيمان.

قال ابن بطة: «اعلموا رحمكم الله أن الله عَزَّوَجَلَّ تفضل بالإيمان علىٰ من سبقت له الرحمة في كتابه، ومن أحب أن يسعده، ثم جعل المؤمنين في الإيمان متفاضلين، ورفع بعضهم فوق بعض درجات ثم جعله فيهم يزيد ويقوىٰ بالمعرفة والطاعة، وينقص ويضعف بالغفلة والمعصية، وبهذا نزل الكتاب، وبه مضت السنة، وعليه أجمع العقلاء من أئمة الأمة، ولا ينكر ذلك ولا يخالفه إلا مرجيء خبيث، قد مرض قلبه، وزاغ بصره، وتلاعبت به إخوانه من الشياطين، فهو من الذين قال الله عَزَّوَجَلَّ فيهم: ﴿وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾﴾ [الأعراف:٢٠٢]»[(٤)].

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (١٠/ ٢٥٧).

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (١٣/ ٣٨٥).

(٣) انظر: السابق (١٣/ ٣٨٥).

(٤) انظر: «الإبانة الكبرىٰ»، لابن بطة (٢/ ٨٣٢).

وقال ابن تيمية: «الصحابة قد ثبت عنهم أن الإيمان يزيد وينقص، وهو قول أئمة السنة، وكان ابن المبارك يقول: هو يتفاضل ويتزايد، ويمسك عن لفظ ينقص، وعن مالك في كونه لا ينقص روايتان، والقرآن قد نطق بالزيادة في غير موضع ودلت النصوص علىٰ نقصه كقوله: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن»(١)، ونحو ذلك لكن لم يعرف هذا اللفظ إلا في قوله في النساء «ناقصات عقل ودين»(٢)، وجعل من نقصان دينها أنها إذا حاضت لا تصوم ولا تصلي، وبهذا استدل غير واحد علىٰ أنه ينقص؛ وذلك أن أصل أهل السنة أن الإيمان يتفاضل من وجهين: من جهة أمر الرب، ومن جهة فعل العبد»(٣).

قَولُـهُ: «﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾»: أي وبالله يوقنون في أن قضاءه فيهم ماض، فلا يرجون غيره، ولا يرهبون سواه(٤).

قال ابن كثير: «وهذه صفة المؤمن حَقَّ المؤمن الذي إذا ذكر الله وجل قلبه، أي: خاف منه، ففعل أوامره، وترك زواجره»(٥).

قال ابن تيمية: «فوصَف المؤمنين حقا بأنهم إذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا؛ أما المعارضون لآياته إذا تليت عليهم آياته لم تزدهم إيمانا، بل ربما ونفاقا»(٦)، «وإنما يتوكلون عليه لطمأنينتهم إلىٰ كفايته، وأنه سبحانه حسب من توكل عليه؛ يهديه، وينصره، ويرزقه بفضله، ورحمته، وجوده، فالتوكل عليه يتضمن الطُّمأنينة إليه، والاكتفاء به عما سواه»(٧).

---

(١) **متفق عليه:** وراه البخاري (٢٤٧٥)، ومسلم (٥٧)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) **متفق عليه:** رواه البخاري (٣٠٤)، ومسلم (٧٩)، من حديث أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) **انظر:** «مجموع الفتاوىٰ» (١٣/ ٥٠-٥١).

(٤) **انظر:** «تفسير الطبري» (١٣/ ٣٨٥).

(٥) **انظر:** «تفسير ابن كثير» (٤/ ١١).

(٦) **انظر:** «درء تعارض العقل والنقل» (٥/ ٣٣٦).

(٧) **انظر:** «النبوات»، لابن تيمية (١/ ٣٧٩-٣٨٠).

قَولُه: «وَقَوْلِهِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٦٤﴾»: أي يكفيك الله ويكفي من اتبعك من المؤمنين[١]، ومؤيدكم بنصره[٢].

قال ابن كثير في تفسير الآية: «يحرض تعالىٰ نبيه، صلوات الله وسلامه عليه، والمؤمنين علىٰ القتال ومناجزة الأعداء ومبارزة الأقران، ويخبرهم أنه حسبهم، أي: كافيهم وناصرهم ومؤيدهم علىٰ عدوهم، وإن كثرت أعدادهم وترادفت أمدادهم، ولو قل عدد المؤمنين»[٣].

قَولُه: «وَقَوْلِهِ: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾»: أي ومن يتق الله في أموره، ويفوضها إليه فهو كافيه[٤].

قَولُه: «وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: «﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾»»: أي يكفينا الله، وهو نعم المولىٰ لمن وليه وكفله[٥].

قال الطبري: «وإنما وصف تعالىٰ نفسه بذلك؛ لأن الوكيل في كلام العرب هو المسنَد إليه القيام بأمر من أسند إليه القيام بأمره، فلما كان القوم الذين وصفهم الله بما وصفهم به في هذه الآيات قد كانوا فوضوا أمرهم إلىٰ الله، ووثقوا به، وأسندوا ذلك إليه، وصف نفسه بقيامه لهم بذلك، وتفويضهم أمرهم إليه بالوكالة فقال: ونعم الوكيل الله تعالىٰ لهم»[٦].

قَولُه: «قَالَهَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ»: كما قال تعالىٰ: ﴿قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ۝٦٨ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ۝٦٩ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ۝٧٠﴾[الأنبياء:٦٨-٧٠].

---

(١) انظر: «التفسير الوجيز»، صـ(٤٤٧).
(٢) انظر: «تفسير الطبري» (١٤/ ٤٩).
(٣) انظر: «تفسير ابن كثير» (٤/ ٨٦).
(٤) انظر: «تفسير الطبري» (٢٣/ ٤٤٨).
(٥) انظر: «تفسير الطبري» (٧/ ٤٠٥).
(٦) انظر: «تفسير الطبري» (٧/ ٤٠٥).

قَولُه: «وَقَالَهَا مُحَمَّدٌ ﷺ حِينَ قَالُوا لَهُ: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ﴾»: أي إن أبا سفيان وأصحابه من قريش الذين كانوا معه بأحد[1].

قَولُه: «﴿قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ﴾»: أي قد جمعوا الرجال للقائكم، والكرَّة إليكم لحربكم[2].

قَولُه: «﴿فَٱخۡشَوۡهُمۡ﴾»: أي فاحذروهم واتقوا لقاءهم، فإنه لا طاقة لكم بهم[3].

قَولُه: «﴿فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنًا﴾»: أي فزادهم ذلك من تخويف من خوفهم أمر أبي سفيان وأصحابه من المشركين يقينا إلىٰ يقينهم، وتصديقًا لله ولوعده ووعد رسوله إلىٰ تصديقهم، ولم يثنهم ذلك عن وجههم الذي أمرهم رسول الله ﷺ بالسير فيه، ولكن ساروا حتىٰ بلغوا رضوان الله منه[4].

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٧/ ٤٠٥).

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (٧/ ٤٠٥).

(٣) انظر: «تفسير الطبري» (٧/ ٤٠٥).

(٤) انظر: «تفسير الطبري» (٧/ ٤٠٥).

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأُولَى: أَنَّ التَّوَكُّلَ مِنَ الفَرَائِضِ.

الثَّانِيَةُ: أَنَّهُ مِنْ شُرُوطِ الإِيمَانِ.

الثَّالِثَةُ: تَفْسِيرُ آيَةِ «الأَنْفَالِ».

الرَّابِعَةُ: تَفْسِيرُ الآيَةِ فِي آخِرِهَا.

الخَامِسَةُ: تَفْسِيرُ آيَةِ «الطَّلَاقِ».

السَّادِسَةُ: عِظَمُ شَأْنِ هَذِهِ الكَلِمَةِ، وَأَنَّهَا قَوْلُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَمُحَمَّدٍ ﷺ فِي الشَّدَائِدِ.

الشَّرْح

قَولُه: «الأُولَى: أَنَّ التَّوَكُّلَ مِنَ الفَرَائِضِ»: كما قال تعالىٰ: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾[المائدة:٢٣].

قَولُه: «الثَّانِيَةُ: أَنَّهُ مِنْ شُرُوطِ الإِيمَانِ»: أي التوكل من شروط الإيمان كما تقدم.

قَولُه: «الثَّالِثَةُ: تَفْسِيرُ آيَةِ «الأَنْفَالِ»»: أي قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾[الأنفال:٢].

قَولُه: «الرَّابِعَةُ: تَفْسِيرُ الآيَةِ فِي آخِرِهَا»: أي في آخر سورة الأنفال، وهي قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٦٤﴾[الأنفال:٦٤].

قَولُه: «الخَامِسَةُ: تَفْسِيرُ آيَةِ «الطَّلَاقِ»»: أي قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ﴾[الطلاق:٣].

قَولُه: «السَّادِسَةُ: عِظَمُ شَأْنِ هَذِهِ الكَلِمَةِ، وَأَنَّهَا قَوْلُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ



الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَمُحَمَّدٍ ﷺ فِي الشَّدَائِدِ»: أي لعظم كلمة «**حسبنا الله ونعم الوكيل**» قالها الخليلان إبراهيم، ومحمد عليهما الصلاة والسلام حينما وقعا في الشدائد.



[٣٣] بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى:

﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ (٩٩)﴾ [الأعراف:٩٩]

وَقَوْلِهِ: ﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ (٥٦)﴾ [الحجر:٥٦].

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ سُئِلَ عَنِ الكَبَائِرِ، فَقَالَ «الشِّرْكُ بِاللهِ، وَالْيَأْسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ، وَالْأَمْنُ مِنْ مَكْرِ اللهِ»(١).

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: «أَكْبَرُ الكَبَائِرِ: الإِشْرَاكُ بِاللهِ، وَالْأَمْنُ مِنْ مَكْرِ اللهِ، وَالْقُنُوطُ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ، وَالْيَأْسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ»(٢) رَوَاهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ.

الشَّرْح

قَوْلُهُ: «بَابٌ»: هذا الباب في الجمع بين عبادتي الخوف والرجاء.

قَوْلُهُ: «قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ﴾»: أي أفأمن يا محمد هؤلاء الذين يكذبون الله ورسوله، ويجحدون آياته، استدراج الله إياهم بما أنعم به عليهم في دنياهم من صحة الأبدان ورخاء العيش، كما استدرج الذين قص عليهم قصصهم من الأمم قبلهم(٣).

---

(١) حسن: رواه البزار كما في «كشف الأستار» (١٠٦)، فيه «شبيب بن بشر»، قال عنه ابن حجر في «التقريب»، صـ(٣٦٣): «صدوق يخطئ».

قال الهيثمي في «المجمع» (١/ ١٠٤): «رواه البزار والطبراني، ورجاله موثقون».

(٢) صحيح موقوف: رواه ابن راشد في «الجامع» (١٩٧٠١)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (٥٥٦)، وابن جرير (٩١٩٣)، والطبراني في «الكبير» (٨٧٨٤)، وصحح إسناده ابن كثير في «تفسيره» (٢/ ٢٧٩)، والهيثمي في «المجمع» (١/ ١٠٤).

(٣) انظر: «تفسير الطبري» (١٢/ ٥٧٨).

قال الواحدي: «﴿مَكْرَ اللَّهِ﴾ أي عذاب الله أن يأتيهم بغتة»[(١)].

وقال ابن كثير: «﴿مَكْرَ اللَّهِ﴾ أي بأسه ونقمته وقدرته عليهم وأخذه إياهم في حال سهوهم وغفلتهم»[(٢)].

وقال ابن الأثير: «هو استدراج العبد بالطاعات، فيتوهم أنها مقبولة وهي مردودة»[(٣)].

قَوْلُهُ: «﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾»: أي لا يأمن ذلك أن يكون استدراجًا مع مقامهم علىٰ كفرهم، وإصرارهم علىٰ معصيتهم إلا القوم الهالكون[(٤)].

قال الحسن البصري: «المؤمن يعمل بالطاعات وهو مشفق وجِل خائف، والفاجر يعمل بالمعاصي وهو آمن»[(٥)].

قَوْلُهُ: «وَقَوْلِهِ: ﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴿٥٦﴾﴾»: أي ومن ييأس من رحمة الله إلا القوم الذين قد أخطئوا سبيل الصواب، وتركوا قصد السبيل في تركهم رجاء الله، ولا يخيب من رجاه، فضلوا بذلك عن دين الله[(٦)].

والقنوط: الإياس[(٧)] من الخير[(٨)]، وقيل: هو أشد اليأس من الشيء[(٩)]، وهو

---

(١) انظر: «التفسير الوجيز»، صـ (٤٠٤).
(٢) انظر: «تفسير ابن كثير» (٣/ ٥٤١).
(٣) انظر: «النهاية في غريب الحديث» (٤/ ٣٤٩).
(٤) انظر: «تفسير الطبري» (١٢/ ٥٧٨).
(٥) انظر: «تفسير ابن كثير» (٣/ ٥٤١).
(٦) انظر: «تفسير الطبري» (١٧/ ١١٣).
(٧) انظر: «العين»، مادة «قنط».
(٨) انظر: «تهذيب اللغة»، مادة «قنط».
(٩) انظر: «النهاية في غريب الحديث» (٤/ ١١٣).

ضد الرجاء، أو قطع الأمل[١].

قال الواحدي: «﴿ٱلضَّآلُّونَ﴾ أي المكذبون»[٢].

وقال البغوي: «﴿ٱلضَّآلُّونَ﴾ أي الخاسرون، والقنوط من رحمة الله كبيرة كالأمن من مكره»[٣].

وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْأَنْصَارِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَبْلَ مَوْتِهِ بِثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، يَقُولُ: «لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللهِ عَزَّوَجَلَّ»[٤].

قال العلماء: «هذا تحذير من القنوط، وحث علىٰ الرجاء عند الخاتمة... ومعنىٰ حسن الظن بالله تعالىٰ أن يظن أنه يرحمه ويعفو عنه، وفي حالة الصحة يكون خائفا راجيا ويكونان سواء.

وقيل: يكون الخوف أرجح، فإذا دنت أمارات الموت غلب الرجاء أو محضَهُ؛ لأن مقصود الخوف الانكفاف عن المعاصي والقبائح والحرص علىٰ الإكثار من الطاعات والأعمال، وقد تعذر ذلك أو معظمه في هذا الحال فاستحب إحسان الظن المتضمن للافتقار إلىٰ الله تعالىٰ، والإذعان له»[٥].

قَولُهُ: «وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ سُئِلَ عَنِ الكَبَائِرِ، فَقَالَ «الشِّرْكُ بِاللهِ»»: أي في الربوبية، أو الألوهية، أو الأسماء والصفات.

قَولُهُ: «وَالْيَأْسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ»: أي من رحمة الله، وفَرَجِهِ[٦].

قَولُهُ: «وَالْأَمْنُ مِنْ مَكْرِ اللهِ»: أي من استدراج الله، وإيقاع العقوبة به[٧].

---

(١) **انظر:** «القاموس المحيط»، مادة «يأس».
(٢) **انظر:** «التفسير الوجيز»، صـ (٥٩٣).
(٣) **انظر:** «تفسير البغوي» (٣/ ٦١).
(٤) **صحيح:** رواه مسلم (٢٨٧٧).
(٥) **انظر:** «شرح صحيح مسلم» (١٧/ ٢٠٩-٢١٠).
(٦) **انظر:** «المفردات في غريب القرآن»، صـ (٣٧١).
(٧) **انظر:** «النهاية في غريب الحديث» (٤/ ٣٤٩).

قَــوْلُــهُ: «وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: «أَكْبَرُ الكَبَائِرِ: الإِشْرَاكُ بِاللهِ»»: لأن الله يقول: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ﴾ [المائدة:٧٢].

قَــوْلُــهُ: «وَالْأَمْنُ مِنْ مَكْرِ اللهِ»: لأن الله يقول: ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ۝٩٩﴾ [الأعراف:٩٩].

قَــوْلُــهُ: «وَالْقُنُوطُ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ، وَالْيَأْسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ»: لأن الله يقول: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝٨٧﴾ [يوسف:٨٧].

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأُولَى: تَفْسِيرُ آيَةِ الأَعْرَافِ.

الثَّانِيَةُ: تَفْسِيرُ آيَةِ الحِجْرِ.

الثَّالِثَةُ: شِدَّةُ الوَعِيدِ فِيمَنْ أَمِنَ مَكْرَ اللهِ.

الرَّابِعَةُ: شِدَّةُ الوَعِيدِ فِي القُنُوطِ.

الشَّرْح

قَوْلُهُ: «الأُولَى: تَفْسِيرُ آيَةِ الأَعْرَافِ»: أي قوله تعالىٰ: ﴿أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾﴾[الأعراف:٩٩].

قَوْلُهُ: «الثَّانِيَةُ: تَفْسِيرُ آيَةِ الحِجْرِ»: أي قوله تعالىٰ: ﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾﴾[الحِجر:٥٦].

قَوْلُهُ: «الثَّالِثَةُ: شِدَّةُ الوَعِيدِ فِيمَنْ أَمِنَ مَكْرَ اللهِ»: لأنه من الكبائر التي نص عليها النبي ﷺ كما تقدم من حديث ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

قَوْلُهُ: «الرَّابِعَةُ: شِدَّةُ الوَعِيدِ فِي القُنُوطِ»: لأنه من أكبر الكبائر كما تقدم من قول ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.



[٣٤] بَابٌ مِنَ الإِيمَانِ بِاللهِ الصَّبْرُ عَلَى أَقْدَارِ اللهِ

وَقَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ [التغابن: ١١].

قَالَ عَلْقَمَةُ: «هُوَ الرَّجُلُ تُصِيبُهُ المصِيبَةُ، فَيَعْلَمُ أَنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللهِ، فَيَرْضَى، وَيُسَلِّمُ»(١).

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «اثْنَتَانِ فِي النَّاسِ هُمَا بِهِمْ: كُفْرٌ الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ، وَالنِّيَاحَةُ عَلَى الميِّتِ»(٢).

وَلَهُمَا عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ مَرْفُوعًا: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ ضَرَبَ الخُدُودَ، وَشَقَّ الجُيُوبَ، وَدَعَا بِدَعْوَى الجَاهِلِيَّةِ»(٣).

وَعَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «إِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدِهِ الخَيْرَ، عَجَّلَ لَهُ بِالْعُقُوبَةِ فِي الدُّنْيَا، وَإِذَا أَرَادَ بِعَبْدِهِ الشَّرَّ أَمْسَكَ عَنْهُ بِذَنْبِهِ حَتَّى يُوَافِيَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(٤).

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ عُظْمَ الجَزَاءِ مَعَ عُظْمِ الْبَلَاءِ، وَإِنَّ اللهَ تَعَالَى إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَى، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ»(٥) حَسَّنَهُ التِّرْمِذِيُّ.

الشَّرْح

قَوْلُهُ: «بَابٌ مِنَ الْإِيمَانِ بِاللهِ الصَّبْرُ عَلَى أَقْدَارِ اللهِ»: أي على الابتلاء، والمصائب.

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٢٣/ ٤٢١)، والبيهقي في «الشعب» (٩٥٠٣)، و«الكبرى» (٧١٣٣).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٦٧).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (١٢٩٧)، ومسلم (١٠٣).

(٤) صحيح: رواه الترمذي (٢٣٩٦)، وصححه الألباني.

(٥) حسن: روراه الترمذي (٤/ ٦٠١)، وابن ماجه (٤٠٣١)، وحسنه الألباني.

والصبر لغة: الحبس[١]، يقال: صبرت نفسي علىٰ ذلك الأمر، أي حبستها[٢].

وشرعًا: هو حبس النفس عن محارم الله، وحبسها علىٰ فرائضه، وحبسها عن التسخط، والشكاية لأقداره[٣].

قال ابن القيم: «الصبر حبس النفس عن التسخط بالمقدور، وحبس اللسان عن الشكوىٰ، وحبس الجوارح عن المعصية كاللطم، وشق الثياب، ونتف الشعر، ونحوه.

فمدار الصبر علىٰ هذه الأركان الثلاثة، فإذا قام به العبد كما ينبغي انقلبت المحنة في حقه منحة، واستحالت البلية عطية، وصار المكروه محبوبا.

فإن الله ﷻ لم يبتله ليهلكه، وإنما ابتلاه ليمتحن صبره وعبوديته، فإن لله تعالىٰ علىٰ العبد عبودية الضراء، وله عبودية عليه فيما يكره، كما له عبودية فيما يحب، وأكثر الخلق يعطون العبودية فيما يحبون»[٤].

والصبر ثلاثة أنواع:

- صبر علىٰ طاعة الله.
- وصبر عن معصية الله.
- وصبر علىٰ امتحان الله[٥].

قَـوْلُـهُ: «وَقَوْلُ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾»: أي ومن يصدِّق بالله، فيعلم أنه لا أحد تصيبه مصيبة إلا بإذن الله بذلك يوفق الله قلبه بالتسليم

---

(١) **انظر:** «تهذيب اللغة»، مادة «صبر».

(٢) **انظر:** «مقاييس اللغة»، مادة «صبر».

(٣) **انظر:** «رسالة ابن القيم لأحد إخوانه»، صـ (١٨).

(٤) **انظر:** «الوابل الصيب»، صـ (٥).

(٥) **انظر:** «مدارج السالكين» (٢/ ١٥٥).

لأمره والرضا بقضائه[1]، ويجعله مهتديا حتىٰ يشكر عند النعمة ويصبر عند الشدة[2].

قال ابن كثير في تفسير الآية: «أي ومن أصابته مصيبة فعلم أنها بقضاء الله وقدره، فصبر واحتسب واستسلم لقضاء الله، هدىٰ الله قلبه، وعوضه عما فاته من الدنيا هدىٰ في قلبه، ويقينًا صادقًا، وقد يخلف عليه ما كان أخذ منه، أو خيرًا منه»[3].

قَوْلُهُ: «قَالَ عَلْقَمَةُ: «هُوَ الرَّجُلُ تُصِيبُهُ المصِيبَةُ، فَيَعْلَمُ أَنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللهِ، فَيَرْضَى وَيُسَلِّمُ»»: أي لقضاء الله.

فائدة: مراتب الصبر على المصائب:

قال ابن القيم: «عبوديته في قضاء المصائب الصبر عليها.

ثم الرضا بها وهو أعلىٰ منه.

ثم الشكر عليها وهو أعلىٰ من الرضا.

وهذا إنما يأتي منه إذا تمكن حبه من قلبه، وعلم حسن اختياره له وبره به ولطفه به وإحسانه إليه بالمصيبة وإن كره المصيبة»[4].

قَوْلُهُ: «وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «اثْنَتَانِ فِي النَّاسِ»: أي خصلتان في بعض الناس[5].

قَوْلُهُ: «هُمَا بِهِمْ كُفْرٌ»: أي من أعمال أهل الكفر، وعادتهم، وأخلاق

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٢٣/ ٤٢١).

(٢) انظر: «التفسير الوجيز»، صـ (١١٠٣).

(٣) انظر: «تفسير ابن كثير» (٨/ ١٣٧).

(٤) انظر: «الفوائد»، لابن القيم، صـ (١١٢-١١٣).

(٥) انظر: «التيسير بشرح الجامع الصغير» (١/ ٣٣).

الجاهلية، وهما خصلتان مذمومتان محرمتان في الشرع[(١)].

قال ابن تيمية: «أي هاتان الخصلتان هما كفر قائم بالناس فنفس الخصلتين كفر حيث كانتا من أعمال الكفار، وهما قائمتان بالناس لكن ليس كل من قام به شعبة من شعب الكفر يصير كافرا الكفر المطلق حتىٰ تقوم به حقيقة الكفر، كما أنه ليس كل من قام به شعبة من شعب الإيمان يصير مؤمنا حتىٰ يقوم به أصل الإيمان»[(٢)].

قَولُهُ: «الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ»: أي في الوقوع في أعراض الناس بالذم، والغِيبة، وذكر المعائب[(٣)].

قَولُهُ: «وَالنِّيَاحَةُ عَلَى المَيِّتِ»: هي رفع الصوت بالندب بتعديد شمائله، ولو بغير بكاء[(٤)].

قال ابن الجوزي: «في المراد بالكفر وجهان:

أحدهما: أن يكون كفر النعمة، فإن من طعن في نسب غيره فقد كفر بنعمة الله عليه بسلامته من ذلك الطعن، ومن ناح علىٰ ميت فقد كفر نعمة الله عليه إذ لم يكن هو الميت.

والثاني: أن يكون المعنىٰ: أنهما من أفعال الكفار لا من خلال المسلمين»[(٥)].

وقال النووي: «في هذا الحديث تغليظ تحريم الطعن في النسب والنياحة، وقد جاء في كل واحد منهما نصوص معروفة»[(٦)].

---

(١) انظر: «إكمال المُعلِم بفوائد مسلم» (١/ ٣٢٦).
(٢) انظر: «اقتضاء الصراط المستقيم» (١/ ٢٣٧).
(٣) انظر: «النهاية في غريب الحديث» (٣/ ١٢٧).
(٤) انظر: «المجموع»، للنووي (٥/ ٣٠٧)، و«التيسير بشرح الجامع الصغير» (١/ ٣٣).
(٥) انظر: «كشف المشكل من حديث الصحيحين» (٣/ ٥٥٦).
(٦) انظر: «شرح صحيح مسلم» (٢/ ٥٧).

قَولُه: «وَلَهُمَا عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ مَرْفُوعًا: «لَيْسَ مِنَّا»»: أي ليس علىٰ سيرتنا ومذهبنا[1]، وهذا وعيد يدل علىٰ أن الفعل من الكبائر.

قال ابن حجر: «وهذا في حق من لا يستحل ذلك، فأما من يستحله فإنه يكفر باستحلال المحرم بشرطه... والأولىٰ عند كثير من السلف إطلاق لفظ الخبر من غير تعرض لتأويله ليكون أبلغ في الزجر، وكان سفيان بن عيينة ينكر علىٰ من يصرفه عن ظاهره، فيقول: معناه ليس علىٰ طريقتنا، ويرىٰ أن الإمساك عن تأويله أولىٰ»[2].

قَولُه: «مَنْ ضَرَبَ الْخُدُودَ»: أي عند المصيبة[3]؛ لأن لطم الخدود، وشق الجيوب من أفعال الجاهلية[4].

قَولُه: «وَشَقَّ الْجُيُوبَ»: جمع جيب وهو ما يفتح من الثوب ليُدخل فيه الرأس للبْسِه[5].

قَولُه: «وَدَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ»: هي النياحة، وندبَةُ الميت، والدعاء بالويل وشبهه[6].

قال ابن الجوزي: «وأما دعوىٰ الجاهلية فما كانوا يذكرونه عند موت الميت، تارة من تعظيمه ومدحه، وتارة من الندب عليه مثل قولهم: واجبلاه»[7].

قال ابن دقيق العيد: «وهو ما كانت العرب تقوله عند موت الميت،

---

(١) انظر: «معالم السنن» (٣/ ١١٨).
(٢) انظر: «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» (١٣/ ٢٤).
(٣) انظر: «إكمال المُعلِم بفوائد مسلم» (١/ ٣٧٧).
(٤) انظر: «شرح صحيح البخاري»، لابن بطال (٣/ ٢٧٧).
(٥) انظر: «إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري» (٦/ ١٥).
(٦) انظر: «إكمال المُعلِم بفوائد مسلم» (١/ ٣٧٦).
(٧) انظر: «كشف المشكل من حديث الصحيحين» (١/ ٢٧٩).

كقولهم: واجبلاه، واسنداه، واسيداه، وأشباهها»[١].

وقال ابن القيم: «الدعاء بدعوىٰ الجاهلية، والتعزي بعزائهم، كالدعاء إلىٰ القبائل والعصبية لها وللأنساب، ومثله التعصب للمذاهب، والطرائق، والمشايخ، وتفضيل بعضها علىٰ بعض بالهوىٰ والعصبية، وكونه منتسبا إليه، فيدعو إلىٰ ذلك ويوالي عليه، ويعادي عليه، ويزن الناس به، كل هذا من دعوىٰ الجاهلية»[٢].

قَوْلُهُ: «وَعَنْ أَنَسٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا أَرَادَ اللهُ»»: أي قضىٰ وقدر[٣].

قَوْلُهُ: «بِعَبْدِهِ الخَيْرَ»: أي كله[٤].

قَوْلُهُ: «عَجَّلَ لَهُ»: أي أسرع له[٥].

قَوْلُهُ: «بِالْعُقُوبَةِ»: أي الابتلاء بالمكاره[٦].

قَوْلُهُ: «فِي الدُّنْيَا»: ليخرج منها وليس عليه ذنب، ومن فعل ذلك معه فقد أعظم اللطف به[٧]؛ لأن عذاب الآخرة أشد، وأبقىٰ[٨].

قَوْلُهُ: «وَإِذَا أَرَادَ بِعَبْدِهِ الشَّرَّ أَمْسَكَ عَنْهُ»: أي أخَّر عنه ما يستحقه من العقوبة[٩].

---

(١) انظر: «إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام» (١/ ٣٧٣).
(٢) انظر: «زاد المعاد» (٢/ ٤٣١).
(٣) انظر: «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٣/ ١١٤٢).
(٤) انظر: «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٣/ ١١٤٢).
(٥) انظر: «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٣/ ٢٥٩).
(٦) انظر: «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٣/ ١١٤٢).
(٧) انظر: «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٣/ ٢٥٩).
(٨) انظر: «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٣/ ١١٤٢).
(٩) انظر: «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٣/ ١١٤٢).

قَوْلُـهُ: «بِذَنْبِهِ حَتَّى يُوَافِيَ بِهِ»: أي يجازيه بسبب ذنبه جزاء وافيا[(١)].

قَوْلُـهُ: «يَوْمَ الْقِيَامَةِ»: أي إن لم يعف عنه[(٢)].

قَوْلُـهُ: «وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ عُظْمَ الجَزَاءِ مَعَ عُظْمِ الْبَلَاءِ»»: بضم العين وسكون الظاء، وقيل بكسر، ثم فتح أي: عظمة الأجر وكثرة الثواب مقرون مع عظم البلاء كيفية وكمية، جزاء وفاقا، وأجرًا طباقا[(٣)].

قَوْلُـهُ: «وَإِنَّ اللهَ تَعَالَى إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ»: أي بالمصائب.

قَوْلُـهُ: «فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَى»: أي من رضي بالبلاء رضي الله عنه.

قَوْلُـهُ: «وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ»: أي من كره بلاء الله، وفزع ولم يرض بقضائه سخِط الله عليه[(٤)].



(١) انظر: «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٣/ ١١٤٢).
(٢) انظر: «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٣/ ١١٤٢).
(٣) انظر: «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٣/ ١١٤٢).
(٤) انظر: «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٣/ ١١٤٢).

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: تَفْسِيرُ آيَةِ التَّغَابُنِ.

الثَّانِيَةُ: أَنَّ هَذَا مِنَ الْإِيمَانِ بِاللهِ.

الثَّالِثَةُ: الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ.

الرَّابِعَةُ: شِدَّةُ الْوَعِيدِ فِيمَنْ ضَرَبَ الْخُدُودَ، وَشَقَّ الْجُيُوبَ، وَدَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ.

الْخَامِسَةُ: عَلَامَةُ إِرَادَةِ اللهِ بِعَبْدِهِ الْخَيْرَ.

السَّادِسَةُ: عَلَامَةُ إِرَادَةِ اللهِ بِعَبْدِهِ الشَّرَّ.

السَّابِعَةُ: عَلَامَةُ حُبِّ اللهِ لِلْعَبْدِ.

الثَّامِنَةُ: تَحْرِيمُ السُّخْطِ.

التَّاسِعَةُ: ثَوَابُ الرِّضَا بِالْبَلَاءِ.

الشَّـرْح

قَـوْلُـهُ: «الْأُولَى: تَفْسِيرُ آيَةِ التَّغَابُنِ»: أي قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾[التغابن:١١].

قَـوْلُـهُ: «الثَّانِيَةُ: أَنَّ هَذَا مِنَ الْإِيمَانِ بِاللهِ»: أي الصبر من الإيمان بالله، فمن صبر فقد آمن.

قَـوْلُـهُ: «الثَّالِثَةُ: الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ»: أي حرام.

قَـوْلُـهُ: «الرَّابِعَةُ: شِدَّةُ الْوَعِيدِ فِيمَنْ ضَرَبَ الْخُدُودَ، وَشَقَّ الْجُيُوبَ، وَدَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ»: كما في قوله ﷺ: «**ليس منا**».

قَـوْلُـهُ: «الْخَامِسَةُ: عَلَامَةُ إِرَادَةِ اللهِ بِعَبْدِهِ الْخَيْرَ»: أي تعجيل العقوبة له في الدنيا.

قَوْلُهُ: «السَّادِسَةُ: عَلَامَةُ إِرَادَةِ اللهِ بِعَبْدِهِ الشَّرَّ»: أي يؤخر عنه العقوبة في الدنيا.

قَوْلُهُ: «السَّابِعَةُ: عَلَامَةُ حُبِّ اللهِ لِلْعَبْدِ»: أي بلاؤه له.

قَوْلُهُ: «الثَّامِنَةُ: تَحْرِيمُ السُّخْطِ»: كما في قوله ﷺ: «**من سخط فله السخط**».

قَوْلُهُ: «التَّاسِعَةُ: ثَوَابُ الرِّضَا بِالْبَلَاءِ»: كما في قوله ﷺ: «**من رضي فله الرضا**».



[٣٥] بَابُ مَا جَاءَ فِي الرِّيَاءِ

وَقَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [الكهف:١١٠] الآيَة.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ مَرْفُوعًا: «قَالَ تَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ مَعِي فِيهِ غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ»[١] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ مَرْفُوعًا: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ مَا هُوَ أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ عِنْدِي مِنَ المسِيحِ الدَّجَّالِ؟» قَالُوا: بَلَى، قَالَ: «الشِّرْكُ الخَفِيُّ، يَقُومُ الرَّجُلُ فَيُصَلِّي، فَيُزَيِّنُ صَلَاتَهُ، لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ إِلَيْهِ»[٢] رَوَاهُ أَحْمَدُ.

الشَّرح

قَولُـهُ: «بَابُ مَا جَاءَ فِي الرِّيَاءِ»: أي من النهي والتحذير.

والرياء لغة: مصدر راءىٰ من الرؤية، وهي أن يري غيره خلاف ما هو عليه[٣].

وشرعًا: أن يفعل الطاعة ويترك المعصية مع ملاحظة غير الله، أو يخبِر بها، أو يحب أن يطلع عليها لمقصد دنيوي من مال أو نحوه[٤].

قَولُـهُ: «وَقَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾»: أي قل لهؤلاء المشركين المكذبين برسالتك يا محمد: إنما أنا بشر مثلكم من بني آدم لا علم لي إلا ما علمني الله وإن الله يوحي إلي أن معبودكم

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٩٨٥).

(٢) صحيح: رواه ابن ماجه (٤٢٠٤)، وأحمد (١١٢٥٢)، وصححه الألباني.

(٣) انظر: «لسان العرب»، مادة «رأي».

(٤) انظر: «سبل السلام»، للصنعاني (٢/ ٦٦٠).

الذي يجب عليكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا معبود واحد لا ثاني له، ولا شريك[1].

قَولُهُ: «﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾»: أي فمن يخاف ربه يوم لقائه، ويراقبه علىٰ معاصيه، ويرجو ثوابه علىٰ طاعته[2].

قَولُهُ: «﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾»: أي فليخلص له العبادة، وليفرد له الربوبية[3].

قَولُهُ: «﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾»: أي لا يرائي بعمله[4]، ولا يجعل له شريكا في عبادته إياه، وإنما يكون جاعلا له شريكا بعبادته إذا راءىٰ بعمله الذي ظاهره أنه لله وهو مريد به غيره[5].

و﴿أَحَدًۢا﴾ نكرة في سياق النهي تفيد العموم، والشمول، فلا يجوز صرف العبادة لنبي، أو مَلَك، أو ولي، أو جني، أو غيرهم.

قال الواحدي: «نزلت هذه الآية في النهي عن الرياء بالأعمال»[6].

قال ابن كثير في تفسير الآية: «﴿أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ﴾ الذي أدعوكم إلىٰ عبادته، ﴿إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ لا شريك له، ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾ أي: ثوابه وجزاءه الصالح، ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ ما كان موافقًا لشرع الله ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ وهو الذي يراد به وجه الله وحده لا شريك له، وهذان ركنا العمل المتقبل، لا بد أن يكون خالصًا لله، صوابًا علىٰ شريعة رسول الله ﷺ»[7].

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١٨/ ١٣٥).
(٢) انظر: «تفسير الطبري» (١٨/ ١٣٥).
(٣) انظر: «تفسير الطبري» (١٨/ ١٣٥).
(٤) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٢٢٣).
(٥) انظر: «تفسير الطبري» (١٨/ ١٣٥).
(٦) انظر: «التفسير الوجيز»، صـ (٦٧٤).
(٧) انظر: «تفسير ابن كثير» (٥/ ٢٠٥).

قَولُهُ: «وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ مَرْفُوعًا: «قَالَ تَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ مَعِي فِيهِ غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ»»: أي أنا غني عن المشاركة وغيرها، فمن عمل شيئًا لي ولغيري لم أقبله بل أتركه لذلك الغير، والمراد أن عمل المرائي باطل لا ثواب فيه ويأثم به[١].

قَولُهُ: «وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ مَرْفُوعًا: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ»»: ألا ليست للتنبيه، بل هي لا النافية دخلت عليها همزة الاستفهام، والمعنىٰ: ألا أعلمكم[٢].

قَولُهُ: «مَا هُوَ أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ»: لعمومه، وخفائه[٣].

قَولُهُ: «عِنْدِي»: أي في شريعتي، وطريقتي[٤].

قَولُهُ: «مِنَ المسِيحِ الدَّجَّالِ؟» أي لخصوص وقته، ولظهور مقته، فيجب عليكم رعاية محافظته[٥].

وسُمِّي الدجال مسيحًا؛ لأن عينه الواحدة ممسوحة.

ويقال: رجل ممسوح الوجه ومسيح، وهو ألا يبقىٰ علىٰ أحد شقي وجهه عين ولا حاجب إلا استوىٰ.

وقيل: لأنه يمسح الأرض: أي يقطعها[٦].

قَولُهُ: «قَالُوا: بَلَىٰ، قَالَ: «الشِّرْكُ الخَفِيُّ»»: فإنه شرك لا يظهر للناس أنه شرك، بل يظهر لهم أنه صلاح[٧].

---

(١) انظر: «شرح صحيح مسلم» (١٨/ ١١٦).

(٢) انظر: «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٨/ ٣٣٤٢).

(٣) انظر: «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٨/ ٣٣٤٢).

(٤) انظر: «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٨/ ٣٣٤٢).

(٥) انظر: «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٨/ ٣٣٤٢).

(٦) انظر: «النهاية في غريب الحديث» (٤/ ٣٢٧).

(٧) انظر: «حاشية السندي علىٰ سنن ابن ماجه» (٢/ ٥٥٠).

قَـوْلُـهُ: «يَقُومُ الرَّجُلُ فَيُصَلِّ، فَيُزَيِّنُ صَلَاتَهَ، لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ إِلَيْهِ»:
أي مخلوق مثله، ولم يكتف باطلاعه سبحانه عليه[1].

(١) انظر: «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٨/ ٣٣٤٢).

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: تَفْسِيرُ آيَةِ الْكَهْفِ.

الثَّانِيَةُ: الْأَمْرُ الْعَظِيمُ فِي رَدِّ الْعَمَلِ الصَّالِحِ إِذَا دَخَلَهُ شَيْءٌ لِغَيْرِ اللهِ.

الثَّالِثَةُ: ذِكْرُ السَّبَبِ الموجِبِ لِذَلِكَ، وَهُوَ كَمَالُ الْغِنَى.

الرَّابِعَةُ: أَنَّ مِنَ الْأَسْبَابِ أَنَّهُ تَعَالَى خَيْرُ الشُّرَكَاءِ.

الخَامِسَةُ: خَوْفُ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى أَصْحَابِهِ مِنَ الرِّيَاءِ.

السَّادِسَةُ: أَنَّهُ فَسَّرَ ذَلِكَ بِأَنَّ المرْءَ يُصَلِّي للهِ، لَكِنْ يُزَيِّنُهَا لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ إِلَيْهِ.

الشَّرْح

قَوْلُهُ: «الْأُولَى: تَفْسِيرُ آيَةِ الْكَهْفِ»: أي قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠].

قَوْلُهُ: «الثَّانِيَةُ: الْأَمْرُ الْعَظِيمُ فِي رَدِّ الْعَمَلِ الصَّالِحِ إِذَا دَخَلَهُ شَيْءٌ لِغَيْرِ اللهِ»: أي العمل الصالح إذا فقد ركن الإخلاص لم يُقبل.

قَوْلُهُ: «الثَّالِثَةُ: ذِكْرُ السَّبَبِ الموجِبِ لِذَلِكَ، وَهُوَ كَمَالُ الْغِنَى»: أي إن الله سبحانه وتعالى لا يقبل العمل الذي أُشرك فيه غيره؛ لأجل أنه أغنىٰ الشركاء عن الشرك.

قَوْلُهُ: «الرَّابِعَةُ: أَنَّ مِنَ الْأَسْبَابِ أَنَّهُ تَعَالَى خَيْرُ الشُّرَكَاءِ»: أي لا يقبل عملا أُشرك فيه غيره.

قَوْلُهُ: «الخَامِسَةُ: خَوْفُ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى أَصْحَابِهِ مِنَ الرِّيَاءِ»: كما في قوله ﷺ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ مَا هُوَ أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ عِنْدِي مِنَ المسِيحِ الدَّجَّالِ؟».

قَوْلُهُ: «السَّادِسَةُ: أَنَّهُ فَسَّرَ ذَلِكَ بِأَنَّ المرْءَ يُصَلِّي للهِ، لَكِنْ يُزَيِّنُهَا لِمَا

يَرَى مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ إِلَيْهِ»: أي فسر النبي ﷺ الرياء بكون الرجل يصلي لله، ولكنه يزينها؛ لأجل نظر الناس إليه.



[٣٦] بَابٌ مِنَ الشِّرْكِ إِرَادَةُ الإِنْسَانِ بِعَمَلِه الدُّنْيَا

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا﴾ [هود:١٥] الآيَة.

وفِي الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، تَعِسَ عَبْدُ الدِّرْهَمِ، تَعِسَ عَبْدُ الخَمِيصَةِ، تَعِسَ عَبْدُ الخَمِيلَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِي، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ، تَعِسَ وَانْتَكَسَ، وَإِذَا شِيكَ فَلَا انْتَقَشَ، طُوبَى لِعَبْدٍ آخِذٍ بِعِنَانِ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، أَشْعَثَ رَأْسُهُ، مُغْبَرَّةٍ قَدَمَاهُ، إِنْ كَانَ فِي الحِرَاسَةِ كَانَ فِي الحِرَاسَةِ، وَإِنْ كَانَ فِي السَّاقَةِ كَانَ فِي السَّاقَةِ، إِنْ اسْتَأْذَنَ لَمْ يُؤْذَنْ لَهُ، وَإِنْ شَفَعَ لَمْ يُشَفَّعْ»[(١)].

الشَّرْح

قَولُه: «بَابٌ مِنَ الشِّرْكِ إِرَادَةُ الْإِنْسَانِ بِعَمَلِهِ الدُّنْيَا»: أي من أنواع الشرك أن يعمل العمل للدنيا كأن يريد أن يمدحه الناس، أو يريد مالا، أو نحوه.

فمن فعل هذا فقد أشرك، وحبط عمله.

والفرق بيت هذا الباب والباب السابق: أن هذا الباب فيمن يريد بعمله الدنيا فقط، كمن يصلي؛ لأجل أن يمدحه الناس، أو يجاهد؛ لأجل أن يحصِّل مالًا، أو نحوه.

أما الباب السابق ففي من يعمل العمل لله، ويريد به مع الله غيره.

قَولُه: «وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾﴾»: أي من كان يريد بعمله الحياة الدنيا، وزينتها، نوفِّ

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٢٨٨٧).

إليهم أجور أعمالهم في الدنيا بسعة الرزق، ودفع المكاره، وما أشبهها، وهم في الدنيا لا ينقصون أجرها، ولكنهم يوفَّونه فيها[١].

قال البغوي: «**نزلت في كل من عمل عملا يريد به غير الله عَزَّوَجَلَّ**»[٢].

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب: قد ذُكر عن السلف من أهل العلم فيها أنواع مما يفعل الناس اليوم ولا يعرفون معناه:

الأول: من ذلك العمل الصالح الذي يفعل كثير من الناس ابتغاء وجه الله من صدقة وصلة وإحسان إلىٰ الناس، ونحو ذلك، وكذلك ترك ظلم، أو كلام في عِرض، ونحو ذلك مما يفعله الإنسان أو يتركه خالصًا لله، لكنه لا يريد ثوابه في الآخرة إنما يريد أن الله يجازيه بحفظ ماله وتنميته، وحفظ أهله وعياله، وإدامة النعمة عليهم ونحو ذلك؛ ولا همة له في طلب الجنة، ولا الهرب من النار، فهذا يعطىٰ ثواب عمله في الدنيا، وليس له في الآخرة نصيب.

وهذا النوع ذكر عن ابن عباس في تفسير الآية.

والنوع الثاني: وهو أكبر من الأول وأخوف، وهو الذي ذكر مجاهد أن الآية نزلت فيه، وهو أن يعمل أعمالًا صالحة ونيته رئاء الناس، لا طلب ثواب الآخرة؛ وهو يظهر أنه أراد وجه الله، وإنما صلىٰ، أو صام، أو تصدق، أو طلب العلم؛ لأجل أن الناس يمدحونه ويُجَلُّ في أعينهم، فإن الجاه من أعظم أنواع الدنيا.

النوع الثالث: أن يعمل الأعمال الصالحة، ومقصده بها مالا، مثل أن يحج لمال يأخذه لا لله، أو يهاجر لدنيا يصيبها، أو امرأة ينكحها، أو يجاهد لأجل المغنم، فقد ذُكِر هذا النوع أيضًا في تفسير هذه الآية.

---

(١) **انظر**: «تفسير الطبري» (١٥/ ٢٦٢)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٤٤٢).

(٢) **انظر**: «تفسير البغوي» (٢/ ٤٤٢).

وكمن يتعلم العلم لأجل مدارسة أهله، أو مكسبهم أو رياستهم، أو يقرأ القرآن ويواظب علىٰ الصلاة؛ لأجل وظيفة المسجد، كما هو واقع كثيرا، وهؤلاء أعقل من الذين قبلهم؛ لأنهم عملوا لمصلحة يحصلونها؛ والذين قبلهم عملوا لأجل المدح والجلالة في أعين الناس، ولا يحصل لهم طائل.

والنوع الأول أعقل من هؤلاء كلهم؛ لأنهم عملوا لله وحده لا شريك له، لكن لم يطلبوا منه الخير العظيم وهو الجنة، ولم يهربوا من الشر العظيم وهو العذاب في الآخرة.

النوع الرابع: أن يعمل الإنسان بطاعة الله مخلصًا في ذلك لله وحده لا شريك له، لكنه علىٰ عمل يكفره كفرا يخرجه عن الإسلام مثل اليهود والنصارىٰ إذا عبدوا الله، وتصدقوا، أو صاموا ابتغاء وجه الله، والدار الآخرة.

ومثل كثير من هذه الأمة الذين فيهم شرك أكبر، أو كفر أكبر يخرجهم عن الإسلام بالكلية إذا أطاعوا الله طاعة خالصة يريدون بها ثواب الله في الدار الآخرة، لكنهم علىٰ أعمال تخرجهم من الإسلام وتمنع قبول أعمالهم؛ فهذا النوع أيضًا قد ذكر في الآية عن أنس بن مالك وغيره؛ وكان السلف يخافون منه.

لكن بقي أن يقال: إذا عمل الرجل الصلوات الخمس والزكاة والصوم والحج ابتغاء وجه الله طالبا ثواب الآخرة، ثم بعد ذلك عمل أعمالا كثيرة أو قليلة قاصدًا بها الدنيا، مثل أن يحج فرضه لله، ثم يحج بعده لأجل الدنيا كما هو الواقع كثيرًا ممن يسافر إلىٰ بلدان المشركين من فساق المسلمين نعوذ بالله من ذلك[1].

قَوْلُهُ: «وفِي الصَّحِيحِ»: أي صحيح البخاري.

قَوْلُهُ: «عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ تَعِسَ

---

(١) انظر: «الدرر السنية في الأجوبة النجدية» (١٣/ ٢١٩-٢٢٢).

عَبْدُ الدِّرْهَمِ»»: أي الذي اختاره علىٰ رضا معبوده الجبار بأن يأخذه من غير حله، وأن لا يصرفه في محله[1]، فإن طَلَب الدينار -أي الذهب-، والدرهم -أي الفضة-، وصار عمله كلُّه في طلب الدينار، والدرهم صار عبدا لهما[2].

ومعنى تِعِس: عثر فسقط لوجهه[3]، وقد تُفْتح العين، وهو دعاء عليه بالهلاك[4].

وقيل: التعس: ألا ينتعش، ولا يفيق من عثرته[5].

وتعس: ضد سعد تقول: تعس فلان أي شقي[6].

قال القاري: «**وهذان مثالان وخصا بالذكر؛ لأنهما النقدان الحاصل بهما جميع مقاصد النفس، والشيطان**»[7].

قَولُهُ: «تَعِسَ عَبْدُ الخَمِيصَةِ»: الخميصة نوع من الأكسية[8]، وهي ثوب خز، أو صوف معلَّم، وقيل: لا تسمىٰ خميصة إلا أن تكون سوداء معلمة، وكانت من لباس الناس قديما[9].

وخُصَّت بالذكر؛ لأن الغالب في لبسها الخيلاء والرعونة والرياء والسمعة، ومن كمال ميل النفس إليها وعدم الطاقة علىٰ مفارقتها، فكأنه عبد لها[10].

---

(١) انظر: «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٨/ ٣٢٢٨).
(٢) انظر: «شرح صحيح البخاري»، لابن بطال (٥/ ٨٣).
(٣) انظر: «كشف المشكل من حديث الصحيحين» (٣/ ٥٣٨).
(٤) انظر: «النهاية في غريب الحديث» (١/ ٩٠).
(٥) انظر: «شرح صحيح البخاري»، لابن بطال (٥/ ٨٣).
(٦) انظر: «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» (٦/ ٨٢).
(٧) انظر: «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٨/ ٣٢٢٨).
(٨) انظر: «كشف المشكل من حديث الصحيحين» (٣/ ٥٣٨).
(٩) انظر: «النهاية في غريب الحديث» (٢/ ٨١).
(١٠) انظر: «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٨/ ٣٢٢٨).

قَـوْلُـهُ: «تَعِسَ عَبْدُ الخَمِيلَةِ»: الخميلة: القطيفة، وهي كل ثوب له خمل من أي شيء كان. وقيل: الخميل الأسود من الثياب[1].

قَـوْلُـهُ: «إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ»: أي أنه يعمل للدنيا[2].

فوجب الدعاء عليه بالتعس؛ لأنه أوقف عمله علىٰ متاع الدنيا الفاني، وترك العمل لنعيم الآخرة الباقي[3].

قَـوْلُـهُ: «تَعِسَ وَانْتَكَسَ»: أي سقط علىٰ رأسه، يقال: نكَسْتُ الشيء: إذا قلبتُه[4]، وهو دعاء عليه بالخيبة؛ لأن من انتكس في أمره فقد خاب وخسر[5].

قال ابن حجر: «أي عاوده المرض، وقيل: إذا سقط اشتغل بسقطته حتىٰ يسقط أخرىٰ»[6].

قَـوْلُـهُ: «وَإِذَا شِيكَ فَلَا انْتَقَشَ»: أي إذا شاكته شوكة في جسده فلا يقدر علىٰ انتقاشها، وهو إخراجها بالمنقاش[7]؛ يقال: نقشت الشوك: إذا استخرجته[8].

قال ابن حجر: «وفي الدعاء بذلك إشارة إلىٰ عكس مقصوده؛ لأن من عثر فدخلت في رجله الشوكة فلم يجد من يخرجها يصير عاجزا عن الحركة والسعي في تحصيل الدنيا»[9].

قَـوْلُـهُ: «طُوبَىٰ»: علىٰ وزن «فُعْلَىٰ» من الطيب[10].

---

(١) انظر: «النهاية في غريب الحديث» (٢/ ٨١).
(٢) انظر: «النهاية في غريب الحديث» (٢/ ٨١).
(٣) انظر: «شرح صحيح البخاري»، لابن بطال (٥/ ٨٣).
(٤) انظر: «كشف المشكل من حديث الصحيحين» (٣/ ٥٣٨-٥٣٩).
(٥) انظر: «النهاية في غريب الحديث» (٥/ ١١٥).
(٦) انظر: «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» (٦/ ٨٢).
(٧) انظر: «النهاية في غريب الحديث» (٢/ ٥١٠).
(٨) انظر: «كشف المشكل من حديث الصحيحين» (٣/ ٥٣٩).
(٩) انظر: «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» (٦/ ٨٣).
(١٠) انظر: «كشف المشكل من حديث الصحيحين» (٣/ ٥٣٩).

وطوبى: اسم الجنة، وقيل: هي شجرة فيها، وأصلها: فُعْلىٰ، من الطيب، فلما ضُمت الطاء انقلبت الياء واوا[(١)].

قَولُه: «لِعَبْدٍ آخِذٍ بِعِنَانِ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ»: أي بلجام فرسه مجاهدًا في سبيل الله[(٢)].

قَولُه: «أَشْعَثَ رَأْسُهُ»: أي مغبَرَّة رأسه[(٣)].

قَولُه: «مُغْبَرَّةٍ قَدَمَاهُ»: أي أصاب الغبار قدماه من شدة العمل في سبيل الله.

قَولُه: «إِنْ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ، وَإِنْ كَانَ فِي السَّاقَةِ كَانَ فِي السَّاقَةِ»: أي في حراسة العدو، خوفا من أن يهجم العدو عليهم، وذلك يكون في مقدمة الجيش، والساقة مؤخرة الجيش، والمعنىٰ: أنه يأتمر بما أُمر، ويقوم حيث أقيم لا يفقد من مكانه بحال، وإنما ذكر الحراسة والساقة؛ لأنهما أشد مشقة وأكثر آفة، الأول عند دخولهم دار الحرب، والآخر عند خروجهم منها[(٤)].

والمعنىٰ: أنه خامل الذكر لا يقصد السمو، فأين اتَّفق له كان فيه[(٥)]، أي إن كان في الحراسة استمر فيها، وإن كان في الساقة استمر فيها[(٦)].

قَولُه: «إِنِ اسْتَأْذَنَ لَمْ يُؤْذَنْ لَهُ»: فيه إشارة إلىٰ عدم التفاته إلىٰ الدنيا وأربابها بحيث يفنىٰ بكليته في نفسه لا يبتغي مالا ولا جاها عند الناس، بل يكون

---

(١) انظر: «النهاية في غريب الحديث» (٣/ ١٤١).
(٢) انظر: «تهذيب اللغة»، مادة «عنن».
(٣) انظر: «تهذيب اللغة»، مادة «شعث».
(٤) انظر: «عمدة القاري شرح صحيح البخاري» (١٤/ ١٧٢).
(٥) انظر: «كشف المشكل من حديث الصحيحين» (٣/ ٥٣٩).
(٦) انظر: «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» (٦/ ٨٣).

عند الله وجيها، ولم يقبل الناس شفاعته، وعند الله يكون شفيعًا مشفِعًا[(١)].

قَوْلُهُ: «وَإِنْ شَفَعَ لَمْ يُشَفَّعْ»: أي لم تقبل شفاعته[(٢)]، وفيه ترك حب الرياسة والشهرة، وفضل الخمول والتواضع[(٣)].



(١) **انظر:** «عمدة القاري شرح صحيح البخاري» (١٤/ ١٧٢).
(٢) **انظر:** «عمدة القاري شرح صحيح البخاري» (١٤/ ١٧٢).
(٣) **انظر:** «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» (٦/ ٨٣).

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: إِرَادَةُ الْإِنْسَانِ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الْآخِرَةِ.

الثَّانِيَةُ: تَفْسِيرُ آيَةِ هُودٍ.

الثَّالِثَةُ: تَسْمِيَةُ الْإِنْسَانِ المسْلِمِ عَبْدَ الدِّينَارِ، وَالدِّرْهَمِ، وَالخَمِيصَةِ.

الرَّابِعَةُ: تَفْسِيرُ ذَلِكَ بِأَنَّهُ إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ.

الخَامِسَةُ: قَوْلُهُ: «تَعِسَ، وَانْتَكَسَ».

السَّادِسَةُ: قَوْلُهُ: «وَإِذَا شِيكَ، فَلَا انْتَقَشَ».

السَّابِعَةُ: الثَّنَاءُ عَلَى المجَاهِدِ الموْصُوفِ بِتِلْكَ الصِّفَاتِ.

الشَّرْح

قَوْلُهُ: «الْأُولَى: إِرَادَةُ الْإِنْسَانِ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الْآخِرَةِ»: كمن يعمل عملا صالحًا لأجل دنيا يصيبها.

قَوْلُهُ: «الثَّانِيَةُ: تَفْسِيرُ آيَةِ هُودٍ»: أي قوله تعالىٰ: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا﴾ [هود: ١٥].

قَوْلُهُ: «الثَّالِثَةُ: تَسْمِيَةُ الْإِنْسَانِ المسْلِمِ عَبْدَ الدِّينَارِ، وَالدِّرْهَمِ، وَالخَمِيصَةِ»: كما في قوله ﷺ: «تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، تَعِسَ عَبْدُ الدِّرْهَمِ، تَعِسَ عَبْدُ الخَمِيصَةِ».

قَوْلُهُ: «الرَّابِعَةُ: تَفْسِيرُ ذَلِكَ بِأَنَّهُ إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ»: أي إذا أعطي شيئًا علىٰ عمله رضي، وإن لم يُعط لم يرضَ.

قَوْلُهُ: «الخَامِسَةُ: قَوْلُهُ: «تَعِسَ، وَانْتَكَسَ»»: هذا دعاء عليه بالهلاك.

قَوْلُهُ: «السَّادِسَةُ: قَوْلُهُ: «وَإِذَا شِيكَ، فَلَا انْتَقَشَ»»: أي إذا أصابته الشوكة لم يقدر علىٰ استخراجها.

قَوْلُهُ: «السَّابِعَةُ: الثَّنَاءُ عَلَى المجَاهِدِ الموْصُوفِ بِتِلْكَ الصِّفَاتِ»: كما في قوله ﷺ: «طُوبَىٰ لِعَبْدٍ آخِذٍ بِعِنَانِ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ».

[٣٧] بابٌ من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحلَّ الله أو تحليل ما حرَّمه فقد اتَّخذهم أربابًا

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «يُوشِكُ أَنْ تَنْزِلَ عَلَيْكُمْ حِجَارَةٌ مِنَ السَّمَاءِ، أَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَتَقُولُونَ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ؟»[١].

وَقَالَ الإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ: عَجِبْتُ لِقَوْمٍ عَرَفُوا الإِسْنَادَ وَصِحَّتَهُ، وَيَذْهَبُونَ إِلَى رَأْيِ سُفْيَانَ، وَاللهُ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور:٦٣] أَتَدْرِي مَا الفِتْنَةُ؟ الفِتْنَةُ: الشِّرْكُ؛ لَعَلَّهُ إِذَا رَدَّ بَعْضَ قَوْلِهِ أَنْ يَقَعَ فِي قَلْبِهِ شَيْءٌ مِنَ الزَّيْغِ فَيَهْلِكَ[٢].

وَعَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ: «أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقْرَأُ هَذِهِ الآيَةَ ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:٣١]، فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّا لَسْنَا نَعْبُدُهُمْ، قَالَ: «أَلَيْسَ يُحَرِّمُونَ مَا أَحَلَّ اللهُ، فَتُحَرِّمُونَهُ، وَيُحِلُّونَ مَا حَرَّمَ اللهُ فَتُحِلُّونَهُ؟» فَقُلْتُ: بَلَى، قَالَ: «فَتِلْكَ عِبَادَتُهُم»[٣] رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَالتِّرْمِذِيُّ، وَحَسَّنَهُ.

الشَّرْح

قَوْلُهُ: «بَابُ مَنْ أَطَاعَ العُلَمَاءَ وَالْأُمَرَاءَ فِي تَحْرِيمِ مَا أَحَلَّ اللهُ أَوْ تَحْلِيلِ مَا حَرَّمَهُ فَقَدِ اتَّخَذَهُمْ أَرْبَابًا»: لقوله تعالىٰ: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟

---

(١) صحيح: رواه بنحوه أحمد (٣١٢١)، وابن عبد البر في «الجامع» (٢٣٧٧)، والخطيب البغدادي في «الفقيه والمتفقه»، صـ(٣٧٦)، وابن حزم في «حجة الوداع»، صـ(٣٥٢)، وصححه أحمد شاكر.

(٢) انظر: «الصارم المسلول علىٰ شاتم الرسول»، لابن تيمية، صـ(٥٦-٥٧)، و«التحبير شرح التحرير في أصول الفقه»، لمرداوي (٨/ ٤١١١).

(٣) حسن: رواه الترمذي (٣٠٩٥)، وحسنه الألباني.

إِلَـٰهًا وَٰحِدًاۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾[التوبة:٣١]، وقد تقدم تفسير هذه الآية في باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله.

قَوْلُهُ: «وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «يُوشِكُ أَنْ تَنْزِلَ عَلَيْكُمْ حِجَارَةٌ مِنَ السَّمَاءِ، أَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَتَقُولُونَ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ؟»»: ذلك حينما قال ابنُ عباس: «تَمَتَّعَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ: نَهَىٰ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ عَنِ الْمُتْعَةِ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: مَا يَقُولُ عُرَيَّةُ؟ قَالَ: يَقُولُ: نَهَىٰ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ عَنِ الْمُتْعَةِ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أُرَاهُمْ سَيَهْلِكُونَ أَقُولُ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ، وَيَقُولُ: نَهَىٰ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ»(١).

قال ابن تيمية: «يبين لهم أنه ليس لأحد أن يعارض سنة رسول الله ﷺ بقول أحد من الناس مع أن أولئك المعارضين كانوا يخطئون علىٰ أبي بكر وعمر، وهم سواء كانوا علموا حال أبي بكر وعمر أم أخطئوا عليهما ليس لأحد أن يدفع المعلوم من سنة رسول الله ﷺ بقول أحد من الخلق بل كل أحد من الناس فإنه يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ، وهذا متفق عليه بين علماء الأمة وأئمتها، وإنما تنازع فيه أهل الجهالة من الرافضة، وغالية النساك الذين يعتقد أحدهم في بعض أهل البيت، أو بعض المشايخ أنه معصوم، أو كالمعصوم»(٢).

ولا يجوز لأحد أن يُعرِضَ عن سنة النبي ﷺ لقول أحد من الناس بالإجماع.

قال الشافعي: «أجمع المسلمون علىٰ أن من استبانت له سنة رسول الله ﷺ لم يكن له أن يدعها لقول أحد من الناس»(٣).

قَوْلُهُ: «وَقَالَ الإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ: «عَجِبْتُ لِقَوْمٍ عَرَفُوا الإِسْنَادَ وَصِحَّتَهُ، وَيَذْهَبُونَ إِلَى رَأْيِ سُفْيَانَ»»: أي يعرِفون صحة الحديث ويُعْرِضون

---

(١) صحيح: رواه أحمد (٣١٢١)، وصححه أحمد شاكر.

(٢) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (٢٦/ ٢٨١-٢٨٢).

(٣) انظر: «إعلام الموقعين» (١/ ٦).

عنه لقول عالم من العلماء كسفيان الثوري.

قَولُه: «وَاللهُ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ﴾»: أي فليحذر، وليخش من خالف شريعة الرسول باطنًا، أو ظاهرًا عن أمر رسول الله ﷺ، وسنته، وشريعته، فتوزن الأقوال، والأعمال بأقواله، وأعماله، فما وافق ذلك قبل، وما خالفه فهو مردود علىٰ قائله، وفاعله كائنا ما كان كما ثبت في الصحيحين وغيرهما، عن رسول ﷺ أنه قال: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ**»[(١)][(٢)].

قَولُه: «﴿أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾»: أي في قلوبهم، من كفر، أو نفاق، أو بدعة[(٣)].

قَولُه: «﴿أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾»: أي في الدنيا، بقتل، أو حدٍّ، أو حبس، أو نحو ذلك[(٤)].

قَولُه: «أَتَدْرِي مَا الفِتْنَةُ؟ الفِتْنَةُ: الشِّرْكُ، لَعَلَّهُ إِذَا رَدَّ بَعْضَ قَوْلِهِ أَنْ يَقَعَ فِي قَلْبِهِ شَيْءٌ مِنَ الزَّيْغِ فَيَهْلِكَ»: أي يَدَعُون الحديث عن رسول الله ﷺ، وتغلبهم أهواؤهم إلىٰ الرأي، فإذا كان المخالف عن أمره قد حُذِّر من الكفر والشرك أو من العذاب الأليم دل علىٰ أنه قد يكون مفضيًا إلىٰ الكفر أو إلىٰ العذاب الأليم، ومعلوم أن إفضاءه إلىٰ العذاب هو مجرد فعل المعصية، فإفضاؤه إلىٰ الكفر إنما هو لما قد يقترن به من استخفاف بحق الآمر كما فعل إبليس[(٥)].

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨)، واللفظ له، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٢) **انظر**: «تفسير ابن كثير» (٦/ ٨٩-٩٠).

(٣) **انظر**: «تفسير ابن كثير» (٦/ ٩٠).

(٤) **انظر**: «تفسير ابن كثير» (٦/ ٩٠).

(٥) **انظر**: «الصارم المسلول»، صـ(٥٧).

قال ابن تيمية: «كان أئمة المسلمين لا يتكلمون في شيء أنه عبادة، وطاعة، وقُرْبة إلا بدليل شرعي واتباع لمن قبلهم لا يتكلمون في الدين بلا علم فإن الله حرم ذلك»(١).

قَـولُـهُ: «وَعَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ: «أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقْرَأُ هَذِهِ الآيَةَ ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة:٣١]، فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّا لَسْنَا نَعْبُدُهُمْ، قَالَ: «أَلَيْسَ يُحَرِّمُونَ مَا أَحَلَّ اللهُ، فَتُحَرِّمُونَهُ، وَيُحِلُّونَ مَا حَرَّمَ اللهُ فَتُحِلُّونَهُ؟» فَقُلْتُ: بَلَى، قَالَ: «فَتِلْكَ عِبَادَتُهُم»»: لأن من أطاع مخلوقًا في معصية الخالق واعتقد جواز طاعته أو وجوبها فقد أشرك بهذا الاعتبار، حيث جعل التحليل والتحريم لغير الله(٢).



---

(١) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (٢٧/ ٣٧٤).

(٢) انظر: «الحكم الجديرة بالإذاعة»، لابن رجب، صـ (١٥).

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: تَفْسِيرُ آيَةِ النُّورِ.

الثَّانِيَةُ: تَفْسِيرُ آيَةِ بَرَاءَة.

الثَّالِثَةُ: التَّنْبِيهُ عَلَى مَعْنَى العِبَادَةِ الَّتِي أَنْكَرَهَا عَدِيٌّ.

الرَّابِعَةُ: تَمْثِيلُ ابْنِ عَبَّاسٍ بِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، وَتَمْثِيلُ أَحْمَدَ بِسُفْيَانَ.

الخَامِسَةُ: تَغَيُّرُ الأَحْوَالِ إِلَى هَذِهِ الغَايَةِ، حَتَّى صَارَ عِنْدَ الأَكْثَرِ عِبَادَةُ الرُّهْبَانِ هِيَ أَفْضَلُ الأَعْمَالِ، وَتُسَمَّى الوَلَايَةُ، وَعِبَادَةُ الأَحْبَارِ هِيَ العِلْمُ وَالْفِقْهُ، ثُمَّ تَغَيَّرَتِ الأَحْوَالُ إِلَى أَنْ عُبِدَ مِنْ دُونِ اللهِ مَنْ لَيْسَ مِنَ الصَّالِحِينَ، وَعُبِدَ بِالمعْنَى الثَّانِي مَنْ هُوَ مِنَ الجَاهِلِينَ.

الشَّرْح

قَوْلُهُ: «الْأُولَى: تَفْسِيرُ آيَةِ النُّورِ»: أي قوله تعالىٰ: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾[النور:٦٣].

قَوْلُهُ: «الثَّانِيَةُ: تَفْسِيرُ آيَةِ بَرَاءَة»: أي قوله تعالىٰ: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾[التوبة:٣١].

قَوْلُهُ: «الثَّالِثَةُ: التَّنْبِيهُ عَلَى مَعْنَى العِبَادَةِ الَّتِي أَنْكَرَهَا عَدِيٌّ»: ظن عدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن العبادة فقط في السجود والركوع لهم، فبين له النبي ﷺ أن العبادة تشمل أيضًا طاعتهم في تحريم الحلال، وتحليل الحرام.

قَوْلُهُ: «الرَّابِعَةُ: تَمْثِيلُ ابْنِ عَبَّاسٍ بِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، وَتَمْثِيلُ أَحْمَدَ بِسُفْيَانَ»: أي أن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ذكر الوعيد علىٰ مخالفة أمر النبي ﷺ، ولو كان لقول أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وكذلك الإمام أحمد ذكر الوعيد علىٰ مخالفة أمر النبي ﷺ، ولو كان لقول عالم كبير كسفيان الثوري.

قَوْلُهُ: «الخَامِسَةُ: تَغَيُّرُ الأَحْوَالِ إِلَى هَذِهِ الغَايَةِ، حَتَّى صَارَ عِنْدَ الأَكْثَرِ عِبَادَةُ الرُّهْبَانِ هِيَ أَفْضَلُ الأَعْمَالِ، وَتُسَمَّى الوَلَايَةُ، وَعِبَادَةُ الأَحْبَارِ هِيَ العِلْمُ وَالْفِقْهُ، ثُمَّ تَغَيَّرَتِ الأَحْوَالُ إِلَى أَنْ عُبِدَ مِنْ دُونِ اللهِ مَنْ لَيْسَ مِنَ الصَّالِحِينَ، وَعُبِدَ بِالمعْنَى الثَّانِي مَنْ هُوَ مِنَ الجَاهِلِينَ»: أي تغيرت الأحوال عما ذكره ابن عباس رَضِيَاللَّهُعَنْهُمَا، والإمام أحمد حتىٰ صارت عبادة الرهبان عند أكثر الناس أفضل الأعمال، وسموها بالوَلاية، وصارت عبادة الأحبار هي العلم، ثم تغيرت الأحوال فصار أنْ عُبد من دون الله من ليس من الصالحين.



[٣٨] بَابُ قَوْلِهِ تَعَالَى:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا (٦٠)﴾ [النساء:٦٠] الْآيَاتِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ (١١)﴾ [البقرة:١١].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ [الأعراف:٥٦].

وَقَوْلُهُ: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ [المائدة:٥٠].

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ»(١) قَالَ النَّوَوِيُّ: «حَدِيثٌ صَحِيحٌ رُوِّينَاهُ فِي كِتَابِ الْحُجَّةِ(٢) بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ»(٣).

وَقَالَ الشَّعْبِيُّ: كَانَ بَيْنَ رَجُلٍ مِنَ الْمُنَافِقِينَ وَرَجُلٍ مِنَ الْيَهُودِ خُصُومَةٌ، فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: نَتَحَاكَمُ إِلَى مُحَمَّدٍ عَرَفَ أَنَّهُ لَا يَأْخُذُ الرِّشْوَةَ، وَقَالَ الْمُنَافِقُ: نَتَحَاكَمُ إِلَى الْيَهُودِ؛ لَعَلِمَهُ أَنَّهُمْ يَأْخُذُونَ الرِّشْوَةَ، فَاتَّفَقَا أَنْ يَأْتِيَا كَاهِنًا فِي

---

(١) رواه ابن أبي عاصم في «السنة» (١٥)، وابن بطة في «الإبانة» (٢٧٩)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (١٦٠٩)، والبغوي في «شرح السنة» (١٠٤)، وصححه الحافظ أبو نعيم في «الأربعين»، والنووي. [انظر: «جامع العلوم والحكم» (٢/ ٣٩٣)].
وقال ابن حجر في «الفتح» (١٣/ ٢٨٩): «رجاله ثقات».

(٢) قال ابن رجب: «يريد بصاحب كتاب الحجة الشيخ أبا الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي الشافعي الفقيه الزاهد نزيل دمشق، وكتابه هذا هو كتاب «الحجة علىٰ تارك المحجة» يتضمن ذكر أصول الدين علىٰ قواعد أهل الحديث والسنة». [انظر: «جامع العلوم والحكم» (٢/ ٣٩٣)].

(٣) انظر: «الأربعين النووية» (٤١).

جُهَيْنَةَ، فَيَتَحَاكَمَا إِلَيْهِ، فَنَزَلَتْ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ﴾ [النساء:٦٠][1].

وَقِيلَ: «نَزَلَتْ فِي رَجُلَيْنِ اخْتَصَمَا، فَقَالَ أَحَدُهُمَا: نَتَرَافَعُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَقَالَ الْآخَرُ: إِلَى كَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ، ثُمَّ تَرَافَعَا إِلَى عُمَرَ، فَذَكَرَ لَهُ أَحَدُهُمَا الْقِصَّةَ، فَقَالَ لِلَّذِي لَمْ يَرْضَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ: أَكَذَلِكَ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَضَرَبَهُ بِالسَّيْفِ، فَقَتَلَهُ»[2].

الشَّرْح

قَوْلُهُ: «بَابٌ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾»: أي ألم تر يا محمد الذين يزعمون أنهم صدقوا بما أنزل إليك من الكتاب، وإلىٰ الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل من قبلك من الكتب[3].

قَوْلُهُ: «﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ﴾»: أي ذي الطغيان[4]، وهو من يعظمونه، ويصدُرون عن قوله، ويرضون بحكمه من دون حكم الله[5].

قَوْلُهُ: «﴿وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ﴾»: أي وقد أمرهم الله أن لا يوالوا غير أهل دينهم[6]، وأن يكذبوا بما جاءهم به الطاغوت الذي يتحاكمون إليه، فتركوا

---

(١) مرسل: رواه ابن جرير في «التفسير» (٩٨٩٣).

(٢) ضعيف جدًّا: رواه الواحدي في «أسباب النزول»، صـ (١٦٢)، والبغوي في «التفسير» (٦٥٥)، فيه الكلبي كذاب.

وفيه أبو صالح؛ قال عنه ابن حبان: «أبو صالح لم ير بن عباس، ولا سمع منه شيئًا، ولا سمع الكلبي من أبي صالح». وقال: «قال الكلبي: قال لي أبو صالح كل ما حدثتك فهو كذب».

[انظر: «المجروحين» (٢/ ٢٥٥)].

(٣) انظر: «تفسير الطبري» (٨/ ٥٠٧).

(٤) انظر: «التفسير الوجيز»، صـ (٢٧١).

(٥) انظر: «تفسير الطبري» (٨/ ٥٠٧).

(٦) انظر: «التفسير الوجيز»، صـ (٢٧١).

أمر الله واتبعوا أمر الشيطان[١].

قَولُه: «﴿وَيُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾»: أي أن الشيطان يريد أن يصد هؤلاء المتحاكمين إلىٰ الطاغوت عن سبيل الحق والهدىٰ[٢].

قَولُه: «﴿أَن يُضِلَّهُمۡ ضَلَٰلَۢا بَعِيدٗا﴾»: أي يجور بهم عنها جورًا شديدًا[٣]، ولا يرجعون عنه إلىٰ دين الله أبدًا، وهذا تعجيب للنبي ﷺ من جهل من يعدل عن حكم الله إلىٰ حكم الطاغوت مع زعمه بأنه يؤمن بالله ورسوله ﷺ[٤].

قَولُه: «﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ﴾»: أي إذا قيل للمنافقين: هلموا إلىٰ حكم الله الذي أنزله في كتابه، وإلىٰ الرسول؛ ليحكم بيننا[٥].

قَولُه: «﴿رَأَيۡتَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودٗا ۝٦١﴾»: أي يمتنعون من المصير إليك لتحكم بينهم، ويمنعون من المصير إليك كذلك غيرهم[٦]، ويعرضون عنك إعراضا إلىٰ غيرك عداوة للدين[٧].

قال ابن كثير في تفسير الآية: «هذا إنكار من الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ من يدعي الإيمان بما أنزل الله علىٰ رسوله وعلىٰ الأنبياء الأقدمين، وهو مع ذلك يريد التحاكم في فصل الخصومات إلىٰ غير كتاب الله وسنة رسوله، كما ذكر في سبب نزول هذه الآية: أنها في رجل من الأنصار ورجل من اليهود تخاصما، فجعل اليهودي يقول: بيني وبينك محمد، وذاك يقول: بيني وبينك كعب بن الأشرف.

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٨/ ٥٠٧).
(٢) انظر: «تفسير الطبري» (٨/ ٥٠٧).
(٣) انظر: «تفسير الطبري» (٨/ ٥٠٧).
(٤) انظر: «التفسير الوجيز»، صـ (٢٧١).
(٥) انظر: «تفسير الطبري» (٨/ ٥١٨).
(٦) انظر: «تفسير الطبري» (٨/ ٥١٨).
(٧) انظر: «التفسير الوجيز»، صـ (٢٧١).

وقيل: في جماعة من المنافقين ممن أظهروا الإسلام أرادوا أن يتحاكموا إلىٰ حكام الجاهلية.

وقيل غير ذلك.

والآية أعم من ذلك كله، فإنها ذامة لمن عدل عن الكتاب والسنة، وتحاكما إلىٰ ما سواهما من الباطل، وهو المراد بالطاغوت هاهنا؛ ولهذا قال: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ۝٦٠ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ۝٦١﴾[النساء:٦٠-٦١].

وقوله: ﴿يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا﴾أي: يعرضون عنك إعراضًا كالمستكبرين عن ذلك، كما قال تعالىٰ عن المشركين: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾ [لقمان:٢١] هؤلاء وهؤلاء بخلاف المؤمنين، الذين قال الله فيهم: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٥١﴾[النور:٥١]»[١].

قال ابن القيم: «فكل من أعرض عن الداعي له إلىٰ ما أنزل الله ورسوله إلىٰ غيره فله نصيب من هذا الذم؛ فمستكثر، ومستقل»[٢].

وقال أيضًا: من صفات المنافقين «أنك إذا دعوتهم عند المنازعة للتحاكم إلىٰ القرآن والسنة أبوا ذلك وأعرضوا عنه، ودعوك إلىٰ التحاكم إلىٰ طواغيتهم»[٣].

---

(١) **انظر:** «تفسير ابن كثير» (٢/ ٣٤٦).

(٢) **انظر:** «إعلام الموقعين» (٢/ ١٦١).

(٣) **انظر:** «طريق الهجرتين»، لابن القيم، صـ (٤٠٧).

قَوْلُهُ: «﴿ فَكَيْفَ ﴾»: أي فكيف يصنع هؤلاء الذين يريدون أن يتحاكموا إلىٰ الطاغوت[(١)].

قَوْلُهُ: «﴿ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةُۢ ﴾»: أي إذا نزلت بهم نقمة من الله[(٢)] مجازاة لهم علىٰ ما صنعوا[(٣)].

قَوْلُهُ: «﴿ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ ﴾»: أي بذنوبهم التي سلفت منهم[(٤)].

قَوْلُهُ: «﴿ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ ﴾»: أي ثم جاؤوك يحلفون بالله كذبا، وزورا[(٥)].

قَوْلُهُ: «﴿ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّآ إِحۡسَٰنٗا وَتَوۡفِيقًا ۝٦٢ ﴾»: أي ما أردنا باحتكامنا إليه إلا الإحسان من بعضنا إلىٰ بعض، والصواب فيما احتكمنا فيه إليه[(٦)]، وجمعًا وتأليفًا وإحسانًا بالتقريب في الحكم دون الحمل علىٰ مر الحق، وكل ذلك كذب منهم[(٧)].

قال ابن كثير في تفسير الآية: «ثم قال تعالىٰ في ذم المنافقين: ﴿ فَكَيۡفَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ ﴾ [النساء:٦٢] أي: فكيف بهم إذا ساقتهم المقادير إليك في مصائب تطرُقُهم بسبب ذنوبهم، واحتاجوا إليك في ذلك، ﴿ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّآ إِحۡسَٰنٗا وَتَوۡفِيقًا ۝٦٢ ﴾ [النساء:٦٢] أي: يعتذرون إليك ويحلفون ما أردنا بذهابنا إلىٰ غيرك، وتحاكمنا إلىٰ عداك إلا الإحسان والتوفيق، أي: المداراة والمصانعة، لا اعتقادا منا صحة تلك الحكومة، كما

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٨/ ٥١٤)، و«تفسير البغوي» (١/ ٦٥٦).

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (٨/ ٥١٤).

(٣) انظر: «التفسير الوجيز»، صـ (٢٧١).

(٤) انظر: «تفسير الطبري» (٨/ ٥١٤).

(٥) انظر: «تفسير الطبري» (٨/ ٥١٤).

(٦) انظر: «تفسير الطبري» (٨/ ٥١٤).

(٧) انظر: «التفسير الوجيز»، صـ (٢٧١).

أخبرنا تعالىٰ عنهم في قوله: ﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [المائدة:٥٢]»[1].

قَولُه: «وَقَوْلُهُ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾﴾»: أي وإذا قيل للمنافقين: لا تفسدوا في الأرض بالكفر وتعويق الناس عن الإيمان، قالوا إنما الذين نحن عليه هو صلاح عند أنفسنا[2].

وقيل: المعنىٰ: «**لا تعصوا في الأرض، وكان فسادهم ذلك معصية الله؛ لأنه من عصىٰ الله في الأرض أو أمر بمعصية الله، فقد أفسد في الأرض؛ لأن صلاح الأرض والسماء بالطاعة**»[3].

قال الطبري: «**نزلت في المنافقين الذين كانوا علىٰ عهد رسول الله ﷺ، وإن كان معنيا بها كل من كان بمثل صفتهم من المنافقين بعدهم إلىٰ يوم القيامة**»[4].

قَولُه: «وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾»: أي لا تشركوا بالله في الأرض، ولا تعصوه فيها، وذلك هو الفساد فيها[5].

قَولُه: «﴿بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾»: أي بعد إصلاح الله إياها لأهل طاعته، بابتعاثه فيهم الرسل دعاة إلىٰ الحق، وإيضاحه حججه لهم[6].

قال ابن كثير في تفسير الآية: «**ينهىٰ تعالىٰ عن الإفساد في الأرض، وما أضره بعد الإصلاح، فإنه إذا كانت الأمور ماشية علىٰ السداد، ثم وقع الإفساد بعد**

(١) **انظر:** «تفسير ابن كثير» (٢/ ٣٤٦-٣٤٧).
(٢) **انظر:** «التفسير الوجيز»، صـ(٩٢).
(٣) **انظر:** «تفسير الطبري» (١/ ٢٨٨).
(٤) **انظر:** «تفسير الطبري» (١/ ٢٨٩).
(٥) **انظر:** «تفسير الطبري» (١٢/ ٤٨٧).
(٦) **انظر:** «تفسير الطبري» (١٢/ ٤٨٧).

ذلك، كان أضر ما يكون علىٰ العباد، فنهىٰ الله تعالىٰ عن ذلك»[1].

قوله: «وقوله: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾»: أي أيبغي هؤلاء اليهود الذين احتكموا إليك، فلم يرضوا بحكمك، إذ حكمت فيهم بالقسط حكمَ الجاهلية، يعني: أحكام عبدة الأوثان من أهل الشرك، وعندهم كتاب الله فيه بيان حقيقة الحكم الذي حكمت به فيهم، وأنه الحق الذي لا يجوز خلافه.

ثم قال تعالىٰ موبخًا لهؤلاء الذين أبوا قبول حكم رسول الله ﷺ عليهم ولهم من اليهود، ومستجهلًا فعلهم ذلك منهم: ومن هذا الذي هو أحسن حكمًا أيها اليهود، من الله تعالىٰ عند من كان يوقن بوحدانية الله، ويقر بربوبيته؟، وأيُّ حكم أحسن من حكم الله، إن كنتم موقنين أن لكم ربا، وكنتم أهل توحيد وإقرار به؟[2].

قال ابن كثير في تفسير الآية: «ينكر تعالىٰ علىٰ من خرج عن حكم الله المحكم المشتمل علىٰ كل خير، الناهي عن كل شر، وعدل إلىٰ ما سواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات، التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله، كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات مما يضعونها بآرائهم وأهوائهم... يقدمونها علىٰ الحكم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ومن فعل ذلك منهم فهو كافر يجب قتاله، حتىٰ يرجع إلىٰ حكم الله ورسوله ﷺ، فلا يحكم سواه في قليل ولا كثير، قال الله تعالىٰ: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ أي: يبتغون ويريدون، وعن حكم الله يعدلون، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ أي: ومن أعدل من الله في حكمه لمن عقل عن الله شرعه، وآمن به وأيقن وعلم أنه تعالىٰ أحكم الحاكمين، وأرحم بخلقه من الوالدة بولدها، فإنه تعالىٰ هو العالم

(١) انظر: «تفسير ابن كثير» (٣/ ٤٢٩).

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (١٠/ ٣٩٤).

بكل شيء، القادر علىٰ كل شيء، العادل في كل شيء»[1].

قَوْلُهُ: «وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ يَكُونَ هَوَاهُ»»: أي ميل نفسه، سُمي به؛ لأنه يهوي صاحبه في الدنيا إلىٰ الداهية، وفي الآخرة إلىٰ الهاوية[2].

قَوْلُهُ: «تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ»: يجوز أن يحمل هذا علىٰ نفي أصل الإيمان، أي: حتىٰ يكون تابعا مقتديا لما جئت به من الشرع عن اعتقاد لا عن إكراه وخوف سيف كالمنافقين، وقيل: المراد نفي الكمال، أي: لا يكمل إيمان أحدكم حتىٰ يكون ميل نفسه، أي: ما تشتهيه تبعا لما جئت به من الأحكام الشرعية، فإن وافقها هواه اشتغل بها لشرعيتها لا لأنها هوىً، وإن خالفها اجتنب هواه، فحينئذ يكون مؤمنا كاملا[3].

قال ابن دقيق العيد: «المراد بالحديث: بذل النفس دونه ﷺ، وقد كانت الصحابة رضي الله عنهم يقاتلون معه آباءهم وأبناءهم وإخوانهم، وقد قتل أبو عبيدة أباه لإيذائه رسول الله ﷺ، وتعرض أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يوم بدر لولده عبد الرحمن لعله يتمكن منه فيقتله، فمن وجد هذا منه فقد صح أن هواه تبع لما جاء به النبي ﷺ»[4].

وقال ابن رجب الحنبلي: «أما معنىٰ الحديث، فهو أن الإنسان لا يكون مؤمنا كامل الإيمان الواجب حتىٰ تكون محبته تابعة لما جاء به الرسول ﷺ من الأوامر، والنواهي، وغيرها، فيحب ما أمر به، ويكره ما نهىٰ عنه.

وقد ورد القرآن بمثل هذا في غير موضع، قال تعالىٰ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ

---

(١) انظر: «تفسير ابن كثير» (٣/ ١٣١).

(٢) انظر: «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (١/ ٢٥٥).

(٣) انظر: «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (١/ ٢٥٥).

(٤) انظر: «شرح الأربعين النووي»، لابن دقيق العيد، صـ (١٣٦).

حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾[النساء:٦٥].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾[الأحزاب:٣٦].

وذم سبحانه من كره ما أحبه الله، أو أحب ما كرهه الله، قال: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٩﴾﴾ [محمد:٩]، وقال تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٢٨﴾﴾[محمد:٢٨].

فالواجب علىٰ كل مؤمن أن يحب ما أحبه الله محبة توجب له الإتيان بما وجب عليه منه، فإن زادت المحبة، حتىٰ أتىٰ بما ندب إليه منه كان ذلك فضلا، وأن يكره ما كرهه الله تعالىٰ كراهة توجب له الكف عما حرم عليه منه، فإن زادت الكراهة حتىٰ أوجبت الكف عما كرهه تنزيها، كان ذلك فضلا»[(١)].

قَوْلُهُ: «وَقَالَ الشَّعْبِيُّ: كَانَ بَيْنَ رَجُلٍ مِنَ المنَافِقِينَ وَرَجُلٍ مِنَ الْيَهُودِ خُصُومَةٌ، فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: نَتَحَاكَمُ إِلَى مُحَمَّدٍ عَرَفَ أَنَّهُ لَا يَأْخُذُ الرِّشْوَةَ، وَقَالَ المنَافِقُ: نَتَحَاكَمُ إِلَى الْيَهُودِ؛ لَعِلَمَهُ أَنَّهُمْ يَأْخُذُونَ الرِّشْوَةَ، فَاتَّفَقَا أَنْ يَأْتِيَا كَاهِنًا فِي جُهَيْنَةَ، فَيَتَحَاكَمَا إِلَيْهِ، فَنَزَلَتْ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ﴾»: هذا الأثر مرسل، والمرسل من أقسام الضعيف.

قَوْلُهُ: «وَقِيلَ: «نَزَلَتْ فِي رَجُلَيْنِ اخْتَصَمَا، فَقَالَ أَحَدُهُمَا: نَتَرَافَعُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَقَالَ الْآخَرُ: إِلَى كَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ، ثُمَّ تَرَافَعَا إِلَى عُمَرَ، فَذَكَرَ لَهُ أَحَدُهُمَا الْقِصَّةَ، فَقَالَ لِلَّذِي لَمْ يَرْضَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ: أَكَذَلِكَ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَضَرَبَهُ بِالسَّيْفِ، فَقَتَلَهُ»: هذا الأثر ضعيف جدًّا كما تقدم.

(١) انظر: «جامع العلوم والحكم» (٢/ ٣٩٦).

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: تَفْسِيرُ آيَةِ النِّسَاءِ، وَمَا فِيهَا مِنَ الْإِعَانَةِ عَلَى فَهْمِ الطَّاغُوتِ.

الثَّانِيَةُ: تَفْسِيرُ آيَةِ الْبَقَرَةِ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾.

الثَّالِثَةُ: تَفْسِيرُ آيَةِ الْأَعْرَافِ ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾.

الرَّابِعَةُ: تَفْسِيرُ ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾.

الْخَامِسَةُ: مَا قَالَ الشَّعْبِيُّ فِي سَبَبِ نُزُولِ الْآيَةِ الْأُولَى.

السَّادِسَةُ: تَفْسِيرُ الْإِيمَانِ الصَّادِقِ، وَالْكَاذِبِ.

السَّابِعَةُ: قِصَّةُ عُمَرَ مَعَ الْمُنَافِقِ.

الثَّامِنَةُ: كَوْنُ الْإِيمَانِ لَا يَحْصُلُ لِأَحَدٍ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ.

الشَّرْح

قَوْلُهُ: «الْأُولَى: تَفْسِيرُ آيَةِ النِّسَاءِ وَمَا فِيهَا مِنَ الْإِعَانَةِ عَلَى فَهْمِ الطَّاغُوتِ»: أي قوله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ۝٦٠﴾ [النساء: ٦٠].

قَوْلُهُ: «الثَّانِيَةُ: تَفْسِيرُ آيَةِ الْبَقَرَةِ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾»: تقدم تفسيرها، وإنما يكون الفساد في الأرض بالكفر، والمعاصي.

قَوْلُهُ: «الثَّالِثَةُ: تَفْسِيرُ آيَةِ الْأَعْرَافِ ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾»: أي لا تفسدوا في الأرض بالشرك، والمعاصي بعد أن أصلحها الله ببعثة الرسل.

قَوْلُهُ: «الرَّابِعَةُ: تَفْسِيرُ ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾»: أي أيريدون حكم غير الله ﷻ، ويعرضون عن حكم الله ﷻ؟، وإنما هذا من صفات المنافقين.

قَوْلُهُ: «الخَامِسَةُ: مَا قَالَ الشَّعْبِيُّ فِي سَبَبِ نُزُولِ الْآيَةِ الْأُولَى»: أن الآية نزلت في رجل من المنافقين، ورجل من اليهود اختصما، فاتفقا أن يأتيا كاهنا من جهينة.

قَوْلُهُ: «السَّادِسَةُ: تَفْسِيرُ الْإِيمَانِ الصَّادِقِ وَالْكَاذِبِ»: الإيمان الصادق هو ما كان الهوى تبعا له، والإيمان الكاذب ما كان بخلافه.

قَوْلُهُ: «السَّابِعَةُ قِصَّةُ عُمَرَ مَعَ المُنَافِقِ»: تقدم ضعف هذه القصة.

قَوْلُهُ: «الثَّامِنَةُ كَوْنُ الْإِيمَانِ لَا يَحْصُلُ لِأَحَدٍ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ»: كما في قول النبي ﷺ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ».

[٣٩] بَابٌ مَنْ جحد شَيْئًا من الأَسْمَاءِ والصِّفَاتِ

وَقَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾[الرعد:٣٠] الْآيَةَ.

وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ قَالَ عَلِيٌّ: «حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ، أَتُرِيدُونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللهُ وَرَسُولُهُ؟»[(١)].

وَرَوَى عَبْدُ الرَّزَّاقِ عَنْ مَعْمَرٍ عَنِ ابْنِ طَاوُسٍ عَنْ أَبِيهِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ «أَنَّهُ رَأَى رَجُلًا انْتَفَضَ لَمَّا سَمِعَ حَدِيثًا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي الصِّفَاتِ اسْتِنْكَارًا لِذَلِكَ، فَقَالَ: مَا فَرَقُ هَؤُلَاءِ؟ يَجِدُونَ رِقَّةً عِنْدَ مُحْكَمِهِ، وَيَهْلِكُونَ عِنْدَ مُتَشَابِهِهِ؟»[(٢)] انْتَهَى.

وَلَمَّا سَمِعَتْ قُرَيْشٌ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَذْكُرُ الرَّحْمَنَ أَنْكَرُوا ذَلِكَ، فَأَنْزَلَ اللهُ فِيهِمْ ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾[الرعد:٣٠][(٣)].

الشَّــرْح

قَـوْلُـهُ: «بَابٌ مَنْ جَحَدَ شَيْئًا مِنَ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ»: الجحد لغة: الإنكار، وهو ضد الإقرار[(٤)]، ولا يكون إلا مع علم الجاحد به أنه صحيح؛ قال الله تعالىٰ: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ﴾ [النمل:١٤]، وما جاء جاحد بخير قط[(٥)].

---

(١) صحيح: رواه البخاري (١٢٧).

(٢) صحيح: رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٩٦٠)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٤٨٥)، عن أبي هريرة، قال الألباني في «ظلال الجنة»: «إسناده صحيح رجاله ثقات علىٰ شرط مسلم غير ابن ثور واسمه محمد وهو ثقة اتفاقًا».

(٣) مرسل: رواه ابن جرير في «التفسير» (٢٠٣٩٨).

(٤) انظر: «العين»، مادة «جحد».

(٥) انظر: «مقاييس اللغة»، مادة «جحد».

قَولُـهُ: «وَقَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَهُمۡ يَكۡفُرُونَ بِٱلرَّحۡمَٰنِ﴾»: أي وهم يجحدون وحدانية الله، ويكذبون بها[(١)]، وذلك أنهم قالوا: ما نعرف الرحمن إلا صاحب اليمامة[(٢)].

قال ابن كثير: «أي: هذه الأمة التي بعثناك فيهم يكفرون بالرحمن، لا يقرون به؛ لأنهم كانوا يأنفون من وصف الله بالرحمن الرحيم؛ ولهذا أنفوا يوم الحديبية أن يكتبوا «بسم الله الرحمن الرحيم»، وقالوا: ما ندري ما الرحمن الرحيم»[(٣)].

وقد قال الله تعالىٰ: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَلَا تَجۡهَرۡ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتۡ بِهَا وَٱبۡتَغِ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلٗا ١١٠﴾[الإسراء:١١٠].

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ أَحَبَّ أَسْمَائِكُمْ إِلَى اللهِ عَبْدُ اللهِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ»[(٤)(٥)].

قَولُـهُ: «﴿قُلۡ هُوَ رَبِّي﴾»: أي إن كفر هؤلاء الذين أرسلتك إليهم يا محمد بالرحمن، فقل أنت: الله ربي[(٦)].

قال ابن كثير: «أي: هذا الذي تكفرون به أنا مؤمن به، معترف مقر له بالربوبية والإلهية، هو ربي لا إله إلا هو»[(٧)].

قَولُـهُ: «﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ﴾»: أي في جميع أموري[(٨)].

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١٦/ ٤٤٥).

(٢) انظر: «التفسير الوجيز»، صـ (٥٧٢).

(٣) صحيح: رواه البخاري (٢٧٣١)، عن المسور بن مخرمة.

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢١٣٢).

(٥) انظر: «تفسير ابن كثير» (٤/ ٤٦٠).

(٦) انظر: «تفسير الطبري» (١٦/ ٤٤٥).

(٧) انظر: «تفسير ابن كثير» (٤/ ٤٦٠).

(٨) انظر: «تفسير ابن كثير» (٤/ ٤٦٠).

قَوْلُهُ: «﴿وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾»: أي وإليه مرجعي وأوبتي[١]، فإنه لا يستحق ذلك أحد سواه[٢].

قَوْلُهُ: «وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ قَالَ عَلِيٌّ: «حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ»»: أي كلموا الناس بما يفهمون علىٰ قدر عقولهم، وما تحتمله أفهامهم من العلم[٣].

قَوْلُهُ: «أَتُرِيدُونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللهُ، وَرَسُولُهُ؟»: لأن الإنسان إذا سمع ما لا يفهمه، وما لا يتصوّر إمكانه اعتقد استحالته جهلا فلا يصدق وجوده، فإذا أسند إلىٰ الله تعالىٰ ورسوله ﷺ لزم ذلك المحذور، ويُكذَّب[٤].

قَوْلُهُ: «وَرَوَى عَبْدُ الرَّزَّاقِ عَنْ مَعْمَرٍ عَنِ ابْنِ طَاوُسٍ عَنْ أَبِيهِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ «أَنَّهُ رَأَى رَجُلًا انْتَفَضَ لَمَّا سَمِعَ حَدِيثًا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي الصِّفَاتِ اسْتِنْكَارًا لِذَلِكَ، فَقَالَ: مَا فَرَقُ هَؤُلَاءِ؟»»: أي ما خوف هؤلاء؟؛ فإنهم كانوا لا يؤمنون بآيات الصفات، وإنما كانوا ينتفضون خائفين عند سماعها منكرين لها.

قَوْلُهُ: «يَجِدُونَ رِقَّةً عِنْدَ مُحْكَمِهِ، وَيَهْلِكُونَ عِنْدَ مُتَشَابِهِهِ؟»: أي يجدون رقة ولينا في قلوبهم عند سماعهم الآيات المحكمة، وهي ما لا تحتمل إلا معنىٰ واحد، وما ظهر معناها، وينتفضون منكرين عند سماعهم الآيات المتشابهة، وهي ما تحتمل أكثر من معنىٰ، وما لم يظهر معناها.

قَوْلُهُ: «وَلَمَّا سَمِعَتْ قُرَيْشٌ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَذْكُرُ الرَّحْمَنَ أَنْكَرُوا ذَلِكَ، فَأَنْزَلَ اللهُ فِيهِمْ ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ﴾»: عندما جَاءَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو فَقَالَ: هَاتِ اكْتُبْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَابًا فَدَعَا النَّبِيُّ ﷺ الكَاتِبَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «بِسْمِ اللهِ

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١٦/ ٤٤٥).

(٢) انظر: «تفسير ابن كثير» (٤/ ٤٦٠).

(٣) انظر: «كشف المشكل من حديث الصحيحين» (١/ ٢٠١)، و«عمدة القاري شرح صحيح البخاري» (٢/ ٢٠٤).

(٤) انظر: «إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري» (١/ ٢٢٠).

الرَّحْمَنِ الرَّحِيم»، قَالَ سُهَيْلٌ: أَمَّا الرَّحْمَنُ، فَوَاللهِ مَا أَدْرِي مَا هُوَ، وَلَكِنِ اكْتُبْ بِاسْمِكَ اللهُمَّ كَمَا كُنْتَ تَكْتُبُ، فَقَالَ المُسْلِمُونَ: وَاللهِ لَا نَكْتُبُهَا إِلَّا بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**اكْتُبْ بِاسْمِكَ اللهُمَّ**»[(١)].



(١) صحيح: رواه البخاري (٢٧٣١)، عن المسور بن مخرمة.

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: عَدَمُ الْإِيمَانِ بِجَحْدِ شَيْءٍ مِنَ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ.

الثَّانِيَةُ: تَفْسِيرُ آيَةِ الرَّعْدِ.

الثَّالِثَةُ: تَرْكُ التَّحْدِيثِ بِمَا لَا يَفْهَمُ السَّامِعُ.

الرَّابِعَةُ: ذِكْرُ الْعِلَّةِ؛ أَنَّهُ يُفْضِي إِلَى تَكْذِيبِ اللهِ وَرَسُولِهِ، وَلَوْ لَمْ يَتَعَمَّدِ الْمُنْكِرُ.

الخَامِسَةُ: كَلَامُ ابْنِ عَبَّاسٍ لِمَنْ اسْتَنْكَرَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ، وَأَنَّهُ أَهْلَكَهُ.

الشَّرح

قَوْلُهُ: «الْأُولَى: عَدَمُ الْإِيمَانِ بِجَحْدِ شَيْءٍ مِنَ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ»: أي لقوله: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾[الرعد:٣٠]، وذلك عندما قالوا: ما نعرف الرحمن، وجحد الصفات يشمل جحد الأسماء.

قَوْلُهُ: «الثَّانِيَةُ: تَفْسِيرُ آيَةِ الرَّعْدِ»: أي قوله تعالىٰ: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾[الرعد:٣٠].

قَوْلُهُ: «الثَّالِثَةُ: تَرْكُ التَّحْدِيثِ بِمَا لَا يَفْهَمُ السَّامِعُ»: كما في قول علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ».

قَوْلُهُ: «الرَّابِعَةُ: ذِكْرُ الْعِلَّةِ؛ أَنَّهُ يُفْضِي إِلَى تَكْذِيبِ اللهِ وَرَسُولِهِ، وَلَوْ لَمْ يَتَعَمَّدِ الْمُنْكِرُ»: أي تحديث الناس بما لا يفهمون يؤدي إلىٰ تكذيب رسول الله ﷺ، ولو لم يتعمد المنكِر ذلك، كما في قول علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَتُرِيدُونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللهُ وَرَسُولُهُ؟».

قَوْلُهُ: «الخَامِسَةُ: كَلَامُ ابْنِ عَبَّاسٍ لِمَنْ اسْتَنْكَرَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ، وَأَنَّهُ أَهْلَكَهُ»: ذلك عندما رأىٰ رجلًا ينتفض استنكارًا عند سماعه آيات الصفات.

[٤٠] بَابُ قَوْلِ اللهِ تعالى:

﴿يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ [النحل:٨٣] الْآيَةَ

قَالَ مُجَاهِدٌ مَا مَعْنَاهُ: هُوَ قَوْلُ الرَّجُلِ هَذَا مَالِي وَرِثْتُهُ عَنْ آبَائِي[(١)].

وَقَالَ عَوْنُ بْنُ عَبْدِ اللهِ: يَقُولُونَ: لَوْلَا فُلَانٌ لَمْ يَكُنْ كَذَا وَكَذَا[(٢)].

وَقَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: يَقُولُونَ: هَذَا بِشَفَاعَةِ آلِهَتِنَا[(٣)].

وَقَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ بَعْدَ حَدِيثِ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الَّذِي فِيهِ: «وَأَنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ: «أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ»[(٤)] الحَدِيثَ، وَقَدْ تَقَدَّمَ: «وَهَذَا كَثِيرٌ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، يَذُمُّ سُبْحَانَهُ مَنْ يُضِيفُ إِنْعَامَهُ إِلَى غَيْرِهِ وَيُشْرِكُ بِهِ»[(٥)].

قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: «هُوَ كَقَوْلِهِمْ: كَانَتِ الرِّيحُ طَيِّبَةً، وَالمَلَّاحُ حَاذِقًا»[(٦)]، وَنَحْوَ ذَلِكَ مِمَّا هُوَ جَارٍ عَلَى أَلْسِنَةٍ كَثِيرَةٍ.

الشَّرح

قَوْلُهُ: «بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾»: أي يعرفون أن الله تعالىٰ هو المُسدِي إليهم ذلك، وهو المتفضل به عليهم، ومع هذا ينكرون ذلك، ويعبدون معه غيره، ويسندون النصر والرزق إلىٰ غيره[(٧)].

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١٧/ ٢٧٣).

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (١٧/ ٢٧٣).

(٣) انظر: «غريب القرآن»، لابن قتيبة، صـ (٢٤٨).

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (١٠٣٨)، ومسلم (٧١).

(٥) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (٨/ ٣٣).

(٦) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (٨/ ٣٣).

(٧) انظر: «تفسير ابن كثير» (٤/ ٥٩٢).

قال الطبري: «اختلف المفسرون في المعنيِّ بالنعمة التي أخبر الله تعالىٰ ذكره عن هؤلاء المشركين أنهم ينكرونها مع معرفتهم بها:

فقال بعضهم: هو النبي ﷺ عرفوا نبوته ثم جحدوها وكذبوه.

وقال آخرون: بل معنىٰ ذلك أنهم يعرفون أن ما عدَّد الله تعالىٰ ذكره في هذه السورة من النعم من عند الله، وأن الله هو المنعم بذلك عليهم، ولكنهم ينكرون ذلك، فيزعمون أنهم ورثوه عن آبائهم.

وقال آخرون: إنكارهم إياها أن يقول الرجل: لولا فلان ما كان كذا وكذا، ولولا فلان ما أصبت كذا وكذا.

وقال آخرون: معنىٰ ذلك أن الكفار إذا قيل لهم: من رزقكم؟ أقروا بأن الله هو الذي رزقهم، ثم ينكرون ذلك بقولهم: رزقنا ذلك بشفاعة آلهتنا.

وأولىٰ الأقوال في ذلك بالصواب وأشبهها بتأويل الآية قول من قال: عني بالنعمة التي ذكرها الله في قوله: ﴿ يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ﴾ النعمة عليهم بإرسال محمد ﷺ إليهم داعيا إلىٰ ما بعثه بدعائهم إليه، وذلك أن هذه الآية بين آيتين كلتاهما خبر عن رسول الله ﷺ، وعما بعث به، فأولىٰ ما بينهما أن يكون في معنىٰ ما قبله وما بعده، إذ لم يكن معنىٰ يدل علىٰ انصرافه عما قبله وعما بعده فالذي قبل هذه الآية قوله: ﴿ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ٨٢ ﴾[النحل:٨٢] وما بعده: ﴿ وَيَوۡمَ نَبۡعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٖ شَهِيدٗا ﴾[النحل:٨٤]، وهو رسولها.

فإذا كان ذلك كذلك، فمعنىٰ الآية: يعرف هؤلاء المشركون بالله نعمة الله عليهم يا محمد بك، ثم ينكرونك ويجحدون نبوتك»[(١)].

قَوْلُهُ: «﴿وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾»: أي وأكثر قومك الجاحدون نبوتك، لا المقرون بها[(٢)].

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١٧/ ٢٧٣-٢٧٤).

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (١٧/ ٢٧١).

قَـوْلُـهُ: «قَالَ مُجَاهِدٌ مَا مَعْنَاهُ: هُوَ قَوْلُ الرَّجُلِ هَذَا مَالِي، وَرِثْتُهُ عَنْ آبَائِي»: أي ينكر نعمة الله عليه، وينسبها إلىٰ نفسه، وإلىٰ آبائه.

قَـوْلُـهُ: «وَقَالَ عَوْنُ بْنُ عَبْدِ اللهِ: يَقُولُونَ: لَوْلَا فُلَانٌ لَمْ يَكُنْ كَذَا وَكَذَا»: نص كلام عون أنه قال: إنكارهم إياها، أن يقول الرجل: لولا فلان ما كان كذا وكذا، ولولا فلان ما أصبت كذا وكذا[1].

قَـوْلُـهُ: «وَقَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: يَقُولُونَ: هَذَا بِشَفَاعَةِ آلِهَتِنَا»: أي إنما حصلت لنا النعمة بسبب شفاعة آلهتنا عند الله.

قَـوْلُـهُ: «وَقَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ بَعْدَ حَدِيثِ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الَّذِي فِيهِ: وَأَنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ: «أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ» الحَدِيثَ، وَقَدْ تَقَدَّمَ: «وَهَذَا كَثِيرٌ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، يَذُمُّ سُبْحَانَهُ مَنْ يُضِيفُ إِنْعَامَهُ إِلَى غَيْرِهِ وَيُشْرِكُ بِهِ»»: أي كل من يضيف نعمة الله إلىٰ غيره ويشرك به دخل في الآية.

قَـوْلُـهُ: «قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: «هُوَ كَقَوْلِهِمْ: كَانَتِ الرِّيحُ طَيِّبَةً، وَالمَلَّاحُ حَاذِقًا»»: أي كانت الريح هادئة، والملاح -وهو قائد السفينة- ماهرا خبيرا.

قَـوْلُـهُ: «وَنَحْوَ ذَلِكَ مِمَّا هُوَ جَارٍ عَلَى أَلْسِنَةٍ كَثِيرَةٍ»: كقولهم: لولا السائق لهلكنا، و: لولا الطبيب لمتُّ، و: لولا اجتهادي ما نجحتُ.

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١٧/ ٢٧٣).

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: تَفْسِيرُ مَعْرِفَةِ النِّعْمَةِ، وَإِنْكَارِهَا.

الثَّانِيَةُ: مَعْرِفَةُ أَنَّ هَذَا جَارٍ عَلَى أَلْسِنَةٍ كَثِيرَةٍ.

الثَّالِثَةُ: تَسْمِيَةُ هَذَا الْكَلَامِ إِنْكَارًا لِلنِّعْمَةِ.

الرَّابِعَةُ: اجْتِمَاعُ الضِّدَّيْنِ فِي الْقَلْبِ.

الشَّرْح

قَوْلُهُ: «الْأُولَى: تَفْسِيرُ مَعْرِفَةِ النِّعْمَةِ، وَإِنْكَارِهَا»: تفسير معرفة النعمة: هو أنه يعرف أن النعمة من الله وحده، وتفسير إنكار النعمة: هو أنه ينكر أن النعمة من الله وحده بعد أن عرَفها.

قَوْلُهُ: «الثَّانِيَةُ: مَعْرِفَةُ أَنَّ هَذَا جَارٍ عَلَى أَلْسِنَةٍ كَثِيرَةٍ»: أي إنكار النعمة وإضافتها لغير الله ﷻ جارٍ علىٰ ألسنة كثير من الناس.

قَوْلُهُ: «الثَّالِثَةُ: تَسْمِيَةُ هَذَا الْكَلَامِ إِنْكَارًا لِلنِّعْمَةِ»: أي إنكارا لفضل الله ﷻ عليهم مع أنهم يعرفون أنها من الله وحده.

قَوْلُهُ: «الرَّابِعَةُ: اجْتِمَاعُ الضِّدَّيْنِ فِي الْقَلْبِ»: أي معرفة النعمة وإنكارها.



[٤١] بَابٌ

﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة:٢٢]

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي الْآيَةِ: «الْأَنْدَادُ: هُوَ الشِّرْكُ، أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ عَلَى صَفَاةٍ سَوْدَاءَ فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ، وَهُوَ أَنْ تَقُولَ: وَاللهِ، وَحَيَاتِكَ يَا فُلَانُ، وَحَيَاتِي، وَتَقُولَ: لَوْلَا كُلَيْبَةُ هَذَا؛ لَأَتَانَا اللُّصُوصُ، وَلَوْلَا الْبَطُّ فِي الدَّارِ؛ لَأَتَى اللُّصُوصُ، وَقَوْلُ الرَّجُلِ لِصَاحِبِهِ: مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ، وَقَوْلِ الرَّجُلِ: لَوْلَا اللهُ وَفُلَانٌ، لَا تَجْعَلْ فِيهَا فُلَانًا، هَذَا كُلُّهُ بِهِ شِرْكٌ»(١) رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ.

وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ كَفَرَ، أَوْ أَشْرَكَ»(٢) رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَحَسَّنَهُ، وَصَحَّحَهُ الْحَاكِمُ.

وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: «لَأَنْ أَحْلِفَ بِاللهِ كَاذِبًا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَحْلِفَ بِغَيْرِهِ صَادِقًا»(٣).

وَعَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَا تَقُولُوا: مَا شَاءَ اللهُ وَشَاءَ فُلَانٌ، وَلَكِنْ قُولُوا: مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ شَاءَ فُلَانٌ»(٤) رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ.

وَجَاءَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ أَنَّهُ يَكْرَهُ أَعُوذُ بِاللهِ وَبِكَ، وَيَجُوزُ أَنْ يَقُولَ:

---

(١) حسن: رواه ابن أبي حاتم في «التفسير» (٢٢٩)، فيه «شبيب بن بشر» صدوق يخطئ، كما قال الحافظ في «التقريب»، صـ(٢٦٣)، وبقية رجاله ثقات.

(٢) صحيح: رواه الترمذي (١٥٣٥)، وحسنه، وأحمد (٦٠٧٢)، والحاكم في «المستدرك» (٤٥)، وصححه، عن ابن عمر، وصححه أحمد شاكر، والألباني.

(٣) صحيح: رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (١٥٩٢٩)، وابن أبي شيبة (١٢٢٨١)، والطبراني (٨٩٠٢)، وصححه الألباني في الإرواء (٢٥٦٢).

(٤) صحيح: رواه أبو داود (٤٩٨٠)، والنسائي في «الكبرى» (١٠٧٥٥)، وأحمد (٢٣٣٤٧)، وصححه الألباني.

بِاللهِ ثُمَّ بِكَ[١]، قَالَ: وَيَقُولُ: لَوْلَا اللهُ ثُمَّ فُلَانٌ، وَلَا تَقُولُوا: لَوْلَا اللهُ وَفُلَانٌ[٢].

الشَّـرْح

قَـوْلُـهُ: «بَابٌ ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا﴾»: أي أفردوا لي الطاعة، وأخلصوا لي العبادة، ولا تجعلوا لي شريكًا وندًّا من خلقي، فإنكم تعلمون أن كل نعمة عليكم فمني[٣].

الأنداد: جمع ند، والند: العِدل، والمثل، والنظير[٤].

قَـوْلُـهُ: «﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾»: أي أنهم لا يخلقون، والله هو الخالق، وهذا احتجاج عليهم في إثبات التوحيد[٥].

قال ابن كثير في تفسير الآية: «أي: لا تشركوا بالله غيره من الأنداد التي لا تنفع ولا تضر، وأنتم تعلمون أنه لا رب لكم يرزقكم غيره وقد علمتم أن الذي يدعوكم إليه الرسول ﷺ من توحيده هو الحق الذي لا شك فيه»[٦].

قَـوْلُـهُ: «وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي الْآيَةِ: «الْأَنْدَادُ: هُوَ الشِّرْكُ، أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ عَلَى صَفَاةٍ سَوْدَاءَ فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ، وَهُوَ أَنْ تَقُولَ: وَاللهِ، وَحَيَاتِكَ يَا فُلَانُ، وَحَيَاتِي، وَتَقُولَ: لَوْلَا كُلَيْبَةُ هَذَا؛ لَأَتَانَا اللُّصُوصُ، وَلَوْلَا الْبَطُّ فِي الدَّارِ؛ لَأَتَى اللُّصُوصُ، وَقَوْلُ الرَّجُلِ لِصَاحِبِهِ: مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ، وَقَوْلِ الرَّجُلِ: لَوْلَا اللهُ وَفُلَانٌ، لَا تَجْعَلْ فِيهَا فُلَانًا، هَذَا كُلُّهُ بِهِ شِرْكٌ»»: لأنهم اعتمدوا علىٰ الأسباب، ولم ينظروا إلىٰ مسببها ﷻ[٧].

---

(١) رواه معمر بن راشد في «الجامع» (١٩٨١١).

(٢) رواه معمر بن راشد في «الجامع» (١٩٨١٢).

(٣) انظر: «تفسير الطبري» (١/ ٣٦٩-٣٧٠).

(٤) انظر: «لسان العرب»، مادة «ندد».

(٥) انظر: «التفسير الوجيز»، صـ(٩٥).

(٦) انظر: «تفسير ابن كثير» (١/ ١٩٥-١٩٦).

(٧) انظر: «فيض القدير شرح الجامع الصغير» (٤/ ١٧٢).

والصفاة: العريض من الحجارة الأملس[(١)].

وكُلَيبة: تصغير كلبة.

قَولُه: «وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ كَفَرَ، أَوْ أَشْرَكَ»»: يحتمل أن يكون شكا من الراوي، ويحتمل أن تكون أو بمعنىٰ الواو، فيكون قد كفر وأشرك، ويكون من الكفر الذي هو دون الكفر الأكبر، كما هو من الشرك الأصغر[(٢)].

قال ابن حجر: «التعبير بقوله: فقد كفر، أو أشرك للمبالغة في الزجر، والتغليظ في ذلك»[(٣)].

وقال أيضًا: «ظاهر الحديث تخصيص الحلف بالله خاصة لكن قد اتفق الفقهاء علىٰ أن اليمين تنعقد بالله وذاته وصفاته العلية، واختلفوا في انعقادها ببعض الصفات»[(٤)].

قال العلماء: «السر في النهي عن الحلف بغير الله أن الحلف بالشيء يقتضي تعظيمه، والعظمة في الحقيقة إنما هي لله وحده»[(٥)].

قَولُه: «وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: «لَأَنْ أَحْلِفَ بِاللهِ كَاذِبًا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَحْلِفَ بِغَيْرِهِ صَادِقًا»»: لأن حسنة التوحيد أعظم من حسنة الصدق، وسبب الكذب أسهل من سبب الشرك[(٦)].

ولأن الحلف بغير الله شرك والحلف بالله توحيد، وتوحيد معه كذب خير

---

(١) **انظر:** «تهذيب اللغة»، مادة «صفا».

(٢) **انظر:** «فتح المجيد شرح كتاب التوحيد»، صـ(٤١٣).

(٣) **انظر:** «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» (١١/ ٥٣١).

(٤) **انظر:** «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» (١١/ ٥٣١).

(٥) **انظر:** «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» (١١/ ٥٣١).

(٦) **انظر:** «الفتاوىٰ الكبرىٰ»، لابن تيمية (٥/ ٥٥٢).

من شرك معه صدق[١].

قال ابن تيمية: «وذلك بأنه إذا حلف بالله فقد جمع سيئة الكذب مع حسنة التوحيد، وإذا حلف بغيره فقد جمع مع الصدق سيئة الشرك، والتوحيد أعظم من الصدق، والشرك أعظم من الكذب»[٢].

قَـوْلُـهُ: «وَعَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَا تَقُولُوا: مَا شَاءَ اللهُ وَشَاءَ فُلَانٌ، وَلَكِنْ قُولُوا: مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ شَاءَ فُلَانٌ»»: ذلك لما في معنىٰ «ثم» من التراخي، بخلاف الواو التي تقتضي التسوية[٣].

قال الخطابي: «وذلك أن الواو حرف الجمع والتشريك، وثم حرف النَّسق بشرط التراخي، فأرشدهم إلىٰ الأدب في تقديم مشيئة الله سبحانه علىٰ مشيئة من سواه»[٤].

قَـوْلُـهُ: «وَجَاءَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ أَنَّهُ يَكْرَهُ أَعُوذُ بِاللهِ وَبِكَ، وَيَجُوزُ أَنْ يَقُولَ: بِاللهِ ثُمَّ بِكَ، قَالَ: وَيَقُولُ: لَوْلَا اللهُ ثُمَّ فُلَانٌ، وَلَا تَقُولُوا: لَوْلَا اللهُ وَفُلَانٌ»: هذا إنما هو في الحي الحاضر الذي له قدرة وسبب في الشيء، وهو الذي يجري في حقه مثل ذلك.

وأما في حق الأموات الذين لا إحساس لهم بمن يدعوهم، ولا قدرة لهم علىٰ نفع، ولا ضر، فلا يقال في حقهم شيء من ذلك، فلا يجوز التعلق علىٰ هذا القول -أي قول: أعوذ بالله ثم بك- بشيء ما بوجه من الوجوه[٥].

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (١/ ٨١).
(٢) انظر: «جواب في الحلف بغير الله»، لابن تيمية، صـ(٢٦).
(٣) انظر: «إكمال المُعلِم بفوائد مسلم» (٣/ ٢٧٥).
(٤) انظر: «معالم السنن» (٤/ ١٣٠-١٣١).
(٥) انظر: «فتح المجيد»، صـ(٤١٦).

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: تَفْسِيرُ آيَةِ الْبَقَرَةِ فِي الْأَنْدَادِ.

الثَّانِيَةُ: أَنَّ الصَّحَابَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يُفَسِّرُونَ الْآيَةَ النَّازِلَةَ فِي الشِّرْكِ الْأَكْبَرِ أَنَّهَا تَعُمُّ الْأَصْغَرَ.

الثَّالِثَةُ: أَنَّ الحَلِفَ بِغَيْرِ اللهِ شِرْكٌ.

الرَّابِعَةُ: أَنَّهُ إِذَا حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ صَادِقًا فَهُوَ أَكْبَرُ مِنَ الْيَمِينِ الْغَمُوسِ.

الخَامِسَةُ: الْفَرْقُ بَيْنَ الْوَاوِ، و«ثُمَّ» فِي اللَّفْظِ.

الشَّرْح

قَولُهُ: «الْأُولَى: تَفْسِيرُ آيَةِ الْبَقَرَةِ فِي الْأَنْدَادِ»: أي قوله تعالىٰ: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾[البقرة:٢٢].

قَولُهُ: «الثَّانِيَةُ: أَنَّ الصَّحَابَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يُفَسِّرُونَ الْآيَةَ النَّازِلَةَ فِي الشِّرْكِ الْأَكْبَرِ أَنَّهَا تَعُمُّ الْأَصْغَرَ»: أي هذه الآية نزلت في كفار قريش، وشركهم شرك أكبر، ومع ذلك استدل بها ابن عباس علىٰ الشرك الأصغر.

قَولُهُ: «الثَّالِثَةُ: أَنَّ الحَلِفَ بِغَيْرِ اللهِ شِرْكٌ»: لقوله ﷺ: «مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ»

قَولُهُ: «الرَّابِعَةُ: أَنَّهُ إِذَا حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ صَادِقًا فَهُوَ أَكْبَرُ مِنَ الْيَمِينِ الْغَمُوسِ»: لقول ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لِأَنْ أَحْلِفَ بِاللهِ كَاذِبًا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَحْلِفَ بِغَيْرِهِ صَادِقًا».

قَولُهُ: «الخَامِسَةُ: الْفَرْقُ بَيْنَ الْوَاوِ، و«ثُمَّ» فِي اللَّفْظِ»: «الواو» تقتضي التشريك والتسوية، و«ثم» لا تقتضي ذلك.



[٤٢] بَابٌ مَا جَاءَ فِيمَنْ لَمْ يَقْنَعْ بِالحَلِفِ بِاللهِ

عَنْ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَا تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ، مَنْ حَلَفَ بِاللهِ فَلْيَصْدُقْ، وَمَنْ حُلِفَ لَهُ بِاللهِ، فَلْيَرْضَ، وَمَنْ لَمْ يَرْضَ فَلَيْسَ مِنَ اللهِ»[(١)] رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ بِسَنَدٍ حَسَنٍ.

الشَّرْح

قَوْلُهُ: «بَابٌ مَا جَاءَ فِيمَنْ لَمْ يَقْنَعْ بِالحَلِفِ بِاللهِ»: أي من الوعيد.

قَوْلُهُ: «عَنْ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَا تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ»»: لأنه من أيمان الجاهلية[(٢)]، فلقد كانت العرب في الجاهلية تحلف بآبائهم وآلهتهم، فأراد الله تعالىٰ أن ينسخ من قلوبهم وألسنتهم ذكر كل شيء سواه، ويُبقي ذكره تعالىٰ؛ لأنه الحق المعبود[(٣)].

قَوْلُهُ: «مَنْ حَلَفَ بِاللهِ فَلْيَصْدُقْ»: من الصدق[(٤)].

قَوْلُهُ: «وَمَنْ حُلِفَ لَهُ بِاللهِ، فَلْيَرْضَ»: علىٰ بناء المفعول أي حلف بالله لإرضائه[(٥)].

قَوْلُهُ: «وَمَنْ لَمْ يَرْضَ فَلَيْسَ مِنَ اللهِ»: أي من الوعيد؛ لكونه من الفعل المنافي لكمال التوحيد؛ لدلالته علىٰ قلة تعظيمه لجناب الربوبية، فإن القلب الممتلئ بمعرفة عظمة الله وجلاله لا يفعل ذلك[(٦)].

---

(١) **صحيح**: رواه ابن ماجه (٢١٠١)، وصححه الألباني.

(٢) **انظر**: «إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري» (٦/ ١٧٦).

(٣) **انظر**: «إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري» (٩/ ٣٧٦).

(٤) **انظر**: «حاشية السندي علىٰ سنن ابن ماجه» (١/ ٦٤٦).

(٥) **انظر**: «حاشية السندي علىٰ سنن ابن ماجه» (١/ ٦٤٦).

(٦) **انظر**: «حاشية كتاب التوحيد»، صـ(٣٠٥).

قال الشوكاني: «هذا أمر منه ﷺ بالرضا لمن حُلِف له بالله، ووعيد لمن لم يرض بأنه ليس من الله»[١].



(١) انظر: «نيل الأوطار» (٨/ ٣٥٧).

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: النَّهْيُ عَنِ الحَلِفِ بِالْآبَاءِ.

الثَّانِيَةُ: الْأَمْرُ لِلْمَحْلُوفِ لَهُ بِاللهِ أَنْ يَرْضَى.

الثَّالِثَةُ: وَعِيدُ مَنْ لَمْ يَرْضَ.

الشَّرْح

قَوْلُهُ: «الْأُولَى: النَّهْيُ عَنِ الحَلِفِ بِالْآبَاءِ»: لقوله ﷺ: «**لَا تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ**».

قَوْلُهُ: «الثَّانِيَةُ: الْأَمْرُ لِلْمَحْلُوفِ لَهُ بِاللهِ أَنْ يَرْضَى»: لقوله ﷺ: «**وَمَنْ حُلِفَ لَهُ بِاللهِ، فَلْيَرْضَ**»، وهذا إن لم يعلم كذب الحالف.

قَوْلُهُ: «الثَّالِثَةُ: وَعِيدُ مَنْ لَمْ يَرْضَ»: لقوله ﷺ: «**وَمَنْ لَمْ يَرْضَ فَلَيْسَ مِنَ اللهِ**».

[٤٣] بَابُ قَوْلِ: مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ

عَنْ قُتَيْلَةَ، أَنَّ يَهُودِيًّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: إِنَّكُمْ تُشْرِكُونَ، تَقُولُونَ: مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ، وَتَقُولُونَ: وَالْكَعْبَةِ، فَأَمَرَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَرَادُوا أَنْ يَحْلِفُوا «أَنْ يَقُولُوا: وَرَبِّ الْكَعْبَةِ، وَأَنْ يَقُولُوا: مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ شِئْتَ»[(١)] رَوَاهُ النَّسَائِيُّ، وَصَحَّحَهُ.

وَلَهُ أَيْضًا عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ، فَقَالَ: «أَجَعَلْتَنِي للهِ نِدًّا؟ بَلْ مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ»[(٢)].

وَلِابْنِ مَاجَهْ عَنِ الطُّفَيْلِ أَخِي عَائِشَةَ لِأُمِّهَا؛ قَالَ: رَأَيْتُ كَأَنِّي أَتَيْتُ عَلَى نَفَرٍ مِنَ الْيَهُودِ؛ قُلْتُ: إِنَّكُمْ لَأَنْتُمُ الْقَوْمُ لَوْلَا أَنَّكُمْ تَقُولُونَ: عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ، قَالُوا: وَأَنْتُمْ لَأَنْتُمُ الْقَوْمُ لَوْلَا أَنَّكُمْ تَقُولُونَ: مَا شَاءَ اللهُ وَشَاءَ مُحَمَّدٌ، ثُمَّ مَرَرْتُ بِنَفَرٍ مِنَ النَّصَارَى، فَقُلْتُ: إِنَّكُمْ لَأَنْتُمُ الْقَوْمُ لَوْلَا أَنَّكُمْ تَقُولُونَ: المسِيحُ ابْنُ اللهِ، قَالُوا: وَإِنَّكُمْ لَأَنْتُمُ الْقَوْمُ لَوْلَا أَنَّكُمْ تَقُولُونَ: مَا شَاءَ اللهُ وَشَاءَ، مُحَمَّدٌ، فَلَمَّا أَصْبَحْتُ أَخْبَرْتُ بِهَا مَنْ أَخْبَرْتُ، ثُمَّ أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ، قَالَ: «هَلْ أَخْبَرْتَ بِهَا أَحَدًا؟» قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّ طُفَيْلًا رَأَى رُؤْيَا أَخْبَرَ بِهَا مَنْ أَخْبَرَ مِنْكُمْ وَأَنَّكُمْ قُلْتُمْ: كَلِمَةً يَمْنَعُنِي كَذَا وَكَذَا أَنْ أَنْهَاكُمْ عَنْهَا؛ فَلَا تَقُولُوا: مَا شَاءَ اللهُ وَشَاءَ مُحَمَّدٌ، وَلَكِنْ قُولُوا مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ»[(٣)].

---

(١) صحيح: رواه النسائي (٣٧٧٣)، وصححه الألباني.

(٢) صحيح: رواه النسائي في «الكبرى» (١٠٧٥٩)، وأحمد (٢٥٦١)، واللفظ لهما، وابن ماجه (٢١١٧)، كلهم بلفظ: «أجعلتني لله ندا؟»، وصححه أحمد شاكر، والألباني.

(٣) صحيح: رواه ابن ماجه (٢١١٨)، وأحمد (٢٠٦٩٤)، وصححه الألباني.

الشَّرح

قَولُه: «بَابُ قَوْلُ مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ»: يكون شركًا أكبر إن اعتقد أن المعطوف مساوٍ لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، ويكون شركًا أصغر إن اعتقد أن المعطوف أقل من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

قَولُه: «عَنْ قُتَيْلَةَ، أَنَّ يَهُودِيًّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: إِنَّكُمْ تُشْرِكُونَ»: أي تقرنون بين مشيئة الخالق ومشيئة المخلوق بعبارة تفهم التسوية.

قَولُه: «تَقُولُونَ: مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ»: لأنهم جمعوا بين مشيئة الله ومشيئة العبد بالواو وهي تقتضي المساواة والتشريك، والله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [التكوير:٢٩].

قَولُه: «وَتَقُولُونَ: وَالْكَعْبَةِ»: لأنه لا يجوز القسم بالمخلوق، والكعبة من المخلوقات.

قَولُه: «فَأَمَرَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَرَادُوا أَنْ يَحْلِفُوا «أَنْ يَقُولُوا: وَرَبِّ الْكَعْبَةِ، وَأَنْ يَقُولُوا: مَا شَاءَ اللهُ ثُمَّ شِئْتَ»»: لأن ثم لا تقتضي التشريك والمساواة.

وفي هذا الحديث: جواز قبول الحق وإن كان على لسان الأعداء.

قَولُه: «وَلَهُ أَيْضًا عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ، فَقَالَ: «أَجَعَلْتَنِي للهِ نِدًّا؟ بَلْ مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ»»: لا شريك له تَبَارَكَ وَتَعَالَى؛ فلا يجوز التسوية في المشيئة بين الخالق، والمخلوق.

قال ابن القيم: «وفي معنى هذا الشرك المنهي عنه قول من لا يتوقى الشرك: أنا بالله وبك، وأنا في حسْب الله وحسبك، وما لي إلا الله وأنت، وأنا متوكل على الله وعليك، وهذا من الله ومنك، والله لي في السماء وأنت لي في الأرض، ووالله وحياتك، وأمثال هذا من الألفاظ التي يجعل فيها قائلها المخلوق ندا للخالق، وهي أشد منعًا وقبحًا من قوله ما شاء الله وشئت.

فأما إذا قال أنا بالله ثم بك، وما شاء الله ثم شئت، فلا بأس بذلك»[(١)].

قَوْلُهُ: «وَلِابْنِ مَاجَهْ عَنِ الطُّفَيْلِ أَخِي عَائِشَةَ لِأُمِّهَا؛ قَالَ: رَأَيْتُ كَأَنِّي أَتَيْتُ عَلَى نَفَرٍ مِنَ الْيَهُودِ؛ قُلْتُ: إِنَّكُمْ لَأَنْتُمُ الْقَوْمُ لَوْلَا أَنَّكُمْ تَقُولُونَ: عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ، قَالُوا: وَأَنْتُمْ لَأَنْتُمُ الْقَوْمُ لَوْلَا أَنَّكُمْ تَقُولُونَ: مَا شَاءَ اللهُ وَشَاءَ مُحَمَّدٌ، ثُمَّ مَرَرْتُ بِنَفَرٍ مِنَ النَّصَارَى، فَقُلْتُ: إِنَّكُمْ لَأَنْتُمُ الْقَوْمُ لَوْلَا أَنَّكُمْ تَقُولُونَ: الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ، قَالُوا: وَإِنَّكُمْ لَأَنْتُمُ الْقَوْمُ لَوْلَا أَنَّكُمْ تَقُولُونَ: مَا شَاءَ اللهُ وَشَاءَ مُحَمَّدٌ، فَلَمَّا أَصْبَحْتُ أَخْبَرْتُ بِهَا مَنْ أَخْبَرْتُ، ثُمَّ أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ، قَالَ: «هَلْ أَخْبَرْتَ بِهَا أَحَدًا؟» قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّ طُفَيْلًا رَأَى رُؤْيَا أَخْبَرَ بِهَا مَنْ أَخْبَرَ مِنْكُمْ وَأَنَّكُمْ قُلْتُمْ: كَلِمَةً يَمْنَعُنِي كَذَا وَكَذَا أَنْ أَنْهَاكُمْ عَنْهَا؛ فَلَا تَقُولُوا: مَا شَاءَ اللهُ وَشَاءَ مُحَمَّدٌ، وَلَكِنْ قُولُوا مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ»»: لأن قولهم: ما شاء الله، وشاء محمد فيه من إيهام التشريك[(٢)].

---

(١) انظر: «زاد المعاد» (٢/ ٣٢٢).

(٢) انظر: «فيض القدير شرح الجامع الصغير» (١/ ٦٥١).

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: مَعْرِفَةُ الْيَهُودِ بِالشِّرْكِ الْأَصْغَرِ.

الثَّانِيَةُ: فَهْمُ الْإِنْسَانِ إِذَا كَانَ لَهُ هَوًى.

الثَّالِثَةُ: «قَوْلُهُ ﷺ أَجَعَلْتَنِي للهِ نِدًّا؟» فَكَيْفَ بِمَنْ قَالَ: «يَا أَكْرَمَ الخَلْقِ مَا لِي مَنْ أَلُوذُ بِهِ سِوَاكَ»، وَالْبَيْتَيْنِ بَعْدَهُ؟.

الرَّابِعَةُ: أَنَّ هَذَا لَيْسَ مِنَ الشِّرْكِ الْأَكْبَرِ، لِقَوْلِهِ: «يَمْنَعُنِي كَذَا وَكَذَا».

الخَامِسَةُ: أَنَّ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةَ مِنْ أَقْسَامِ الْوَحْيِ.

السَّادِسَةُ: أَنَّهَا قَدْ تَكُونُ سَبَبًا لِشَرْعِ بَعْضِ الْأَحْكَامِ.

الشَّرْح

قَوْلُهُ: «الْأُولَى: مَعْرِفَةُ الْيَهُودِ بِالشِّرْكِ الْأَصْغَرِ»: كما في حديث قُتَيْلة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن يهوديا أتى النبي ﷺ، فقال: إنكم تشركون.

قَوْلُهُ: «الثَّانِيَةُ: فَهْمُ الْإِنْسَانِ إِذَا كَانَ لَهُ هَوًى»: كما فعل اليهود، فقد فهموا ما عند المسلمين من الشرك، وهو قولهم: «**تقولون: ما شاء الله، وشاء محمد**».

قَوْلُهُ: «الثَّالِثَةُ: «قَوْلُهُ ﷺ أَجَعَلْتَنِي للهِ نِدًّا؟» فَكَيْفَ بِمَنْ قَالَ: «يَا أَكْرَمَ الخَلْقِ مَا لِي مَنْ أَلُوذُ بِهِ سِوَاكَ»، وَالْبَيْتَيْنِ بَعْدَهُ؟»: يقصد بهذا ما قاله البوصيري في البُرْدة:

يـا أكـرمَ الخلـقِ مـالي مَـن ألـوذُ بـهِ ... سِـواكَ عنـدَ حُلـولِ الحـادثِ العَمَـمِ

ولـنْ يَـضيقَ رَسـولَ اللهِ جاهُـك بي ... إذَا الكـريمُ تَحَـلَّى باسـمِ منـتقمِ

فـإنّ مـن جـودِك الدُّنيـا وضَرَّتهـا ... ومـن علومِـك علـمُ اللّـوحِ والقلـمِ

قَوْلُهُ: «الرَّابِعَةُ: أَنَّ هَذَا لَيْسَ مِنَ الشِّرْكِ الْأَكْبَرِ، لِقَوْلِهِ: «يَمْنَعُنِي كَذَا

وَكَذَا»»: ولو كان من الشرك الأكبر ما منعه شيء ﷺ.

قَوْلُهُ: «الخَامِسَةُ: أَنَّ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةَ مِنْ أَقْسَامِ الْوَحْيِ»: كما في رؤيا الطفيل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قَوْلُهُ: «السَّادِسَةُ: أَنَّهَا قَدْ تَكُونُ سَبَبًا لِشَرْعِ بَعْضِ الْأَحْكَامِ»: أي في عهد النبي ﷺ، وليس بعد وفاته.



[٤٤] بابٌ مَنْ سَبَّ الدَّهْرَ فَقَدْ آذَى اللهَ

وَقَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ [الجاثية:٢٤] الْآيَةَ.

وَفِي الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «قَالَ اللهُ تَعَالَى: يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ يَسُبُّ الدَّهْرَ، وَأَنَا الدَّهْرُ أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ»[1].

وَفِي رِوَايَةٍ: «لَا تَسُبُّوا الدَّهْرَ؛ فَإِنَّ اللهَ هُوَ الدَّهْرُ»[2].

الشَّرْح

قَوْلُـهُ: «بَابٌ مَنْ سَبَّ الدَّهْرَ فَقَدْ آذَى اللهَ»: الدهر: اسم للزمان الطويل، ومدة الحياة الدنيا[3].

والأذى: اسم لقليل الشر وخفيف المكروه بخلاف الضرر، فلذلك أطلق علىٰ القول؛ لأنه لا يضر المؤذي في الحقيقة[4].

قال ابن القيم: «في هذا ثلاث مفاسد عظيمة:

إحداها: سبُّه من ليس بأهل أن يُسب، فإن الدهر خلق مسخر من خلق الله، منقاد لأمره مذلَّل لتسخيره، فسابه أولىٰ بالذم والسب منه.

الثانية: أن سبه متضمن للشرك، فإنه إنما سبه لظنه أنه يضر وينفع، وأنه مع ذلك ظالم قد ضر من لا يستحق الضرر، وأعطىٰ من لا يستحق العطاء، ورفع من لا يستحق الرفعة، وحرم من لا يستحق الحرمان، وهو عند شاتميه من أظلم

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٢٤٦).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٢٤٦).

(٣) انظر: «النهاية في غريب الحديث» (٢/ ١٤٤).

(٤) انظر: «الصارم المسلول»، صـ(٧٤).

الظلمة، وأشعار هؤلاء الظلمة الخونة في سبه كثيرة جدًا، وكثير من الجهال يصرح بلعنه وتقبيحه.

الثالثة: أن السب منهم إنما يقع علىٰ من فعل هذه الأفعال التي لو اتبع الحقُّ فيها أهواءهم لفسدت السماوات والأرض، وإذا وقعت أهواؤهم حمدوا الدهر، وأثنوا عليه.

وفي حقيقة الأمر، فربُّ الدهر تعالىٰ هو المعطي المانع، الخافض الرافع، المعز المذل، والدهر ليس له من الأمر شيء، فمسبتهم للدهر مسبة لله عَزَّوَجَلَّ، ولهذا كانت مؤذية للرب تعالىٰ»[1].

قَولُه: «وَقَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا﴾»: أي وقال المشركون الذين أنكروا البعث: ما حياة إلا حياتنا الدنيا التي نحن فيها لا حياة سواها تكذيبا منهم بالبعث بعد الممات[2].

قَولُه: «﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾»: أي نموت نحن، وتحيا أبناؤنا بعدنا، فجعلوا حياة أبنائهم بعدهم حياة لهم؛ لأنهم منهم وبعضهم، فكأنهم بحياتهم أحياء[3].

قَولُه: «﴿وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾»: أي وما يهلكنا فيفنينا إلا مرُّ الليالي والأيام وطول العمر، إنكارًا منهم أن يكون لهم رب يفنيهم ويهلكهم[4].

قَولُه: «﴿وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾»: أي وما لهؤلاء المشركين القائلين: ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا، وما يهلكنا إلا الدهر، بما يقولون من ذلك من علم: يعني من يقين علم؛ لأنهم يقولون ذلك تخرُّصا بغير خبر أتاهم من الله، ولا برهان عندهم بحقيقته[5].

---

(١) **انظر:** «زاد المعاد» (٢/ ٣٢٣-٣٢٤).

(٢) **انظر:** «تفسير الطبري» (٢٢/ ٧٧)، و«التفسير الوجيز»، صـ (٩٩١).

(٣) **انظر:** «تفسير الطبري» (٢٢/ ٧٨).

(٤) **انظر:** «تفسير الطبري» (٢٢/ ٧٨).

(٥) **انظر:** «تفسير الطبري» (٢٢/ ٨٠).

قَوْلُهُ: «﴿إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾»: أي ما هم إلا في ظن من ذلك، وشكٍّ يُخبر عنهم أنهم في حيرة من اعتقادهم حقيقة ما ينطقون من ذلك بألسنتهم(١).

قال ابن كثير في تفسير الآية: «يخبر تعالىٰ عن قول الدهرية من الكفار ومن وافقهم من مشركي العرب في إنكار المعاد: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ أي: ما ثَم إلا هذه الدار، يموت قوم ويعيش آخرون، وما ثم معاد ولا قيامة، وهذا يقوله مشركو العرب المنكرون للمعاد، ويقوله الفلاسفة الإلهيون منهم، وهم ينكرون البَداءة والرجعة، ويقوله الفلاسفة الدهرية الدورية المنكرون للصانع المعتقدون أن في كل ستٍّ وثلاثين ألف سنة يعود كل شيء إلىٰ ما كان عليه، وزعموا أن هذا قد تكرر مرات لا تتناهىٰ، فكابروا المعقول وكذبوا المنقول، ولهذا قالوا: ﴿وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الجاثية:٢٤] أي: يتوهمون ويتخيلون»(٢).

قَوْلُهُ: «وَفِي الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «قَالَ اللهُ تَعَالَى: يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ يَسُبُّ الدَّهْرَ»»: إذا سب الناس الدهر فإنهم يؤذونه تبارك وتعالىٰ، ولكن الأذىٰ لا يضر المؤذَىٰ، بخلاف الضرر(٣).

وليس أذاه سبحانه من جنس الأذىٰ الحاصل للمخلوقين كما أن سخطه، وغضبه، وكراهته ليست من جنس ما للمخلوقين(٤).

قَوْلُهُ: «وَأَنَا الدَّهْرُ»: أي أفعل ما يجرىٰ به الدهر من السراء والضراء، فإذا سببتم الدهر وهو لا يفعل شيئًا فقد وقع السب علىٰ الله(٥).

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٢٢/ ٨٠).

(٢) انظر: «تفسير ابن كثير» (٧/ ٢٦٨-٢٦٩).

(٣) انظر: «الصارم المسلول»، صـ(٥٨).

(٤) انظر: «الصواعق المرسلة» (٤/ ١٤٥١).

(٥) انظر: «شرح صحيح البخاري»، لابن بطال (١٠/ ٤٩٩).

قال ابن تيمية: «أي أنا الذي أفعل ما ينسبونه إلىٰ الدهر ويوقعون السب عليه»[(١)].

قَولُهُ: «أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ»: أي يقلب الزمان، ويصرفه[(٢)]، وتقليبه تصرفه تعالىٰ فيه بما يحبه الناس ويكرهونه[(٣)].

قال الخطابي: «كانت العرب تسبُّ الدهر علىٰ أنه هو المُلِم بهم في المصائب والمكاره، ويضيفون الفعل فيما ينالهم منها إليه، ثم يسبون فاعلها فيكون مرجع السب في ذلك إلىٰ الله سبحانه إذ هو الفاعل لها فقيل علىٰ ذلك: لا تسبوا الدهر، فإن الله هو الدهر، أي إن الله هو الفاعل لهذه الأمور التي تضيفونها إلىٰ الدهر»[(٤)].

قَولُهُ: «وَفِي رِوَايَةٍ: «لَا تَسُبُّوا الدَّهْرَ؛ فَإِنَّ اللهَ هُوَ الدَّهْرُ»»: كانت العرب إذا أصابتهم مصيبة يسبون الدهر، ويقولون عند ذكر موتاهم: أبادهم الدهر، ينسبون ذلك إليه، ويرونه الفاعل لهذه الأشياء، ولا يرونها من قضاء الله عَزَّوَجَلَّ، كما قال تعالىٰ عنهم: ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ [الجاثية:٢٤]، فقال النبي ﷺ: «لَا تَسُبُّوا الدَّهْرَ؛ فَإِنَّ اللهَ هُوَ الدَّهْرُ» أي هو الذي يصيبكم بهذه المصائب، فإذا سببتم فاعلها فكأنكم قصدتم الخالق[(٥)].

قال ابن الأثير: «نهاهم النبي ﷺ عن ذم الدهر وسبه: أي لا تسبوا فاعل هذه الأشياء، فإنكم إذا سببتموه وقع السب علىٰ الله تعالىٰ؛ لأنه الفعال لما يريد لا الدهر، فيكون تقدير الحديث: فإن الله هو جالب للحوادث لا غيره الجالب، ردًّا لاعتقادهم أن جالبها الدهر»[(٦)].

---

(١) انظر: «الصارم المسلول»، صـ(٤٩٥).

(٢) انظر: «الفتاوىٰ الكبرىٰ» (٥/ ٦٤).

(٣) انظر: «فتح المجيد شرح كتاب التوحيد»، صـ(٤٢٤).

(٤) انظر: «معالم السنن» (٤/ ١٥٨-١٥٩).

(٥) انظر: «كشف المشكل من حديث الصحيحين» (٣/ ٣٤٦-٣٤٧).

(٦) انظر: «النهاية في غريب الحديث» (٢/ ١٤٤).

وقال ابن القيم: «ساب الدهر دائر بين أمرين لا بد له من أحدهما.

إما سبُّه لله، أو الشرك به، فإنه إذا اعتقد أن الدهر فاعل مع الله فهو مشرك.

وإن اعتقد أن الله وحده هو الذي فعل ذلك، وهو يسب من فعله فقد سب الله»[(١)].

وقال الشيخ عبد الرحمن بن حسن: معنىٰ الحديث: «أن ما يجري فيه من خير وشر بإرادة الله وتدبيره، بعلم منه تعالىٰ وحكمة، لا يشاركه في ذلك غيره، ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، فالواجب عند ذلك حمده في الحالتين، وحسن الظن به سبحانه وبحمده، والرجوع إليه بالتوبة والإنابة، كما قال تعالىٰ: ﴿وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأعراف:١٦٨]»[(٢)].



(١) **انظر:** «زاد المعاد» (٢/ ٣٢٤).

(٢) **انظر:** «فتح المجيد شرح كتاب التوحيد»، صـ (٤٢٥).

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: النَّهْيُ عَنْ سَبِّ الدَّهْرِ.

الثَّانِيَةُ: تَسْمِيَتُهُ أَذَى اللهَ.

الثَّالِثَةُ: التَّأَمُّلُ فِي قَوْلِهِ: «فَإِنَّ اللهَ هُوَ الدَّهْرُ».

الرَّابِعَةُ: أَنَّهُ قَدْ يَكُونُ سَابًّا، وَلَوْ لَمْ يَقْصِدْهُ بِقَلْبِهِ.

الشَّرْح

قَوْلُهُ: «الْأُولَى: النَّهْيُ عَنْ سَبِّ الدَّهْرِ»: كما في قوله ﷺ: «**لَا تَسُبُّوا الدَّهْرَ**».

قَوْلُهُ: «الثَّانِيَةُ: تَسْمِيَتُهُ أَذَى اللهَ»: كما في قوله ﷺ: «**قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ يَسُبُّ الدَّهْرَ**».

قَوْلُهُ: «الثَّالِثَةُ: التَّأَمُّلُ فِي قَوْلِهِ: «فَإِنَّ اللهَ هُوَ الدَّهْرُ»»: أي مصرف الدهر؛ لقوله تعالىٰ: «**أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ**»

قَوْلُهُ: «الرَّابِعَةُ: أَنَّهُ قَدْ يَكُونُ سَابًّا، وَلَوْ لَمْ يَقْصِدْهُ بِقَلْبِهِ»: أي بمجرد قوله يكون سابًا لله ﷻ، وإن لم يقصده بقلبه.

[٤٥] بَابُ التَّسَمِّي بِقَاضِي الْقُضَاةِ وَنَحْوِهِ

فِي الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَخْنَعَ اسْمٍ عِنْدَ اللهِ رَجُلٌ تَسَمَّى مَلِكَ الْأَمْلَاكِ، لَا مَالِكَ إِلَّا اللهُ»(١).

قَالَ سُفْيَانُ: «مِثْلُ شَاهَانْ شَاهْ»(٢).

وَفِي رِوَايَةٍ: «أَغْيَظُ رَجُلٍ عَلَى اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَخْبَثُهُ»(٣).

قَوْلُهُ: «أَخْنَعُ» يَعْنِي أَوْضَعَ(٤).

الشَّرح

قَوْلُهُ: «بَابُ التَّسَمِّي بِقَاضِي الْقُضَاةِ»: أي ما جاء من الوعيد الشديد في التسمي بقاضي القضاة، معناه: حاكم الحكَّام.

ويلتحق به أيضًا من تسمىٰ بشيء من أسماء الله الخاصة به كالرحمن، والقدوس، والجبار(٥).

قَوْلُهُ: «وَنَحْوِهِ»: كسلطان السلاطين، وملك الأملاك، وخالق الخلق، وأحكم الحاكمين، وأمير الأمراء(٦).

قَوْلُهُ: «فِي الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَخْنَعَ اسْمٍ عِنْدَ اللهِ»»: أوضع وأذل، والخنوع: الذلة، والاستكانة(٧).

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٦٢٠٦)، ومسلم (٢١٤٣) إلا زيادة «لَا مَالِكَ إِلَّا اللهُ» انفرد بها مسلم.
(٢) انظر: «صحيح البخاري» (٨/ ٤٥)، و«صحيح مسلم» (٣/ ١٦٨٨).
(٣) صحيح: رواه مسلم (٢١٤٣).
(٤) انظر: «صحيح مسلم» (٣/ ١٦٨٨).
(٥) انظر: «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» (١٠/ ٥٩٠).
(٦) انظر: «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» (١٠/ ٥٩٠).
(٧) انظر: «معالم السنن» (٤/ ١٢٩).

قَـوْلُـهُ: «رَجُلٌ تَسَمَّى مَلِكَ الْأَمْلَاكِ»: أي سمىٰ نفسه ملِك الأملاك[١].

قَـوْلُـهُ: «لَا مَالِكَ إِلَّا اللهُ»: لأن المالك الحقيقي ليس إلا هو، ومالِكيَّة الغير عاريَّة مستردَّة إلىٰ مالك الملوك، فمن تسمىٰ بهذا الاسم نازع الله في رداء كبريائه، واستنكف أن يكون عبد الله فيكون له الخزي والنكال[٢].

قال ابن القيم: «وقد ألحق بعض أهل العلم بهذا «قاضي القضاة»، وقال: ليس قاضي القضاة إلا من يقضي الحق، وهو خير الفاصلين الذي إذا قضىٰ أمرا فإنما يقول له: كن فيكون.

ويلي هذا الاسم في الكراهة والقبح والكذب سيد الناس، وسيد الكل، وليس ذلك إلا لرسول الله ﷺ خاصة كما قال: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[٣]، فلا يجوز لأحد قط أن يقول عن غيره: إنه سيد الناس، وسيد الكل، كما لا يجوز أن يقول: إنه سيد ولد آدم»[٤].

قال مجاهد: «أكرَهُ الأسماء إلىٰ الله ملِك الأملاك، وإنما كان ملِك الأملاك أبغضَ إلىٰ الله وأكرهَ إليه أنْ يُسمىٰ به مخلوق؛ لأنه صفة الله، ولا تليق بمخلوق صفاته ولا أسماؤه، ولا ينبغي أن يتسمىٰ أحد بشيء من ذلك؛ لأن العباد لا يُوصَفُون إلا بالذل، والخضوع، والعبودية»[٥].

قَـوْلُـهُ: «قَالَ سُفْيَانُ: «مِثْلُ شَاهَانْ شَاهْ»»: شاهان شاه بالفارسية هو ملك الملوك[٦].

---

(١) انظر: «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٨/ ٥٤٢).

(٢) انظر: «إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري» (٩/ ١١٧-١١٨).).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٢٧٨).

(٤) انظر: «زاد المعاد» (٢/ ٣١١).

(٥) انظر: «شرح صحيح البخاري»، لابن بطال (٩/ ٣٥٣-٣٥٤).

(٦) انظر: «صحيح البخاري» (٨/ ٤٥)، و«شرح صحيح البخاري»، لابن بطال (٩/ ٣٥٣).

قَـوْلُـهُ: «وَفِي رِوَايَةٍ: «أَغْيَظُ رَجُلٍ عَلَى اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَخْبَثُهُ»»: أي عند الله سبحانه وتعالى، فهذا مقت الله وغضبه علىٰ من تشبه به في الاسم الذي لا ينبغي إلا له، فهو سبحانه ملِكُ الملوك وحده، وهو حاكم الحكام وحده، فهو الذي يحكم علىٰ الحكام كلهم، ويقضي عليهم كلِّهم، لا غيره[1].

قَـوْلُـهُ: «قَوْلُهُ: «أَخْنَعُ» يَعْنِي أَوْضَعَ»: أي أحقر، وأذل.



(١) انظر: «الداء والدواء»، صـ(٣١٨).

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: النَّهْيُ عَنِ التَّسَمِّي بِمَلِكِ الْأَمْلَاكِ.

الثَّانِيَةُ: أَنَّ مَا فِي مَعْنَاهُ مِثْلُهُ كَمَا قَالَ سُفْيَانُ.

الثَّالِثَةُ: التَّفَطُّنُ لِلتَّغْلِيظِ فِي هَذَا وَنَحْوِهِ مَعَ الْقَطْعِ بِأَنَّ الْقَلْبَ لَمْ يَقْصِدْ مَعْنَاهُ.

الرَّابِعَةُ: التَّفَطُّنُ أَنَّ هَذَا لِأَجْلِ اللهِ سُبْحَانَهُ.

الشَّرْح

قَوْلُهُ: «الْأُولَى: النَّهْيُ عَنِ التَّسَمِّي بِمَلِكِ الْأَمْلَاكِ»: كما في قوله ﷺ: «إِنَّ أَخْنَعَ اسْمٍ عِنْدَ اللهِ رَجُلٌ تَسَمَّىٰ مَلِكَ الْأَمْلَاكِ»، فهذا الوعيد يدل علىٰ التحريم.

قَوْلُهُ: «الثَّانِيَةُ: أَنَّ مَا فِي مَعْنَاهُ مِثْلُهُ كَمَا قَالَ سُفْيَانُ»: أي شاهان شاه.

قَوْلُهُ: «الثَّالِثَةُ: التَّفَطُّنُ لِلتَّغْلِيظِ فِي هَذَا وَنَحْوِهِ مَعَ الْقَطْعِ بِأَنَّ الْقَلْبَ لَمْ يَقْصِدْ مَعْنَاهُ»: أي الوعيد المذكور لمن تسمىٰ بهذا الاسم وإن لم يقصده.

قَوْلُهُ: «الرَّابِعَةُ: التَّفَطُّنُ أَنَّ هَذَا لِأَجْلِ اللهِ سُبْحَانَهُ»: أي هذا الوعيد لأجل الله سبحانه وتعالى أن يسمىٰ أحد من خلقه باسم من أسماء الله، أو يتصف أحد بصفة من صفاته سبحانه وتعالى.



[٤٦] بَابُ احْتِرَامِ أَسْمَاءِ اللهِ تَعَالَى وَتَغْيِيرُ الاسْمِ لأَجْلِ ذَلِكَ

عَنْ أَبِي شُرَيْحٍ أَنَّهُ كَانَ يُكْنَى أَبَا الحَكَمِ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ اللهَ هُوَ الحَكَمُ، وَإِلَيْهِ الحُكْمُ»، فَقَالَ: إِنَّ قَوْمِي إِذَا اخْتَلَفُوا فِي شَيْءٍ أَتَوْنِي، فَحَكَمْتُ بَيْنَهُمْ، فَرَضِيَ كِلَا الْفَرِيقَيْنِ، فَقَالَ: «مَا أَحْسَنَ هَذَا، فَمَا لَكَ مِنَ الْوَلَدِ؟»، قُلْتُ: شُرَيْحٌ، وَمُسْلِمٌ، وَعَبْدُ اللهِ، قَالَ: فَمَنْ أَكْبَرُهُمْ؟ قُلْتُ: شُرَيْحٌ، قَالَ: «فَأَنْتَ أَبُو شُرَيْحٍ»[(١)] رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ، وَغَيْرُهُ.

الشَّرْح

قَوْلُهُ: «بَابُ احْتِرَامِ أَسْمَاءِ اللهِ تَعَالَى وَتَغْيِيرُ الِاسْمِ لِأَجْلِ ذَلِكَ»: أي لأجل توقير واحترام وتعظيم أسماء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قَوْلُهُ: «عَنْ أَبِي شُرَيْحٍ أَنَّهُ كَانَ يُكْنَى أَبَا الحَكَمِ»: الكنية قد تكون بالأوصاف كأبي الفضائل، وأبي المعالي، وأبي الحكم، وأبي الخير، وقد تكون بالنسبة إلىٰ الأولاد كأبي سلمة، وأبي شريح[(٢)].

قَوْلُهُ: «فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ اللهَ هُوَ الحَكَمُ»»: أي هذا الوصف مختص بالله وحده لا يُتجاوز إلىٰ غيره[(٣)].

قال البغوي: «والحَكَم: هو الحاكم الذي إذا حكم لا يرد حكمه، وهذه الصفة لا تليق بغير الله عَزَّوَجَلَّ، ومن أسمائه الحكم»[(٤)].

قَوْلُهُ: «وَإِلَيْهِ الحُكْمُ»: أي منه يبتدأ الحكم وإليه ينتهي الحكم، كما قال

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (٤٩٥٥)، والنسائي (٥٣٨٧)، وصححه الألباني.

(٢) انظر: «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٧/ ٣٠٠٣).

(٣) انظر: «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٧/ ٣٠٠٣).

(٤) انظر: «شرح السنة»، للبغوي (١٢/ ٣٤٣).

تعالىٰ: ﴿لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[القصص:٨٨]، لا راد لحكمه، ولا يخلو حكمه عن حكمته، وفي إطلاق أبي الحكم علىٰ غيره يوهم الاشتراك في وصفه علىٰ الجملة[(١)].

قَولُه: «فَقَالَ: إِنَّ قَوْمِي إِذَا اخْتَلَفُوا فِي شَيْءٍ أَتَوْنِي، فَحَكَمْتُ بَيْنَهُمْ، فَرَضِيَ كِلَا الْفَرِيقَيْنِ»: أي لمراعاتي الجانبين والعدل بين الخصمين، وحصول الصلح من الطرفين.

قَولُه: «فَقَالَ: «مَا أَحْسَنَ هَذَا»: أي الذي ذكرتَه من الحكم بالعدل[(٢)].

قَولُه: «فَمَا لَكَ مِنَ الْوَلَدِ؟»، قُلْتُ: شُرَيْحٌ، وَمُسْلِمٌ، وَعَبْدُ اللهِ، قَالَ: فَمَنْ أَكْبَرُهُمْ؟ قُلْتُ: شُرَيْحٌ، قَالَ: «فَأَنْتَ أَبُو شُرَيْحٍ»»: فكناه بأكبر أولاده وهو شريح.

قال البغوي: «إن الأولىٰ أن يكتني الرجل بأكبر بنيه، فإن لم يكن له ابن، فبأكبر بناته، وكذلك المرأة تكتني بأكبر بنيها، فإن لم يكن لها ابن، فبأكبر بناتها، وكان اسم أم سلمة هند، فتكنت بابن لها يقال له: سلمة، وأم حبيبة اسمها رملة، فتكنت بحبيبة»[(٣)].

وقال ابن القيم: «ومما يمنع تسمية الإنسان به أسماء الرب تبارك وتعالىٰ، فلا يجوز التسمية بالأحد والصمد، ولا بالخالق، ولا بالرازق، وكذلك سائر الأسماء المختصة بالرب تبارك وتعالىٰ، ولا تجوز تسمية الملوك بالقاهر والظاهر كما لا يجوز تسميتهم بالجبار والمتكبر والأول والآخر والباطن وعلام الغيوب... وأما الأسماء التي تطلق عليه وعلىٰ غيره كالسميع والبصير والرؤوف والرحيم فيجوز أن يخبر بمعانيها عن المخلوق، ولا يجوز أن يتسمىٰ بها علىٰ الإطلاق بحيث يطلق عليه كما يطلق علىٰ الرب تعالىٰ»[(٤)].

---

(١) **انظر:** «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٧/ ٣٠٠٣).

(٢) **انظر:** «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٧/ ٣٠٠٣).

(٣) **انظر:** «شرح السنة»، للبغوي (١٢/ ٣٤٤).

(٤) **انظر:** «تحفة المودود بأحكام المولود»، صـ(١٢٦-١٢٧).

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: احْتِرَامُ أَسْمَاءِ اللهِ وَصِفَاتِهِ، وَلَوْ لَمْ يَقْصِدْ مَعْنَاهُ.

الثَّانِيَةُ: تَغْيِيرُ الِاسْمِ لِأَجْلِ ذَلِكَ.

الثَّالِثَةُ: اخْتِيَارُ أَكْبَرِ الْأَبْنَاءِ لِلْكُنْيَةِ.

الشَّرْح

قَولُهُ: «الْأُولَى: احْتِرَامُ أَسْمَاءِ اللهِ وَصِفَاتِهِ، وَلَوْ لَمْ يَقْصِدْ مَعْنَاهُ»: أي لا يجوز التسمي بأسماء الله ﷻ وإن لم يقصد الإنسان معناه بقلبه.

قَولُهُ: «الثَّانِيَةُ: تَغْيِيرُ الِاسْمِ لِأَجْلِ ذَلِكَ»: أي لأجل احترام أسماء الله ﷻ.

قَولُهُ: «الثَّالِثَةُ: اخْتِيَارُ أَكْبَرِ الْأَبْنَاءِ لِلْكُنْيَةِ»: كما كنىٰ النبي ﷺ أبا شريح.



[٤٧] بَابٌ مَنْ هَزَلَ بِشَيْءٍ فِيهِ ذِكْرُ اللهِ أَوِ الْقُرْآنِ أَوِ الرَّسُولِ

وَقَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ [التوبة:٦٥] الْآيَةَ.

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ، وَمُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ، وَزَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، وَقَتَادَةَ؛ دَخَلَ حَدِيثُ بَعْضِهِمْ فِي بَعْضٍ أَنَّهُ قَالَ رَجُلٌ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ: مَا رَأَيْنَا مِثْلَ قُرَّائِنَا هَؤُلَاءِ؛ أَرْغَبَ بُطُونًا، وَلَا أَكْذَبَ أَلْسُنًا، وَلَا أَجْبَنَ عِنْدَ اللِّقَاءِ -يَعْنِي رَسُولَ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابَهُ الْقُرَّاءَ- فَقَالَ لَهُ عَوْفُ بْنُ مَالِكٍ: كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ مُنَافِقٌ لَأُخْبِرَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَذَهَبَ عَوْفٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ لِيُخْبِرَهُ فَوَجَدَ الْقُرْآنَ قَدْ سَبَقَهُ، فَجَاءَ ذَلِكَ الرَّجُلُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَقَدِ ارْتَحَلَ وَرَكِبَ نَاقَتَهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَتَحَدَّثُ حَدِيثَ الرَّكْبِ نَقْطَعُ بِهِ عَنَاءَ الطَّرِيقِ.

قَالَ ابْنُ عُمَرَ: كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ مُتَعَلِّقًا بِنِسْعَةِ نَاقَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَإِنَّ الْحِجَارَةَ تَنْكُبُ رِجْلَيْهِ، وَهُوَ يَقُولُ: إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ، فَيَقُولُ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [التوبة:٦٥]، مَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهِ، وَمَا يَزِيدُهُ عَلَيْهِ»[(١)].

الشَّرح

قَوْلُهُ: «بَابٌ مَنْ هَزَلَ بِشَيْءٍ فِيهِ ذِكْرُ اللهِ أَوْ الْقُرْآنِ أَوْ الرَّسُولِ»: أي ما جاء من الوعيد لمن هزل، أو استهزأ، أو سخر بشيء فيه ذكر الله، أو آياته، أو الرسول ﷺ، وأنه يكفر بذلك.

---

(١) رواه ابن جرير (١٦٩١١، ١٦٩١٢، ١٦٩١٤، ١٦٩١٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠٠٤٦، ١٠٠٤٧، ١٠٠٤٩، ١٠٤٠١).

قَولُه: «وَقَولُ اللهِ تَعالَى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾»: أي ولئن سألت يا محمد هؤلاء المنافقين عما قالوا من الباطل والكذب، وعما كانوا فيه من الاستهزاء، ليقولن لك: إنما قلنا ذلك لعبا، وكنا نخوض في حديث لعبا وهزؤا، يقول الله لمحمد ﷺ: قل يا محمد: أبالله، وآيات كتابه، ورسوله كنتم تستهزءون؟[1].

قَولُه: «﴿ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ﴾»: أي قل لهؤلاء الذين وصفت لك صفتهم: لا تعتذروا بالباطل، فتقولوا: كنا نخوض ونلعب قد كفرتم بعد إيمانكم وإقراركم بهذا المقال ا لذي استهزأتم به[2].

قَولُه: «﴿ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾»: أي لا يعفىٰ عن جميعكم، ولا بد من عذاب بعضكم، بأنهم كانوا مجرمين بهذه المقالة الفاجرة الخاطئة[3].

قال ابن تيمية: «هذا نص في أن الاستهزاء بالله، وبآياته، وبرسوله كفر، فالسبُّ المقصود بطريق الأولىٰ، وقد دلت هذه الآية علىٰ أن كل من تنقص رسول الله ﷺ جادا، أو هازلا فقد كفر»[4].

قَولُه: «وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ، وَمُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ، وَزَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، وَقَتَادَةَ؛ دَخَلَ حَدِيثُ بَعْضِهِمْ فِي بَعْضٍ أَنَّهُ قَالَ رَجُلٌ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ: مَا رَأَيْنَا مِثْلَ قُرَّائِنَا هَؤُلَاءِ»: القراء جمع قارئ، وهم عند السلف الذين يقرؤون القرآن، ويعرفون معانيه[5].

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١٤/ ٣٣٢)، و«التفسير الوجيز»، صـ(٤٧٠).

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (١٤/ ٣٣٦)، و«تفسير ابن كثير» (٤/ ١٧٢).

(٣) انظر: «تفسير ابن كثير» (٤/ ١٧٢).

(٤) انظر: «الصارم المسلول»، صـ(٣١).

(٥) انظر: «تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد»، صـ(٥٣٩).

قَوْلُهُ: «أَرْغَبَ بُطُونًا»: أي أوسع بطونا، يريد كثرة الأكل[(١)].

قَوْلُهُ: «وَلَا أَكْذَبَ أَلْسُنًا»: أي أكثر كذبا عند الكلام.

قَوْلُهُ: «وَلَا أَجْبَنَ عِنْدَ اللِّقَاءِ»: أي أكثر خوفا عند لقاء العدو.

قَوْلُهُ: «يَعْنِي رَسُولَ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابَهُ الْقُرَّاءَ»: أي قراء القرآن الكريم، وحفظته.

قَوْلُهُ: «فَقَالَ لَهُ عَوْفُ بْنُ مَالِكٍ: كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ مُنَافِقٌ لَأُخْبِرَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَذَهَبَ عَوْفٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ لِيُخْبِرَهُ فَوَجَدَ الْقُرْآنَ قَدْ سَبَقَهُ»: أي في النزول على النبي ﷺ.

قَوْلُهُ: «فَجَاءَ ذَلِكَ الرَّجُلُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَقَدْ ارْتَحَلَ وَرَكِبَ نَاقَتَهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَتَحَدَّثُ حَدِيثَ الرَّكْبِ»: أي حديث المسافر الذي لا يُقصد منه شيءٌ.

قَوْلُهُ: «نَقْطَعُ بِهِ عَنَاءَ الطَّرِيقِ»: أي مشقة الطريق وصعوبته.

قَوْلُهُ: «قَالَ ابْنُ عُمَرَ: كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ مُتَعَلِّقًا بِنِسْعَةِ نَاقَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ»: النِّسعة بالكسر: سير مضفور يُجعل زماما للبعير وغيره، وقد تنسج عريضة، تجعل على صدر البعير[(٢)].

قَوْلُهُ: «وَإِنَّ الْحِجَارَةَ تَنْكُبُ رِجْلَيْهِ»: أي تضرب رجليه[(٣)].

قَوْلُهُ: «وَهُوَ يَقُولُ: إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ، فَيَقُولُ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «﴿أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۝٦٥﴾ [التوبة:٦٥]، مَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهِ وَمَا يَزِيدُهُ عَلَيْهِ»»: أي ما يزيد ﷺ على ذكر الآية.

---

(١) انظر: «تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد»، صـ(٥٣٩).
(٢) انظر: «النهاية في غريب الحديث» (٥/ ٤٨).
(٣) انظر: «لسان العرب»، مادة «نكب».

قال ابن تيمية: «فهؤلاء لما تنقصوا النبي ﷺ حيث عابوه، والعلماء من أصحابه، واستهانوا بخبره أخبر الله أنهم كفروا بذلك، وإن قالوه استهزاء فكيف بما هو أغلظ من ذلك؟ وإنما لم يقم الحد عليهم؛ لكون جهاد المنافقين لم يكن قد أمر به إذ ذاك بل كان مأمورا بأن يدع أذاهم، ولأنه كان له أن يعفو عمن تنقصه وآذاه»[١].



(١) انظر: «الصارم المسلول»، صـ (٣٢-٣٣).

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: وَهِيَ الْعَظِيمَةُ؛ أَنَّ مَنْ هَزَلَ بِهَذَا فَهُوَ كَافِرٌ.

الثَّانِيَةُ: أَنَّ هَذَا تَفْسِيرُ الْآيَةِ فِيمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ كَائِنًا مَنْ كَانَ.

الثَّالِثَةُ: الْفَرْقُ بَيْنَ النَّمِيمَةِ، وَبَيْنَ النَّصِيحَةِ للهِ، وَلِرَسُولِهِ.

الرَّابِعَةُ: الْفَرْقُ بَيْنَ الْعَفْوِ الَّذِي يُحِبُّهُ اللهُ، وَبَيْنَ الْغِلْظَةِ عَلَى أَعْدَاءِ اللهِ.

الخَامِسَةُ: أَنَّ مِنَ الِاعْتِذَارِ مَا لَا يَنْبَغِي أَنْ يُقْبَلَ.

الشَّــرْح

قَــوْلُــهُ: «الْأُولَى: وَهِيَ الْعَظِيمَةُ؛ أَنَّ مَنْ هَزَلَ بِهَذَا فَهُوَ كَافِرٌ»: أي من سخر أو استهزأ أو هزل بالله عَزَّوَجَلَّ، أو بالنبي ﷺ، أو بشيء من القرآن كفر؛ لقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾[التوبة: ٦٥- ٦٦].

قَــوْلُــهُ: «الثَّانِيَةُ: أَنَّ هَذَا تَفْسِيرُ الْآيَةِ فِيمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ كَائِنًا مَنْ كَانَ»: أي من استهزأ، أو هزل بالله، أو برسوله ﷺ، أو بالقرآن كفر، وإن كان مؤمنا.

قَــوْلُــهُ: «الثَّالِثَةُ: الْفَرْقُ بَيْنَ النَّمِيمَةِ، وَبَيْنَ النَّصِيحَةِ للهِ، وَلِرَسُولِهِ»: ما فعله عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نصيحة، وليس نميمة؛ لأن النميمة تعني نقل الحديث للإفساد بين الناس.

قَــوْلُــهُ: «الرَّابِعَةُ: الْفَرْقُ بَيْنَ الْعَفْوِ الَّذِي يُحِبُّهُ اللهُ، وَبَيْنَ الْغِلْظَةِ عَلَى أَعْدَاءِ اللهِ»: لم يعف الله عن هؤلاء؛ لعلمه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أنهم يستحقون ذلك.

قَــوْلُــهُ: «الخَامِسَةُ: أَنَّ مِنَ الِاعْتِذَارِ مَا لَا يَنْبَغِي أَنْ يُقْبَلَ»: مثل هذا الاعتذار من المنافقين.



[٤٨] بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى:

﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى ﴾ [فُصِّلَت: ٥٠] الْآيَةَ

قَالَ مُجَاهِدٌ: «هَذَا بِعَمَلِي، وَأَنَا مَحْقُوقٌ بِهِ»(١).

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «يُرِيدُ مِنْ عِنْدِي»(٢).

وَقَوْلُهُ: ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ﴾ [القصص: ٧٨].

قَالَ قَتَادَةُ: «عَلَى عِلْمٍ مِنِّي بِوُجُوهِ المَكَاسِبِ»(٣).

وَقَالَ آخَرُونَ: عَلَى عِلْمٍ مِنَ اللهِ أَنِّي لَهُ أَهْلٌ(٤)، وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِ مُجَاهِدٍ: «أُوتِيتُهُ عَلَى شَرَفٍ»(٥).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ ثَلَاثَةً مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَبْرَصَ وَأَقْرَعَ وَأَعْمَى، فَأَرَادَ اللهُ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكًا فَأَتَى الْأَبْرَصَ، فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: «لَوْنٌ حَسَنٌ، وَجِلْدٌ حَسَنٌ، وَيَذْهَبُ عَنِّي الَّذِي قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ بِهِ»، قَالَ: «فَمَسَحَهُ، فَذَهَبَ عَنْهُ قَذَرُهُ، فَأُعْطِيَ لَوْنًا حَسَنًا وَجِلْدًا حَسَنًا، قَالَ: فَأَيُّ المَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الْإِبِلُ، أَوِ الْبَقَرُ -شَكَّ إِسْحَاقُ- فَأُعْطِيَ نَاقَةً عُشَرَاءَ، وَقَالَ: بَارَكَ اللهُ لَكَ فِيهَا» قَالَ: «فَأَتَى الْأَقْرَعَ، فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: شَعْرٌ حَسَنٌ، وَيَذْهَبُ عَنِّي الَّذِي قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ بِهِ فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ، وَأُعْطِيَ شَعْرًا حَسَنًا، فَقَالَ: أَيُّ المَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ:

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٢١/ ٤٩١).

(٢) انظر: «تفسير القرطبي» (١٥/ ٣٧٣).

(٣) انظر: «تفسير الطبري» (١٩/ ٦٢٦)، و«تفسير ابن أبي حاتم» (١٧١٢٣).

(٤) انظر: «تفسير ابن أبي حاتم» (١٧١٢٥)، وهذا من قول السُّدِّي.

(٥) انظر: «تفسير الطبري» (٢١/ ٣٠٢-٣٠٣).

الْبَقَرُ أَوْ الْإِبِلُ، فَأُعْطِيَ بَقَرَةً حَامِلًا، قَالَ بَارَكَ اللهُ لَكَ فِيهَا.

فَأَتَى الْأَعْمَى، فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: أَنْ يَرُدَّ اللهُ إِلَيَّ بَصَرِي، فَأُبْصِرِ بِهِ النَّاسَ فَمَسَحَهُ فَرَدَّ اللهُ إِلَيْهِ بَصَرَهُ قَالَ: فَأَيُّ المالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الْغَنَمُ فَأُعْطِيَ شَاةً وَالِدًا، فَأُنْتِجَ هَذَانِ وَوَلَّدَ هَذَا، فَكَانَ لِهَذَا وَادٍ مِنَ الْإِبِلِ وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ الْبَقَرِ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ الْغَنَمِ».

قَالَ: «ثُمَّ إِنَّهُ أَتَى الْأَبْرَصَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ، وَابْنُ سَبِيلٍ قَدْ انْقَطَعَتْ بِيَ الْحِبَالُ فِي سَفَرِي؛ فَلَا بَلَاغَ لِيَ الْيَوْمَ إِلَّا بِاللهِ ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي أَعْطَاكَ اللَّوْنَ الحَسَنَ وَالجِلْدَ الحَسَنَ وَالمالَ؛ بَعِيرًا أَتَبَلَّغُ بِهِ فِي سَفَرِي، فَقَالَ: الحُقُوقُ كَثِيرَةٌ فَقَالَ لَهُ: كَأَنِّي أَعْرِفُكَ أَلَمْ تَكُنْ أَبْرَصَ يَقْذَرُكَ النَّاسُ، فَقِيرًا، فَأَعْطَاكَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ المالَ؟ فَقَالَ: إِنَّمَا وَرِثْتُ هَذَا المالَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ، فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللهُ إِلَى مَا كُنْتَ»، قَالَ: «ثُمَّ إِنَّهُ أَتَى الْأَقْرَعَ فِي صُورَتِهِ، فَقَالَ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ لِهَذَا، وَرَدَّ عَلَيْهِ مِثْلَ مَا رَدَّ عَلَيْهِ هَذَا، فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا؛ فَصَيَّرَكَ اللهُ إِلَى مَا كُنْتَ» قَالَ: «وَأَتَى الْأَعْمَى فِي صُورَتِهِ، فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ وَابْنُ سَبِيلٍ قَدْ انْقَطَعَتْ بِيَ الْحِبَالُ فِي سَفَرِي؛ فَلَا بَلَاغَ لِيَ الْيَوْمَ إِلَّا بِاللهِ ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ؛ شَاةً أَتَبَلَّغُ بِهَا فِي سَفَرِي، فَقَالَ: قَدْ كُنْتُ أَعْمَى فَرَدَّ اللهُ إِلَيَّ بَصَرِي، فَخُذْ مَا شِئْتَ، وَدَعْ مَا شِئْتَ فَوَاللهِ لَا أَجْهَدُكَ الْيَوْمَ بِشَيْءٍ أَخَذْتَهُ لِلهِ، فَقَالَ: أَمْسِكْ مَالَكَ؛ فَإِنَّمَا ابْتُلِيتُمْ؛ فَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنْكَ، وَسَخِطَ عَلَى صَاحِبَيْكَ»[1] أَخْرَجَاهُ.

الشَّرح

قَوْلُهُ: «بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى﴾»: أي ولئن نحن كشفنا عن هذا الكافر ما أصابه من سقم في نفسه

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٣٤٦٤)، ومسلم (٢٩٦٤).

وضر، وشدة في معيشته وجهد رحمةً منا، فوهبنا له العافية في نفسه بعد السقم، ورزقناه مالا فوسعنا عليه في معيشته من بعد الجهد والضر ليقولن: هذا لي عند الله؛ لأن الله راض عني برضاه عملي، وما أنا عليه مقيم[1].

قَولُهُ: «﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّيٓ إِنَّ لِي عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ﴾»: أي وما أحسب القيامة قائمة يوم تقوم، وإن قامت أيضًا القيامة، ورددت إلىٰ الله حيا بعد مماتي؛ يقول: إن لي عنده غنىٰ ومالا[2].

قَولُهُ: «﴿فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِمَا عَمِلُواْ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ۝٥٠﴾»: ذلك العذاب الغليظ تخليدهم في نار جهنم، لا يموتون فيها ولا يحيون[3].

قال ابن كثير في تفسير الآية: «﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي﴾ أي: إذا أصابه خير ورزق بعد ما كان في شدة ليقولن: هذا لي، إني كنت أستحقه عند ربي، ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً﴾ أي: يكفر بقيام الساعة، أي: لأجل أنه خُوِّل نعمة يفخر، ويبطر، ويكفر، كما قال تعالىٰ: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧﴾ [العلق:٦-٧].

﴿وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّيٓ إِنَّ لِي عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ﴾ أي: ولئن كان ثَمَّ مَعاد، فليحسنن إلي ربي، كما أحسن إلي في هذه الدار، يتمنىٰ علىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، مع إساءته العمل وعدم اليقين، قال تعالىٰ: ﴿فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِمَا عَمِلُواْ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ۝٥٠﴾ يتهدد تعالىٰ من كان هذا عمله واعتقاده بالعقاب والنكال»[4].

قَولُهُ: «قَالَ مُجَاهِدٌ: «هَذَا بِعَمَلِي، وَأَنَا مَحْقُوقٌ بِهِ»»: أي هذه النعمة حصلت لي نظير عملي، وأنا جدير بها.

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٢١/ ٤٩٠-٤٩١).

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (٢١/ ٤٩١).

(٣) انظر: «تفسير الطبري» (٢١/ ٤٩١).

(٤) انظر: «تفسير ابن كثير» (٧/ ١٨٦).

قَوْلُهُ: «وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «يُرِيدُ مِنْ عِنْدِي»»: أي من عند نفسي لا من عند الله.

قَوْلُهُ: «وَقَوْلُهُ: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓ﴾»: قال قارون لقومه الذين وعظوه: إنما أوتيت هذه الكنوز علىٰ فضل علم عندي علِمه الله مني، وكنت بذلك العلم مستحقًا لفضل المال، فرضي بذلك عني، وفضلني بهذا المال عليكم، لعلمه بفضلي عليكم[1].

قال ابن كثير في تفسير الآية: «إنما أعطاني هذا المال لعلمه بأني أستحقه، وأهلٌ له، ولمحبته لي»[2].

قَوْلُهُ: «قَالَ قَتَادَةُ: «عَلَىٰ عِلْمٍ مِنِّي بِوُجُوهِ المَكَاسِبِ»»: أي بكيفية الحصول علىٰ المكاسب لا بفضل الله ﷻ.

قَوْلُهُ: «وَقَالَ آخَرُونَ: عَلَىٰ عِلْمٍ مِنَ اللهِ أَنِّي لَهُ أَهْلٌ»: أي أستحقه.

قَوْلُهُ: «وَهَذَا مَعْنَىٰ قَوْلِ مُجَاهِدٍ: «أُوتِيتُهُ عَلَىٰ شَرَفٍ»»: أي عندي لا بفضل من الله.

قَوْلُهُ: «وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ ثَلَاثَةً مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَبْرَصَ»»: البرص هو أن يكون في الشيء لمعة تخالف سائر لونه[3].

قَوْلُهُ: «وَأَقْرَعَ، وَأَعْمَىٰ»: الأقرع هو الذي ذهب شعر رأسه من آفة[4].

قَوْلُهُ: «فَأَرَادَ اللهُ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ»: أي يختبرهم، وأصل البلاء والابتلاء: الاختبار[5].

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١٩/ ٦٢٩)، و«التفسير الوجيز»، صـ (٨٢٥).

(٢) انظر: «تفسير ابن كثير» (٦/ ٢٥٤).

(٣) انظر: «مقاييس اللغة»، مادة «برص».

(٤) انظر: «عمدة القاري شرح صحيح البخاري» (١٦/ ٤٧).

(٥) انظر: «إكمال المُعلِم بفوائد مسلم» (٨/ ٥١٥).

قَولُه: «فَبَعَثَ إِلَيهِمْ مَلَكًا فَأَتَى الْأَبْرَصَ»: أي الذي ابيض جسده[١].

فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: «لَوْنٌ حَسَنٌ، وَجِلْدٌ حَسَنٌ، وَيَذْهَبُ عَنِّي الَّذِي قَدْ قَذَرَنِي النَّاسُ بِهِ»، قَالَ: «فَمَسَحَهُ»: أي مسح علىٰ جسمه[٢].

قَولُه: «فَذَهَبَ عَنْهُ قَذَرُهُ، فَأُعْطِيَ لَوْنًا حَسَنًا وَجِلْدًا حَسَنًا، قَالَ: فَأَيُّ المالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الْإِبِلُ أَوْ الْبَقَرُ -شَكَّ إِسْحَاقُ-»: أي الراوي.

قَولُه: «فَأُعْطِيَ نَاقَةً عُشَرَاءَ»: أي مضىٰ لها عشرة أشهر، وكانت أنفس أموال العرب لقرب ولادتها، ورجاء لبنها[٣].

قَولُه: «وَقَالَ: بَارِكَ اللهُ لَكَ فِيهَا»: من البركة وهي النماء، والزيادة[٤].

قَولُه: «قَالَ: «فَأَتَى الْأَقْرَعَ، فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: شَعْرٌ حَسَنٌ، وَيَذْهَبُ عَنِّي الَّذِي قَدْ قَذَرَنِي النَّاسُ بِهِ»: أي كرهني الناس[٥].

قَولُه: «فَمَسَحَهُ»: أي مسح رأسه.

قَولُه: «فَذَهَبَ عَنْهُ، وَأُعْطِيَ شَعْرًا حَسَنًا، فَقَالَ: أَيُّ المالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الْبَقَرُ أَوْ الْإِبِلُ، فَأُعْطِيَ بَقَرَةً حَامِلًا، قَالَ: بَارِكَ اللهُ لَكَ فِيهَا، فَأَتَى الْأَعْمَى، فَقَالَ أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ أَنْ يَرُدَّ اللهُ إِلَيَّ بَصَرِي فَأُبْصِرُ بِهِ النَّاسَ فَمَسَحَهُ»: أي مسح علىٰ عينيه[٦].

قَولُه: «فَرَدَّ اللهُ إِلَيْهِ بَصَرَهُ قَالَ: فَأَيُّ المالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الْغَنَمُ فَأُعْطِيَ شَاةً وَالِدًا»: أي ذات ولد، ووضعت ولدها[٧].

---

(١) انظر: «إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري» (٥/ ٤٢٥).
(٢) انظر: «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» (٦/ ٥٠٢).
(٣) انظر: «إكمال المُعلِم بفوائد مسلم» (٨/ ٥١٥).
(٤) انظر: «تهذيب اللغة»، مادة «برك».
(٥) انظر: «عمدة القاري شرح صحيح البخاري» (١٦/ ٤٨).
(٦) انظر: «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» (٦/ ٥٠٢).
(٧) انظر: «إكمال المُعلِم بفوائد مسلم» (٨/ ٥١٥)، و«فتح الباري بشرح صحيح البخاري» (٦/ ٥٠٢).

قَولُه: «فَأُنْتِجَ هَذَانِ»: أي حملت مواشي صاحب الإبل، والبقر[١].

قَولُه: «وَوَلَّدَ هَذَا»: أي صاحب الشاة[٢].

قَولُه: «فَكَانَ لِهَذَا وَادٍ مِنَ الْإِبِلِ وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ الْبَقَرِ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ الْغَنَمِ»»: أي تكاثر ما عند كل واحد منهم حتىٰ صار مثل الوادي.

قَولُه: «قَالَ: «ثُمَّ إِنَّهُ أَتَى الْأَبْرَصَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ»»: أي في الصورة التي كان عليها لما اجتمع به وهو أبرص ليكون ذلك أبلغ في إقامة الحجة عليه[٣].

قَولُه: «فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ»: أراد أنك كنت هكذا وهو من المعاريض والمراد به ضرب المثل ليتيقظ المخاطب[٤].

قَولُه: «وَابْنُ سَبِيلٍ قَدْ انْقَطَعَتْ بِيَ الْحِبَالُ فِي سَفَرِي»: الحبال الطرق[٥]، وقيل: الأسباب التي يقطعها في طلب الرزق[٦].

قَولُه: «فَلَا بَلَاغَ لِيَ الْيَوْمَ إِلَّا بِاللهِ ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي أَعْطَاكَ اللَّوْنَ الحَسَنَ وَالجِلْدَ الحَسَنَ وَالمَالَ؛ بَعِيرًا أَتَبَلَّغُ بِهِ فِي سَفَرِي»: أي أتوصل به إلىٰ مرادي من البلغة، وهي الكفاية[٧].

قَولُه: «فَقَالَ: الحُقُوقُ كَثِيرَةٌ فَقَالَ لَهُ: كَأَنِّي أَعْرِفُكَ أَلَمْ تَكُنْ أَبْرَصَ يَقْذَرُكَ النَّاسُ، فَقِيرًا، فَأَعْطَاكَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ المَالَ؟ فَقَالَ: إِنَّمَا وَرِثْتُ هَذَا المَالَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ»: أي ورثته عن آبائي الذين ورثوه من أجدادي الذين ورثوه من

---

(١) انظر: «النهاية في غريب الحديث» (٥/ ١٢)، و«فتح الباري بشرح صحيح البخاري» (٦/ ٥٠٢).
(٢) انظر: «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» (٦/ ٥٠٢).
(٣) انظر: «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» (٦/ ٥٠٢).
(٤) انظر: «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» (٦/ ٥٠٢).
(٥) انظر: «إكمال المُعلِم بفوائد مسلم» (٨/ ٥١٦).
(٦) انظر: «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» (٦/ ٥٠٢).
(٧) انظر: «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» (٦/ ٥٠٢).

آبائهم كبيرا عن كبير في العز، والشرف، والثروة[١].

قَوْلُهُ: «فقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا، فَصَيَّرَكَ اللهُ إِلَى مَا كُنْتَ»: أورده بلفظ الفعل الماضي؛ لأنه أراد المبالغة في الدعاء عليه[٢].

قَوْلُهُ: «قَالَ: «ثُمَّ إِنَّهُ أَتَى الْأَقْرَعَ فِي صُورَتِهِ، فَقَالَ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ لِهَذَا، وَرَدَّ عَلَيْهِ مِثْلَ مَا رَدَّ عَلَيْهِ هَذَا، فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا؛ فَصَيَّرَكَ اللهُ إِلَى مَا كُنْتَ» قَالَ: «وَأَتَى الْأَعْمَى فِي صُورَتِهِ، فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ وَابْنُ سَبِيلٍ قَدْ انْقَطَعَتْ بِيَ الْحِبَالُ فِي سَفَرِي؛ فَلَا بَلَاغَ لِيَ الْيَوْمَ إِلَّا بِاللهِ ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ؛ شَاةً أَتَبَلَّغُ بِهَا فِي سَفَرِي، فَقَالَ: قَدْ كُنْتُ أَعْمَى فَرَدَّ اللهُ إِلَيَّ بَصَرِي، فَخُذْ مَا شِئْتَ، وَدَعْ مَا شِئْتَ فَوَاللهِ لَا أَجْهَدُكَ الْيَوْمَ بِشَيْءٍ أَخَذْتَهُ لِلَّهِ»»: أي لا أبلغ منك جهدا أو مشقة في منعك شيئًا أخذته لله[٣].

فَقَالَ: أَمْسِكْ مَالَكَ؛ فَإِنَّمَا ابْتُلِيتُمْ»: أي امتُحِنتم[٤].

قَوْلُهُ: «فَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنْكَ»: لأنه أضاف النعمة إلىٰ الله، وشكرها.

قَوْلُهُ: «وَسَخِطَ عَلَى صَاحِبَيْكَ»: لأنهما أضافا النعمة إلىٰ أنفسهما، وجحداها.

قَوْلُهُ: «أَخْرَجَاهُ»: أي البخاري، ومسلم في صحيحيهما.

---

(١) انظر: «شرح صحيح مسلم» (١٨/ ٩٩).

(٢) انظر: «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» (٦/ ٥٠٣).

(٣) انظر: «إكمال المُعلِم بفوائد مسلم» (٨/ ٥١٦).

(٤) انظر: «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» (٦/ ٥٠٣).

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: تَفْسِيرُ الْآيَةِ.

الثَّانِيَةُ: مَا مَعْنَى: ﴿لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي﴾[فُصِّلَت:٥٠].

الثَّالِثَةُ: مَا مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓ﴾[القصص:٧٨].

الرَّابِعَةُ: مَا فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ الْعَجِيبَةِ مِنَ الْعِبَرِ الْعَظِيمَةِ.

الشَّرح

قَوْلُهُ: «الْأُولَى: تَفْسِيرُ الْآيَةِ»: أي قوله تعالىٰ: ﴿وَلَئِنۡ أَذَقۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنَّا مِنۢ بَعۡدِ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي﴾[فُصِّلَت:٥٠].

قَوْلُهُ: «الثَّانِيَةُ: مَا مَعْنَى: ﴿لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي﴾»: أي بعملي، وأنا مستحِق له.

قَوْلُهُ: «الثَّالِثَةُ: مَا مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓ﴾»: أي فضل عندي، ومعرفة عندي.

قَوْلُهُ: «الرَّابِعَةُ: مَا فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ الْعَجِيبَةِ مِنَ الْعِبَرِ الْعَظِيمَةِ»: أي قصة الأبرص والأقرع، والأعمىٰ.

قال النووي: «في هذا الحديث الحث علىٰ الرفق بالضعفاء وإكرامهم وتبليغهم ما يطلبون مما يمكن، والحذر من كسر قلوبهم واحتقارهم، وفيه التحدث بنعمة الله تعالىٰ وذم جحدها»[(١)].

وقال ابن حجر: «وفي الحديث جواز ذكر ما اتفق لمن مضىٰ ليتعظ به من سمعه ولا يكون ذلك غِيبة فيهم، ولعل هذا هو السر في ترك تسميتهم ولم يفصح بما اتفق لهم بعد ذلك والذي يظهر أن الأمر فيهم وقع كما قال المَلَك.

وفيه التحذير من كفران النعم والترغيب في شكرها والاعتراف بها، وحمد

---

(١) انظر: «شرح صحيح مسلم» (١٨/ ١٠٠).

الله عليها وفيه فضل الصدقة والحث علىٰ الرفق بالضعفاء وإكرامهم وتبليغهم مآربهم.

وفيه الزجر عن البخل؛ لأنه حمل صاحبه علىٰ الكذب، وعلىٰ جحد نعمة الله تعالىٰ»[(١)].



(١) انظر: «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» (٦/ ٥٠٣).

[٤٩] بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى:

﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾[الأعراف:١٩٠] الآيَةَ

قَالَ ابْنُ حَزْمٍ: «اتَّفَقُوا عَلَى تَحْرِيمِ كُلِّ اسْمٍ مُعَبَّدٍ لِغَيْرِ اللهِ؛ كَعَبْدِ عَمْرٍو، وَعَبْدِ الكَعْبَةِ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، حَاشَا عَبْدِ المُطَّلِبِ»(١).

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: لَمَّا تَغَشَّاهَا آدَمُ؛ حَمَلَتْ، فَأَتَاهُمَا إِبْلِيسُ، فَقَالَ: إِنِّي صَاحِبُكُمَا الَّذِي أَخْرَجَكُمَا مِنَ الجَنَّةِ، لَتُطِيعَانِّنِي، أَوْ لَأَجْعَلَنَّ لَهُ قَرْنَيْ إِيَّلٍ، فَيَخْرُجُ مِنْ بَطْنِكِ، فَيَشُقُّهُ، وَلَأَفْعَلَنَّ؛ يُخَوِّفُهُمَا، سَمِّيَاهُ عَبْدَ الحَارِثِ، فَأَبَيَا أَنْ يُطِيعَاهُ فَخَرَجَ مَيِّتًا ثُمَّ حَمَلَتْ فَأَتَاهُمَا، فَذَكَرَ لَهُمَا، فَأَدْرَكَهُمَا حُبُّ الوَلَدِ، فَسَمَّيَاهُ عَبْدَ الحَارِثِ؛ فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾(٢). رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ.

وَلَهُ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ قَتَادَةَ قَالَ: شُرَكَاءُ فِي طَاعَتِهِ، وَلَمْ يَكُنْ فِي عِبَادَتِهِ(٣).

وَلَهُ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا﴾ قَالَ: أَشْفَقَا أَلَّا يَكُونَ إِنْسَانًا(٤).

وَذَكَرَ مَعْنَاهُ عَنِ الحَسَنِ، وَسَعِيدٍ، وَغَيْرِهِمَا(٥).

---

(١) انظر: «مراتب الإجماع»، لابن حزم، صـ(١٥٤).

(٢) ضعيف: رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨٦٥٤)، وسعيد بن منصور في «التفسير» (٩٧٣)، فيه خصيف بن عبد الرحمن الجزري، قال عنه الحافظ في «التقريب»، صـ(١٩٣): «صدوق سيء الحفظ خلط بأخرة، ورمي بالإرجاء».
وفيه: شريك القاضي، قال عنه الحافظ في «التقريب»، صـ(٢٦٦): «صدوق يخطئ كثيرا تغير حفظه».

(٣) انظر: «تفسير الطبري» (١٠/ ٦٢٦)، و«تفسير ابن أبي حاتم» (٨٦٥٩).

(٤) انظر: «تفسير ابن أبي حاتم» (٨٦٤٨).

(٥) انظر: «تفسير الطبري» (١٠/ ٦٢٠)، و«تفسير ابن أبي حاتم» (٥/ ١٦٣٣).

الشَّرْح

قَوْلُهُ: «بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾»: أي فلما رزقهما الله ولدا صالحا سويا كما سألا جعلا لله شركاء فيما آتاهما ورزقهما من الولد(١).

قَوْلُهُ: «﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ١٩٠﴾»: فتنزيه من الله تبارك وتعالىٰ نفسه، وتعظيم لها عما يقول فيه المبطلون، ويدَّعون معه من الآلهة والأوثان(٢).

قال ابن كثير: «هذا إنكار من الله علىٰ المشركين الذين عبدوا مع الله غيره من الأنداد، والأصنام، والأوثان، وهي مخلوقة لله مربوبة مصنوعة لا تملك شيئًا من الأمر، ولا تضر ولا تنفع، ولا تنصر ولا تنتصر لعابديها، بل هي جماد لا تتحرك ولا تسمع ولا تبصر، وعابدوها أكمل منها بسمعهم، وبصرهم، وبطشهم؛ ولهذا قال: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ١٩١﴾ [الأعراف:١٩١] أي: أتشركون به من المعبودات ما لا يخلق شيئًا، ولا يستطيع ذلك»(٣).

قَوْلُهُ: «قَالَ ابْنُ حَزْمٍ: «اتَّفَقُوا عَلَى تَحْرِيمِ كُلِّ اسْمٍ مُعَبَّدٍ لِغَيْرِ اللهِ»: لأن فيه شركًا في الربوبية، والألوهية؛ إذ العبادة لا تجوز لغير الله ﷻ.

قَوْلُهُ: «كَعَبْدِ عَمْرٍو، وَعَبْدِ الكَعْبَةِ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ»: كعبد النبي، وعبد الحسين.

قَوْلُهُ: «حَاشَا عَبْدِ المَطَّلِبِ»: هو جد النبي ﷺ.

ولكن الصحيح تحريم التعبيد أيضًا للمطلب إذ لا يوجد دليل علىٰ الاستثناء، وأما قول النبي ﷺ: «أَنَا ابْنُ عَبْدِ المُطَّلِبْ»(٤)، فقد قاله علىٰ سبيل الإخبار،

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١٣/ ٣٠٨)، و«التفسير الوجيز»، صـ (٤٢٦).
(٢) انظر: «تفسير الطبري» (١٣/ ٣١٧).
(٣) انظر: «تفسير ابن كثير» (٣/ ٥٢٩).
(٤) متفق عليه: رواه البخاري (٢٨٦٤)، ومسلم (١٧٧٦)، عن البراء بن عازب رضي الله عنه.

وليس علىٰ سبيل التعبيد.

قال ابن القيم: «أما قوله: أنا ابن عبد المطلب، فهذا ليس من باب إنشاء التسمية بذلك، وإنما هو باب الإخبار بالاسم الذي عُرِف به المسمىٰ دون غيره، والإخبار بمثل ذلك علىٰ وجه تعريف المسمىٰ لا يحرم، ولا وجه لتخصيص أبي محمد بن حزم ذلك بعبد المطلب خاصة، فقد كان الصحابة يُسمَّون بني عبد شمس، وبني عبد الدار بأسمائهم، ولا ينكر عليهم النبي ﷺ، فباب الإخبار أوسع من باب الإنشاء، فيجوز ما لا يجوز في الإنشاء»(١).

قـولُـهُ: «وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: لَمَّا تَغَشَّاهَا آدَمُ؛ حَمَلَتْ، فَأَتَاهُمَا إِبْلِيسُ، فَقَالَ: إِنِّي صَاحِبُكُمَا الَّذِي أَخْرَجَكُمَا مِنَ الجَنَّةِ، لَتُطِيعَانِّنِي، أَوْ لَأَجْعَلَنَّ لَهُ قَرْنَيْ إِيِّلٍ، فَيَخْرُجُ مِنْ بَطْنِكَ، فَيَشُقُّهُ، وَلَأَفْعَلَنَّ؛ يُخَوِّفُهُمَا، سَمِّيَاهُ عَبْدَ الحَارِثِ، فَأَبَيَا أَنْ يُطِيعَاهُ فَخَرَجَ مَيِّتًا ثُمَّ حَمَلَتْ فَأَتَاهُمَا، فَذَكَرَ لَهُمَا، فَأَدْرَكَهُمَا حُبُّ الوَلَدِ، فَسَمَّيَاهُ عَبْدَ الحَارِثِ؛ فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾»: قال ابن كثير بعد ذكره الآثار الواردة في تفسير الآية: «وهذه الآثار يظهر عليها -والله أعلم- أنها من آثار أهل الكتاب، وقد صح الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم، ولا تكذبوهم»(٢)، ثم أخبارهم علىٰ ثلاثة أقسام:

فمنها: ما علمنا صحته بما دل عليه الدليل من كتاب الله، أو سنة رسوله.

ومنها: ما علمنا كذبه بما دل علىٰ خلافه من الكتاب والسنة أيضًا.

ومنها: ما هو مسكوت عنه، فهو المأذون في روايته، بقوله ﷺ: «حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج»(٣)، وهو الذي لا يصدق ولا يكذب، لقوله: «فلا

---

(١) انظر: «تحفة المودود بأحكام المولود»، صـ(١١٤).

(٢) حسن: رواه أبو داود (٣٦٤٤)، وأحمد (١٧٢٢٥)، وحسنه الأرنؤوط، وضعفه الألباني.

(٣) صحيح: رواه البخاري (٣٤٦١).

تصدقوهم ولا تكذبوهم».

وهذا الأثر: هل هو من القسم الثاني، أو الثالث؟ فيه نظر.

فأما مَن حدَّث به من صحابي، أو تابعي، فإنه يراه من القسم الثالث، وأما نحن فعلىٰ مذهب الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذا والله أعلم، وأنه ليس المراد من هذا السياق آدم وحواء، وإنما المراد من ذلك المشركون من ذريته؛ ولهذا قال الله: ﴿فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾»[1].

قَـوْلُـهُ: «وَلَهُ»: أي لابن أبي حاتم في تفسيره.

قَـوْلُـهُ: «بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ قَتَادَةَ قَالَ: شُرَكَاءُ فِي طَاعَتِهِ، وَلَمْ يَكُنْ فِي عِبَادَتِهِ»: أي لكونهما أطاعاه في التسمية بعبد الحارث، لا أنهما عبداه فهو دليل علىٰ الفرق بين شرك الطاعة وبين شرك العبادة[2].

قَـوْلُـهُ: «وَلَهُ»: أي لابن أبي حاتم في تفسيره.

قَـوْلُـهُ: «بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا﴾ قَالَ: أَشْفَقَا أَلَّا يَكُونَ إِنْسَانًا»: أي خاف آدم وحواء ألا يكون إنسانًا كأن يكون بهيمةً.

قَـوْلُـهُ: «وَذَكَرَ مَعْنَاهُ»: أي لابن أبي حاتم في تفسيره.

قَـوْلُـهُ: «عَنْ الحَسَنِ»: أي البصري، وقد تقدم تفسير الحسن البصري أن المراد من الآية ليس آدم وحواء، وهو اختيار ابن كثير[3].

قَـوْلُـهُ: «وَسَعِيدٍ»: أي ابن جبير.

قَـوْلُـهُ: «وَغَيْرِهِمَا»: أي السُّدِّي.

---

(١) انظر: «تفسير ابن كثير» (٣/ ٥٢٨).

(٢) انظر: «تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد»، صـ(٥٥١).

(٣) انظر: «تفسير ابن كثير» (٣/ ٥٢٨).

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: تَحْرِيمُ كُلِّ اسْمٍ مُعَبَّدٍ لِغَيْرِ اللهِ.

الثَّانِيَةُ: تَفْسِيرُ الآيَةِ.

الثَّالِثَةُ: أَنَّ هَذَا الشِّرْكَ فِي مُجَرَّدِ تَسْمِيَةٍ لَمْ تُقْصَدْ حَقِيقَتُها.

الرَّابِعَةُ: أَنَّ هِبَةَ اللهِ لِلرَّجُلِ الْبِنْتَ السَّوِيَّةَ مِنَ النِّعَمِ.

الْخَامِسَةُ: ذِكْرَ السَّلَفُ الْفَرْقَ بَيْنَ الشِّرْكِ فِي الطَّاعَةِ، وَالشِّرْكِ فِي الْعِبَادَةِ.

الشَّرح

قَوْلُهُ: «الْأُولَى: تَحْرِيمُ كُلِّ اسْمٍ مُعَبَّدٍ لِغَيْرِ اللهِ»: بإجماع العلماء كما نقله ابن حزم.

قَوْلُهُ: «الثَّانِيَةُ: تَفْسِيرُ الآيَةِ»: أي قوله تعالىٰ: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾﴾[الأعراف:١٩٠].

قَوْلُهُ: «الثَّالِثَةُ: أَنَّ هَذَا الشِّرْكَ فِي مُجَرَّدِ تَسْمِيَةٍ لَمْ تُقْصَدْ حَقِيقَتُها»: أي التعبيد لغير الله في مجرد التسمية فقط ولم يقصد حقيقة التعبيد.

قَوْلُهُ: «الرَّابِعَةُ: أَنَّ هِبَةَ اللهِ لِلرَّجُلِ الْبِنْتَ السَّوِيَّةَ مِنَ النِّعَمِ»: هذا علىٰ فرض صحة القصة، وخص المصنف البنت دون الابن؛ لأن بعض الناس يظنون أن البنت من النقم.

قَوْلُهُ: «الْخَامِسَةُ: ذِكْرَ السَّلَفُ الْفَرْقَ بَيْنَ الشِّرْكِ فِي الطَّاعَةِ، وَالشِّرْكِ فِي الْعِبَادَةِ»: هذا علىٰ فرض صحة القصة، وقد تقدم الفرق بينهما، أما شرك الطاعة فيكون في امتثال الأمر دون محبة وتعظيم، ودون قصد لحقيقة الفعل، أما شرك العبادة فيكون معه محبة وتعظيم.

[٥٠] باب قول الله تعالى:

﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا
وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ﴾ [الأعراف: ١٨٠] الآيَةَ

ذَكَرَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﴿يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ﴾ يُشْرِكُونَ(١).

وَعَنْهُ: سَمُّوا اللَّاتَ مِنَ الإِلَهِ، وَالْعُزَّى مِنَ العَزِيزِ(٢).

وَعَنِ الأَعْمَشِ «يُدْخِلُونَ فِيهَا مَا لَيْسَ مِنْهَا»(٣).

الشَّرح

قَوْلُهُ: «بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾»: كقولك: يا الله يا قدير يا عليم(٤).

والحسنى: المفضَّلة على الحسنة(٥).

قال ابن القيم: «وهو مرتبتان:

إحداهما: دعاء ثناء، وعبادة.

والثاني: دعاء طلب ومسألة، فلا يثنى عليه إلا بأسمائه الحسنى وصفاته العلى، وكذلك لا يُسأل إلا بها، فلا يقال: يا موجود، أو: يا شيء، أو: يا ذات اغفر لي وارحمني بل يسأل في كل مطلوب باسم يكون مقتضيا لذلك المطلوب،

---

(١) رواه الطبري (١٥٤٥٤)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (٨٥٨٣).

(٢) رواه الطبري (١٥٤٥٤)، وابن أبي حاتم في «التفسير» (٨٥٨٣).

(٣) انظر: «تفسير ابن أبي حاتم» (٨٥٨٧).

(٤) انظر: «التفسير الوجيز»، صـ (٤٢٣).

(٥) انظر: «مجموع الفتاوى» (٦/ ١٤١).

فيكون السائل متوسّلا إليه بذلك الاسم، ومن تأمل أدعية الرسل ولا سيما خاتمهم، وإمامهم وجدها مطابقة لهذا»[١].

قَوْلُهُ: «﴿وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ﴾»: أي يميلون عن القصد وهم المشركون، وكان إلحادهم في أسماء الله، أنهم عدلوا بها عما هي عليه، فسموا بها آلهتهم وأوثانهم، وزادوا فيها ونقصوا منها، فسموا بعضها «**اللات**» اشتقاقا منهم لها من اسم الله الذي هو «**الله**»، وسموا بعضها «**العزىٰ**» اشتقاقا لها من اسم الله الذي هو «**العزيز**»[٢].

والإلحاد في أسماء الله: تسميته بما لم يتسم به ولم ينطق به كتاب الله، ولا سنة رسول الله ﷺ، وجملته أن أسماء الله تعالىٰ علىٰ التوقيف فإنه يسمىٰ جوادا، ولا يسمىٰ سخيا، وإن كان في معنىٰ الجواد، ويسمىٰ رحيما ولا يسمىٰ رفيقا، ويسمىٰ عالما ولا يسمىٰ عاقلا، ولا يقال في الدعاء: يا مخادع يا مكار، بل يدعىٰ بأسمائه التي ورد بها التوقيف علىٰ وجه التعظيم، فيقال: يا الله يا رحمن يا رحيم يا عزيز يا كريم ونحو ذلك[٣].

وأصل الإلحاد في كلام العرب: العدل عن القصد، والميل والجور والانحراف، ومنه اللحد في القبر، لانحرافه إلىٰ جهة القبلة عن سَمْت الحفر[٤].

قال ابن القيم: «والإلحاد في أسمائه: هو العدول بها، وبحقائقها، ومعانيها عن الحق الثابت لها، وهو مأخوذ من الميل كما يدل عليه مادته ل ح د فمنه اللحد وهو الشق في جانب القبر الذي قد مال عن الوسط، ومنه الملحد في الدين المائل عن الحق إلىٰ الباطل»[٥].

---

(١) انظر: «بدائع الفوائد» (١/ ١٦٤).
(٢) انظر: «تفسير الطبري» (١٣/ ٢٨٢)، و«التفسير الوجيز»، صـ (٤٢٣).
(٣) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ٢٥٤).
(٤) انظر: «تهذيب اللغة»، مادة «حفر»، و«تفسير ابن كثير» (٣/ ٥١٦).
(٥) انظر: «بدائع الفوائد» (١/ ١٦٩).

قَوْلُـهُ: «﴿سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾»: أي جزاء ما كانوا يعملون في الآخرة(١).

قال ابن تيمية: «قد عُلم أن طريقة سلف الأمة وأئمتها، إثبات ما أثبته من الصفات من غير تكييف ولا تمثيل، ومن غير تحريف ولا تعطيل، وكذلك ينفون عنه ما نفاه عن نفسه - مع ما أثبته من الصفات - من غير إلحاد، لا في أسمائه، ولا في آياته، فإن الله ذم الذين يلحدون في أسمائه، وآياته»(٢).

قال ابن القيم: «الإلحاد في أسمائه تعالىٰ أنواع:

أحدها: أن يسمىٰ الأصنام بها كتسميتهم اللات من الإلهية، والعزىٰ من العزيز، وتسميتهم الصنم إلها، وهذا إلحاد حقيقة فإنهم عدلوا بأسمائه إلىٰ أوثانهم، وآلهتهم الباطلة.

الثاني: تسميته بما لا يليق بجلاله كتسمية النصارىٰ له أبا، وتسمية الفلاسفة له موجبا بذاته، أو علة فاعلة بالطبع ونحو ذلك.

وثالثها: وصفه بما يتعالىٰ عنه ويتقدس من النقائص كقول أخبث اليهود: إنه فقير، وقولهم: إنه استراح بعد أن خلق خلقه، وقولهم: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌ ﴾ [المائدة:٦٤]، وأمثال ذلك مما هو إلحاد في أسمائه وصفاته.

ورابعها: تعطيل الأسماء عن معانيها، وجحد حقائقها كقول من يقول من الجهمية وأتباعهم: إنها ألفاظ مجردة لا تتضمن صفات ولا معاني، فيطلقون عليه اسم السميع والبصير والحي والرحيم والمتكلم والمريد، ويقولون: لا حياة له، ولا سمع، ولا بصر، ولا كلام، ولا إرادة تقوم به، وهذا من أعظم الإلحاد فيها عقلا، وشرعا، ولغة، وفطرة، وهو يقابل إلحاد المشركين، فإن أولئك أعطوا أسماءه وصفاته لآلهتهم وهؤلاء سلبوه صفات كماله وجحدوها وعطلوها، فكلاهما ملحد في أسمائه، ثم الجهمية وَفُرُوخُهُمْ متفاوتون في هذا الإلحاد،

---

(١) انظر: «التفسير الوجيز»، صـ (٤٢٣).

(٢) انظر: «التدمرية»، صـ (٧).

فمنهم الغالي، والمتوسط، والمنكوب، وكل من جحد شيئًا عما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله فقد ألحد في ذلك فليستقل، أو ليستكثر.

وخامسها: تشبيه صفاته بصفات خلقه تعالىٰ الله عما يقول المشبهون علوا كبيرا، فهذا الإلحاد في مقابلة إلحاد المعطلة، فإن أولئك نفوا صفة كماله وجحدوها وهؤلاء شبهوها بصفات خلقه فجمعهم الإلحاد، وتفرقت بهم طرقه وبرَّأ الله أتباع رسوله وورثته القائمين بسنته عن ذلك كله فلم يصفوه إلا بما وصف به نفسه ولم يجحدوا صفاته ولم يشبهوها بصفات خلقه، ولم يعدلوا بها عما أنزلت عليه لفظا ولا معنىٰ بل أثبتوا له الأسماء والصفات ونفوا عنه مشابهة المخلوقات فكان إثباتهم بريئا من التشبيه وتنزيههم خليا من التعطيل لا كمن شبه حتىٰ كأنه يعبد صنما، أو عطل حتىٰ كأنه لا يعبد إلا عدما»[(١)].

قَـوْلُـهُ: «ذَكَرَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﴿يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَـٰٓئِهِۦ﴾ يُشْرِكُونَ»: أي يسموا آلهتهم بأسماء الله ﷻ، أو يشتقوا منها أسماء لآلهتهم، كاللات من الإله، والعزىٰ من العزيز، ونحوه، وهذا أحد أنواع الإلحاد.

قَـوْلُـهُ: «وَعَنْهُ: سَمُّوا اللَّاتَ مِنَ الإِلَهِ، وَالْعُزَّى مِنَ العَزِيزِ»: أي اشتقوا من أسماء الله ﷻ أسماء لآلهتهم، وهذا أحد أنواع الإلحاد.

قَـوْلُـهُ: «وَعَنِ الأَعْمَشِ «يُدْخِلُونَ فِيهَا مَا لَيْسَ مِنْهَا»»: أي يسموا الله ﷻ بما لم يسم به نفسه، وهذا أحد أنواع الإلحاد.



(١) انظر: «بدائع الفوائد» (١/ ١٦٩-١٧٠).

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأُولَى: إِثْبَاتُ الأَسْمَاءِ.

الثَّانِيَةُ: كَوْنُهَا حُسْنَى.

الثَّالِثَةُ: الأَمْرُ بِدُعَائِهِ بِهَا.

الرَّابِعَةُ: تَرْكُ مَنْ عَارَضَ مِنَ الجَاهِلِينَ المُلْحِدِينَ.

الخَامِسَةُ: تَفْسِيرُ الإِلحَادِ فِيهَا.

السَّادِسَةُ: وَعِيدُ مَنْ أَلحَدَ.

الشَّرْح

قَوْلُهُ: «الأُولَى: إِثْبَاتُ الأَسْمَاءِ»: لقوله تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الأعراف:١٨٠].

قَوْلُهُ: «الثَّانِيَةُ: كَوْنُهَا حُسْنَى»: لقوله تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الأعراف:١٨٠].

قَوْلُهُ: «الثَّالِثَةُ: الأَمْرُ بِدُعَائِهِ بِهَا»: لقوله تعالىٰ: ﴿فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف:١٨٠].

قَوْلُهُ: «الرَّابِعَةُ: تَرْكُ مَنْ عَارَضَ مِنَ الجَاهِلِينَ المُلْحِدِينَ»: أي ترك طريقتهم، كما قال تعالىٰ: ﴿وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ﴾ [الأعراف:١٨٠]، وليس المراد ترك بيان الحق لهم.

قَوْلُهُ: «الخَامِسَةُ: تَفْسِيرُ الإِلحَادِ فِيهَا»: تقدم تفسير الإلحاد.

قَوْلُهُ: «السَّادِسَةُ: وَعِيدُ مَنْ أَلحَدَ»: لقوله تعالىٰ: ﴿سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[الأعراف:١٨٠].

[٥١] باب لا يقال: السلام على الله

فِي الصَّحِيحِ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا إِذَا كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الصَّلَاةِ؛ قُلْنَا: السَّلَامُ عَلَى اللهِ مِنْ عِبَادِهِ، السَّلَام عَلَى فُلَانٍ وَفُلَانٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا تَقُولُوا: السَّلَام عَلَى اللهِ، فَإِنَّ اللهَ هُوَ السَّلَامُ»[١].

الشرح

قَوْلُهُ: «بَابٌ لَا يُقَالُ: السَّلَامُ عَلَى اللهِ»: أي لا يجوز أن يقول العبد: السلام على الله؛ لأن الله عَزَّوَجَلَّ هو السلام[٢].

قَوْلُهُ: «فِي الصَّحِيحِ»: أي صحيح البخاري.

قَوْلُهُ: «عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا إِذَا كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الصَّلَاةِ؛ قُلْنَا: السَّلَامُ عَلَى اللهِ مِنْ عِبَادِهِ، السَّلَام عَلَى فُلَانٍ وَفُلَانٍ»: السلام الذي هو التحية إنما هو اسم من أسماء الله جَلَّ جَلَالُهُ، فإذا قال المؤمن لأخيه: السلام عليكم، فإنما يعوذه بالله، ويبرك عليه باسمه[٣].

قال الخطابي: «وإذا سلم المسلم على المسلم، فقال: السلام عليكم، فكأنه يُعْلمه بالسلامة من ناحيته، ويؤمنه من شره وغائلته، كأنه يقول له: أنا سَلَم لك، غير حرب، وولي غير عدو، والعرب تقول في التحية سِلْمٌ، بمعنى: السلام»[٤].

قَوْلُهُ: «فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا تَقُولُوا: السَّلَام عَلَى اللهِ، فَإِنَّ اللهَ هُوَ السَّلَامُ»»: أنكر النبي ﷺ التسليم على الله، وبيَّن أن ذلك عكس ما يجب أن

(١) صحيح: رواه البخاري (٨٣٥).

(٢) انظر: «فتح الباري شرح صحيح البخاري»، لابن رجب (٩/ ٣٠٤).

(٣) انظر: «شأن الدعاء»، صـ (٤٤).

(٤) انظر: السابق، صـ (٤٣).

يقال، فإن كل سلام ورحمة له ومنه وهو مالكها، ومعطيها.

وقيل: وجه النهي عن السلام علىٰ الله؛ لأنه المرجوع إليه بالمسائل المتعالي عن المعاني المذكورة، فكيف يدعىٰ له، وهو المدعُوُّ علىٰ الحالات؟[1].

وقال الخطابي: «المراد أن الله هو ذو السلام، فلا تقولوا: السلام علىٰ الله، فإن السلام منه بدأ وإليه يعود، ومرجع الأمر في إضافته إليه أنه ذو السلام من كل آفة وعيب، ويحتمل أن يكون مرجعها إلىٰ حظ العبد فيما يطلبه من السلامة من الآفات والمهالك»[2].

وقال الأصفهاني: «وصف بذلك من حيث لا يلحقه العيوب والآفات التي تلحق الخلق»[3].

وقال النووي: «معناه أن السلام اسم من أسماء الله تعالىٰ، ومعناه السالم من النقائص، ومن الشريك والند، وقيل: المسلِّم أولياءه، وقيل: المسلِّم عليهم، وقيل غير ذلك»[4].

وقال ابن الأنباري: «أمرهم أن يصرفوه إلىٰ الخلق لحاجتهم إلىٰ السلامة، وغناه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عنها»[5].

---

(١) **انظر:** «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» (٢/ ٣١٢).

(٢) **انظر:** «شأن الدعاء»، للخطابي، صـ(٤١)، و«فتح الباري بشرح صحيح البخاري» (٢/ ٣١٢).

(٣) **انظر:** «المفردات في غريب القرآن»، صـ(٤٢٢).

(٤) **انظر:** «شرح صحيح مسلم» (٤/ ١١٦).

(٥) **انظر:** «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» (٢/ ٣١٢).

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأُولَى: تَفْسِيرُ السَّلَامِ.

الثانيةُ: أَنَّهُ تَحِيَّةٌ.

الثَّالِثَةُ: أَنَّهَا لَا تَصْلُحُ للهِ.

الرَّابِعَةُ: العِلَّةُ فِي ذَلِكَ.

الخَامِسَةُ: تَعْلِيمُهُمْ التَّحِيَّةَ الَّتِي تَصْلُحُ للهِ.

الشَّـرْح

قَـوْلُـهُ: «الأُولَى: تَفْسِيرُ السَّلَامِ»: له معنيان:

أحدهما: السلامة من النقائص، والعيوب، والآفات.

والثاني: التحية.

قَـوْلُـهُ: «الثانيةُ: أَنَّهُ تَحِيَّةٌ»: كما في حديثِ عَبدِ الله بنِ مَسعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كُنَّا إِذَا كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الصَّلَاةِ؛ قُلْنَا: السَّلَامُ عَلَىٰ اللهِ مِنْ عِبَادِهِ، السَّلَام عَلَىٰ فُلَانٍ وَفُلَانٍ».

قَـوْلُـهُ: «الثَّالِثَةُ: أَنَّهَا لَا تَصْلُحُ للهِ»: لقوله ﷺ: «لَا تَقُولُوا: السَّلَام عَلَىٰ اللهِ».

قَـوْلُـهُ: «الرَّابِعَةُ: العِلَّةُ فِي ذَلِكَ»: لأن الله هو السلام كما في قوله ﷺ: «فَإِنَّ اللهَ هُوَ السَّلَامُ».

قَـوْلُـهُ: «الخَامِسَةُ: تَعْلِيمُهُمْ التَّحِيَّةَ الَّتِي تَصْلُحُ للهِ»: كما في قوله ﷺ: «التحيات لله».



[٥٢] بَابُ قَوْلِ: اللهمَّ اغفِرْ لِي إنْ شِئْتَ

فِي الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ، اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي إِنْ شِئْتَ لِيَعْزِمِ المسْأَلَةَ؛ فَإِنَّ اللهَ لَا مُكْرِهَ لَهُ»(١).

وَلِمُسْلِمٍ: «وَلْيُعَظِّمِ الرَّغْبَةَ؛ فَإِنَّ اللهَ لَا يَتَعَاظَمُهُ شَيْءٌ أَعْطَاهُ»(٢).

الشَّرْح

قَولُهُ: «بَابُ قَوْلِ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ»: أي لا يجوز قول العبد: اللهم اغفر لي إن شئت؛ لكمال كرم الله، وجوده.

والنهي هنا يحمل على الكراهة(٣).

قال سفيان بن عيينة: «لا يمنعن أحد من الدعاء ما يعلم من نفسه، فإن الله تعالىٰ قد أجاب دعاء شر الخلق إبليس؛ ﴿قَالَ أَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾﴾[الأعراف:١٤-١٥]»(٤).

قَولُهُ: «فِي الصَّحِيحِ»: أي في صحيحي البخاري، ومسلم.

قَولُهُ: «عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ، اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي إِنْ شِئْتَ»»: أي لا يشترط مشيئته باللفظ، فإن ذلك أمر معلوم متيقَّن أنه لا يغفر إلا أن يشاء، ولا يصح غير هذا فلا معنىٰ لاشتراط المشيئة؛ لأنها إنما تشترط فيمن يصح منه أن يفعل دون أن يشاء

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٧٤٧٧)، ومسلم (٢٦٧٩).

(٢) صحيح: وراه مسلم (٢٦٧٩).

(٣) انظر: «شرح صحيح مسلم» (٧/ ١٧)، و«فتح الباري بشرح صحيح البخاري» (١١/ ١٤٠).

(٤) انظر: «شرح صحيح البخاري»، لابن بطال (١٠/ ٩٩-١٠٠).

بالإكراه وغيره مما تنزَّه الله سبحانه عنه، وقد بيَّن ذلك ﷺ في آخر الحديث بقوله: فإنه لا مكره له[(١)].

قال ابن عبد البر: «ويدخل في معنىٰ قوله: اللهم اغفر لي إن شئت وارحمني إن شئت كل دعوة، فلا يجوز لأحد أن يقول: اللهم أعطني كذا إن شئت، وارحمني إن شئت، وتجاوز عني وهب لي من الخير إن شئت من أمر الدين والدنيا؛ لنهي رسول الله ﷺ عن ذلك، ولأنه كلام مستحيل لا وجه له؛ لأنه لا يفعل إلا ما شاء لا شريك له»[(٢)].

قَـوْلُـهُ: «لِيَعْزِمِ المَسْأَلَةَ»: أي يشد، ولا يتراخىٰ، وقيل: عزم المسألة حسن الظن بالله في الإجابة[(٣)].

قال أبو الوليد الباجي: «يُعري دعاءه وسؤاله من لفظ المشيئة، ويسأل سؤال من يعلم أنه لا يفعل إلا أن يشاء، وأيضًا، فإن في قوله: إن شئت نوعًا من الاستغناء عن مغفرته كقول القائل: إن شئت أن تعطيني كذا فافعل لا يستعمل هذا إلا مع الغنىٰ عنه، وأما المضطر إليه فإنه يعزم مسألته ويسأل سؤال فقير مضطر إلىٰ ما سأله»[(٤)].

قَـوْلُـهُ: «فَإِنَّ اللهَ لَا مُكْرِهَ لَهُ»: الذي يحتاج إلىٰ التعليق بالمشيئة ما إذا كان المطلوب منه يتأتىٰ إكراهه علىٰ الشيء فيخفف الأمر عليه، ويعلم بأنه لا يطلب منه ذلك الشيء إلا برضاه وأما الله سبحانه فهو منزه عن ذلك فليس للتعليق فائدة[(٥)].

---

(١) انظر: «المنتقىٰ شرح الموطأ» (١/ ٣٥٦).
(٢) انظر: «التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد» (١٩/ ٤٩).
(٣) انظر: «إكمال المُعلِم بفوائد مسلم» (٨/ ١٧٨).
(٤) انظر: «المنتقىٰ شرح الموطأ» (١/ ٣٥٦).
(٥) انظر: «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» (١١/ ١٤٠).

فينبغي للسائل الراغب إلىٰ الله تعالىٰ أن لا يقول في دعائه: إن شئت: وعليه أن يعزم في مسألته ومناشدته ربه، ويضرع إليه فإنه لا مكره له ولا يخيب من دعاه[1].

قال القاضي عياض: قيل كراهة الاستثناء هنا لوجهين:

أحدهما: أن مشيئة الله ثابتة معلومة، وأنه لا يفعل من ذلك إلا ما شاء، وإنما يتحقق استعمال المشيئة في حق من يتوجه عليه الإكراه، والله منزه عن ذلك.

والوجه الآخر: أن في هذا اللفظ ظهور الاستغناء؛ إذ لا يستعمل هذا اللفظ إلا فيما لا يضطر إليه الإنسان، فأما ما يضطر إليه فإنه يعزم عليه ويلح فيه[2].

قَولُهُ: «وَلِمُسْلِمٍ: «وَلْيُعَظِّمِ الرَّغْبَةَ»»: أي يبالغ في ذلك بتكرار الدعاء والإلحاح فيه، ويحتمل أن يراد به الأمر بطلب الشيء العظيم الكثير[3].

قَولُهُ: «فَإِنَّ اللهَ لَا يَتَعَاظَمُهُ شَيْءٌ أَعْطَاهُ»: أي لا يعظم عليه إعطاء شيء، بل جميع الموجودات في أمره يسير، وهو علىٰ كل شيء قدير[4].

قال ابن بطال: «**فيه دليل أنه ينبغي للمؤمن أن يجتهد في الدعاء، ويكون علىٰ رجاء من الإجابة، ولا يقنط من رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ لأنه يدعو كريمًا**»[5].

وقال العراقي: «**فيه أن من آداب الدعاء عزم المسألة وهو الجِد فيها والقطع بها والجزم لها، فلا يعلق ذلك بمشيئة الله تعالىٰ**»[6].

---

(١) انظر: «الاستذكار»، لابن عبد البر (٢/ ٥٢٥).

(٢) انظر: «إكمال المُعلِم بفوائد مسلم» (٨/ ١٧٨).

(٣) انظر: «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» (١١/ ١٤٠).

(٤) انظر: «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٤/ ١٥٢٤).

(٥) انظر: «شرح صحيح البخاري»، لابن بطال (١٠/ ٩٩).

(٦) انظر: «طرح التثريب في شرح التقريب»، للعراقي (٣/ ١١٦).

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأُولَى: النَّهْيُ عَنِ الِاسْتِثْنَاءِ فِي الدُّعَاءِ.

الثَّانِيَةُ: بَيَانُ العِلَّةِ فِي ذَلِكَ.

الثَّالِثَةُ: قَوْلُهُ: «لِيَعْزِمِ المسْأَلَةِ».

الرَّابِعَةُ: إِعْظَامُ الرَّغْبَةِ.

الخَامِسَةُ: التَّعْلِيلُ لِهَذَا الأَمْرِ.

الشَّرْح

قَوْلُهُ: «الأُولَى: النَّهْيُ عَنِ الِاسْتِثْنَاءِ فِي الدُّعَاءِ»: لقوله ﷺ: «**لَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ: اللهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ، اللهُمَّ ارْحَمْنِي إِنْ شِئْتَ**».

قَوْلُهُ: «الثَّانِيَةُ: بَيَانُ العِلَّةِ فِي ذَلِكَ»: أن الله لا مكره له، ولا يتعاظمه شيء، كما في قول النبي ﷺ: «**فَإِنَّ اللهَ لَا مُكْرِهَ لَهُ**»، و«**لَا يَتَعَاظَمُهُ شَيْءٌ أَعْطَاهُ**».

قَوْلُهُ: «الثَّالِثَةُ: قَوْلُهُ: «لِيَعْزِمِ المسْأَلَةِ»»: لقوله ﷺ: «**لِيَعْزِمِ المسْأَلَةَ**».

قَوْلُهُ: «الرَّابِعَةُ: إِعْظَامُ الرَّغْبَةِ»: لقوله ﷺ: «**وَلْيُعَظِّمِ الرَّغْبَةَ**».

قَوْلُهُ: «الخَامِسَةُ: التَّعْلِيلُ لِهَذَا الأَمْرِ»: أن الله لا يتعاظمه شيء، كما في قوله ﷺ: «**فَإِنَّ اللهَ لَا يَتَعَاظَمُهُ شَيْءٌ أَعْطَاهُ**».



[٥٣] بابٌ لا يقولُ: عبدِي وأَمَتِي

فِي الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ: أَطْعِمْ رَبَّكَ، وَضِّئْ رَبَّكَ، وَلْيَقُلْ: سَيِّدِي وَمَوْلَايَ، وَلَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ: عَبْدِي، وَأَمَتِي، وَلْيَقُلْ: فَتَايَ، وَفَتَاتِي، وَغُلَامِي»(١).

الشَّرْح

قَوْلُهُ: «بَابٌ لَا يَقُولُ: عَبْدِي وَأَمَتِي»: أي يكره أن يقول الرجل: عبدي، وأمتي(٢).

قال ابن القيم: «نُهِيَ الرجل أن يقول لغلامه وجاريته: عبدي وأمتي، ولكن يقول: فتاي وفتاتي، ونُهِيَ أن يقول لغلامه: وضئ ربك، أطعم ربك سدا لذريعة الشرك في اللفظ والمعنىٰ، وإن كان الرب هاهنا هو المالك كرب الدار ورب الإبل، فعدل عن لفظ العبد والأمة إلىٰ لفظ الفتىٰ والفتاة، ومنع من إطلاق لفظ الرب علىٰ السيد، حماية لجانب التوحيد وسدا لذريعة الشرك»(٣).

قَوْلُهُ: «فِي الصَّحِيحِ»: أي في صحيحي البخاري، ومسلم.

قَوْلُهُ: «عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ: أَطْعِمْ رَبَّكَ، وَضِّئْ رَبَّكَ»»: الرب كلمة وإن كانت مشتركة، وتقع علىٰ غير الخالق للشيء، كقولهم: رب الدار، ورب الدابة، يراد صاحبهما، فإنها لفظة تختص بالله في الأغلب والأكثر، فوجب أن لا تستعمل في المخلوقين، لنفىٰ الشركة بينهم وبين الله، ألا ترىٰ أنه لا يجوز أن يقال لأحد غير الله: إله، ولا

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٢٥٥٢)، ومسلم (٢٢٤٩).

(٢) انظر: «إكمال المُعلِم بفوائد مسلم» (٧/ ١٨٨)، و«شرح صحيح مسلم» (١٥/ ٦).

(٣) انظر: «إعلام الموقعين» (٣/ ١٢٠).

رحمن، ويجوز أن يقال له: رحيم؛ لاختصاص الله بهذين الاسمين، فكذلك الرب لا يقال لغير الله[١].

قَـوْلُـهُ: «وَلْيَقُلْ: سَيِّدِي»: لأن لفظة السيد غير مختصة بالله تعالىٰ اختصاص الرب، ولا مستعملة فيه كاستعمالها.

وليس في قول العبد: سيدي إشكال، ولا لُبس؛ لأنه يستعمله غير العبد، والأمة[٢].

والسيد: رئيس القوم، ومعظَّمهم، ومقدَّمهم في الخير والفضل، والقائم بأمورهم، ومصالحهم[٣].

قَـوْلُـهُ: «وَمَوْلَايَ»: لأن المولىٰ وقع علىٰ ستة عشر معنىٰ منها: الناصر، والمالك، والمنعِم بالعتق، والمنعَم عليه، وابن العم، والحليف[٤].

قَـوْلُـهُ: «وَلَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ: عَبْدِي وَأَمَتِي وَلْيَقُلْ: فَتَايَ، وَفَتَاتِي، وَغُلَامِي»: لأن حقيقة العبودية إنما يستحقها الله تعالىٰ، ولأن فيها تعظيما بما لا يليق بالمخلوق استعماله لنفسه وقد بين النبي ﷺ العلة في ذلك فقال ﷺ: «**لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ عَبْدِي، وَأَمَتِي كُلُّكُمْ عَبِيدُ اللهِ، وَكُلُّ نِسَائِكُمْ إِمَاءُ اللهِ، وَلَكِنْ لِيَقُلْ: غُلَامِي، وَجَارِيَتِي، وَفَتَايَ، وَفَتَاتِي**»[٥]، فنهىٰ عن التطاول في اللفظ كما نهىٰ عن التطاول في الأفعال، وفي إسبال الإزار، وغيره، وأما غلامي، وجاريتي، وفتاي، وفتاتي فليست دالة علىٰ الملك كدلالة عبدي مع أنها تطلق علىٰ الحر والمملوك، وإنما هي للاختصاص.

---

(١) **انظر**: «شرح صحيح البخاري»، لابن بطال (٧/ ٦٨).

(٢) **انظر**: «شرح صحيح مسلم» (١٥/ ٦-٧).

(٣) **انظر**: «إكمال المُعلِم بفوائد مسلم» (٧/ ١٨٩).

(٤) **انظر**: «إكمال المُعلِم بفوائد مسلم» (٧/ ١٨٩)، و«شرح صحيح مسلم» (١٥/ ٧).

(٥) **صحيح**: رواه مسلم (٢٢٤٩).

قال الله تعالىٰ: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَـٰهُ ﴾ [الكهف:٦٠]، ﴿ وَقَالَ لِفِتْيَـٰنِهِ ﴾ [يوسف:٦٢][1].

وأصل الفتوة: الشباب، وهي بعد الغُلُومية.

وأصل الغلومية في بني آدم: في الصغر، ينطلق عليه اسم غلام من حين يولد إلىٰ أن يبلغ، فينقطع عنه اسمها[2].

قال الجوهري: «الفتىٰ: الشاب، والفتاة: الشابة»[3].

قال العلماء: مقصود الأحاديث شيئًان:

أحدهما: نهي المملوك أن يقول لسيده ربي؛ لأن الربوبية إنما حقيقتها لله تعالىٰ؛ لأن الرب هو المالك أو القائم بالشيء، ولا يوجد حقيقة هذا إلا في الله تعالىٰ، وأن النهي للأدب، وكراهة التنزيه لا للتحريم.

والثاني: أن المراد النهي عن الإكثار من استعمال هذه اللفظة واتخاذها عادة شائعة، ولم ينه عن إطلاقها في نادر من الأحوال واختار القاضي هذا الجواب[4].

قال ابن القيم: «يقال: الفتىٰ علىٰ السخي الكريم.

فإذا اجتمعت لحيته فهو شاب إلىٰ الأربعين.

ثم يأخذ في الكُهولة إلىٰ الستين.

ثم يأخذ في الشيخوخة.

فإذا أخذ شعره في البياض قيل: شاب.

فإذا ازداد قيل: وخَطَهُ الشيب.

---

(١) **انظر:** «إكمال المُعلِم بفوائد مسلم» (٧/ ١٨٩)، و«شرح صحيح مسلم» (١٥/ ٧).

(٢) **انظر:** «إكمال المُعلِم بفوائد مسلم» (٧/ ١٩٠).

(٣) **انظر:** «الصحاح تاج اللغة»، مادة «فتىٰ».

(٤) **انظر:** «إكمال المُعلِم بفوائد مسلم» (٧/ ١٨٨)، و«شرح صحيح مسلم» (١٥/ ٦).

فإذا زاد قيل: شمِط.

فإذا غلب شيبه فهو أغثم.

فإذا اشتعل رأسه ولحيته شيبًا فهو متقعْوس.

فإذا انحط قواه فهو هَرِم.

فإذا تغيرت أحواله وظهر نقصه، فقد رُدَّ إلىٰ أرذل العمر، فالموت أقرب إليه من اليد إلىٰ الفم»[(١)].



(١) انظر: «تحفة المودود بأحكام المولود»، صـ (٣٠٢).

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأُولَى: النَّهْيُ عَنْ قَوْلِ عَبْدِي، وَأَمَتِي.

الثَّانِيَةُ: لَا يَقُولُ العَبْدُ: رَبِّي، وَلَا يُقَالُ لَهُ: أَطْعِمْ رَبَّكَ.

الثَّالِثَةُ: تَعْلِيمُ الأَوَّلِ قَوْلَ: فَتَايَ، وَفَتَاتِي، وَغُلَامِي.

الرَّابِعَةُ: تَعْلِيمُ الثَّانِي قَوْلَ: سَيِّدِي، وَمَوْلَايَ.

الخَامِسَةُ: التَّنْبِيهُ لِلْمُرَادِ، وَهُوَ تَحْقِيقُ التَّوْحِيدِ حَتَّى فِي الأَلْفَاظِ.

الشَّـرْح

قَـوْلُـهُ: «الأُولَى: النَّهْيُ عَنْ قَوْلِ عَبْدِي، وَأَمَتِي»: لقوله ﷺ: «وَلَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ: عَبْدِي وَأَمَتِي».

قَـوْلُـهُ: «الثَّانِيَةُ: لَا يَقُولُ العَبْدُ: رَبِّي، وَلَا يُقَالُ لَهُ: أَطْعِمْ رَبَّكَ»: لقوله ﷺ: «لَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ: أَطْعِمْ رَبَّكَ، وَضِّئْ رَبَّكَ».

قَـوْلُـهُ: «الثَّالِثَةُ: تَعْلِيمُ الأَوَّلِ قَوْلَ: فَتَايَ، وَفَتَاتِي، وَغُلَامِي»: أي لا يقول: عبدي وأمتي، وإنما يقول: فتاي، وفتاتي، وغلامي.

قَـوْلُـهُ: «الرَّابِعَةُ: تَعْلِيمُ الثَّانِي قَوْلَ: سَيِّدِي وَمَوْلَايَ»: أي لا يقول: أطعم ربك، وإنما يقول: سيدي، ومولاي.

قَـوْلُـهُ: «الخَامِسَةُ: التَّنْبِيهُ لِلْمُرَادِ، وَهُوَ تَحْقِيقُ التَّوْحِيدِ حَتَّى فِي الأَلْفَاظِ»: أي هذا من باب تحقيق التوحيد، وإن كان في اللفظ دون المعنىٰ.

[٥٤] بَابٌ لا يُرَدُّ مَنْ سَأَلَ بِاللهِ

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ سَأَلَ بِاللهِ فَأَعْطُوهُ، وَمَنِ اسْتَعَاذَ بِاللهِ فَأَعِيذُوهُ، وَمَنْ دَعَاكُمْ فَأَجِيبُوهُ، وَمَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ؛ فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ»[(١)] رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ، وَالنَّسَائِيُّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ.

الشَّرْح

قَوْلُهُ: «بَابٌ لَا يُرَدُّ مَنْ سَأَلَ بِاللهِ»: أي من قال: أسألك بالله أن تعطيني.

ولا يخلو السائل من أحد أمرين:

الأول: أن يسأل سؤالا مجردا؛ كأن يقول مثلا: يا فلان أعطني كذا وكذا، فإن كان مما أباحه الشارع له فإنك تعطيه؛ كالفقير يسأل شيئًا من الزكاة.

الثاني: أن يسأل بالله؛ فهذا تجيبه وإن لم يكن مستحقا؛ لأنه سأل بعظيم، فإجابته من تعظيم هذا العظيم، لكن لو سأل إثما، أو كان في إجابته ضرر علىٰ المسئول؛ فإنه لا يجاب.

مثال الأول: أن يسألك بالله نقودا؛ ليشتري بها محرما كالخمر.

ومثال الثاني: أن يسألك بالله أن تخبره عما في سرك؛ فهذا لا يجاب لأن في الأول إعانة علىٰ الإثم، وإجابته في الثاني ضرر علىٰ المسئول[(٢)].

قَوْلُهُ: «عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ سَأَلَ بِاللهِ

(١) صحيح: رواه أبو داود (١٦٧٢)، والنسائي (٢٥٦٧)، وأحمد (٦١٠٦)، وصححه أحمد شاكر، والألباني.

(٢) انظر: «القول المفيد علىٰ كتاب التوحيد» (٢/ ٣٥٠).

فَأَعْطُوهُ»: أي ومن سأل شيئًا لله تعالىٰ فأعطوه[1]، تعظيما لاسم الله وشفقة علىٰ خلق الله[2]، والأمر هنا للوجوب ما لم يتضمن السؤال إثما أو ضررا علىٰ المسئول؛ لأن في إعطائه إجابة لحاجته، وتعظيما لله عَزَّوَجَلَّ الذي سأل به[3].

قَولُه: «وَمَنِ اسْتَعَاذَ بِاللهِ فَأَعِيذُوهُ»: أي من لجأ إليكم مستعيذا بالله فألجئوه، وأجيروه[4]، وهذا الأمر للوجوب.

قال الطيبي: «أي من استعاذ بكم، وطلب منكم دفع شركم أو شر غيركم عنه، قائلا: بالله عليك أن تدفع عني شرك، فأجيبوه، وادفعوا عنه الشر، تعظيمًا لاسم الله - تعالىٰ، فالتقدير من استعاذ منكم متوسلًا بالله مستعطفًا به»[5].

قَولُه: «وَمَنْ دَعَاكُمْ فَأَجِيبُوهُ»: أي ومن طلبكم فأجيبوا دعوته[6]، إن لم يكن مانع شرعي[7].

قَولُه: «وَمَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا»: أي أحسن إليكم إحسانًا قوليًا أو فعليًا[8]، والمعروف اسم جامع لكل ما عرف من طاعة الله، والتقرب إليه، والإحسان إلىٰ الناس، وكل ما ندب إليه الشرع، ونهىٰ عنه[9].

قَولُه: «فَكَافِئُوهُ»: من المكافأة، أي أحسنوا إليه مثل ما أحسن إليكم[10]،

---

(١) انظر: «شرح سنن أبي داود»، للعيني (٦/ ٤٢٤).
(٢) انظر: «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٤/ ١٣٥٥).
(٣) انظر: «القول المفيد علىٰ كتاب التوحيد» (٢/ ٣٤٩-٣٥٠).
(٤) انظر: «شرح سنن أبي داود»، للعيني (٦/ ٤٢٤).
(٥) انظر: «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٤/ ١٣٥٥).
(٦) انظر: «شرح سنن أبي داود»، للعيني (٦/ ٤٢٤).
(٧) انظر: «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٤/ ١٣٥٥).
(٨) انظر: «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٤/ ١٣٥٥).
(٩) انظر: «شرح سنن أبي داود»، للعيني (٦/ ٤٢٤).
(١٠) انظر: «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٤/ ١٣٥٥).

وإنما ذكره من باب المفاضلة؛ ليدل على الاشتراك؛ لأن أحدهما يصنع معروفا، والآخر يقابله بمعروف مثله، هو الدعاء[1].

لقوله تعالىٰ: ﴿وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾[القصص:٧٧].

وقوله تعالىٰ: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ۝٦٠﴾[الرحمن:٦٠].

قَولُه: «فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ»: أي بالمال[2].

قَولُه: «فَادْعُوا لَهُ»: أي للمحسن يعني فكافئوه بالدعاء له[3].

قَولُه: «حَتَّى تَرَوْا»: أي تعلموا، أو تحسبوا[4].

قَولُه: «أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ»: أي كرروا الدعاء حتىٰ تظنوا قد أديتم حقه[5]، وتروا المكافأة[6].

---

(١) **انظر:** «شرح سنن أبي داود»، للعيني (٦/ ٤٢٤).

(٢) **انظر:** «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٤/ ١٣٥٥).

(٣) **انظر:** «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٤/ ١٣٥٥).

(٤) **انظر:** «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٤/ ١٣٥٥).

(٥) **انظر:** «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٤/ ١٣٥٥).

(٦) **انظر:** «شرح سنن أبي داود»، للعيني (٦/ ٤٢٤).

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأُولَى: إِعَاذَةُ مَنِ اسْتَعَاذَ بِاللهِ.

الثَّانِيَةُ: إِعْطَاءُ مَنْ سَأَلَ بِاللهِ.

الثَّالِثَةُ: إِجَابَةُ الدَّعْوَةِ.

الرَّابِعَة: المكَافَأَةُ عَلَى الصَّنِيعَةِ.

الخَامِسَةُ: أَنَّ الدُّعَاءَ مُكَافَأَةٌ لِمَنْ لَمْ يَقْدِرْ إِلَّا عَلَيْهِ.

السَّادِسَةُ: قَوْلُهُ: «حَتَّى تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ».

الشَّرْح

قَوْلُهُ: «الأُولَى: إِعَاذَةُ مَنِ اسْتَعَاذَ بِاللهِ»: لقول النبي ﷺ: «وَمَنِ اسْتَعَاذَ بِاللهِ فَأَعِيذُوهُ».

قَوْلُهُ: «الثَّانِيَةُ: إِعْطَاءُ مَنْ سَأَلَ بِاللهِ»: لقول النبي ﷺ: «مَنْ سَأَلَ بِاللهِ فَأَعْطُوهُ».

قَوْلُهُ: «الثَّالِثَةُ: إِجَابَةُ الدَّعْوَةِ»: لقول النبي ﷺ: «وَمَنْ دَعَاكُمْ فَأَجِيبُوهُ».

قَوْلُهُ: «الرَّابِعَة: المكَافَأَةُ عَلَى الصَّنِيعَةِ»: لقول النبي ﷺ: «وَمَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ».

قَوْلُهُ: «الخَامِسَةُ: أَنَّ الدُّعَاءَ مُكَافَأَةٌ لِمَنْ لَمْ يَقْدِرْ إِلَّا عَلَيْهِ»: لقول النبي ﷺ: «فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ؛ فَادْعُوا لَهُ حَتَّىٰ تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ».

قَوْلُهُ: «السَّادِسَةُ: قَوْلُهُ: «حَتَّى تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ»»: أي تعلموا أنكم كافأتموه.



[٥٥] بَابٌ لا يُسْأَلُ بِوَجْهِ اللهِ إلا الجَنَّةُ

عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا يُسْأَلُ بِوَجْهِ اللهِ إِلَّا الجَنَّةُ»(١) رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ.

الشَّـرْح

قَـوْلُـهُ: «بَابٌ لَا يُسْأَلُ بِوَجْهِ اللهِ إِلَّا الجَنَّةُ»: أي لا يقول: أسألك بوجه الله أن تعطيني شيئًا من متاع الدنيا؛ لأن كل شيء حقير دون عظمته تعالىٰ، والتوسل بالعظيم في الحقير تحقير له نعم الجنة التي هي أعظم مطلب للإنسان، فصار التوسل به تعالىٰ فيها مناسبا(٢).

قَـوْلُـهُ: «عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا يُسْأَلُ»»: بالجزم علىٰ النهي التنزيهي، وبالرفع خبر بمعنىٰ النهي(٣).

قَـوْلُـهُ: «بِوَجْهِ اللهِ إِلَّا الجَنَّةُ»: أي لا تسألوا الناس شيئًا بوجه الله، مثل أن تقولوا: أعطني شيئًا بوجه الله أو بالله، فإن اسم الله أعظم من أن يسأل به متاع الدنيا، بل اسألوا به الجنة، أو لا تسألوا الله متاع الدنيا بل رضاه والجنة(٤).

قال الحليمي: «وأما المسئول فينبغي إذا سئل بوجه الله أن لا يمنع، ولا يرد السائل، وأن يعطيه بطيب نفس، وانشراح صدر، لوجه الله تعالىٰ»(٥).

قال ابن القيم: «فكان طاوس يكره أن يسأل الإنسان بوجه الله.

---

(١) ضعيف: رواه أبو داود (١٦٧١)، وضعفه الألباني.

(٢) انظر: «مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٦/ ٣٨٠).

(٣) انظر: «دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين» (٨/ ٥٤٠).

(٤) انظر: «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٤/ ١٣٥٥).

(٥) انظر: «دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين» (٨/ ٥٤٠).

وجاء رجل إلىٰ عمر بن عبد العزيز فرفع إليه حاجته ثم قال: أسألك بوجه الله، فقال عمر: لقد سألت بوجه الله، فلم يسأل شيئًا إلا أعطاه إياه، ثم قال عمر: ويحك ألا سألت بوجه الله الجنة، ولو كان المراد بوجهه مخلوقًا من مخلوقاته لما جاز أن يقسم عليه ويسأل به، ولا كان ذلك أعظم من السؤال به سبحانه.

وهذه الآثار صريحة في أن السؤال بوجهه أبلغ وأعظم من السؤال به، فقد قال رسول الله ﷺ: «لا يسأل بوجه الله إلا الجنة»، فدل علىٰ بطلان قول من قال: هو ذاتُه»[(١)].



(١) انظر: «مختصر الصواعق المرسلة»، صـ(٤١١).

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأُولَى: النَّهْيُ عَنْ أَنْ يُسْأَلَ بِوَجْهِ اللهِ إِلَّا غَايَةُ المطَالِبِ.

الثَّانِيَةُ: إِثْبَاتُ صِفَةِ الوَجْهِ.

الشَّـرْح

قَـوْلُـهُ: «الأُولَى: النَّهْيُ عَنْ أَنْ يُسْأَلَ بِوَجْهِ اللهِ إِلَّا غَايَةُ المطَالِبِ»: لقوله ﷺ: **«لَا يُسْأَلُ بِوَجْهِ اللهِ إِلَّا الجَنَّةُ»**.

قَـوْلُـهُ: «الثَّانِيَةُ: إِثْبَاتُ صِفَةِ الوَجْهِ»: كما في الحديث؛ وهو وجه حقيقي يليق به سبحانه وتعالى خلافًا لمن أوله بالذات، أو بالثواب.



[٥٦] بَابٌ مَا جَاءَ فِي الـ«لَوْ»

وَقَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾ [آل عمران:١٥٤] الآيَةَ.

وَقَوْلُهُ: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُوا۟ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا۟﴾ [آل عمران:١٦٨] الآيَةَ.

وَفِي الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَلَا تَعْجِزَنْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ؛ فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا، لَكَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَّرَ اللهُ، وَمَا شَاءَ فَعَلَ؛ فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»[١].

الشَّرْح

قَوْلُهُ: «بَابٌ مَا جَاءَ فِي الـ«لَوْ»»: أي من الوعيد والنهي عنه عند الأمور المكروهة، كالمصائب إذا جرىٰ بها القدر؛ لما فيه من الإشعار بعدم الصبر والأسىٰ علىٰ ما فات، مما لا يمكن استدراكه، فالواجب التسليم للقدر، والقيام بالعبودية الواجبة وهو الصبر علىٰ ما أصاب العبد مما يكره، والإيمان بالقدر أصل من أصول الإيمان الستة.

وأدخل المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ أداة التعريف علىٰ «لو»، وهذه في هذا المقام لا تفيد تعريفا كنظائرها؛ لأن المراد هذا اللفظ[٢].

ومناسبة هذا الباب: أن كلمة «لو» فيها منافاة ومعارضة لقضاء الله وقدره، والمؤمن مأمور بالصبر علىٰ الابتلاء.

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٦٦٤).

(٢) **انظر**: «فتح المجيد شرح كتاب التوحيد»، صـ (٤٦٠).

فعَنْ صُهَيْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ»(١).

قال ابن تيمية: «(لو) تُستعمل علىٰ وجهين:

أحدهما: علىٰ وجه الحزن علىٰ الماضي والجزع من المقدور، فهذا هو الذي نهيَ عنه، كما قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُواْ فِي ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُواْ غُزًّى لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [آل عمران:١٥٦].

وهذا هو الذي نهىٰ عنه النبي ﷺ حيث قال: «وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت لكان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله، وما شاء فعل، فإن الـ (لو) تفتح عمل الشيطان» أي تفتح عليك الحزن والجزع، وذلك يضر ولا ينفع بل اعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، كما قال تعالىٰ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ [التغابن:١١]، قالوا: هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضىٰ ويسلم.

والوجه الثاني: أن يقال: (لو) لبيان علم نافع، كقوله: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء:٢٢].

ولبيان محبة الخير وإرادته، كقوله: «لو أن لي مثل ما لفلان لعملت مثل ما يعمل»، ونحوه جائز»(٢).

قَولُـهُ: «وَقَوْلُ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾»: يعني بذلك الطائفة المنافقة التي قد أهمتهم أنفسهم، يقولون: ليس

---

(١) **صحيح:** رواه مسلم (٢٩٩٩).

(٢) **انظر:** «الفتاوىٰ الكبرىٰ» (٥/ ٧٢).

لنا من الأمر من شيء يسرون هذه المقالة عن رسول الله ﷺ، قل إن الأمر كله لله، ولو كان لنا من الأمر شيء ما خرجنا لقتال من قاتلنا، فقتلونا[(١)].

قَولُه: «﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ﴾»: أي قل يا محمد للذين وصفت لك صفتهم من المنافقين: لو كنتم في بيوتكم لم تشهدوا مع المؤمنين مشهدهم، ولم تحضروا معهم حرب أعدائهم من المشركين، فيظهر للمؤمنين ما كنتم تخفونه من نفاقكم، وتكتمونه من شككم في دينكم[(٢)].

قَولُه: «﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾»: أي لظهر للموضع الذي كتب عليه مصرعه فيه من قد كُتب عليه القتل منهم، ولخرج من بيته إليه حتىٰ يصرع في الموضع الذي كتب عليه أن يصرع فيه[(٣)]، فهذا قدر مقدر من الله عَزَّوَجَلَّ، وحكم حتم لا يحاد عنه، ولا مناص منه[(٤)].

قَولُه: «﴿وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾»: أي وليختبر الله ما في صدوركم أيها المنافقون[(٥)].

قال ابن كثير: «أي: يختبركم بما جرىٰ عليكم، وليميز الخبيث من الطيب، ويظهر أمر المؤمن والمنافق للناس في الأقوال، والأفعال»[(٦)].

قَولُه: «﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾﴾»: أي والله ذو علم بالذي في صدور خلقه من خير وشر، وإيمان وكفر، لا يخفىٰ عليه شيء من أمورهم، سرائرها وعلانيتها، وهو لجميع ذلك حافظ، حتىٰ يجازي جميعهم جزاءهم

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٧/ ٣٢٢)، و«تفسير ابن كثير» (٢/ ١٤٥).
(٢) انظر: «تفسير الطبري» (٧/ ٣٢٤).
(٣) انظر: «تفسير الطبري» (٧/ ٣٢٤).
(٤) انظر: «تفسير ابن كثير» (٢/ ١٤٦).
(٥) انظر: «تفسير الطبري» (٧/ ٣٢٤).
(٦) انظر: «تفسير ابن كثير» (٢/ ١٤٦).

علىٰ قدر استحقاقهم[(١)].

قال ابن كثير: «أي: بما يختلج في الصدور من السرائر، والضمائر»[(٢)].

قَــوْلُــهُ: «وَقَوْلُهُ: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُواْ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْ﴾»: أي وليعلم الله الذين قالوا لإخوانهم الذين أصيبوا مع المسلمين في حربهم المشركين بأُحُدٍ يوم أحد فقتلوا هنالك من عشائرهم وقومهم، وقعد هؤلاء المنافقون القائلون ما قالوا - مما أخبر الله عَزَّوَجَلَّ عنهم من قيلهم - عن الجهاد مع إخوانهم وعشائرهم في سبيل الله: لو أطاعنا مَن قُتل بأُحُد من إخواننا، وعشائرنا ما قُتلوا هنالك[(٣)].

قَــوْلُــهُ: «﴿قُلْ فَٱدْرَءُواْ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ١٦٨﴾»: أي قل يا محمد لهؤلاء القائلين هذه المقالة من المنافقين: فادفعوا إن كنتم أيها المنافقون صادقين في قيلكم عن أنفسكم الموت[(٤)].

قال ابن كثير: «قوله: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُواْ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْ﴾ أي: لو سمعوا من مشورتنا عليهم في القعود، وعدم الخروج ما قتلوا مع من قُتل.

قال الله تعالىٰ: ﴿قُلْ فَٱدْرَءُواْ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ١٦٨﴾ أي: إن كان القعود يسلم به الشخص من القتل والموت، فينبغي، أنكم لا تموتون، والموت لا بد آت إليكم، ولو كنتم في بروج مشيدة، فادفعوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين»[(٥)].

قَــوْلُــهُ: «وَفِي الصَّحِيحِ»: أي صحيح مسلم.

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٧/ ٣٢٥).

(٢) انظر: «تفسير ابن كثير» (٢/ ١٤٦).

(٣) انظر: «تفسير الطبري» (٧/ ٣٨٢).

(٤) انظر: «تفسير الطبري» (٧/ ٣٨٢).

(٥) انظر: «تفسير ابن كثير» (٢/ ١٦٠-١٦١).

قَـوْلُـهُ: «عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجِزَنْ»»: بكسر الجيم، وحكي فتحها، ومعناه: احرص علىٰ طاعة الله تعالىٰ والرغبة فيما عنده، واطلب الإعانة من الله تعالىٰ علىٰ ذلك، ولا تعجز عن طلب الطاعة، ولا عن طلب الإعانة في معاشك، ومعادك[1].

قال ابن تيمية: فيه «أمر بالتسبب المأمور به وهو الحرص علىٰ المنافع، وأمر مع ذلك بالتوكل وهو الاستعانة بالله، فمن اكتفىٰ بأحدهما فقد عصىٰ أحد الأمرين، ونهي عن العجز الذي هو ضد الكيس»[2].

وقال ابن رجب الحنبلي: «ومن ترك الاستعانة بالله، واستعان بغيره، وكله الله إلىٰ من استعان به فصار مخذولا»[3].

قَـوْلُـهُ: «وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ؛ فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا، لَكَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَـكِنْ قُلْ: قَدَّرَ اللهُ، وَمَا شَاءَ فَعَلَ»: النهيُ فيه علىٰ وجهه العموم لكن علىٰ طريق الندب والتنزيه، ويدل عليه قوله: «فإنَّ لو تفتح عمل الشيطان»[4].

وقال النووي: «فالظاهر أن النهي إنما هو عن إطلاق ذلك فيما لا فائدة فيه فيكون نهي تنزيه لا تحريم، فأما من قاله تأسفا علىٰ ما فات من طاعة الله تعالىٰ أو ما هو متعذر عليه من ذلك ونحو هذا فلا بأس به، وعليه يحمل أكثر الاستعمال الموجود في الأحاديث»[5].

---

(١) انظر: «المُفهِم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» (٦/ ٦٨٢)، و«شرح صحيح مسلم» (١٦/ ٢١٥).

(٢) انظر: «الفتاوىٰ الكبرىٰ» (١/ ١٠٩).

(٣) انظر: «جامع العلوم والحكم» (١/ ٤٨٢).

(٤) انظر: «إكمال المُعلِم بفوائد مسلم» (٨/ ١٥٨).

(٥) انظر: «شرح صحيح مسلم» (١٦/ ٢١٦).

قَـوْلُـهُ: «فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»: أي تلقي في القلب معارضة القدر[١].

فأمر النبي ﷺ العبد بالحرص علىٰ ما ينفعه، والاستعانة بالله، ونهاه عن العجز الذي هو الاتكال علىٰ القدر ثم أمره إذا أصابه شيء أن لا ييأس علىٰ ما فاته بل ينظر إلىٰ القدر ويسلم الأمر لله، فإنه هنا لا يقدر علىٰ غير ذلك[٢].

قال القرطبي: «ولا يفهم من هذا: أنه لا يجوز النطق بـ «لو» مطلقا إذ قد نطق بها النبي ﷺ في عدة أحاديث، ولكن محل النهي عن إطلاقها إنما هو فيما إذا أطلقت في معارضة القدر، أو مع اعتقاد أن ذلك المانع لو ارتفع لوقع خلاف المقدور، فأما لو أخبر بالمانع علىٰ جهة أن يتعلق به فائدة في المستقبل، فلا يُختلف في جواز إطلاقه؛ إذ ليس في ذلك فتح لعمل الشيطان، ولا شيء يفضي إلىٰ ممنوع، ولا حرام»[٣].

قال ابن تيمية: «إن الإنسان ليس مأمورًا أن ينظر إلىٰ القدر عندما يؤمر به من الأفعال ولكن عند ما يجري عليه من المصائب التي لا حيلة له في دفعها، فما أصابك بفعل الآدميين، أو بغير فعلهم اصبر عليه، وارض وسلِّم»[٤].

قال ابن القيم: «أرشده إلىٰ ما هو أنفع له من هذه الكلمة، وهو أن يقول: «قدر الله، وما شاء فعل»، وذلك لأن قوله: لو كنت فعلت كذا وكذا لم يفتني ما فاتني، أو: لم أقع فيما وقعت فيه كلام لا يجدي عليه فائدة ألبتة، فإنه غير مستقبل لما استدبر من أمره، وغير مستقيل عثرته بـ «لو»، وفي ضمن «لو» ادعاء أن الأمر لو كان كما قدره في نفسه لكان غير ما قضاه الله وقدره وشاءه، فإن ما وقع مما يتمنىٰ خلافه، إنما وقع بقضاء الله وقدره ومشيئته، فإذا قال: لو أني

---

(١) **انظر:** «إكمال المُعلِم بفوائد مسلم» (٨/ ١٥٨).

(٢) **انظر:** «مجموع الفتاوىٰ» (٨/ ٢٨٥).

(٣) **انظر:** «المُفهِم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» (٦/ ٦٨٣).

(٤) **انظر:** «مجموع الفتاوىٰ» (٨/ ١٧٨).

فعلت كذا؛ لكان خلاف ما وقع فهو محال؛ إذ خلاف المقدر المقضي محال، فقد تضمن كلامه كذبا وجهلا ومحالا، وإن سلم من التكذيب بالقدر، لم يسلم من معارضته بقوله: لو أني فعلت كذا؛ لدفعت ما قدر الله علي»[١].

وقال أيضًا: «المتمني من أعجز الناس وأفلسهم، فإن التمني رأس أموال المفاليس، والعجز مفتاح كل شر.

وأصل المعاصي كلها العجز، فإن العبد يعجز عن أسباب أعمال الطاعات، وعن الأسباب التي تبعده عن المعاصي، وتحول بينه وبينها، فيقع في المعاصي»[٢].

وقال أيضًا: فتضمن هذا الحديث الشريف أصولا عظيمة من أصول الإيمان منها:

أن سعادة الإنسان في حرصه علىٰ ما ينفعه في معاشه ومعاده، والحرص هو بذل الجهد واستفراغ الوسع، فإذا صادف ما ينتفع به الحريص كان حرصه محمودا وكماله كله في مجموع هذين الأمرين أن يكون حريصا، وأن يكون حرصه علىٰ ما ينتفع به فإن حرص علىٰ ما لا ينفعه، أو فعل ما ينفعه بغير حرص فاته من الكمال بحسب ما فاته من ذلك فالخير كله في الحرص علىٰ ما ينفع.

فإن فاته ما لم يقدر له فله حالتان:

حالة عجز وهي مفتاح عمل الشيطان فيلقيه العجز إلىٰ «لو» ولا فائدة في «لو» ههنا بل هي مفتاح اللوم والجزع والسخط والأسف والحزن وذلك كله من عمل الشيطان فنهاه ﷺ عن افتتاح عمله بهذا المفتاح.

وأمره بالحالة الثانية وهي النظر إلىٰ القدر وملاحظته وأنه لو قدر له لم يفته، ولم يغلبه عليه أحد.

---

(١) انظر: «زاد المعاد» (٢/ ٣٢٥).

(٢) انظر: «زاد المعاد» (٢/ ٣٢٦).

فلهذا قال: فإن غلبك أمر فلا تقل: لو أني فعلت لكان كذا، ولكن قل: قدر الله، وما شاء فعل، فأرشده إلىٰ ما ينفعه في الحالتين حالة حصول مطلوبه، وحالة فواته، فلهذا كان هذا الحديث مما لا يستغني عنه العبد أبدا بل هو أشد شيء إليه ضرورة، وهو يتضمن إثبات القدر والكسب والاختيار والقيام والعبودية ظاهرا وباطنا في حالتي حصول المطلوب وعدمه[1].



(١) انظر: «شفاء العليل» (١/ ١٩).

فيه مسَائِلَ:

الأُولَى: تَفْسِيرُ الآيَتَيْنِ فِي آلِ عِمْرَانَ.

الثَّانِيَةُ: النَّهْيُ الصَّرِيحُ عَنْ قَوْلِ: «لَوْ» إِذَا أَصَابَكَ شَيْءٌ.

الثَّالِثَةُ: تَعْلِيلُ المسْأَلَةِ بِأَنَّ ذَلِكَ يَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ.

الرَّابِعَةُ: الإِرْشَادُ إِلَى الكَلَامِ الحَسَنِ.

الخَامِسَةُ: الأَمْرُ بِالْحِرْصِ عَلَى مَا يَنْفَعُ مَعَ الاسْتِعَانَةِ بِاللهِ.

السَّادِسَةُ: النَّهْيُ عَنْ ضِدِّ ذَلِكَ وَهُوَ العَجْزُ.

الشَّرح

قَولُـهُ: «الأُولَى: تَفْسِيرُ الآيَتَيْنِ فِي آلِ عِمْرَانَ»: أي قوله تعالىٰ: ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَـٰهُنَا﴾[آل عمران:١٥٤] الآيَةَ.

وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُوا۟ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا۟﴾[آل عمران:١٦٨] الآيَة.

قَولُـهُ: «الثَّانِيَةُ: النَّهْيُ الصَّرِيحُ عَنْ قَوْلِ: «لَوْ» إِذَا أَصَابَكَ شَيْءٌ»: لقوله ﷺ: «وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ؛ فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا، لَكَانَ كَذَا وَكَذَا».

قَولُـهُ: «الثَّالِثَةُ: تَعْلِيلُ المسْأَلَةِ بِأَنَّ ذَلِكَ يَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»: لقوله ﷺ: «فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ».

قَولُـهُ: «الرَّابِعَةُ: الإِرْشَادُ إِلَى الكَلَامِ الحَسَنِ»: لقوله ﷺ: «وَلَكِنْ قُلْ: قَدَّرَ اللهُ، وَمَا شَاءَ فَعَلَ».

قَولُـهُ: «الخَامِسَةُ: الأَمْرُ بِالْحِرْصِ عَلَى مَا يَنْفَعُ مَعَ الاسْتِعَانَةِ بِاللهِ»: لقوله ﷺ: «احْرِصْ عَلَىٰ مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ».

قَولُـهُ: «السَّادِسَةُ: النَّهْيُ عَنْ ضِدِّ ذَلِكَ وَهُوَ العَجْزُ»: لقوله ﷺ: «وَلَا تَعْجِزَنْ».

[٥٧] باب النهي عن سب الريح

عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَا تَسُبُّوا الرِّيحَ؛ فَإِذَا رَأَيْتُمْ مَا تَكْرَهُونَ، فَقُولُوا: اللهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هَذِهِ الرِّيحِ، وَخَيْرِ مَا فِيهَا وَخَيْرِ مَا أُمِرَتْ بِهِ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هَذِهِ الرِّيحِ، وَشَرِّ مَا فِيهَا، وَشَرِّ مَا أُمِرَتْ بِهِ»[١] صَحَّحَهُ التِّرْمِذِيُّ.

الشَّرح

قَولُهُ: «بَابُ النَّهْيِ عَنْ سَبِّ الرِّيحِ»: أي إذا هبت، بل يسأل الله خيرها، وخير ما أرسلت به، ويعوذ بالله من شرها وشر ما أرسلت به[٢].

قَولُهُ: «عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَا تَسُبُّوا الرِّيحَ»»: أي لا تشتموها[٣]؛ لأنها مسخرة مذللة فيما خلقت له[٤].

قَولُهُ: «فَإِذَا رَأَيْتُمْ مَا تَكْرَهُونَ»: أي ريحا تكرهونها لشدة حرارتها، أو برودتها، أو تأذيتم لشدة هبوبها[٥].

قَولُهُ: «فَقُولُوا»: أي راجعين إلىٰ خالقها وآمرها[٦].

قَولُهُ: «اللهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هَذِهِ الرِّيحِ، وَخَيْرِ مَا فِيهَا»: من جمع

---

(١) صحيح: رواه الترمذي (٢٢٥٢)، وقال: حسن صحيح، والنسائي في «الكبرىٰ» (١٠٧٠٣)، وأحمد (٢١١٣٨)، وصححه الألباني.

(٢) انظر: «زاد المعاد» (٢/ ٤٣٠).

(٣) انظر: «فيض القدير شرح الجامع الصغير» (٦/ ٣٩٩).

(٤) انظر: «دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين» (٨/ ٥٤٥).

(٥) انظر: «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٣/ ١١١٧).

(٦) انظر: «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٣/ ١١١٧).

السحاب الناشئ عنه الغيث، ونحوه[١].

قَـولُـهُ: «وَخَيْرِ مَا أُمِرَتْ بِهِ»: أي ما أمره الله به من المنافع.

قَـولُـهُ: «وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هَذِهِ الرِّيحِ»: لكونها عاصفة، أو ريحا مهلِكة[٢].

قَـولُـهُ: «وَشَرِّ مَا فِيهَا وَشَرِّ مَا أُمِرَتْ بِهِ»: أي من إهلاك ما مرت عليه، كريح عاد التي لم تمر علىٰ شيء إلا جعلته كالرميم[٣].



---

(١) انظر: «دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين» (٨/ ٥٤٥).
(٢) انظر: «دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين» (٨/ ٥٤٥).
(٣) انظر: «دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين» (٨/ ٥٤٥).

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأُولَى: النَّهْيُ عَنْ سَبِّ الرِّيحِ.

الثَّانِيَةُ: الإِرْشَادُ إِلَى الكَلَامِ النَّافِعِ إِذَا رَأَى الإِنْسَانُ مَا يَكْرَهُ.

الثَّالِثَةُ: الإِرْشَادُ إِلَى أَنَّهَا مَأْمُورَةٌ.

الرَّابِعَةُ: أَنَّهَا قَدْ تُؤْمَرُ بِخَيْرٍ، وَقَدْ تُؤْمَرُ بِشَرٍّ.

الشَّرْح

قَوْلُهُ: «الأُولَى: النَّهْيُ عَنْ سَبِّ الرِّيحِ»: لقوله ﷺ: «لَا تَسُبُّوا الرِّيحَ».

قَوْلُهُ: «الثَّانِيَةُ: الإِرْشَادُ إِلَى الكَلَامِ النَّافِعِ إِذَا رَأَى الإِنْسَانُ مَا يَكْرَهُ»: لقوله ﷺ: «فَإِذَا رَأَيْتُمْ مَا تَكْرَهُونَ؛ فَقُولُوا: اللهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هَذِهِ الرِّيحِ، وَخَيْرِ مَا فِيهَا، وَخَيْرِ مَا أُمِرَتْ بِهِ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هَذِهِ الرِّيحِ، وَشَرِّ مَا فِيهَا، وَشَرِّ مَا أُمِرَتْ بِهِ».

قَوْلُهُ: «الثَّالِثَةُ: الإِرْشَادُ إِلَى أَنَّهَا مَأْمُورَةٌ»: لقوله ﷺ: «مَا أُمِرَتْ بِهِ».

قَوْلُهُ: «الرَّابِعَةُ: أَنَّهَا قَدْ تُؤْمَرُ بِخَيْرٍ، وَقَدْ تُؤْمَرُ بِشَرٍّ»: لقوله ﷺ: «اللهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هَذِهِ الرِّيحِ، وَخَيْرِ مَا فِيهَا، وَخَيْرِ مَا أُمِرَتْ بِهِ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هَذِهِ الرِّيحِ، وَشَرِّ مَا فِيهَا، وَشَرِّ مَا أُمِرَتْ بِهِ».

[٥٨] بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى:

﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ ظَنَّ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ مِن شَيۡءٖۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَمۡرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾[آل عمران:١٥٤] الآيَةَ

وَقَوْلُهُ: ﴿ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوۡءِۚ عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِ﴾[الفتح:٦] الآيَةَ.

قَالَ ابْنُ القَيِّمِ فِي الآيَةِ الأُولَى:

فُسِّرَ هَذَا الظَّنُّ بِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ لَا يَنْصُرُ رَسُولَهُ، وَأَنَّ أَمْرَهُ سَيَضْمَحِلُّ، وَفُسِّرَ بِأَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ بِقَدَرِ اللهِ وَحِكْمَتِهِ.

فَفُسِّرَ بِإِنْكَارِ الحِكْمَةِ، وَإِنْكَارِ القَدَرِ، وَإِنْكَارِ أَنْ يُتِمَّ أَمْرَ رَسُولِهِ ﷺ، وَأَنْ يُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ.

وَهَذَا هُوَ ظَنُّ السَّوْءِ الَّذِي ظَنَّهُ المنَافِقُونَ، وَالمُشْرِكُونَ فِي سُورَةِ الفَتْحِ.

وَإِنَّمَا كَانَ هَذَا ظَنَّ السَّوءِ؛ لِأَنَّهُ ظَنُّ غَيْرِ مَا يَلِيقُ بِهِ سُبْحَانَهُ وَمَا يَلِيقُ بِحِكْمَتِهِ وَحَمْدِهِ وَوَعْدِهِ الصَّادِقِ.

فَمَنْ ظَنَّ أَنَّهُ يُدِيلُ البَاطِلَ عَلَى الحَقِّ إِدَالَةً مُسْتَقِرَّةً يَضْمَحِلُّ مَعَهَا الحَقُّ، أَوْ أَنْكَرَ أَنَّ مَا جَرَى بِقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ، أَوْ أَنْكَرَ أَنْ يَكُونَ قَدَرُهُ لِحِكْمَةٍ بَالِغَةٍ يَسْتَحِقُّ عَلَيْهَا الحَمْدَ، بَلْ زَعَمَ أَنَّ ذَلِكَ لِمَشِيئَةٍ مُجَرَّدَةٍ؛ فَذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا، فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ.

وَأَكْثَرُ النَّاسِ يَظُنُّونَ بِاللهِ ظَنَّ السَّوْءِ فِيمَا يَخْتَصُّ بِهِمْ، وَفِيمَا يَفْعَلُهُ بِغَيْرِهِمْ وَلَا يَسْلَمُ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا مَنْ عَرَفَ اللهَ، وَأَسْمَاءَهُ وَصِفَاتِهِ، وَمُوجَبَ حِكْمَتِهِ وَحَمْدِهِ.

فَلْيَعْتَنِ اللَّبِيبُ النَّاصِحُ لِنَفْسِهِ بِهَذَا، وَلْيَتُبْ إِلَى اللهِ، وَلْيَسْتَغْفِرْهُ مِنْ ظَنِّهِ بِرَبِّهِ ظَنَّ السَّوْءِ.

وَلَوْ فَتَّشْتَ مَنْ فَتَّشْتَ لَرَأَيْتَ عِنْدَهُ تَعَنُّتًا عَلَى القَدَرِ، وَمَلَامَةً لَهُ، وَأَنَّهُ كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ كَذَا وَكَذَا، فَمُسْتَقِلٌّ وَمُسْتَكْثِرٌ، وَفَتِّشْ نَفْسَكَ هَلْ أَنْتَ سَالِمٌ؟.

فَإِنْ تَنْجُ مِنْهَا تَنْجُ مِنْ ذِي عَظِيمَةٍ وَإِلَّا فَإِنِّي لَا إِخَالُكَ نَاجِيًا[(١)]

الشرح

قوله: «بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾»: أي يظنون بالله الظنون الكاذبة ظنَّ الجاهلية من أهل الشرك بالله شكًّا في أمر الله، وتكذيبا لنبيه ﷺ، ومَحسَبَةً منهم أن الله خاذلٌ نبيه ومُعْلٍ عليه أهل الكفر به، يقولون: هل لنا من الأمر من شيء[(٢)].

قال ابن كثير: «كما قال في الآية الأخرى: ﴿بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٢﴾﴾ [الفتح:١٢]، وهكذا هؤلاء، اعتقدوا أن المشركين لما ظهروا تلك الساعة أنها الفيصلة، وأن الإسلام قد باد وأهله، هذا شأن أهل الريب والشك إذا حصل أمر من الأمور الفظيعة، تحصل لهم هذه الظنون الشنيعة»[(٣)].

قوله: «﴿يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾﴾»: تقدم تفسير هذه الآية في الباب السابق.

---

(١) انظر: «زاد المعاد» (٣/ ٢٠٥-٢١١).

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (٧/ ٣٢٠).

(٣) انظر: «تفسير ابن كثير» (٢/ ١٤٥).

قَولُه: «وَقَوْلُهُ: ﴿ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ﴾»: أي الظانين بالله أنه لن ينصرك، وأهل الإيمان بك علىٰ أعدائك، ولن يظهر كلمته فيجعلها العليا علىٰ كلمة الكافرين به، وذلك كان السوء من ظنونهم التي ذكرها الله في هذا الموضع(١).

قَولُه: «﴿عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾»: أي علىٰ المنافقين والمنافقات، والمشركين والمشركات الذين ظنوا هذا الظن دائرة العذاب تدور عليهم به(٢).

قَولُه: «﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾»: أي ونالهم الله بغضب منه(٣).

قَولُه: «﴿وَلَعَنَهُمْ﴾»: أي وأبعدهم فأقصاهم من رحمته(٤).

قَولُه: «﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ﴾»: أي وأعد لهم جهنم يصلونها يوم القيامة(٥).

قَولُه: «﴿وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾»: أي وساءت جهنم منزلا يصير إليه هؤلاء المنافقون والمنافقات، والمشركون والمشركات(٦).

قال ابن كثير: «أي: يتهمون الله في حكمه، ويظنون بالرسول وأصحابه أن يقتلوا ويذهبوا بالكلية؛ ولهذا قال: ﴿عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ﴾ [الفتح:٦] أي: أبعدهم من رحمته ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ۝٦﴾ [الفتح:٦]»(٧).

قَولُه: «قَالَ ابْنُ القَيِّمِ فِي الآيَةِ الأُولَى»: أي قوله تعالىٰ: ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٢٢/ ٢٠٥).
(٢) انظر: «تفسير الطبري» (٢٢/ ٢٠٥).
(٣) انظر: «تفسير الطبري» (٢٢/ ٢٠٦).
(٤) انظر: «تفسير الطبري» (٢٢/ ٢٠٦).
(٥) انظر: «تفسير الطبري» (٢٢/ ٢٠٦).
(٦) انظر: «تفسير الطبري» (٢٢/ ٢٠٦).
(٧) انظر: «تفسير ابن كثير» (٧/ ٣٢٩).

غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ﴾ [آل عمران:١٥٤] الآية.

قَوْلُهُ: «فُسِّرَ هَذَا الظَّنُّ بِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ لَا يَنْصُرُ رَسُولَهُ، وَأَنَّ أَمْرَهُ سَيَضْمَحِلُّ»: أي يذهب ويزول(١).

قَوْلُهُ: «وَفُسِّرَ بِأَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ بِقَدَرِ اللهِ وَحِكْمَتِهِ، فَفُسِّرَ بِإِنْكَارِ الحِكْمَةِ، وَإِنْكَارِ القَدَرِ، وَإِنْكَارِ أَنْ يُتِمَّ أَمْرَ رَسُولِهِ ﷺ، وَأَنْ يُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ، وَهَذَا هُوَ ظَنُّ السَّوْءِ الَّذِي ظَنَّهُ المنَافِقُونَ وَالمشْرِكُونَ فِي سُورَةِ الفَتْحِ»: أي الذين قال الله فيهم: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَـٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾﴾ [الفتح:٦].

قَوْلُهُ: «وَإِنَّمَا كَانَ هَذَا ظَنَّ السُّوءِ؛ لِأَنَّهُ ظَنُّ غَيْرِ مَا يَلِيقُ بِهِ سُبْحَانَهُ، وَمَا يَلِيقُ بِحِكْمَتِهِ، وَحَمْدِهِ، وَوَعْدِهِ الصَّادِقِ»: فالله عَزَّوَجَلَّ منزه عن النقص والعيب، كما قال تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى:١١].

قَوْلُهُ: «فَمَنْ ظَنَّ أَنَّهُ يُدِيلُ البَاطِلَ عَلَى الحَقِّ إِدَالَةً مُسْتَقِرَّةً يَضْمَحِلُّ مَعَهَا الحَقُّ، أَوْ أَنْكَرَ أَنَّ مَا جَرَى بِقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ، أَوْ أَنْكَرَ أَنْ يَكُونَ قَدَرُهُ لِحِكْمَةٍ بَالِغَةٍ يَسْتَحِقُّ عَلَيْهَا الحَمْدَ، بَلْ زَعَمَ أَنَّ ذَلِكَ لِمَشِيئَةٍ مُجَرَّدَةٍ؛ فَذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا، فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ»: كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَـٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾﴾ [ص:٢٧].

قَوْلُهُ: «وَأَكْثَرُ النَّاسِ يَظُنُّونَ بِاللهِ ظَنَّ السَّوْءِ فِيمَا يَخْتَصُّ بِهِمْ، وَفِيمَا يَفْعَلُهُ بِغَيْرِهِمْ، وَلَا يَسْلَمُ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا مَنْ عَرَفَ اللهَ وَأَسْمَاءَهُ، وَصِفَاتِهِ، وَمُوجَبَ

---

(١) انظر: «لسان العرب»، مادة «ضمحل».

حِكْمَتِهِ، وَحَمْدِهِ»: أي من عرَف أسماء الله وصفاته عرَف أن الله عَزَّوَجَلَّ منزه عن هذا الظن الباطل.

قَولُـهُ: «فَلْيَعْتَنِ اللَّبِيبُ النَّاصِحُ لِنَفْسِهِ بِهَذَا»: أي فليهتم الذكي الذي يريد النصح لنفسه بما تقدم.

قَولُـهُ: «وَلْيَتُبْ إِلَى اللهِ، وَلْيَسْتَغْفِرْهُ مِنْ ظَنِّهِ بِرَبِّهِ ظَنَّ السَّوْءِ، وَلَوْ فَتَّشْتَ مَنْ فَتَّشْتَ؛ لَرَأَيْتَ عِنْدَهُ تَعَنُّتًا عَلَى الْقَدَرِ، وَمَلَامَةً لَهُ وَأَنَّهُ كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ كَذَا وَكَذَا، فَمُسْتَقِلٌّ، وَمُسْتَكْثِرٌ، وَفَتِّشْ نَفْسَكَ هَلْ أَنْتَ سَالِمٌ؟»: أي من هذا الظن السيء.

قَولُـهُ: «فَإِنْ تَنْجُ مِنْهَا تَنْجُ مِنْ ذِي عَظِيمَةٍ»: أي من مصيبة عظيمة.

قَولُـهُ: «وَإِلَّا فَإِنِّي لَا إِخَالُكَ نَاجِيًا»: أي إن لم تنج من هذه البلية فلا أظنك تنجو يوم القيامة.



فِيهِ مَسَائِلُ:

الأُولَى: تَفْسِيرُ آيَةِ آلِ عِمْرَانَ.

الثَّانِيَةُ: تَفْسِيرُ آيَةِ الفَتْحِ.

الثَّالِثَةُ: الإِخْبَارُ بِأَنَّ ذَلِكَ أَنْوَاعٌ لَا تُحْصَرُ.

الرَّابِعَةُ: أَنَّهُ لَا يَسْلَمِ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا مَنْ عَرَفَ الأَسْمَاءَ، وَالصِّفَاتِ، وَعَرَفَ نَفْسَهُ.

الشَّرْح

قَوْلُهُ: «الأُولَى: تَفْسِيرُ آيَةِ آلِ عِمْرَانَ»: أي قوله تعالىٰ: ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَيْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾ [آل عمران:١٥٤] الآيَةَ.

قَوْلُهُ: «الثَّانِيَةُ: تَفْسِيرُ آيَةِ الفَتْحِ»: أي قوله تعالىٰ: ﴿ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾[الفتح:٦] الآيَةَ.

قَوْلُهُ: «الثَّالِثَةُ: الإِخْبَارُ بِأَنَّ ذَلِكَ أَنْوَاعٌ لَا تُحْصَرُ»: أي الإخبار بأن أنواع الظن السوء لا تحصر.

قَوْلُهُ: «الرَّابِعَةُ: أَنَّهُ لَا يَسْلَمِ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا مَنْ عَرَفَ الأَسْمَاءَ، وَالصِّفَاتِ، وَعَرَفَ نَفْسَهُ»: كما تقدم في كلام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

[٥٩] بَابٌ مَا جَاءَ فِي مُنْكِرِي القَدَرِ

وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: وَالَّذِي نَفْسُ ابْنِ عُمَرَ بِيَدِهِ، لَوْ كَانَ لِأَحَدِهِمْ مِثْلُ أُحُدٍ ذَهَبًا، ثُمَّ أَنْفَقَهُ فِي سَبِيلِ اللهِ مَا قَبِلَهُ اللهُ مِنْهُ، حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ، ثُمَّ اسْتَدَلَّ بِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «الإِيمَانُ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَعَنْ عُبَادَةَ بنِ الصَّامِتِ، أَنَّهُ قَالَ لِابْنِهِ: يَا بُنَيَّ إِنَّكَ لَنْ تَجِدَ طَعْمَ الإِيمَانِ حَتَّى تَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ القَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ، فَقَالَ: رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ» يَا بُنَيَّ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ مَاتَ عَلَى غَيْرِ هَذَا فَلَيْسَ مِنِّي»(٢).

وَفِي رِوَايَةٍ لِأَحْمَدَ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ تَعَالَى القَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ، فَجَرَى فِي تِلْكَ السَّاعَةِ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ»(٣).

وَفِي رِوَايَةٍ لِابْنِ وَهْبٍ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «فَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ أَحْرَقَهُ اللهُ بِالنَّارِ»(٤).

وَفِي المُسْنَدِ، والسُّنَنِ عَنِ ابْنِ الدَّيْلَمِيِّ، قَالَ: «أَتَيْتُ أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي شَيْءٌ مِنَ القَدَرِ؛ فَحَدِّثْنِي بِشَيْءٍ لَعَلَّ اللهَ يُذْهِبُهُ مِنْ قَلْبِي، فَقَالَ: لَوْ أَنْفَقْتَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، مَا قَبِلَهُ اللهُ مِنْكَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ، وَتَعْلَمَ أَنَّ مَا

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٨).

(٢) صحيح: رواه أبو داود (٤٧٠٠)، والترمذي (٢١٥٥)، وصححه الألباني.

(٣) صحيح: رواه أحمد (٢٢٧٠٥)، وصححه الأرنؤوط.

(٤) رواه ابن وهب في «القدر» (٢٦).

أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَلَوْ مِتَّ عَلَى غَيْرِ هَذَا لَكُنْتَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ»، قَالَ: فَأَتَيْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ مَسْعُودٍ، وَحُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ، وَزَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ، فَكُلُّهُمْ حَدَّثَنِي بِمِثْلِ ذَلِكَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ(١). حَدِيثٌ صَحِيحٌ رَوَاهُ الْحَاكِمُ فِي صَحِيحِهِ.

الشَّرْح

قَوْلُهُ: «بَابُ مَا جَاءَ فِي مُنْكِرِي الْقَدَرِ»: أي من الوعيد الشديد.

والقَدَرُ: لغة: القضاء والحكم، وهو ما يُقَدِّره اللهِ عَزَّوَجَلَّ من القضاء وَيَحْكُمُ به من الأمور، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِي لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١﴾ [القدْر:١]؛ أي الحكم(٢).

وهو في الأصل مصدر؛ تقول: قدرتُ الشَّيْءَ - بفتح الدال وتخفيفها - أَقْدِرُهُ - بكسرها - قَدْرًا وقَدَرًا؛ إذا أحطتَ بمقداره(٣).

والقدر: شرعًا: أن الله تعالىٰ علم مقادير الأشياء وأزمانها قبل إيجادها، ثم أوجد ما سبق في علمه أنه يوجد، فكلُّ محدَث صادر عن علمه، وقدرته، وإرادته(٤).

قَوْلُهُ: «وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: وَالَّذِي نَفْسُ ابْنِ عُمَرَ بِيَدِهِ، لَوْ كَانَ لِأَحَدِهِمْ مِثْلُ أُحُدٍ ذَهَبًا، ثُمَّ أَنْفَقَهُ فِي سَبِيلِ اللهِ مَا قَبِلَهُ اللهُ مِنْهُ، حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ»:

نص الحديث: عَنْ يَحْيَىٰ بْنِ يَعْمَرَ، قَالَ: كَانَ أَوَّلَ مَنْ قَالَ فِي الْقَدَرِ بِالْبَصْرَةِ مَعْبَدٌ الْجُهَنِيُّ، فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَحُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحِمْيَرِيُّ حَاجَّيْنِ - أَوْ

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (٤٦٩٩)، وابن ماجه (٧٧)، وأحمد (٢١٥٨٩)، وابن حبان في صحيحه (٧٢٧)، وصححه الألباني.

(٢) انظر: «كتاب العين»، و«تهذيب اللغة»، و«لسان العرب»، مادة «قدر».

(٣) انظر: «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» (١/ ١١٨).

(٤) انظر: السابق (١/ ١١٨).

مُعْتَمِرَيْنِ - فَقُلْنَا: لَوْ لَقِينَا أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَسَأَلْنَاهُ عَمَّا يَقُولُ هَؤُلَاءِ فِي الْقَدَرِ، فَوُفِّقَ لَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ دَاخِلًا المَسْجِدَ، فَاكْتَنَفْتُهُ أَنَا وَصَاحِبِي أَحَدُنَا عَنْ يَمِينِهِ، وَالْآخَرُ عَنْ شِمَالِهِ، فَظَنَنْتُ أَنَّ صَاحِبِي سَيَكِلُ الْكَلَامَ إِلَيَّ، فَقُلْتُ: أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِنَّهُ قَدْ ظَهَرَ قِبَلَنَا نَاسٌ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ، وَيَتَقَفَّرُونَ الْعِلْمَ[1]، وَذَكَرَ مِنْ شَأْنِهِمْ، وَأَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنْ لَا قَدَرَ، وَأَنَّ الْأَمْرَ أُنُفٌ، قَالَ: «**فَإِذَا لَقِيتَ أُولَئِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنِّي بَرِيءٌ مِنْهُمْ، وَأَنَّهُمْ بُرَآءُ مِنِّي**»، وَالَّذِي يَحْلِفُ بِهِ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ «**لَوْ أَنَّ لِأَحَدِهِمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، فَأَنْفَقَهُ مَا قَبِلَ اللهُ مِنْهُ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ**»[2].

قَوْلُهُ: «ثُمَّ اسْتَدَلَّ بِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «الإِيمَانُ»»: أي في الشرع.

قَوْلُهُ: «أَنْ تُؤْمِنَ»: أي تقرُّ، وتصدِّق.

والإيمان: لغة: هو الإقرار والتصديق، يقال: آمنت بكذا إذا أقررته، وصدقت به[3].

قال ابن تيمية: «**معلوم أن الإيمان هو الإقرار لا مجرد التصديق، والإقرار ضمن قول القلب الذي هو التصديق، وعمل القلب الذي هو الانقياد**»[4].

قَوْلُهُ: «بِاللهِ»: هو التصديق والإقرار بأنه سبحانه موجود موصوف بصفات الجلال والكمال، منزه عن صفات النقص، وأنه واحد حق صمد، فرد خالق جميع المخلوقات، متصرف فيما يشاء يفعل في ملكه ما يريد[5].

قَوْلُهُ: «وَمَلَائِكَتِهِ»: هو التصديق والإقرار بأنهم عباد مُكرَمون لا يسبقونه

---

(١) **وَيَتَقَفَّرُونَ الْعِلْمَ:** أي ويتطلبونه. [**انظر:** «النهاية في غريب الحديث» (٤/ ٩٠)].

(٢) **صحيح:** رواه مسلم (٨).

(٣) **انظر:** «مقاييس اللغة»، و«لسان العرب»، مادة «آمن».

(٤) **انظر:** «مجموع الفتاوىٰ»، لابن تيمية (٧/ ٦٣٨).

(٥) **انظر:** «شرح الأربعين النووية»، لابن دقيق العيد، صـ(٢٩-٣٠).

بالقول، وهم بأمره يعملون[١].

قوله: «وَكُتُبِهِ»: هو التصديق والإقرار بأن الله عَزَّوَجَلَّ أنزل كتبا علىٰ رسله من أهل الأرض، واشتملت علىٰ عقائد، وأحكام.

قوله: «وَرُسُلِهِ»: هو التصديق والإقرار بأنهم صادقون فيما أخبروا به عن الله تعالىٰ أيدهم بالمعجزات الدالة علىٰ صدقهم، وأنهم بلغوا عن الله رسالاته، وبينوا للمكلفين ما أمرهم الله به، وأنه يجب احترامهم، وأن لا يفرق بين أحد منهم[٢].

قوله: «وَالْيَوْمِ الآخِرِ»: هو التصديق بيوم القيامة، وما اشتمل عليه من الإعادة بعد الموت، والحشر، والنشر، والحساب، والميزان، والصراط، والجنة، والنار، وأنهما دار ثوابه، وجزائه للمحسنين والمسيئين إلىٰ غير ذلك مما صح من النقل[٣].

قوله: «وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ»: أي بأن الله قدر في الأزل، وخلق، وأحاط علمه السابق، وكتب في اللوح المحفوظ كل شيء.

قوله: «خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»: أي شر المقدور لا شر القدر الذي هو فعل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ لأن فعل الله ليس فيه شر؛ لذا قال النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ**»[٤].

ومثال ذلك: أن الله عَزَّوَجَلَّ خلق ذوات السموم، وهي شر بالنسبة إلىٰ الإنسان، أما باعتبار نسبتها إلىٰ الله فهي خير محض.

وشر المقدور ليس شرا محضا، إنما فيه خير، فالمرض فيه خير وشر، خير لكونه يكفر السيئات ويرفع الدرجات، وشر لكونه يتعب الجسم.

---

(١) **انظر:** «شرح الأربعين النووية»، لابن دقيق العيد، صـ(٣٠).
(٢) **انظر:** «شرح الأربعين النووية»، لابن دقيق العيد، صـ(٣٠).
(٣) **انظر:** «شرح الأربعين النووية»، لابن دقيق العيد، صـ(٣٠).
(٤) **صحيح:** رواه مسلم (٧٧١)، من حديث علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال ابن القيم: «القدر لا شر فيه بوجه من الوجوه، فإنه علم الله وقدرته وكتابه ومشيئته وذلك خير محض وكمال مِن وجه، فالشر ليس إلىٰ الرب تعالىٰ بوجه من الوجوه لا في ذاته ولا في أسمائه ولا في صفاته ولا في أفعاله، وإنما يدخل الشر الجزئي الإضافي في المقضي المقدر، ويكون شرا بالنسبة إلىٰ محل وخيرا بالنسبة إلىٰ محل آخر، وقد يكون خيرا بالنسبة إلىٰ المحل القائم به من وجه كما هو شر له من وجه بل هذا هو الغالب، وهذا كالقصاص وإقامة الحدود وقتل الكفار، فإنه شر بالنسبة إليهم لا من كل وجه بل من وجه دون وجه، وخير بالنسبة إلىٰ غيرهم لما فيه من مصلحة الزجر والنكال ودفع الناس بعضهم ببعض، وكذلك الآلام والأمراض وإن كانت شرورا من وجه فهي خيرات من وجوه عديدة»[1].

قال الحافظ عبد الغني المقدسي: «أجمع أئمة السلف من أهل الإسلام علىٰ الإيمان بالقدر خيره وشره، حلوه ومره، قليله وكثيره، بقضاء الله وقدره، لا يكون شيء إلا بإرادته، ولا يجري خير وشر إلا بمشيئته، خلق من شاء للسعادة واستعمله بها فضلًا، وخلق من أراد للشقاء واستعمله به عدلا، فهو سرٌّ استأثر به، وعِلْم حجبه عن خلقه، ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾[الأنبياء:٢٣]»[2].

قَوْلُهُ: «وَعَنْ عُبَادَةَ بِنِ الصَّامِتِ، أَنَّهُ قَالَ لِابْنِهِ: يَا بُنَيَّ إِنَّكَ لَنْ تَجِدَ طَعْمَ الإِيمَانِ حَتَّى تَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ»: أي أن حصول اليقين للقلب بالقضاء السابق والتقدير الماضي يعين العبد علىٰ أن ترضىٰ نفسه بما أصابه، فمن استطاع أن يعمل في اليقين بالقضاء والقدر علىٰ الرضا بالمقدور، فليفعل، فإن لم يستطع الرضا، فإن في الصبر علىٰ المكروه خيرًا كثيرًا[3].

---

(١) انظر: «شفاء العليل»، لابن القيم (١/ ٢٦٨-٢٦٩).

(٢) انظر: «الاقتصاد في الاعتقاد»، للحافظ عبد الغني المقدسي، صـ(٧٧).

(٣) انظر: «جامع العلوم والحكم» (١/ ٤٨٥).

قال ابن رجب الحنبلي: «فالإيمان له حلاوة وطعم يذاق بالقلوب كما يذاق حلاوة الطعام والشراب بالفم، فإن الإيمان هو غذاء القلوب وقوتها كما أن الطعام والشراب غذاء الأبدان وقوتها، وكما أن الجسد لا يجد حلاوة الطعام والشراب إلا عند صحته فإذا سقم لم يجد حلاوة ما ينفعه من ذلك، بل قد يستحلي ما يضره وما ليس فيه حلاوة لغلبة السقم عليه، فكذلك القلب إنما يجدُ حلاوة الإيمان من أسقامه وآفاته، فإذا سلم من مرض الأهواء المضلة والشهوات المحرمة وجد حلاوة الإيمان حينئذ، ومتىٰ مرض وسقم لم يجد حلاوة الإيمان، بل يستحلي ما فيه هلاكه من الأهواء والمعاصي»(١).

وقال أيضًا: فهاتان درجتان للمؤمن بالقضاء والقدر في المصائب:

أحدهما: أن يرضىٰ بذلك، وهي درجة عالية رفيعة جدا، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [التغابن:١١].

قال علقمة: هي المصيبة تصيب الرجل، فيعلم أنها من عند الله، فيسلم لها ويرضىٰ.

فمن وصل إلىٰ هذه الدرجة، كان عيشه كله في نعيم وسرور، قال الله تعالىٰ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ [النحل:٩٧].

قال بعض السلف: الحياة الطيبة: هي الرضا والقناعة.

وأهل الرضا تارة يلاحظون حكمةَ المُبتلي وخيرته لعبده في البلاء، وأنه غير متهم في قضائه، وتارة يلاحظون ثواب الرضا بالقضاء، فينسيهم ألم المقضي به، وتارة يلاحظون عظمة المبتلي وجلاله وكماله، فيستغرقون في مشاهدة ذلك، حتىٰ لا يشعرون بالألم، وهذا يصل إليه خواص أهل المعرفة والمحبة، حتىٰ

---

(١) انظر: «فتح الباري شرح صحيح البخاري»، لابن رجب (١/ ٥٠).

ربما تلذذوا بما أصابهم لملاحظتهم صدوره عن حبيبهم.

والدرجة الثانية: أن يصبر علىٰ البلاء، وهذه لمن لم يستطع الرضا بالقضاء، فالرضا فضل مندوب إليه مستحب، والصبر واجب علىٰ المؤمن حتم، وفي الصبر خير كثير، فإن الله أمر به، ووعد عليه جزيل الأجر.

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾ [الزُّمَر: ١٠].

والفرق بين الرضا والصبر: أن الصبر كف النفس وحبسها عن التسخط مع وجود الألم، وتمني زوال ذلك، وكف الجوارح عن العمل بمقتضىٰ الجزع.

والرضا: انشراح الصدر وسعته بالقضاء، وترك تمني زوال ذلك المؤلم، وإن وجد الإحساس بالألم، لكن الرضا يخففه لما يباشر القلب من روح اليقين والمعرفة، وإذا قوي الرضا، فقد يزيل الإحساس بالألم بالكلية[(١)].

قَولُهُ: «سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ القَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ، فَقَالَ: رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ»»: هذا القلم خلقه لما أمره بالتقدير المكتوب قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وكان مخلوقا قبل خلق السموات والأرض وهو أول ما خلق من هذا العالم وخلقه بعد العرش كما دلت عليه النصوص وهو قول جمهور السلف[(٢)].

قال ابن القيم: يُفَسَّر هذا الحديث من وجهين:

«أحدهما: أن الأولية راجعة إلىٰ كتابته لا إلىٰ خلقه.

والثاني: أن المراد أول ما خلقه الله من هذا العالم بعد خلق العرش، فإن العرش مخلوق قبله في أصح قولي السلف»[(٣)].

---

(١) **انظر:** «جامع العلوم والحكم» (١/ ٤٨٦-٤٨٨).

(٢) **انظر:** «مجموع الفتاوىٰ» (١٨/ ٢١٣).

(٣) **انظر:** «اجتماع الجيوش الإسلامية» (٢/ ٢٥٣).

وقال أيضًا: الأقلام متفاوتة في الرتب فأعلاها، وأجلها قدرا قلم القدر السابق الذي كتب الله به مقادير الخلائق، واختلف العلماء هل القلم أو المخلوقات، أو العرش علىٰ قولين أصحهما أن العرش قبل القلم؛ لما ثبت في الصحيح من حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: «كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَىٰ المَاءِ»[1]، فهذا صريح أن التقدير وقع قبل خلق العرش والتقدير وقع عند أول خلق القلم لحديث عبادة هذا، ولا يخلو قوله: «إن أول ما خلق الله القلم» إلىٰ آخره إما أن يكون جملة، أو جملتين:

فإن كان جملةً وهو الصحيح كان معناه: أنه عند أول خلقه قال له: أكتب كما في لفظ أول ما خلق الله القلم قال له أكتب بنصب أول والقلم.

فإن كانا جملتين وهو مروىٰ برفع أول والقلم، فيتعين حمله علىٰ أنه أول المخلوقات من هذا العالم ليتفق الحديثان إذ حديث عبد الله بن عمرو صريح في أن العرش سابق علىٰ التقدير، والتقدير مقارن لخلق القلم، وفي اللفظ الآخر لما خلق الله القلم قال له: اكتب[2].

قَـوْلُـهُ: «يَا بُنَيَّ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ مَاتَ عَلَى غَيْرِ هَذَا فَلَيْسَ مِنِّي»»: أي ليس علىٰ سنتي، ولا هدي بل هو كافر بالله؛ لأنه أنكر القدر.

قال ابن تيمية: «قال الإمام أحمد: «القدر قدرة الله تعالىٰ»، يشير إلىٰ أن من أنكر القدر فقد أنكر قدرة الله تعالىٰ، وأنه يتضمن إثبات قدرة الله تعالىٰ علىٰ كل شيء»[3].

قَـوْلُـهُ: «وَفِي رِوَايَةٍ لِأَحْمَدَ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ تَعَالَى القَلَمَ، فَقَالَ لَهُ:

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٦٥٣).
(٢) انظر: «التبيان في أقسام القرآن»، لابن القيم، صـ (٢٠٧-٢٠٨).
(٣) انظر: «منهاج السنة»، لابن تيمية (٣/ ٢٥٤).

اكْتُبْ، فَجَرَى فِي تِلْكَ السَّاعَةِ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ»»: أي بما سيحدث في الدنيا من خير وشر إلىٰ يوم القيامة.

قَــوْلُــهُ: «وَفِي رِوَايَةٍ لِابْنِ وَهْبٍ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «فَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ أَحْرَقَهُ اللهُ بِالنَّارِ»»: هذا فيه دليل علىٰ أن إنكار القدر كفر بالله ﷻ، وأنه لا يتم إيمان أحد حتىٰ يؤمن بالقدر.

قَــوْلُــهُ: «وَفِي المسْنَدِ والسُّنَنِ عَنِ ابْنِ الدَّيْلَمِيِّ، قَالَ: «أَتَيْتُ أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي شَيْءٌ مِنَ القَدَرِ»»: أي اضطراب عظيم من بعض شُبه القدر التي ربما تؤدي إلىٰ الشك فيه كاعتقاد أن الإنسان يخلق فعل نفسه كما قالته المعتزلة، أو أنه مجبور علىٰ الفعل كما قالته الجبرية فكيف يعذب؟.

ومن جهة أمر القضاء والقدر باعتبار العقل لا بموجب النقل[1].

قَــوْلُــهُ: «فَحَدِّثْنِي بِشَيْءٍ»: أي بحديث.

قَــوْلُــهُ: «لَعَلَّ اللهَ يُذْهِبُهُ مِنْ قَلْبِي»: أي رجاء أن يزيل ذلك مني[2].

قَــوْلُــهُ: «فَقَالَ»: أي أُبي بن كعب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ متحريا غاية البيان الشافي، وغاية الإرشاد الوافي[3].

قَــوْلُــهُ: «لَوْ أَنْفَقْتَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، مَا قَبِلَهُ اللهُ مِنْكَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ»: أي بأن جميع الأمور الكائنة خيرها، وشرها، وحلوها، ومرها، ونفعها، وضرها، وقليلها، وكثيرها، وكبيرها، وصغيرها، بقضائه وقدره، وإرادته وأمره[4].

قَــوْلُــهُ: «وَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ»: أي من النعمة، والبلية، أو الطاعة، والمعصية

---

(١) انظر: «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (١/ ١٨٨).
(٢) انظر: «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (١/ ١٨٩).
(٣) انظر: «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (١/ ١٨٩).
(٤) انظر: «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (١/ ١٨٩).

مما قدره الله لك، أو عليك[١].

قَــوْلُــهُ: «لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ»: أي يجاوزك[٢].

قَــوْلُــهُ: «وَمَا أَخْطَأَكَ»: أي من الخير، والشر[٣].

قَــوْلُــهُ: «لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ»: كما في قوله تعالىٰ: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾[التوبة:٥١].

قَــوْلُــهُ: «وَلَوْ مِتَّ عَلَى غَيْرِ هَذَا»: أي علىٰ اعتقاد غير هذا الذي ذكرت لك من الإيمان بالقدر[٤].

قَــوْلُــهُ: «لَكُنْتَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ»: لأن من أنكر القدر كفر.

قَــوْلُــهُ: «قَالَ»: أي ابن الديلمي.

قَــوْلُــهُ: «فَأَتَيْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ مَسْعُودٍ وَحُذَيْفَةَ بْنَ اليَمَانِ، وَزَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ، فَكُلُّهُمْ حَدَّثَنِي بِمِثْلِ ذَلِكَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ»: أي مثل جواب أُبي بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في سؤالي.



(١) انظر: «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (١/ ١٨٩).

(٢) انظر: «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (١/ ١٨٩).

(٣) انظر: «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (١/ ١٨٩).

(٤) انظر: «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (١/ ١٨٩).

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأُولَى: بَيَانُ فَرْضِ الإِيمَانِ بِالْقَدَرِ.

الثَّانِيَةُ: بَيَانُ كَيْفِيَّةِ الإِيمَانِ.

الثَّالِثَةُ: إِحْبَاطُ عَمَلِ مَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِهِ.

الرَّابِعَةُ: الإِخْبَارُ أَنَّ أَحَدًا لَا يَجِدُ طَعْمَ الإِيمَانِ حَتَّى يُؤْمِنَ بِهِ.

الخَامِسَةُ: ذِكْرُ أَوَّلِ مَا خَلَقَ اللهُ.

السَّادِسَةُ: أَنَّهُ جَرَى بِالمَقَادِيرِ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ.

السَّابِعَةُ: بَرَاءَتُهُ ﷺ مِمَّنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِهِ.

الثَّامِنَةُ: عَادَةُ السَّلَفِ فِي إِزَالَةِ الشُّبْهَةِ بِسُؤَالِ العُلَمَاءِ.

التَّاسِعَةُ: أَنَّ العُلَمَاءَ أَجَابُوهُ بِمَا يُزِيلُ شُبْهَتَهُ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ نَسَبُوا الكَلَامَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَطْ.

الشَّرْح

قَوْلُهُ: «الأُولَى: بَيَانُ فَرْضِ الإِيمَانِ بِالْقَدَرِ»: لقول ابن عمر: «وَالَّذِي نَفْسُ ابْنِ عُمَرَ بِيَدِهِ، لَوْ كَانَ لِأَحَدِهِمْ مِثْلُ أُحُدٍ ذَهَبًا، ثُمَّ أَنْفَقَهُ فِي سَبِيلِ اللهِ مَا قَبِلَهُ اللهُ مِنْهُ حَتَّىٰ يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ».

قَوْلُهُ: «الثَّانِيَةُ: بَيَانُ كَيْفِيَّةِ الإِيمَانِ»: كما في قول عُبَادَةَ بنِ الصَّامِتِ لِابْنِهِ: «يَا بُنَيَّ إِنَّكَ لَنْ تَجِدَ طَعْمَ الإِيمَانِ حَتَّىٰ تَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ».

قَوْلُهُ: «الثَّالِثَةُ: إِحْبَاطُ عَمَلِ مَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِهِ»: أي بالقدر؛ لقول ابن عمر: «وَالَّذِي نَفْسُ ابْنِ عُمَرَ بِيَدِهِ، لَوْ كَانَ لِأَحَدِهِمِ مِثْلُ أُحُدٍ ذَهَبًا، ثُمَّ أَنْفَقَهُ فِي سَبِيلِ اللهِ مَا قَبِلَهُ اللهُ مِنْهُ، حَتَّىٰ يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ».

قَـوْلُـهُ: «الرَّابِعَةُ: الإِخْبَارُ أَنَّ أَحَدًا لَا يَجِدُ طَعْمَ الإِيمَانِ حَتَّى يُؤْمِنَ بِهِ»: كما في قول عُبَادَةَ بنِ الصَّامِتِ لِابْنِهِ: «يَا بُنَيَّ إِنَّكَ لَنْ تَجِدَ طَعْمَ الإِيمَانِ حَتَّىٰ تَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ».

قَـوْلُـهُ: «الخَامِسَةُ: ذِكْرُ أَوَّلِ مَا خَلَقَ اللهُ»: أي القلم، كما في قول النبي ﷺ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ القَلَمَ»، والصحيح أن أول المخلوقات العرش، كما تقدم.

قَـوْلُـهُ: «السَّادِسَةُ: أَنَّهُ جَرَىٰ بِالمَقَادِيرِ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ إِلَىٰ قِيَامِ السَّاعَةِ»: كما في قول النبي ﷺ أن الله عَزَّوَجَلَّ قال للقلم: «اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ تَقُومَ السَّاعَةُ».

قَـوْلُـهُ: «السَّابِعَةُ: بَرَاءَتُهُ ﷺ مِمَّنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِهِ»: كما في قوله ﷺ: «مَنْ مَاتَ عَلَىٰ غَيْرِ هَذَا فَلَيْسَ مِنِّي».

قَـوْلُـهُ: «الثَّامِنَةُ: عَادَةُ السَّلَفِ فِي إِزَالَةِ الشُّبْهَةِ بِسُؤَالِ العُلَمَاءِ»: كما فعل ابن الديلمي لما أتىٰ أُبي بن كعب.

قَـوْلُـهُ: «التَّاسِعَةُ: أَنَّ العُلَمَاءَ أَجَابُوهُ بِمَا يُزِيلُ شُبْهَتَهُ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ نَسَبُوا الكَلَامَ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَطْ»: ذلك عندما سأل أُبي بن كعب، وابن مسعود، وحذيفة بن اليمان، وزيد بن ثابت أخبروه بما سمعوه من رسول الله ﷺ.



[٦٠] بابُ ما جَاء في المصوِّرِيْنَ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: قَالَ اللهُ تَعَالَى: «وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي؛ فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً، أَوْ لِيَخْلُقُوا حَبَّةً، أَوْ لِيَخْلُقُوا شَعِيْرَةً»(١) أَخْرَجَاهُ.

وَلَهُمَا عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ القِيَامَةِ الَّذِينَ يُضَاهِئُونَ بِخَلْقِ اللهِ»(٢).

وَلَهُمَا عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «كُلُّ مُصَوِّرٍ فِي النَّارِ يُجْعَلُ لَهُ بِكُلِّ صُورَةٍ صَوَّرَهَا نَفْسٌ يُعَذَّبُ بِهَا فِي جَهَنَّمَ»(٣).

وَلَهُمَا عَنْهُ مَرْفُوعًا: «مَنْ صَوَّرَ صُورَةً فِي الدُّنْيَا كُلِّفَ أَنْ يَنْفُخَ فِيهَا الرُّوحَ وَلَيْسَ بِنَافِخٍ»(٤).

وَلِمُسْلِمٍ عَنْ أَبِي الهَيَّاجِ قَالَ: «قَالَ لِي عَلِيٌّ: أَلَا أَبْعَثُكَ عَلَى مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ؟ أَلَّا تَدَعَ صُورَةً إِلَّا طَمَسْتَهَا، وَلَا قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَّيْتَهُ»(٥).

الشَّرح

قَوْلُهُ: «بابُ ما جَاء في المصوِّرِيْنَ»: أي من الوعيد الشديد.

قال ابن الجوزي: «أما المصورون فإنما اشتد عذابهم؛ لأنهم ضاهوا فعل الله عَزَّوَجَلَّ»(٦).

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٥٩٥٣)، ومسلم (٢١١١).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٥٩٥٤)، ومسلم (٢١٠٧).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٢٢٢٥)، ومسلم (٢١١٠)، واللفظ له بنحوه.

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (٥٩٦٣)، ومسلم (٢١١٠).

(٥) صحيح: رواه مسلم (٩٦٩).

(٦) انظر: «كشف المشكل من حديث الصحيحين» (١/ ٢٨٠).

وقال ابن رجب الحنبلي: «تصوير الصور للتآنس برؤيتها أو للتنزه بذلك والتلهي محرم، وهو من الكبائر وفاعله من أشد الناس عذابا يوم القيامة»[(١)].

قَولُهُ: «عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: قَالَ اللهُ تَعَالَى: «وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ»: أي قصد[(٢)].

قَولُهُ: «يَخْلُقُ كَخَلْقِي»: أي لا أحد أظلمُ ممن قصد حال كونه يخلق أي: يصنع، ويُقدِّر كخلقي[(٣)]، والتشبيه في فعل الصورة وحدها لا من كل الوجوه[(٤)].

قال ابن حجر: «يتناول ما فيه روح، وما لا روح فيه»[(٥)].

قَولُهُ: «فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً، أَوْ لِيَخْلُقُوا حَبَّةً، أَوْ لِيَخْلُقُوا شَعِيْرَةً»: المراد بالحبة حبة القمح بقرينة ذكر الشعير، أو الحبة أعم، والمراد بالذرة النملة، والغرض تعجيزهم تارة بتكليفهم خلق حيوان وهو أشد، وأُخرىٰ بتكليفهم خلق جماد وهو أهون، ومع ذلك لا قدرة لهم علىٰ ذلك[(٦)].

قال النووي: «أي ليخلقوا حبة فيها طعم تؤكل، وتزرع، وتنبت، ويوجد فيها ما يوجد في حبة الحنطة، والشعير، ونحوهما من الحب الذي يخلقه الله تعالىٰ، وهذا أمر تعجيز»[(٧)].

قال ابن بطال: «يريد يصور صورة تشبه خلقي، فسمىٰ فعل الإنسان في

---

(١) انظر: «فتح الباري شرح صحيح البخاري»، لابن رجب (٣/ ٢٠٤).
(٢) انظر: «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» (١٠/ ٣٨٦).
(٣) انظر: «عمدة القاري شرح صحيح البخاري» (٢٢/ ٧١).
(٤) انظر: «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» (١٠/ ٣٨٦).
(٥) انظر: «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» (١٠/ ٣٩٥).
(٦) انظر: «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» (١٠/ ٣٨٦).
(٧) انظر: «شرح صحيح مسلم» (١٤/ ٩١).

تصوير مثالها خلقًا له توبيخًا له علىٰ تشبهه بالله فيما صور، فأحكم وأتقن علىٰ غير مثال احتذاه ولا من شيء قديم ابتداه، بل أنشأ من معدوم، وابتدع من غير معلوم، وأنتم صورتم من خشب موجود وحجر غير مفقود علىٰ شبه معهود مضاهين له»[1].

قال ابن بطال: «فدخل في ذلك جميع وجوه استعمال الصور في البُّسط واللِّباس وغيره، وفي حديث أبي هريرة دليل علىٰ أن نهيه عَلَيْهِ السَّلَامُ عن الصور مجمل، معناه عندهم علىٰ العموم أيضًا في الحيطان، والثياب، وغيرها»[2].

قال ابن حجر معلِّقًا علىٰ كلام ابن بطال: «هو ظاهر من عموم اللفظ، ويحتمل أن يُقْصر علىٰ ما له ظل من جهة قوله: كخلقي، فإن خلقه الذي اخترعه ليس صورة في حائط بل هو خلق تام لكن بقية الحديث تقتضي تعميم الزجر عن تصوير كل شيء، وهي قوله: فليخلقوا حبة وليخلقوا ذرَّة وهي بفتح المعجمة وتشديد الراء، ويجاب عن ذلك بأن المراد إيجاد حبة علىٰ الحقيقة لا تصويرها»[3].

قَوْلُهُ: «وَلَهُمَا»: أي للبخاري، ومسلم.

قَوْلُهُ: «عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِينَ يُضَاهِئُونَ بِخَلْقِ اللهِ»»: أي يشبهون ما يصنعونه بما يصنعه الله[4].

قَوْلُهُ: «وَلَهُمَا»: أي للبخاري، ومسلم.

قَوْلُهُ: «عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «كُلُّ مُصَوِّرٍ فِي النَّارِ يُجْعَلُ لَهُ»»: أي يجعل الله له.

---

(١) انظر: «شرح صحيح البخاري»، لابن بطال (١٠/ ٥٥٥).

(٢) انظر: «شرح صحيح البخاري»، لابن بطال (٩/ ١٧٦).

(٣) انظر: «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» (١٠/ ٣٨٦).

(٤) انظر: «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» (١٠/ ٣٨٧).

قَـوْلُـهُ: «بِكُلِّ صُورَةٍ صَوَّرَهَا نَفْسٌ يُعَذَّبُ بِهَا فِي جَهَنَّمَ»: يحتمل أن الصورة التي صورها تعذِّبه بعد أن يجعل فيها نفس أو روح، والباء بمعنىٰ «في»، ويحتمل أن يجعل له بعدد كل صورة ومكانها نفس أي شخص يعذبه، وتكون الباء بمعنىٰ لام السبب، أو من أَجْل[(١)].

قال الشوكاني: «الحديثان يدلان علىٰ أن التصوير من أشد المحرمات للتوعد عليه بالتعذيب في النار، وبأن كل مصور من أهل النار لورود لعن المصورين في أحاديث أُخر، وذلك لا يكون إلا علىٰ محرم متبالغ في القبح، وإنما كان التصوير من أشد المحرمات الموجبة لما ذكر؛ لأن فيه مضاهاة لفعل الخالق جل جلاله، ولهذا سمىٰ الشارع فعلهم خلقا وسماهم خالقين وظاهر قوله: «كل مصور»، وقوله: «بكل صورة صورها» أنه لا فرق بين المطبوع في الثياب، وبين ما له جُرْم مستقل»[(٢)].

قَـوْلُـهُ: «وَلَهُمَا عَنْهُ مَرْفُوعًا: «مَنْ صَوَّرَ صُورَةً فِي الدُّنْيَا كُلِّفَ أَنْ يَنْفُخَ فِيهَا الرُّوحَ وَلَيْسَ بِنَافِخٍ»»: أي لا يمكنه ذلك فيكون معذبًا دائمًا، وإنما القصد طول تعذيبه وإظهار عجزه عما كان تعاطاه، ومبالغة في توبيخه، وبيان قبح فعله[(٣)].

قال القاضي عياض: فيه «دليل علىٰ أن هذا الوعيد في المصور لما له روح، خلاف ما لا روح فيه من الثمار، فقد أجاز هذا العلماء، وأجازوا صنعته والتكسب به، إلا مجاهدا فإنه جعل الشجر المثمر من المكروه، ولم يقله غيره»[(٤)].

قَـوْلُـهُ: «وَلِمُسْلِمٍ عَنْ أَبِي الهَيَّاجِ قَالَ: «قَالَ لِي عَلِيٌّ: أَلَا أَبْعَثُكَ»»: بفتح

---

(١) انظر: «إكمال المُعلِم بفوائد مسلم» (٦/ ٦٣٧).
(٢) انظر: «نيل الأوطار» (٢/ ١٢٢).
(٣) انظر: «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» (١٠/ ٣٩٤).
(٤) انظر: «إكمال المُعلِم بفوائد مسلم» (٦/ ٦٣٨).

اللام للتنبيه، وقيل بتشديدها للتحضيض[(١)].

قَوْلُهُ: «عَلَىٰ مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ؟»: أي أرسلني إلىٰ تغييره[(٢)].

قَوْلُهُ: «أَلَّا تَدَعَ»: أي لا تترك[(٣)].

قَوْلُهُ: «صُورَةً إِلَّا طَمَسْتَهَا»: أي محوتها[(٤)].

قَوْلُهُ: «وَلَا قَبْرًا مُشْرِفًا»: أي عاليا[(٥)].

قَوْلُهُ: «إِلَّا سَوَّيْتَهُ»: أي لا تُبنىٰ ولا تُرفع، وتكون علىٰ وجه الأرض نحوًا من شبر.

وجمع العلماء بين الأمر بتسويتها، وبين تسنيمها: أن تسويتها ألا يبنىٰ عليها بناء عاليا ولا تعظَّم كما كانت قبور المشركين، وتكون لاطيةً بالأرض، ثم تسنَّم؛ ليتميز أنه قبر[(٦)].

قال ابن الجوزي: «وعلىٰ هذا يكره تعلية القبر، فأما التسنيم فهو السنة عندنا، وعند الشافعي السنة تسطيح القبور»[(٧)].

قال القاضي عياض: «فيه الأمر بتغيير الصور ذوات الروح، وأن إبقاءها من المناكير»[(٨)].

---

(١) انظر: «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٣/ ١٢١٦).

(٢) انظر: «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٣/ ١٢١٦).

(٣) انظر: «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٣/ ١٢١٦).

(٤) انظر: «كشف المشكل من حديث الصحيحين» (١/ ٢١٤).

(٥) انظر: «كشف المشكل من حديث الصحيحين» (١/ ٢١٥).

(٦) انظر: «إكمال المُعلِم بفوائد مسلم» (٣/ ٤٣٨-٤٣٩).

(٧) انظر: «كشف المشكل من حديث الصحيحين» (١/ ٢١٥).

(٨) انظر: «إكمال المُعلِم بفوائد مسلم» (٣/ ٤٣٩).

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأُولَى: التَّغْلِيظُ الشَّدِيدُ فِي المُصَوِّرِينَ.

الثَّانِيَةُ: التَّنْبِيهُ عَلَى العِلَّةِ وَهُوَ تَرْكُ الأَدَبِ مَعَ اللهِ؛ لِقَوْلِهِ: «وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي».

الثَّالِثَةُ: التَّنْبِيهُ عَلَى قُدْرَتِهِ، وَعَجْزِهِمْ؛ لِقَوْلِهِ: «فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً، أَوْ شَعِيرَةً».

الرَّابِعَةُ: التَّصْرِيحُ بِأَنَّهُمْ أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا.

الخَامِسَةُ: أَنَّ اللهَ يَخْلُقُ بِعَدَدِ كُلِّ صُورَةٍ نَفْسًا يُعَذَّبُ بِهَا المُصَوِّرُ فِي جَهَنَّمَ.

السَّادِسَةُ: أَنَّهُ يُكَلَّفُ أَنْ يَنْفُخَ فِيهَا الرُّوحَ.

السَّابِعَةُ: الأَمْرُ بِطَمْسِهَا إِذَا وُجِدَتْ.

الشَّرْح

قَوْلُهُ: «الأُولَى: التَّغْلِيظُ الشَّدِيدُ فِي المُصَوِّرِينَ»: كما تقدم في الأحاديث السابقة.

قَوْلُهُ: «الثَّانِيَةُ: التَّنْبِيهُ عَلَى العِلَّةِ وَهُوَ تَرْكُ الأَدَبِ مَعَ اللهِ، لِقَوْلِهِ: «وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي»»: العلة من التحريم هي ترك الأدب مع الله ﷻ.

قَوْلُهُ: «الثَّالِثَةُ: التَّنْبِيهُ عَلَى قُدْرَتِهِ، وَعَجْزِهِمْ؛ لِقَوْلِهِ: «فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً، أَوْ شَعِيرَةً»»: أي أن الله ﷻ هو القادر علىٰ كل شيء، وهم لا يستطيعون خلق شيء؛ لعجزهم.

قَوْلُهُ: «الرَّابِعَةُ: التَّصْرِيحُ بِأَنَّهُمْ أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا»: كما في قوله ﷺ: «أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ القِيَامَةِ الَّذِينَ يُضَاهِئُونَ بِخَلْقِ اللهِ».

قَـوْلُـهُ: «الخَامِسَةُ: أَنَّ اللهَ يَخْلُقُ بِعَدَدِ كُلِّ صُورَةٍ نَفْسًا يُعَذِّبُ بِهَا المُصَوِّرَ فِي جَهَنَّمَ»: كما في قوله ﷺ: «يُجْعَلُ لَهُ بِكُلِّ صُورَةٍ صَوَّرَهَا نَفْسٌ يُعَذَّبُ بِهَا فِي جَهَنَّمَ».

قَـوْلُـهُ: «السَّادِسَةُ: أَنَّهُ يُكَلَّفُ أَنْ يَنْفُخَ فِيهَا الرُّوحَ»: كما في قوله ﷺ: «مَنْ صَوَّرَ صُورَةً فِي الدُّنْيَا كُلِّفَ أَنْ يَنْفُخَ فِيهَا الرُّوحَ وَلَيْسَ بِنَافِخٍ».

قَـوْلُـهُ: «السَّابِعَةُ: الأَمْرُ بِطَمْسِهَا إِذَا وُجِدَتْ»: كما في قول علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لأبي الهياج: «أَلَا أَبْعَثُكَ عَلَىٰ مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ؟ أَلَّا تَدَعَ صُورَةً إِلَّا طَمَسْتَهَا، وَلَا قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَّيْتَهُ».

[٦١] بَابُ مَا جَاءَ فِي كَثْرَةِ الحَلِفِ

وَقَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ﴾ [المائدة:٨٩].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «الحَلِفُ مَنْفَقَةٌ لِلسِّلْعَةِ، مَمْحَقَةٌ لِلْكَسْبِ»(١) أَخْرَجَاهُ.

وَعَنْ سَلْمَانَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: أُشَيمِطٌ زَانٍ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ، وَرَجُلٌ جَعَلَ اللهَ بِضَاعَتَهُ؛ لَا يَشْتَرِي إِلَّا بِيَمِينِهِ، وَلَا يَبِيعُ إِلَّا بِيَمِينِهِ»(٢) رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ.

وَفِي الصَّحِيحِ عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ» قَالَ عِمْرَانُ: فَلَا أَدْرِي أَذَكَرَ بَعْدَ قَرْنِهِ مَرَّتَيْنِ، أَوْ ثَلَاثًا؟ «ثُمَّ إِنَّ بَعْدَكُمْ قَوْمًا يَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ، وَيَخُونُونَ وَلَا يُؤْتَمَنُونَ، وَيَنْذِرُونَ وَلَا يُوفُونَ، وَيَظْهَرُ فِيهِمُ السِّمَنُ»(٣).

وَفِيهِ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ، وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ»(٤).

وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ: «كَانُوا يَضْرِبُونَنَا عَلَى الشَّهَادَةِ، وَالْعَهْدِ وَنَحْنُ صِغَارٌ»(٥).

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٢٠٨٧)، ومسلم (١٦٠٦).

(٢) صحيح: رواه الطبراني في «الصغير» (٨٢١)، و«الكبير» (٦١١١)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٠٧٢).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٢٦٥١)، ومسلم (٢٥٣٥).

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (٢٦٥٢)، ومسلم (٢٥٣٣).

(٥) انظر: «صحيح البخاري» (٥/ ٣).

الشَّرح

قَولُهُ: «بَابُ مَا جَاءَ فِي كَثْرَةِ الحَلِفِ»: أي من الوعيد الشديد.

قَولُهُ: «وَقَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ﴾»: أي واحفظوا أيها الذين آمنوا أيمانكم أن تحنثوا فيها، ثم تضيعوا الكفارة فيها[1].

وقال الواحدي عن ابن عباس: «لا تحلفوا»[2].

قال البغوي: «وقيل: هو الأصح»[3].

وقال ابن كثير: «أي لا تتركوها بلا تكفير»[4].

قَولُهُ: «عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «الحَلِفُ»: أي اليمين الكاذبة[5]، أو كثرة الحلف[6].

قَولُهُ: «مَنْفَقَةٌ»: أي هي مظِنة لنفاقها وموضع له[7]، من نفق البيع إذا راج ضد كسد[8].

قَولُهُ: «لِلسِّلْعَةِ»: أي المتاع، وما يتجر فيه[9].

قَولُهُ: «مَمْحَقَةٌ»: أي مُذهِبة[10].

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١٠/ ٥٦٢).

(٢) انظر: «التفسير الوسيط» (٢/ ٢٢٢)،

(٣) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ٨٠).

(٤) انظر: «تفسير ابن كثير» (٤/ ٥٩٨).

(٥) انظر: «إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري» (٤/ ٢٩).

(٦) انظر: «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٥/ ١٩٠٥).

(٧) انظر: «النهاية في غريب الحديث» (٥/ ٩٩).

(٨) انظر: «إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري» (٤/ ٢٩).

(٩) انظر: «إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري» (٤/ ٢٩).

(١٠) انظر: «إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري» (٤/ ٢٩).

والمحق: النقص والمحو والإبطال، وممحقة: أي مظنة له[(١)].

قَـوْلُـهُ: «لِلْكَسْبِ»: أي للنماء، والزيادة المقصودة منها[(٢)].

قَـوْلُـهُ: «وَعَنْ سَلْمَانَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمْ اللهُ»»: أي لا يكلمهم كلاما يسرهم استهانة بهم، وغضبا عليهم بما انتهكوا من محرماته، وخالفوا من أوامره[(٣)].

قَـوْلُـهُ: «وَلَا يُزَكِّيهِمْ»: لكونهم لم يزكوا أحكامه[(٤)].

قَـوْلُـهُ: «وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ»: أي موجِع، لما عظم ذنبهم عظمت عقوبتهم، فعوقبوا بهذه الثلاث التي هي أعظم العقوبات[(٥)].

قَـوْلُـهُ: «أُشَيمِطٌ زَانٍ»: أي ذو شيب[(٦)].

قَـوْلُـهُ: «وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ»: أي فقير ذو عيال متكبر لا يقدر على تحصيل مؤونة عياله، ولا يطلب من بيت المال، أو من الناس، فهو آثم؛ لإيصال الضرر إلى عياله[(٧)].

قَـوْلُـهُ: «وَرَجُلٌ جَعَلَ اللهَ بِضَاعَتَهُ؛ لَا يَشْتَرِي إِلَّا بِيَمِينِهِ، وَلَا يَبِيعُ إِلَّا بِيَمِينِهِ»: أي لا يشتري شيئًا إلا بالحلف، ولا يبيع شيئًا إلا كذلك.

قال القونوي: سر ما تقرر في الحديث أن الزنا في الشباب له فيه نوع عُذر، فإن الطبيعة تقتضيه، وأما الشيخ فشهوته ضعفت، فإذا كان زانيا فليس ذلك

---

(١) انظر: «النهاية في غريب الحديث» (٤/ ٣٠٣).

(٢) انظر: «تطريز رياض الصالحين»، صـ(٩٧٩).

(٣) انظر: «فيض القدير شرح الجامع الصغير» (٣/ ٣٣٠، ٣٣٢).

(٤) انظر: «فيض القدير شرح الجامع الصغير» (٣/ ٣٣٢).

(٥) انظر: «فتح المجيد شرح كتاب التوحيد»، صـ(٤٩٠).

(٦) انظر: «النهاية في غريب الحديث» (٢/ ٥٠١).

(٧) انظر: «فيض القدير شرح الجامع الصغير» (٣/ ٣٣٢).

إلا لكونه مفسدًا بالطبع.

وأما العائل المستكبر، فالتكبر ينقسم إلىٰ قسمين: ذاتي، وصفاتي، فالتكبر الصفاتي محصور في موجبين المال، والجاه فالتكبر من الناس، وإن كان قبيحا شرعًا وعقلًا لكن لأصحاب الجاه والمال فيه صورة عذر، وأما عادمهما إذا تكبر فلا عذر له بوجه[(١)].

قَولُهُ: «وَفِي الصَّحِيحِ عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَينٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ»»: أي القرن الذي بعدهم وهم التابعون[(٢)]؛ من ولِيه يلِيه، بالكسر فيهما، والوَلْيُ: القرب والدنو[(٣)].

قَولُهُ: «ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ»: أي أتباع التابعين[(٤)].

قال القاضي عياض: واختلف الناس في القرن ما هو؟ وما المراد بقرني هنا؟

فقال المغيرة: قرنه: أصحابه، والذي يليه: أبناؤهم، والثالث: أبناء أبنائهم.

وقال شمر: قرنه: ما بقيت نفس رأته، والثاني: ما بقيت نفس رأت من رآه، ثم كذلك. وقال غير واحد: القرن: كل طبقة مقترنة في وقت، وقيل ذلك لأهل كل مدة بعث فيها نبي طالت أو قصرت، واشتقاقه من الاقتران.

واختلف في لفظ «**القرن**»، فقال الحربىٰ: من عشر سنين إلىٰ مائة وعشرين، وليس منه شيء واضح، والقرن: كل أمة هلكت فلم يبق منها أحد.

وقال الحسن وغيره: القرن عشر سنين.

وقال قتادة: سبعون، ونحوه عن علي بن أبي طالب.

---

(١) **انظر:** «فيض القدير شرح الجامع الصغير» (٣/ ٣٣٢).

(٢) **انظر:** «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» (٧/ ٦).

(٣) **انظر:** «عمدة القاري شرح صحيح البخاري» (١٣/ ٢١٣).

(٤) **انظر:** «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» (٧/ ٦).

وقيل: ستون.

وقال زرارة بن أوفىٰ: فهو مائة وعشرون سنة.

وقيل: ثمانون، وقيل: أربعون، وهو قول النخعي، وحكي هذان القولان أيضًا عن الحسن.

وقيل: مائة سنة(١).

وقال النووي: «والصحيح أن قرنه ﷺ: الصحابة، والثاني التابعون، والثالث تابعوهم»(٢).

وقال أيضًا: «اتفق العلماء علىٰ أن خير القرون قرنه ﷺ، والمراد أصحابه.

وقد قدمنا أن الصحيح الذي عليه الجمهور أن كل مسلم رأىٰ النبي ﷺ ولو ساعة فهو من أصحابه ورواية: «خير الناس» علىٰ عمومها.

والمراد منه: جملة القرن، ولا يلزم منه تفضيل الصحابي علىٰ الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، ولا أفراد النساء علىٰ مريم وآسية وغيرهما بل المراد جملة القرن بالنسبة إلىٰ كل قرن بجملته»(٣).

وقال ابن حجر: «واقتضىٰ هذا الحديث أن تكون الصحابة أفضل من التابعين، والتابعون أفضل من أتباع التابعين، لكن هل هذه الأفضلية بالنسبة إلىٰ المجموع أو الأفراد محل بحث وإلىٰ الثاني نحا الجمهور، والأول قول ابن عبد البر، والذي يظهر أن من قاتل مع النبي ﷺ، أو في زمانه بأمره أو أنفق شيئًا من ماله بسببه لا يعدله في الفضل أحد بعده كائنا من كان، وأما من لم يقع له ذلك فهو محل البحث، والأصل في ذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ

---

(١) **انظر:** «إكمال المُعلِم بفوائد مسلم» (٧/ ٥٧٠-٥٧١).

(٢) **انظر:** «شرح صحيح مسلم» (١٦/ ٨٥).

(٣) **انظر:** «شرح صحيح مسلم» (١٦/ ٨٤-٨٥).

وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟﴾[الحديد: ١٠] الآية»[1].

قَـوْلُـهُ: «قَالَ عِمْرَانُ: فَلَا أَدْرِي أَذْكَرَ بَعْدَ قَرْنِهِ مَرَّتَيْنِ، أَوْ ثَلَاثًا؟ «ثُمَّ إِنَّ بَعْدَكُمْ قَوْمًا يَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ»: لأن الشهادة قبل الاستشهاد فيها معنىٰ الجور[2].

قال العيني: «يحتمل أن يراد: يتحملون الشهادة بدون التحميل، أو يؤدون الشهادة بدون طلب الأداء»[3].

قَـوْلُـهُ: «وَيَخُونُونَ»: من الخيانة.

قَـوْلُـهُ: «وَلَا يُؤْتَمَنُونَ»: أي لا يثق الناس بهم ولا يعتقدونهم، أي يكون لهم خيانة ظاهرة بحيث لا يبقىٰ للناس اعتماد عليهم[4].

قال النووي: «معناه يخونون خيانة ظاهرة بحيث لا يبقىٰ معها أمانة بخلاف من خان بحقير مرة واحدة، فإنه يصدق عليه أنه خان، ولا يَخرُج به عن الأمانة في بعض المواطن»[5].

قَـوْلُـهُ: «وَيَنْذِرُونَ»: هو بكسر الذال وضمها لغتان[6].

قَـوْلُـهُ: «وَلَا يُوفُونَ»: وفي رواية يفون، وهما صحيحان، من الوفاء أي: ويؤدون ما وجب عليهم، ولا يبالون بتركها بخلاف الأبرار علىٰ ما قال سبحانه في حقهم: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾﴾ [الإنسان:٧]، وقد قال تعالىٰ:

(١) انظر: «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» (٧/ ٦).
(٢) انظر: «عمدة القاري شرح صحيح البخاري» (١٣/ ٢١٣).
(٣) انظر: «عمدة القاري شرح صحيح البخاري» (١٣/ ٢١٣).
(٤) انظر: «عمدة القاري شرح صحيح البخاري» (١٣/ ٢١٣).
(٥) انظر: «شرح صحيح مسلم» (١٦/ ٨٨).
(٦) انظر: «شرح صحيح مسلم» (١٦/ ٨٨).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ﴾ [المائدة:١] أي بالأيمان، والنذور، والعهود[١].

قال القاضي عياض: فيه «دليل علىٰ وجوب الوفاء بالنذر ولزومه، وذم من لم يفعل ذلك»[٢].

وقال النووي: «وفيه وجوب الوفاء بالنذر، وهو واجب بلا خلاف»[٣].

قَولُهُ: «وَيَظْهَرُ فِيهِمْ السِّمَنُ»: أي يعظم حرصهم علىٰ الدنيا والتمتع بلذاتها حتىٰ تسمن أجسادهم[٤]، وهذا كناية عن رغبتهم في الدنيا، وإيثارهم شهواتها علىٰ الآخرة، فهم يأكلون في الدنيا كما تأكل الأنعام، ولا يقتَدون بمن كان قبلهم من السلف الذين كانت همتهم من الدنيا في أخذ القوت والبُلْغة، وتوفير الشهوات إلىٰ الآخرة[٥].

قال ابن بطال: «هذا الحديث يوجب الذم والنقص لمن لم يفِ بالنذر، وهذا من أشراط الساعة، وقَرْن النبي ﷺ ذمَّ من لم يفِ بالنذر بخيانة الأمانة شهِدَ به كتاب الله العزيز وجاء به علىٰ لسان الرسول، وذلك أن من لم يف لله بما عاهده فقد خان أمانته في نقضه ما جعل لربه عَزَّوَجَلَّ علىٰ نفسه، فأشبه ذلك من خان غيره فيما ائتمنه عليه، والأول أعظم خيانة وأشد إثمًا، وأثنىٰ الله تعالىٰ علىٰ أهل الوفاء فقال: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ وَيَخَافُونَ يَوۡمٗا كَانَ شَرُّهُۥ مُسۡتَطِيرٗا ۝٧﴾ [الإنسان:٧] الآية، فدل هذا أن الوفاء بالنذر مما يدفع به شر ذلك اليوم»[٦].

قال النووي: في هذا الحديث «دلائل للنبوة، ومعجزة ظاهرة لرسول الله

---

(١) **انظر:** «إكمال المُعلِم بفوائد مسلم» (٧/ ٥٧٤)، و«مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٩/ ٣٨٧٨).

(٢) **انظر:** «إكمال المُعلِم بفوائد مسلم» (٧/ ٥٧٤).

(٣) **انظر:** «شرح صحيح مسلم» (١٦/ ٨٨).

(٤) **انظر:** «إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري» (٦/ ٨١).

(٥) **انظر:** «شرح صحيح البخاري»، لابن بطال (٦/ ١٥٦).

(٦) **انظر:** «شرح صحيح البخاري»، لابن بطال (٦/ ١٥٦).

ﷺ، فإن كل الأمور التي أخبر بها وقعت كما أخبر»[(١)].

قَـوْلُـهُ: «وَفِيهِ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ، وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ»»: أي أنهم لا يتورعون في أقوالهم، ويستهينون بالشهادة واليمين[(٢)]، وأنهم يكثرون الأيمان علىٰ كل شيء حتىٰ تصير لهم عادة، فيحلف أحدهم حيث لا يراد منه اليمين وقبل أن يُستحلف[(٣)].

قال النووي: «هذا ذم لمن يشهد ويحلف مع شهادته،... ومعنىٰ الحديث أنه يجمع بين اليمين والشهادة، فتارة تسبق هذه، وتارة هذه»[(٤)].

قَـوْلُـهُ: «وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ: «كَانُوا يَضْرِبُونَنَا عَلَى الشَّهَادَةِ، وَالْعَهْدِ وَنَحْنُ صِغَارٌ»»: أي كان آباؤنا وكبراؤنا يضربوننا علىٰ الجمع بين اليمين والشهادة، وقيل: المراد النهي عن قوله: عليَّ عهد الله، أو: أشهد بالله[(٥)].

قال ابن بطال: «يريد: أشهد الله، وعليَّ عهد الله، فدل نهيهم عن الحلف بذلك أنهما يمينان مغلظان، ووجه النهيٰ عنهما والله أعلم أن قوله: أشهد بالله، يقتضيٰ معنىٰ العلم بالقطع، وعهد الله لا يقدر أحد علىٰ التزامه بما يجب فيه»[(٦)].

---

(١) انظر: «شرح صحيح مسلم» (١٦/ ٨٨).

(٢) انظر: «كشف المشكل من حديث الصحيحين» (١/ ٢٩١).

(٣) انظر: «شرح صحيح البخاري»، لابن بطال (٦/ ١١٣-١١٤).

(٤) انظر: «شرح صحيح مسلم» (١٦/ ٨٥-٨٦).

(٥) انظر: «شرح صحيح مسلم» (١٦/ ٨٦).

(٦) انظر: «شرح صحيح البخاري»، لابن بطال (٦/ ١١٢).

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأُولَى: الوَصِيَّةُ بِحِفْظِ الأَيْمَانِ.

الثَّانِيَةُ: الإِخْبَارُ بِأَنَّ الحَلِفَ مَنْفَقَةٌ لِلسِّلْعَةِ، مَمْحَقَةٌ لِلْبَرَكَةِ.

الثَّالِثَةُ: الوَعِيدُ الشَّدِيدُ فِيمَنْ لَا يَبِيعُ إِلا بِيَمِينِهِ، وَلَا يَشْتَرِي إِلَّا بِيَمِينِهِ.

الرَّابِعَةُ: التَّنْبِيهُ عَلَى أَنَّ الذَّنْبَ يَعْظُمُ مَعَ قِلَّةِ الدَّاعِي.

الخَامِسَةُ: ذَمُّ الَّذِينَ يَحْلِفُونَ، وَلَا يُسْتَحْلَفُونَ.

السَّادِسَةُ: ثَنَاؤُهُ ﷺ عَلَى القُرُونِ الثَّلَاثَةِ، أَوْ الأَرْبَعَةِ، وَذِكْرُ مَا يَحْدُثُ بَعْدَهُمْ.

السَّابِعَةُ: ذَمُّ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ، وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ.

الثَّامِنَةُ: كَوْنُ السَّلَفِ يَضْرِبُونَ الصِّغَارَ عَلَى الشَّهَادَةِ، وَالْعَهْدِ.

الشَّرْح

قَوْلُهُ: «الأُولَى: الوَصِيَّةُ بِحِفْظِ الأَيْمَانِ»: لقوله تعالىٰ: ﴿وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ﴾ [المائدة:٨٩].

قَوْلُهُ: «الثَّانِيَةُ: الإِخْبَارُ بِأَنَّ الحَلِفَ مَنْفَقَةٌ لِلسِّلْعَةِ، مَمْحَقَةٌ لِلْبَرَكَةِ»: كما في قوله ﷺ: «**الحَلِفُ مَنْفَقَةٌ لِلسِّلْعَةِ، مَمْحَقَةٌ لِلْكَسْبِ**».

قَوْلُهُ: «الثَّالِثَةُ: الوَعِيدُ الشَّدِيدُ فِيمَنْ لَا يَبِيعُ إِلا بِيَمِينِهِ، وَلَا يَشْتَرِي إِلَّا بِيَمِينِهِ»: كما في قوله ﷺ: «**ثَلَاثَةٌ لا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: أُشَيمِطٌ زَانٍ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ، وَرَجُلٌ جَعَلَ اللهَ بِضَاعَتَهُ؛ لا يَشْتَرِي إِلَّا بِيَمِينِهِ، وَلَا يَبِيعُ إِلَّا بِيَمِينِهِ**».

قَوْلُهُ: «الرَّابِعَةُ: التَّنْبِيهُ عَلَى أَنَّ الذَّنْبَ يَعْظُمُ مَعَ قِلَّةِ الدَّاعِي»: كما في قوله ﷺ: «**أُشَيمِطٌ زانٍ**»، فالرجل الكبير إذا زنا يكون ذنبه أعظم من الشاب؛ لقلة الداعي إلىٰ الشهوة عند الكبير، ولعظمه عند الشاب.

قَولُه: «الخَامِسَةُ: ذَمُّ الَّذِينَ يَحْلِفُونَ، وَلَا يُسْتَحْلَفُونَ»: كما في قوله ﷺ: «قَوْمٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ، وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ».

قَولُه: «السَّادِسَةُ: ثَنَاؤُهُ ﷺ عَلَى القُرُونِ الثَّلَاثَةِ أَوْ الأَرْبَعَةِ، وَذِكْرُ مَا يَحْدُثُ بَعْدَهُمْ»: كما في قوله ﷺ: «خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ إِنَّ بَعْدَكُمْ قَوْمًا يَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ، وَيَخُونُونَ وَلَا يُؤْتَمَنُونَ، وَيَنْذِرُونَ وَلَا يُوفُونَ، وَيَظْهَرُ فِيهِمْ السِّمَنُ».

قَولُه: «السَّابِعَةُ: ذَمُّ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ، وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ»: كما في قوله ﷺ: «ثُمَّ إِنَّ بَعْدَكُمْ قَوْمًا يَشْهَدُونَ، وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ».

قَولُه: «الثَّامِنَةُ: كَوْنُ السَّلَفِ يَضْرِبُونَ الصِّغَارَ عَلَى الشَّهَادَةِ، وَالْعَهْدِ»: كما في قول إبراهيم النخعي: «كَانُوا يَضْرِبُونَنَا عَلَىٰ الشَّهَادَةِ، وَالْعَهْدِ وَنَحْنُ صِغَارٌ».



[٦٢] بَابُ مَا جَاءَ فِي ذِمَّةِ اللهِ وَذِمَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَـٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَـٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ [النحل:٩١] الآيَةَ.

عَنْ بُرَيْدَةَ قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا أَمَّرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ، أَوْ سَرِيَّةٍ أَوْصَاهُ بِتَقْوَى اللهِ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا، فَقَالَ: «اغْزُوَا بِسْمِ اللهِ، فِي سَبِيلِ اللهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللهِ اغْزُوَا، وَلَا تَغُلُّوا، وَلَا تَغْدِرُوا، وَلَا تُمَثِّلُوا، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا، وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَادْعُهُمْ إِلَى ثَلَاثِ خِصَالٍ -أَوْ خِلَالٍ-، فَأَيَّتُهُنَّ مَا أَجَابُوكَ، فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلَامِ فَإِنْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى التَّحَوُّلِ مِنْ دَارِهِمْ إِلَى دَارِ الْمَهَاجِرِينَ، وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ إِنْ فَعَلُوا ذَلِكَ فَلَهُمْ مَا لِلْمُهَاجِرِينَ، وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَى الْمَهَاجِرِينَ، فَإِنْ أَبَوْا أَنْ يَتَحَوَّلُوا مِنْهَا فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ يَكُونُونَ كَأَعْرَابِ الْمُسْلِمِينَ يَجْرِي عَلَيْهِمْ حُكْمُ اللهِ تَعَالَى، وَلَا يَكُونُ لَهُمْ فِي الْغَنِيمَةِ وَالْفَيْءِ شَيْءٌ إِلَّا أَنْ يُجَاهِدُوا مَعَ الْمُسْلِمِينَ، فَإِنْ هُمْ أَبَوْا، فَاسْأَلْهُمُ الْجِزْيَةَ، فَإِنْ هُمْ أَجَابُوكَ، فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ، فَإِنْ هُمْ أَبَوْا، فَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَقَاتِلْهُمْ.

وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ، فَأَرَادُوكَ أَنْ تَجْعَلَ لَهُمْ ذِمَّةَ اللهِ وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ، فَلَا تَجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّةَ اللهِ وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ، وَلَكِنِ اجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّتَكَ وَذِمَّةَ أَصْحَابِكَ، فَإِنَّكُمْ أَنْ تَخْفِرُوا ذِمَمَكُمْ وَذِمَّةَ أَصْحَابِكُمْ أَهْوَنُ مِنْ أَنْ تَخْفِرُوا ذِمَّةَ اللهِ وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ، وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ، فَأَرَادُوكَ أَنْ تُنْزِلَهُمْ عَلَى حُكْمِ اللهِ، فَلَا تُنْزِلْهُمْ عَلَى حُكْمِ اللهِ، وَلَكِنْ أَنْزِلْهُمْ عَلَى حُكْمِكَ، فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي أَتُصِيبُ فِيهِمْ حُكْمَ اللهِ أَمْ لَا؟»» (١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

---

(١) صحيح: رواه مسلم (١٧٣١).

الشَّرح

قَولُه: «بَابُ مَا جَاءَ فِي ذِمَّةِ اللهِ وَذِمَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ»: الذمة بمعنىٰ العهد، والأمان، والضمان، والحُرمة، والحق، وسُمِّي أهل الذمة لدخولهم في عهد المسلمين وأمانهم[(١)].

قَولُه: «وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَـٰهَدتُّمْ﴾»: أي وأوفوا بميثاق الله إذا واثقتموه، وعقده إذا عاقدتموه، فأوجبتم به علىٰ أنفسكم حقًا لمن عاقدتموه به وواثقتموه عليه[(٢)].

قال الواحدي: «أي أوفوا بكل عهد يحسن في الشريعة الوفاء به»[(٣)].

وقال البغوي: «العهد هاهنا هو اليمين»[(٤)].

قال الشعبي: «العهد يمين، وكفارته كفارة اليمين»[(٥)].

قَولُه: «﴿وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَـٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾»: أي ولا تخالفوا الأمر الذي تعاقدتم فيه الأيمان بعد ما شددتم الأيمان علىٰ أنفسكم، فتحنثوا في أيمانكم، وتكذبوا فيها، وتنقضوها بعد إبرامها[(٦)].

قَولُه: «﴿وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾»: أي وقد جعلتم الله بالوفاء بما تعاقدتم عليه علىٰ أنفسكم راعيا شهيدا بالوفاء يرعىٰ الموفي منكم بعهد الله الذي عاهد علىٰ الوفاء به[(٧)].

---

(١) انظر: «النهاية في غريب الحديث» (٢/ ١٦٨).

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (١٧/ ٢٨١).

(٣) انظر: «التفسير الوجيز»، صـ (٦١٧).

(٤) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٩٣).

(٥) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٩٣).

(٦) انظر: «تفسير الطبري» (١٧/ ٢٨١).

(٧) انظر: «تفسير الطبري» (١٧/ ٢٨١)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٩٣).

قَـوْلُـهُ: «﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ ۝٩١﴾»: أي إن الله أيها الناس يعلم ما تفعلون في العهود التي تعاهدون الله من الوفاء بها والأحلاف والأيمان التي تؤكدونها علىٰ أنفسكم، أتبرون فيها أم تنقضونها وغير ذلك من أفعالكم، فاحذروا الله أن تلقوه وقد خالفتم فيها أمره ونهيه، فتستوجبوا بذلك منه ما لا قِبل لكم به من أليم عقابه[1].

قَـوْلُـهُ: «عَنْ بُرَيْدَةَ قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا أَمَّرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ أَوْ سَرِيَّةٍ»»: أي جعل أميرا علىٰ سرية، أو جيشا[2].

والسرية دون الجيش، وهي القطعة تخرج منه تُغِير وترجع إليه، وسميت بذلك؛ لأنها تسرىٰ بالليل.

قال الحربىٰ: السرية: الخيل تبلغ أربعمائة ونحوها[3].

قَـوْلُـهُ: «أَوْصَاهُ بِتَقْوَى اللهِ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا، فَقَالَ: «اغْزُوَا بِسْمِ اللهِ»»: أي مستعينين بالله ﷻ[4].

قَـوْلُـهُ: «فِي سَبِيلِ اللهِ»: أي لأجل مرضاته، وإعلاء دينه[5].

قَـوْلُـهُ: «قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللهِ اغْزُوا، وَلَا تَغُلُّوا»: أي لا تخونوا في الغنيمة[6].

قَـوْلُـهُ: «وَلَا تَغْدِرُوا»: أي لا تنقضوا العهد، وقيل: لا تحاربوهم قبل أن تدعوهم إلىٰ الإسلام[7].

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١٧/ ٢٨٣).

(٢) انظر: «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٦/ ٢٥٢٨).

(٣) انظر: «إكمال المُعلِم بفوائد مسلم» (٦/ ٣١).

(٤) انظر: «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٦/ ٢٥٢٨).

(٥) انظر: «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٦/ ٢٥٢٨).

(٦) انظر: «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٦/ ٢٥٢٨).

(٧) انظر: «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٦/ ٢٥٢٨).

قَــوْلُــهُ: «وَلَا تُمَثِّلُوا»: يقال: مثَّل بالقتيل والحيوان إذا قطع أطرافه، أو كلاهما، أو أذنه، أو مذاكيره، ونحو ذلك[(١)].

قَــوْلُــهُ: «وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا»: أي صغيرا.

قال المازري: «إنما نُهي عن قتل الأطفال؛ لأنه لا نِكاية فيهم، ولا قتال، ولا ضرر بأهل الإسلام، بل هم من جملة الأموال، ولم يبلغوا التكليف، فلهذا لم يقتلوا»[(٢)].

قال القاضي عياض: «لا خلاف في تحريم الغلول، والغدر، وكراهة، المُثْلَة في الحرب.

وفيه وصاة الإمام أمرائه وجيوشه، وتعريفهم بما يمر عليهم من مغازيهم، وما يجرىٰ لهم ويحرم عليهم»[(٣)].

قال النووي: «وفي هذه الكلمات من الحديث فوائد مجمع عليها وهي: تحريم الغدر، وتحريم الغلول، وتحريم قتل الصبيان إذا لم يقاتلوا، وكراهة المُثْلة، واستحباب وصية الإمام أمراءه وجيوشه بتقوىٰ الله تعالىٰ، والرفق بأتباعهم، وتعريفهم ما يحتاجون في غزوهم، وما يجب عليهم وما يحل لهم وما يحرم عليهم وما يكره وما يستحب»[(٤)].

قَــوْلُــهُ: «وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ الْمشْرِكِينَ، فَادْعُهُمْ إِلَى ثَلَاثِ خِصَالٍ -أَوْ خِلَالٍ-، فَأَيَّتُهُنَّ مَا أَجَابُوكَ، فَاقْبَلْ مِنْهُمْ»: أي إذا قبلوها منك فاقبل منهم.

قَــوْلُــهُ: «وَكُفَّ عَنْهُمْ»: أي امتنع عنهم.

---

(١) انظر: «تهذيب الأسماء واللغات»، للنووي (٤/ ١٣٣).

(٢) انظر: «المعلم بفوائد مسلم» (٢/ ١٢٦).

(٣) انظر: «إكمال المُعلِم بفوائد مسلم» (٦/ ٣١).

(٤) انظر: «شرح صحيح مسلم» (١٢/ ٣٧).

قَـوْلُـهُ: «ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلَامِ فَإِنْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ»: قال القاضي عياض: الصواب «ادعهم» بإسقاط «ثم»[١].

وقال المازري: «ثم إنما دخلت هاهنا؛ لافتتاح الكلام، والأخذ في تفسير الخصال الأُوَل»[٢].

قَـوْلُـهُ: «إِلَى التَّحَوُّلِ»: أي الانتقال[٣].

قَـوْلُـهُ: «مِنْ دَارِهِمْ»: أي من بلاد الكفر[٤].

قَـوْلُـهُ: «إِلَى دَارِ المُهَاجِرِينَ»: أي إلىٰ دار الإسلام[٥].

قَـوْلُـهُ: «وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ إِنْ فَعَلُوا ذَلِكَ»: أي التحول[٦].

قَـوْلُـهُ: «فَلَهُمْ مَا لِلْمُهَاجِرِينَ»: أي من الثواب، واستحقاق مال الفيء، وذلك الاستحقاق كان في زمنه ﷺ، فإنه كان ينفق علىٰ المهاجرين من حين الخروج إلىٰ الجهاد في أي وقت أمرهم الإمام، سواء كان من بإزاء العدو كافيا، أو لا، بخلاف غير المهاجرين، فإنه لا يجب الخروج عليهم إلىٰ الجهاد إن كان بإزاء العدو مَن به الكفاية[٧].

قَـوْلُـهُ: «وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَى المُهَاجِرِينَ»: أي من الغزو[٨].

قَـوْلُـهُ: «فَإِنْ أَبَوْا أَنْ يَتَحَوَّلُوا مِنْهَا»: أي فإن امتنعوا بعد أن أسلموا من

---

(١) انظر: «إكمال المُعلِم بفوائد مسلم» (٦/ ٣٢).
(٢) انظر: «المعلم بفوائد مسلم» (٢/ ١٢٧).
(٣) انظر: «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٦/ ٢٥٢٨).
(٤) انظر: «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٦/ ٢٥٢٨).
(٥) انظر: «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٦/ ٢٥٢٨).
(٦) انظر: «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٦/ ٢٥٢٩).
(٧) انظر: «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٦/ ٢٥٢٩).
(٨) انظر: «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٦/ ٢٥٢٩).

الهجرة من البداوة وغيرها، إلىٰ دار المسلمين[١].

قَولُهُ: «فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ يَكُونُونَ كَأَعْرَابِ الْمُسْلِمِينَ»: أي الذين لازموا أوطانهم في البادية لا في دار الكفر[٢].

قال المازري: «فيمكن أن يريد الإشارة لتمييز المهاجرين عن غيرهم، ولو لم يكن إلا بغزوهم مع النبي ﷺ، وخروجهم معه كلما خرج، فيستحقون الغنائم. ولعله علىٰ هذا نبه بقوله: «يكونون كأعراب المسلمين»»[٣].

قال القاضي عياض: «قد يحتمل أنه علىٰ وجهه؛ لأنهم إذا لم يجاهدوا لم يكن لهم جزء من الغنائم، وخمسها إنما يدفعه الإمام باجتهاده، ولاشك أن من خرج عن بلاده وأمواله يحتاج من المرافق ما لا يحتاج المقيم بها، فكان المهاجرون أولىٰ بالخمس، وكذلك كان النبي ﷺ يزيدهم علىٰ الأنصار، للعلة التي ذكرناها من استغناء الأنصار عن ذلك، وأنه كان يريد إعطاء المهاجرين حتىٰ لا يحتاجون إلىٰ مواساة لهم؛ ولهذا لما فتحت عليه الفتوح وجاء الله سبحانه بالخير أمرهم برد ما كان الأنصار منحوهم من الأموال»[٤].

قَولُهُ: «يَجْرِي عَلَيْهِمْ حُكْمُ اللهِ تَعَالَىٰ»: أي يمضىٰ حكم الله الذي يجري علىٰ المؤمنين[٥].

قَولُهُ: «وَلَا يَكُونُ لَهُمْ فِي الغَنِيمَةِ وَالْفَيْءِ شَيْءٌ إِلَّا أَنْ يُجَاهِدُوا مَعَ المُسْلِمِينَ»: أي أنهم إذا أسلموا استحب لهم أن يهاجروا إلىٰ المدينة، فإن فعلوا ذلك كانوا كالمهاجرين قبلهم في استحقاق الفيء والغنيمة وغير ذلك، وإلا فهُم

---

(١) انظر: «حاشية كتاب التوحيد»، صـ(٣٨٥).

(٢) انظر: «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٦/ ٢٥٢٩).

(٣) انظر: «المُعلِم بفوائد مسلم» (٢/ ١٢٧).

(٤) انظر: «إكمال المُعلِم بفوائد مسلم» (٦/ ٣٢).

(٥) انظر: «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٦/ ٢٥٢٩).

أعراب كسائر أعراب المسلمين الساكنين في البادية من غير هجرة ولا غزو، فتجري عليهم أحكام الإسلام، ولا حق لهم في الغنيمة والفيء، وإنما يكون لهم نصيب من الزكاة إن كانوا بصفة استحقاقها[(١)].

قَوْلُهُ: «فَإِنْ هُمْ أَبَوْا»: أي فإن امتنعوا عن الإسلام[(٢)].

قَوْلُهُ: «فَاسْأَلْهُمُ الجِزْيَةَ»: أي فاطلب منهم[(٣)].

قَوْلُهُ: «فَإِنْ هُمْ أَجَابُوكَ، فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ، فَإِنْ هُمْ أَبَوْا»: أي عن قبول الجزية[(٤)].

قَوْلُهُ: «فَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَقَاتِلْهُمْ»: المراد بأخذ الجزية من أهل الكتاب؛ لأن اسم المشرك يطلق علىٰ أهل الكتاب وغيرهم، وكان تخصيصهم معلوما عند الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ[(٥)].

قَوْلُهُ: «وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ»: أي من الكفار[(٦)].

قَوْلُهُ: «فَأَرَادُوكَ»: أي طلبوا منك[(٧)].

قَوْلُهُ: «أَنْ تَجْعَلَ لَهُمْ ذِمَّةَ اللهِ، وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ»: أي عهدهما، وأيمانهما[(٨)].

قَوْلُهُ: «فَلَا تَجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّةَ اللهِ، وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ»: أي بالاجتماع، ولا بالانفراد[(٩)].

---

(١) انظر: «شرح صحيح مسلم» (١٢/ ٣٨).
(٢) انظر: «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٦/ ٢٥٢٩).
(٣) انظر: «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٦/ ٢٥٢٩).
(٤) انظر: «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٦/ ٢٥٢٩).
(٥) انظر: «شرح صحيح مسلم» (١٢/ ٣٩).
(٦) انظر: «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٦/ ٢٥٢٩).
(٧) انظر: «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٦/ ٢٥٢٩).
(٨) انظر: «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٦/ ٢٥٢٩).
(٩) انظر: «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٦/ ٢٥٢٩).

قَولُه: «وَلَكِنِ اجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّتَكَ، وَذِمَّةَ أَصْحَابِكَ، فَإِنَّكُمْ أَنْ تَخْفِرُوا ذِمَمَكُمْ وَذِمَّةَ أَصْحَابِكُمْ أَهْوَنُ مِنْ أَنْ تَخْفِرُوا ذِمَّةَ اللهِ، وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ»: هذا علىٰ الاحتياط إذ قد ينقضها من لا يعرف حقها[1]، وهذا النهي للتنزيه[2].

ومعنى تخفروا: تنقضوا، يقال: خفرت الرجل إذا نقضت عهده، وخفرته: أجرته، وحميته[3].

قال المازري: «أما نهيه ﷺ أن يجعل لهم ذمة الله وذمة رسوله ﷺ؛ فإعظامه لذلك؛ لئلا يكون منهم تقصير يكاد أن يوقعهم في إخفار الذمة، فيكون ذلك إذا أعطوا ذمة أنفسهم أهون منه إذا أعطوا ذمة الله عَزَّوَجَلَّ»[4].

قال القاضي عياض: «قال الشافعي: لم يختلف أحد ممن لقيته أنه ليس للأعراب حق في العطاء، ويحتج الشافعي بهذا الحديث؛ لأنه لا يرىٰ للأعراب شيئًا من الفيء، وإنما لهم الصدقة المأخوذة من أغنيائهم فترد علىٰ فقرائهم، كما أن أهل الجهاد وأجناد المسلمين لا حق لهم من الصدقة عنده، ويصرف كل مال في أهله»[5].

قَولُه: «وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ، فَأَرَادُوكَ أَنْ تُنْزِلَهُمْ عَلَى حُكْمِ اللهِ، فَلَا تُنْزِلْهُمْ عَلَى حُكْمِ اللهِ وَلَكِنْ أَنْزِلْهُمْ عَلَى حُكْمِكَ فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي أَتُصِيبُ فِيهِمْ حُكْمَ اللهِ أَمْ لَا»: أي لا تنزلهم علىٰ ما أنزل الله ﷻ عليَّ مما أنت غائب عنه ولا تعلمه؛ لأنك لا تدرىٰ إذا فعلت معهم فعلا: هل تصادف ما أنزل الله تعالىٰ عليَّ وأنت غائب عنه، أم لا؟[6].

---

(١) انظر: «إكمال المُعلِم بفوائد مسلم» (٦/ ٣٤).

(٢) انظر: «شرح صحيح مسلم» (١٢/ ٣٩).

(٣) انظر: «تهذيب اللغة»، مادة «خفر»، و«إكمال المُعلِم بفوائد مسلم» (٦/ ٣٤).

(٤) انظر: «المعلم بفوائد مسلم» (٢/ ١٢٧).

(٥) انظر: «إكمال المُعلِم بفوائد مسلم» (٦/ ٣٣).

(٦) انظر: «المعلم بفوائد مسلم» (٢/ ١٢٧).

قال النووي: «هذا النهي أيضًا علىٰ التنزيه، والاحتياط، وفيه حجة لمن يقول ليس كل مجتهد مصيبًا بل المصيب واحد، وهو الموافق لحكم الله تعالىٰ في نفس الأمر»[1].



(١) **انظر**: «شرح صحيح مسلم» (١٢/ ٤٠).

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأُولَى: الفَرْقُ بَيْنَ ذِمَّةِ اللهِ، وَذِمَّةِ نَبِيِّهِ، وَذِمَّةِ المسْلِمِينَ.

الثَّانِيَةُ: الإِرْشَادُ إِلَى أَقَلِّ الأَمْرَيْنِ خَطَرًا.

الثَّالِثَةُ: قَوْلُهُ: «اغْزُوَا بِسْمِ اللهِ فِي سَبِيلِ اللهِ».

الرَّابِعَةُ: قَوْلُهُ: «قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللهِ».

الخَامِسَةُ: قَوْلُهُ: «اسْتَعِنْ بِاللهِ، وَقَاتِلْهُمْ».

السَّادِسَةُ: الفَرْقُ بَيْنَ حُكْمِ اللهِ، وَحُكْمِ العُلَمَاءِ.

السَّابِعَةُ: فِي كَوْنِ الصَّحَابِيِّ يَحْكُمُ عِنْدَ الحَاجَةِ بِحُكْمٍ لَا يَدْرِي أَيُوَافِقُ حُكْمَ اللهِ، أَمْ لَا؟

الشَّرْح

قَوْلُهُ: «الأُولَى: الفَرْقُ بَيْنَ ذِمَّةِ اللهِ وَذِمَّةِ نَبِيِّهِ، وَذِمَّةِ المسْلِمِينَ»: أي ذمة الله، وذمة رسوله ﷺ أعظم من ذمة المسلمين.

قَوْلُهُ: «الثَّانِيَةُ: الإِرْشَادُ إِلَى أَقَلِّ الأَمْرَيْنِ خَطَرًا»: أي النزول علىٰ ذمة الأمير، والمسلمين أقل خطرا من النزول علىٰ ذمة الله، وذمة الرسول ﷺ.

قَوْلُهُ: «الثَّالِثَةُ: قَوْلُهُ: «اغْزُوَا بِسْمِ اللهِ فِي سَبِيلِ اللهِ»»: أي مستعينين بالله.

قَوْلُهُ: «الرَّابِعَةُ: قَوْلُهُ: «قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللهِ»»: أي امتنع عن الدخول في الإسلام.

قَوْلُهُ: «الخَامِسَةُ: قَوْلُهُ: «اسْتَعِنْ بِاللهِ، وَقَاتِلْهُمْ»»: لأنه لا طاقة لأحد أن يقاتلهم إلا بإعانة من الله وحده.

قَوْلُهُ: «السَّادِسَةُ: الفَرْقُ بَيْنَ حُكْمِ اللهِ، وَحُكْمِ العُلَمَاءِ»: حكم الله لا يجوز أن يُنزل عليه من سأله؛ لأنه أعظم من حكم غيره.

قَــوْلُــهُ: «السَّابِعَةُ: فِي كَوْنِ الصَّحَابِيِّ يَحْكُمُ عِنْدَ الحَاجَةِ بِحُكْمٍ لَا يَدْرِي أَيُوَافِقُ حُكْمَ اللهِ أَمْ لَا؟»: لقوله ﷺ: «فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي أَتُصِيبُ فِيهِمْ حُكْمَ اللهِ، أَمْ لَا».



[٦٣] بَابُ مَا جَاءَ فِي الإِقْسَامِ عَلَى اللهِ

عَنْ جُنْدُبِ بنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «قَالَ رَجُلٌ: وَاللهِ لَا يَغْفِرُ اللهُ لِفُلَانٍ، فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَنْ لَا أَغْفِرَ لِفُلَانٍ؟ إِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُ وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ»(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ القَائِلَ رَجُلٌ عَابِدٌ.

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: «تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ، أَوْبَقَتْ دُنْيَاهُ، وَآخِرَتَهُ»(٢).

الشَّرح

قَوْلُهُ: «بَابُ مَا جَاءَ فِي الإِقْسَامِ عَلَى اللهِ»: أي الحلف على الله، كأن يقول: والله ليفعلن الله كذا، أو: والله لا يفعل الله كذا.

قَوْلُهُ: «عَنْ جُنْدُبِ بنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «قَالَ رَجُلٌ»»: يحتمل أنه من هذه الأمة أو من غيرهم(٣).

قَوْلُهُ: «وَاللهِ لَا يَغْفِرُ اللهُ لِفُلَانٍ»: قاله استكثارًا، أو استكبارًا لذنبه، أو تعظيمًا لنفسه حين جنىٰ عليه، كما يصدر عن بعض جهلة الصوفية(٤).

قَوْلُهُ: «فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَنْ لَا أَغْفِرَ لِفُلَانٍ؟»: أي يحلف عليه، والتألِّي: الحلف(٥).

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٦٢١).

(٢) صحيح: رواه أبو داود (٤٩٠١)، وأحمد (٨٢٧٥)، وصححه أحمد شاكر، والألباني.

(٣) انظر: «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٤/ ١٦١٨).

(٤) انظر: «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٤/ ١٦١٨).

(٥) انظر: «إكمال المُعلِم بفوائد مسلم» (٨/ ١٠٢).

قَوْلُهُ: «إِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُ»: أي رغما لأنفك[١].

قَوْلُهُ: «وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ»: أي أبطلت عملك.

قال القاضي عياض: «فيه الحجة لمذهب أهل السنة في غفران الله ذنوب عباده، وعفوه عنهم وإن ماتوا مصرين عليها، ولا حجة فيه للمعتزلة، ومن يقول بأن الذنوب تحبط الأعمال؛ لأن هذا المتألي قانط من رحمة الله ومكذب بها، والقنوط كفر، والكفر يحبط العمل، وإن لم يكن هذا قانطا، وإنما كان هذا مذهبه إنفاذ الوعيد للعاصين»[٢].

قال ابن الجوزي: «هذا المتألي جهل سعة الكرم، فعوقب بإحباط العمل»[٣].

وقال النووي: «فيه دلالة لمذهب أهل السنة في غفران الذنوب بلا توبة إذا شاء الله غفرانها، واحتجت المعتزلة به في إحباط الأعمال بالمعاصي الكبائر، ومذهب أهل السنة أنها لا تحبط إلا بالكفر ويتأول حبوط عمل هذا علىٰ أنه أسقطت حسناته في مقابلة سيئاته، وسمِّي إحباطًا مجازًا، ويحتمل أنه جرىٰ منه أمر آخر أوجب الكفر، ويحتمل أن هذا كان في شرع من قبلنا، وكان هذا حكمهم»[٤].

قَوْلُهُ: «وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ القَائِلَ رَجُلٌ عَابِدٌ، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: «تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ»»: أي قوله: والله لا يغفر الله لفلان.

قَوْلُهُ: «أَوْبَقَتْ دُنْيَاهُ وَآخِرَتَهُ»: أي أهلكت عمله في الدنيا، وجعلته خاسرا يوم القيامة.

---

(١) انظر: «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٤/ ١٦١٩).

(٢) انظر: «إكمال المُعلِم بفوائد مسلم» (٨/ ١٠٢).

(٣) انظر: «كشف المشكل من حديث الصحيحين» (٢/ ٥٠).

(٤) انظر: «شرح صحيح مسلم» (١٦/ ١٧٤).

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأُولَى: التَّحْذِيرُ مِنَ التَّأَلِّي عَلَى اللهِ.

الثَّانِيَةُ: كَوْنُ النَّارِ أَقْرَبَ إِلَى أَحَدِنَا مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ.

الثَّالِثَةُ: أَنَّ الجَنَّةَ مِثْلُ ذَلِكَ.

الرَّابِعَةُ: فِيهِ شَاهِدٌ لِقَوْلِهِ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ» إِلَى آخِرِهِ.

الخَامِسَةُ: أَنَّ الرَّجُلَ قَدْ يُغْفَرُ لَهُ بِسَبَبٍ هُوَ مِنْ أَكْرَهِ الأُمُورِ إِلَيْهِ.

الشَّـرْح

قَولُـهُ: «الأُولَى: التَّحْذِيرُ مِنَ التَّأَلِّي عَلَى اللهِ»: لأنه يحبط جميع الأعمال.

قَولُـهُ: «الثَّانِيَةُ: كَوْنُ النَّارِ أَقْرَبَ إِلَى أَحَدِنَا مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ»: لقول الله ﷻ: «**إِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُ وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ**»، وحبوط العمل يستوجب دخول النار.

قَولُـهُ: «الثَّالِثَةُ: أَنَّ الجَنَّةَ مِثْلُ ذَلِكَ»: لقول الله ﷻ: «**إِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُ**»، والمغفرة تستوجب دخول الجنة.

قَولُـهُ: «الرَّابِعَةُ فِيهِ شَاهِدٌ لِقَوْلِهِ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ» إِلَى آخِرِهِ»: أي حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللهِ، لا يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَرْفَعُهُ اللهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللهِ، لا يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ**»[(١)].

قَولُـهُ: «الخَامِسَةُ: أَنَّ الرَّجُلَ قَدْ يُغْفَرُ لَهُ بِسَبَبٍ هُوَ مِنْ أَكْرَهِ الأُمُورِ إِلَيْهِ»: أي غفر الله له بسبب قول الرجل: والله لا يغفر الله لك، وكان يكره أن يقال له ذلك.

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٤٧٨)، ومسلم (٢٩٨٨).

[٦٤] بابٌ لا يُستَشْفعُ بالله على خلْقِه

عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ نُهِكَتِ الأَنْفُسُ، وَجَاعَ العِيَالُ، وَهَلَكَتِ الأَمْوَالُ، فَاسْتَسْقِ لَنَا رَبَّكَ، فَإِنَّا نَسْتَشْفِعُ بِاللهِ عَلَيْكَ، وَبِكَ عَلَى اللهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «سُبْحَانَ اللهِ، سُبْحَانَ اللهِ»، فَمَا زَالَ يُسَبِّحُ حَتَّى عُرِفَ ذَلِكَ فِي وُجُوهِ أَصْحَابِهِ ثُمَّ قَالَ: «وَيْحَكَ أَتَدْرِي مَا اللهُ؟ إِنَّ شَأْنَ اللهِ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ، إِنَّهُ لَا يُسْتَشْفَعُ بِاللهِ عَلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ»(١) وَذَكَرَ الحَدِيثَ، رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ.

الشَّرح

قَوْلُهُ: «بَابٌ لَا يُسْتَشْفَعُ بِاللهِ عَلَى خَلْقِهِ»: أي لا يجوز لأحد أن يجعل الله واسطة بينه وبين أحد من الخلق ليدعو الله له، ويلزم من هذا أن الله في منزلة أقل من مرتبة الخلق.

قَوْلُهُ: «عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ»: أي بدوي يعيش في الصحراء.

قَوْلُهُ: «إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ نُهِكَتِ الأَنْفُسُ»: أي ضعفت، وبلغ بها الجهد منتهاه(٢).

قَوْلُهُ: «وَجَاعَ العِيَالُ»: عيال الرجل: هم من يعولوهم، وينفق عليهم كالزوجة، والأولاد(٣).

---

(١) ضعيف: رواه أبو داود (٤٧٢٦)، وضعفه الألباني.

(٢) انظر: «إكمال المُعلِم بفوائد مسلم» (٤/ ١٢٤).

(٣) انظر: «العين»، و«تهذيب اللغة»، مادة «عيل».

قَولُـهُ: «وَهَلَكَتِ الأَمْوَالُ»: أي الزروع التي تنمو بالأمطار، والبهائم التي تشرب من الماء.

قَولُـهُ: «فَاسْتَسْقِ لَنَا رَبَّكَ»: أي فاطلب الله أن يسقينا المطر من أجل معاشنا الذي هو زاد معادنا[١].

قَولُـهُ: «فَإِنَّا نَسْتَشْفِعُ بِاللهِ عَلَيْكَ»: أي نستجير، ونستغيث به عليك في أن تشفع لنا عنده بأن يوفقك علىٰ مساعدتنا[٢]، وهذا لا يجوز.

قَولُـهُ: «وَبِكَ عَلَى اللهِ»: أي نطلب الشفاعة بوجودك، وحرمتك، وبعظمتك[٣]، وهذا جائز.

قَولُـهُ: «فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «سُبْحَانَ اللهِ»»: أي تنزيها له عن المشاركة؛ لأن ظاهر هذه العبارة موهنا للتساوي في القدر، أو التشارك في الأمر[٤].

قَولُـهُ: «سُبْحَانَ اللهِ»: كرره تأكيدًا، أو ذكر الثاني تعجبًا[٥].

قَولُـهُ: «فَمَا زَالَ يُسَبِّحُ حَتَّى عُرِفَ ذَلِكَ فِي وُجُوهِ أَصْحَابِهِ»: أي حتىٰ تبين أثر ذلك التغير إلىٰ وجوه أصحابه؛ لأنهم فهموا من تكرير تسبيحه أنه ﷺ غضب من ذلك، فخافوا من غضبه، فتغيرت وجوههم خوفًا من الله تعالىٰ[٦].

قَولُـهُ: «ثُمَّ قَالَ: «وَيْحَكَ»»: كلمة ترحم، وتوجع، تقال لمن وقع في هلكة لا يستحقها، وقد تقال بمعنىٰ المدح والتعجب[٧].

---

(١) **انظر:** «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٣/ ٣٦٦٣).
(٢) **انظر:** «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٣/ ٣٦٦٣).
(٣) **انظر:** «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٣/ ٣٦٦٣).
(٤) **انظر:** «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٣/ ٣٦٦٣).
(٥) **انظر:** «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٣/ ٣٦٦٣).
(٦) **انظر:** «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٣/ ٣٦٦٣).
(٧) **انظر:** «النهاية في غريب الحديث» (٥/ ٢٣٥).

قَـوْلُـهُ: «أَتَدْرِي مَا اللهُ؟»: أي أتدري ما عظمة الله، وجلاله؟[١].

قَـوْلُـهُ: «إِنَّ شَأْنَ اللهِ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ»: أي مِن أن يستشفع به علىٰ أحد[٢].

قَـوْلُـهُ: «إِنَّهُ لَا يُسْتَشْفَعُ بِاللهِ عَلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ»: أنكر النبي ﷺ قوله: «**نستشفع بالله عليك**» ولم ينكر قوله: «**نستشفع بك علىٰ الله**»؛ لأن الشفيع يسأل المشفوع إليه أن يقضي حاجة الطالب، والله تعالىٰ لا يسأل أحدًا من عباده أن يقضي حوائج خلقه[٣].

---

(١) **انظر:** «معالم السنن» (٤/ ٣٢٨).

(٢) **انظر:** «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٣/ ٣٦٦٣).

(٣) **انظر:** «قاعدة جليلة في التوسل»، صـ (٢٧٠).

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأُولَى: إِنْكَارُهُ عَلَى مَنْ قَالَ: «نَسْتَشْفِعُ بِاللهِ عَلَيْكَ».

الثَّانِيَةُ: تَغَيُّرُهُ تَغَيُّرًا عُرِفَ فِي وُجُوهِ أَصْحَابِهِ مِنْ هَذِهِ الكَلِمَةِ.

الثَّالِثَةُ: أَنَّهُ لَمْ يُنْكِرْ عَلَيْهِ قَوْلَهُ: «نَسْتَشْفِعُ بِكَ عَلَى اللهِ».

الرَّابِعَةُ: التَّنْبِيهُ عَلَى تَفْسِيرِ «سُبْحَانَ اللهِ».

الخَامِسَةُ: أَنَّ المُسْلِمِينَ يَسْأَلُونَهُ ﷺ الاسْتِسْقَاءَ.

الشَّرْح

قَوْلُهُ: «الأُولَى: إِنْكَارُهُ عَلَى مَنْ قَالَ: «نَسْتَشْفِعُ بِاللهِ عَلَيْكَ»»: لأنه يقتضي أن يكون الله في مرتبة أقل من الرسول ﷺ.

قَوْلُهُ: «الثَّانِيَةُ: تَغَيُّرُهُ تَغَيُّرًا عُرِفَ فِي وُجُوهِ أَصْحَابِهِ مِنْ هَذِهِ الكَلِمَةِ»: لأجل انتهاك حق الله عَزَّوَجَلَّ.

قَوْلُهُ: «الثَّالِثَةُ: أَنَّهُ لَمْ يُنْكِرْ عَلَيْهِ قَوْلَهُ: «نَسْتَشْفِعُ بِكَ عَلَى اللهِ»»: لأنه يقتضي أن يكون الرسول ﷺ شافعا لنا عند الله عَزَّوَجَلَّ.

قَوْلُهُ: «الرَّابِعَةُ: التَّنْبِيهُ عَلَى تَفْسِيرِ «سُبْحَانَ اللهِ»»: أي تنزيه الله عن النقص.

قَوْلُهُ: «الخَامِسَةُ: أَنَّ المُسْلِمِينَ يَسْأَلُونَهُ ﷺ الاسْتِسْقَاءَ»: أي طلب السقيا من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.



[٦٥] بَابُ مَا جَاءَ فِي حِمَايَةِ النَّبِيِّ ﷺ حِمَى التَّوْحِيدِ وَسَدِّهِ طُرُقَ الشِّرْكِ

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الشِّخِّيرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «انْطَلَقْتُ فِي وَفْدِ بَنِي عَامِرٍ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقُلْنَا: أَنْتَ سَيِّدُنَا، فَقَالَ: «السَّيِّدُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى»، قُلْنَا: وَأَفْضَلُنَا فَضْلًا، وَأَعْظَمُنَا طَوْلًا، فَقَالَ: «قُولُوا بِقَوْلِكُمْ، أَوْ بَعْضِ قَوْلِكُمْ، وَلَا يَسْتَجْرِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ»[(١)]، رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ.

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «أَنَّ نَاسًا قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ يَا خَيْرَنَا وَابْنَ خَيْرِنَا، وَسَيِّدَنَا وَابْنَ سَيِّدِنَا، فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا بِقَوْلِكُمْ، وَلَا يَسْتَهْوِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ، أَنَا مُحَمَّدٌ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، مَا أُحِبُّ أَنْ تَرْفَعُونِي فَوْقَ مَنْزِلَتِي الَّتِي أَنْزَلَنِي اللهُ عَزَّ وَجَلَّ»[(٢)]، رَوَاهُ النَّسَائِيُّ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ.

الشَّرْح

قَوْلُهُ: «مَا جَاءَ فِي حِمَايَةِ النَّبِيِّ ﷺ حِمَى التَّوْحِيدِ وَسَدِّهِ طُرُقَ الشِّرْكِ»: أي حماية التوحيد عن الأقوال والأعمال والاعتقادات الشركية، وسد الطرق المفضية إلىٰ الشرك.

قَوْلُهُ: «عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الشِّخِّيرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: انْطَلَقْتُ فِي وَفْدِ بَنِي عَامِرٍ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقُلْنَا: أَنْتَ سَيِّدُنَا، فَقَالَ: «السَّيِّدُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى»»: أي أن السؤدد حقيقة لله عَزَّ وَجَلَّ، وأن الخلق كلهم عبيد له[(٣)]، والذي تحق له السيادة هو

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (٤٨٠٦)، وأحمد (١٣٥٣٠)، وصححه الألباني.

(٢) صحيح: رواه النسائي في «الكبرىٰ» (١٠٠٠٤)، وأحمد (١٣٥٢٩)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٠٩٧).

(٣) انظر: «معالم السنن» (٤/ ١١٢).

الله، كأنه كره أن يحمد في وجهه، وأحب التواضع[(١)].

ولا يقال السيد ولا المولىٰ علىٰ الإطلاق من غير إضافة إلا في صفة الله تعالىٰ[(٢)].

قال الخطابي: «وإنما منعهم فيما نرىٰ أن يدعوه سيدا مع قوله: «أنا سيد ولد آدم»[(٣)]، وقوله لبني قريظة: «قوموا إلىٰ سيدكم»[(٤)] يريد سعد بن معاذ من أجل أنهم قوم حديث عهدهم بالإسلام، وكانوا يحسبون أن السيادة بالنبوة كهي[(٥)] بأسباب الدنيا، وكان لهم رؤساء يعظمونهم، وينقادون لأمرهم، ويسمونهم السادات، فعلَّمهم الثناء عليه، وأرشدهم إلىٰ الأدب في ذلك»[(٦)].

قَـوْلُـهُ: «قُلْنَا: وَأَفْضَلُنَا فَضْلًا»: أي مزية، ومرتبة[(٧)].

قَـوْلُـهُ: «وَأَعْظَمُنَا طَولًا»: أي عطاء للأحباء وعلوا علىٰ الأعداء[(٨)].

قَـوْلُـهُ: «فَقَالَ: «قُولُوا بِقَوْلِكُمْ»: أي قولوا بقول أهل دينكم وملتكم، وادعوني نبيًا ورسولًا كما سماني الله عَزَّوَجَلَّ في كتابه فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ﴾، ولا تسموني سيدًا كما تسمون رؤساءكم وعظماءكم، ولا تجعلوني مثلهم فإني لست كأحدهم؛ إذ كانوا يَسُودونكم بأسباب الدنيا، وأنا أسودكم بالنبوة والرسالة فسموني نبيًا ورسولًا[(٩)].

---

(١) انظر: «النهاية في غريب الحديث» (٢/ ٤١٧).

(٢) انظر: «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» (٥/ ١٨٠).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٢٧٨)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (٣٠٤٣)، ومسلم (١٧٦٨)، عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٥) كهي: أي كالسيادة.

(٦) انظر: «معالم السنن» (٤/ ١١٢).

(٧) انظر: «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٧/ ٣٠٧٤).

(٨) انظر: «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٧/ ٣٠٧٤).

(٩) انظر: «معالم السنن» (٤/ ١١٢).

قال ابن الأثير: «أي ادعوني نبيًا ورسولًا كما سماني الله، ولا تسموني سيدًا كما تسمون رؤساءكم، فإني لست كأحدهم ممن يسودكم في أسباب الدنيا»[١].

قَولُهُ: «أَوْ بَعْضِ قَوْلِكُمْ»: فيه حذف واختصار ومعناه: دعوا بعض قولكم، واتركوه يريد بذلك الاقتصار في المقال[٢].

قَولُهُ: «وَلَا يَسْتَجْرِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ»: أي لا يتخذنكم جَرِيًّا، والجرِي: الوكيل، ويقال: الأجير أيضًا[٣].

والمعنى: تكلموا بما يحضركم من القول، ولا تتكلفوه، كأنكم وكلاء الشيطان، ورسله تنطقون على لسانه[٤].

قال ابن القيم: «ولا ينافي هذا قوله ﷺ: أنا سيد ولد آدم، فإن هذا إخبار منه عما أعطاه الله من سيادة النوع الإنساني، وفضّله، وشرَّفه عليهم.

وأما وصف الرب تعالىٰ بأنه السيد فذلك وصف لربه على الإطلاق، فإن سيد الخلق هو مالك أمرهم الذي إليه يرجعون، وبأمره يعملون، وعن قوله يصدرون، فإذا كانت الملائكة والإنس والجن خلقا له ﷻ، وملكا له ليس لهم غنىٰ عنه طرفة عين، وكل رغباتهم إليه وكل حوائجهم اليه كان هو سبحانه وتعالىٰ السيد علىٰ الحقيقة... والمقصود أنه لا يجوز لأحد أن يتسمىٰ بأسماء الله المختصة به.

وأما الأسماء التي تطلق عليه وعلىٰ غيره كالسميع، والبصير، والرؤوف، والرحيم، فيجوز أن يخبر بمعانيها عن المخلوق، ولا يجوز أن يتسمىٰ بها علىٰ الإطلاق بحيث يطلق عليه كما يطلق علىٰ الرب تعالىٰ»[٥].

---

(١) **انظر:** «النهاية في غريب الحديث» (٢/ ٤١٧).
(٢) **انظر:** «معالم السنن» (٤/ ١١٢).
(٣) **انظر:** «معالم السنن» (٤/ ١١٢).
(٤) **انظر:** «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٧/ ٣٠٧٥).
(٥) **انظر:** «تحفة المودود بأحكام المولود»، صـ (١٢٦-١٢٧).

قَـوْلُـهُ: «وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنَّ نَاسًا قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ يَا خَيْرَنَا وَابْنَ خَيْرِنَا»»: أي في الشرف والحسب.

قَـوْلُـهُ: «وَسَيِّدَنَا، وَابْنَ سَيِّدِنَا»: أي في النسب.

قَـوْلُـهُ: «فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا بِقَوْلِكُمْ، وَلَا يَسْتَهْوِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ»: أي تحملكم علىٰ اتباع الهوىٰ، وترك أوامر الله[1]، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ [الأنعام:٧١].

قَـوْلُـهُ: «أَنَا مُحَمَّدٌ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، مَا أُحِبُّ أَنْ تَرْفَعُونِي فَوْقَ مَنْزِلَتِي الَّتِي أَنْزَلَنِي اللهُ عَزَّ وَجَلَّ»: وهي كونه ﷺ عبد الله، ورسوله.

قال ابن القيم: اختلف الناس في جواز إطلاق السيد علىٰ البشر فمنعه قوم، ونُقِل عن مالك، واحتجوا بأنه قيل له: «**يا سيدنا قال: إنما السيد الله**».

وجوزه قوم، واحتجوا بقول النبي ﷺ: «**قوموا إلىٰ سيدكم**»، وهذا أصح من الحديث الأول.

قال هؤلاء: السيد أحدُ ما يضاف إلىٰ الله، فلا يقال لتميمي: إنه سيد كِنْدة، ولا يقال لمالك: إنه سيد البشر، وعلىٰ هذا فلا يجوز أن يطلق علىٰ الله هذا الاسم.

وفي هذا نظر، فإن السيد إذا أطلق عليه تعالىٰ فهو بمعنىٰ المالك، والمولىٰ، والرب لا بالمعنىٰ الذي يطلق علي المخلوق، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أعلم[2].

***

(١) **انظر:** «المفردات في غريب القرآن»، صـ(٨٤٩).

(٢) **انظر:** «بدائع الفوائد» (٣/ ٢١٣).

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأُولَى: تَحْذِيرُ النَّاسِ مِنَ الْغُلُوِّ.

الثَّانِيَةُ: مَا يَنْبَغِي أَنْ يَقُولَ مَنْ قِيلَ لَهُ: «أَنْتَ سَيِّدُنَا».

الثَّالِثَةُ: قَوْلُهُ: «لَا يَسْتَجْرِيَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ» مَعَ أَنَّهُمْ لَمْ يَقُولُوا إِلَّا الحَقَّ.

الرَّابِعَةُ: قَوْلُهُ: «مَا أُحِبُّ أَنْ تَرْفَعُونِي فَوْقَ مَنْزِلَتِي».

الشَّرْح

قَوْلُهُ: «الأُولَى: تَحْذِيرُ النَّاسِ مِنَ الْغُلُوِّ»: كما في قوله ﷺ: «قُولُوا بِقَوْلِكُمْ، أَوْ بَعْضِ قَوْلِكُمْ، وَلَا يَسْتَجْرِيَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ».

قَوْلُهُ: «الثَّانِيَةُ: مَا يَنْبَغِي أَنْ يَقُولَ مَنْ قِيلَ لَهُ: «أَنْتَ سَيِّدُنَا»»: يقول: السيد الله تبارك وتعالى.

قَوْلُهُ: «الثَّالِثَةُ: قَوْلُهُ: «لَا يَسْتَجْرِيَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ» مَعَ أَنَّهُمْ لَمْ يَقُولُوا إِلَّا الحَقَّ»: أي لم يقل الرجل إلا الحق، ومع هذا نهاه النبي ﷺ عن قوله؛ لئلا يكون أجيرا للشيطان.

قَوْلُهُ: «الرَّابِعَةُ: قَوْلُهُ: «مَا أُحِبُّ أَنْ تَرْفَعُونِي فَوْقَ مَنْزِلَتِي»»: أي التي أنزلني الله إياها، فلا تتعدوها.

[٦٦] بَابُ مَا جَاءَ فِي قَوْلِ اللهِ تَعَالَى:

﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الزُّمَر:٦٧] الآيَة

عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «جَاءَ حَبْرٌ مِنَ الأَحْبَارِ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّا نَجِدُ أَنَّ اللهَ يَجْعَلُ السَّمَاوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْأَرَضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالمَاءَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الخَلْقِ عَلَى إِصْبَعٍ، فَيَقُولُ: أَنَا الملِكُ، فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، تَصْدِيقًا لِقَوْلِ الحَبْرِ، ثُمَّ قَرَأَ ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الزُّمَر:٦٧] الآيَة»(١).

وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ: «وَالْجِبَالَ وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ، ثُمَّ يَهُزُّهُنَّ، فَيَقُولُ: أَنَا المَلِكُ أَنَا اللهُ»(٢).

وَفِي رِوَايَةٍ لِلْبُخَارِيِّ: «وَيَجْعَلُ السَّمَاوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالماءَ وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الخَلْقِ عَلَى إِصْبَعٍ»(٣) أَخْرَجَاهُ.

وَلِمُسْلِمٍ عَنْ ابْنِ عُمَرَ مَرْفُوعًا: «يَطْوِي اللهُ السَّمَاوَاتِ يَوْمَ القِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ اليُمْنَى، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا المَلِكُ، أَيْنَ الجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ المتَكَبِّرُونَ؟ ثُمَّ يَطْوِي الأَرَضِينَ السَّبْعَ، ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِشِمَالِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الملِكُ، أَيْنَ الجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ المتَكَبِّرُونَ؟»(٤).

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٤٨١١)، ومسلم (٢٧٨٦).
(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٧٨٦).
(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٤٨١١)، ومسلم (٢٧٨٦).
(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٧٨٨).

وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: «مَا السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ، وَالْأَرْضُونَ السَّبْعُ فِي كَفِّ الرَّحْمَنِ إِلَّا كَخَرْدَلَةٍ فِي يَدِ أَحَدِكُمْ»(١).

وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: حَدَّثَنِي يُونُسُ، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: حَدَّثَنِي أَبِي، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ فِي الْكُرْسِيِّ إِلَّا كَدَرَاهِمَ سَبْعَةٍ أُلْقِيَتْ فِي تُرْسٍ»(٢).

قَالَ: وَقَالَ أَبُو ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا الْكُرْسِيُّ فِي الْعَرْشِ إِلَّا كَحَلْقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ أُلْقِيَتْ بَيْنَ ظَهْرَيْ فَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ»(٣).

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: «بَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا وَالَّتِي تَلِيهَا خَمْسُمِائَةِ عَامٍ، وَبَيْنَ كُلِّ سَمَاءٍ وَسَمَاءٍ خَمْسُمِائَةِ عَامٍ، وَبَيْنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ وَالْكُرْسِيِّ خَمْسُمِائَةِ عَامٍ، وَبَيْنَ الْكُرْسِيِّ وَالماءِ خَمْسُمِائَةِ عَامٍ، وَالْعَرْشُ فَوْقَ الماءِ، وَاللهُ فَوْقَ الْعَرْشِ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِكُمْ»(٤)، أَخْرَجَهُ ابْنُ مَهْدِيٍّ عَنْ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ عَنْ عَاصِمٍ عَنْ زِرٍّ عَنْ عَبْدِ اللهِ.

وَرَوَاهُ بِنَحْوِهِ المسْعُودِيُّ عَنْ عَاصِمٍ عَنْ أَبِي وَائِلٍ عَنْ عَبْدِ اللهِ، قَالَهُ الحَافِظُ

---

(١) حسن: رواه عبد الله بن الإمام أحمد في «السنة» (١٠٩٠)، وابن جرير في «التفسير» (٢١/ ٣٢٤)، وابن بطة في «الإبانة الكبرى» (٢٣٧).
فيه: «عمرو بن مالك النُّكري»، قال عنه الحافظ في «التقريب»، صـ(٤٢٦): «صدوق له أوهام».
وفيه: «معاذ بن هشام الدستوائي»، قال عنه الحافظ في «التقريب»، صـ(٥٣٦): «صدوق ربما وهم».

(٢) مرسل: رواه ابن جرير في «التفسير» (٥٧٩٤)، والذهبي في «العلو»(٣١٣).
فيه: عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، قال عنه الحافظ في «التقريب»، صـ(٣٤٠): «ضعيف».

(٣) منقطع: رواه الطبري (٥٧٩٤)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٢/ ٥٨٧)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٨٦٢)، فيه محمد بن زيد لم يسمع من أبي ذر.

(٤) صحيح موقوف: رواه ابن خزيمة في «التوحيد» (٢/ ٨٨٥)، والدينوري في «المجالسة» (٢٨٣٠)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٢/ ٥٦٥)، واللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (٦٥٩)، والذهبي في «العلو» (٧٤)، وصححه، ووافقه الألباني في «مختصر العلو».

الذَّهَبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى قَالَ: وَلَهُ طُرُقٌ[1].

وَعَنْ العَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «هَلْ تَدْرُونَ كَمْ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ؟» قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «بَيْنَهُمَا مَسِيرَةُ خَمْسُمِائَةِ سَنَةٍ، وَمِنْ كُلِّ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ، مَسِيرَةُ خَمْسُمِائَةِ سَنَةٍ، وَكِثَفُ كُلِّ سَمَاءٍ مَسِيرَةُ خَمسِمائَةِ سَنَةٍ، وَبَيْنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ وَالْعَرْشِ بَحْرٌ بَيْنَ أَسْفَلِهِ وَأَعْلَاهُ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَاللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَوْقَ ذَلِكَ، وَلَيْسَ يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِ بَنِي آدَمَ»[2] أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُ.

الشَّـرْح

قَـوْلُـهُ: «بَابُ مَا جَاءَ فِي قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾»: أي وما عظَّم هؤلاء المشركونَ بالله -الذين يدعونك إلىٰ عبادة الأوثان- الله حقَّ عظمتِه[3] حين أشركوا به غيره[4].

قَـوْلُـهُ: «﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾»: أي والأرض كلها قبضته في يوم القيامة[5].

قَـوْلُـهُ: «﴿وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾»: أي والسماوات كلها مرفوعة مطويات بيده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى[6].

قَـوْلُـهُ: «﴿سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٦٧﴾»: تنزيها وتبرئة لله، وعلوا،

---

(١) انظر: «العلو»، للذهبي، صـ(٤٦).

(٢) ضعيف جدًّا: رواه أبو داود (٤٧٢٣)، والترمذي (٣٣٢٠)، وابن ماجه (١٨٢)، وأحمد (١٧٧٠)، وضعفه أحمد شاكر، والألباني.

(٣) انظر: «تفسير الطبري» (٢١/ ٣٢٣).

(٤) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٩٩).

(٥) انظر: «تفسير الطبري» (٢١/ ٣٢٤).

(٦) انظر: «تفسير الطبري» (٢١/ ٣٢٤).

وارتفاعا عما يشرك به هؤلاء المشركون من قومك يا محمد، القائلون لك: اعبد الأوثان من دون الله، واسجد لآلهتنا[(١)].

قال ابن كثير في تفسير الآية: «يقول تعالىٰ: وما قدر المشركون الله حق قدره، حين عبدوا معه غيره، وهو العظيم الذي لا أعظم منه، القادر علىٰ كل شيء، المالك لكل شيء، وكل شيء تحت قهره وقدرته»[(٢)].

قَولُه: «عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «جَاءَ حَبْرٌ مِنَ الأَحْبَارِ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ»»: أي عالم من علماء اليهود، يقال بفتح الحاء، وكسرها[(٣)].

قَولُه: «فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّا نَجِدُ أَنَّ اللهَ يَجْعَلُ السَّمَاوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالأَرَضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالمَاءَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الخَلْقِ عَلَى إِصْبَعٍ، فَيَقُولُ: أَنَا المَلِكُ، فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ»: أي حتىٰ ظهرت نواجذه.

والنواجذ من الأسنان: الضواحك وهي التي تبدو عند الضحك، والأكثر الأشهر أنها أقصىٰ الأسنان، والمراد الأول؛ لأنه ما كان يبلغ به الضحك ﷺ حتىٰ تبدو أواخر أضراسه[(٤)].

قَولُه: «تَصْدِيقًا لِقَوْلِ الحَبْرِ»: ليس من كلام النبي ﷺ إنما هو من كلام الراوي[(٥)].

قَولُه: «ثُمَّ قَرَأَ ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾»:

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٢١/ ٣٢٩).

(٢) انظر: «تفسير ابن كثير» (٧/ ١١٣).

(٣) انظر: «النهاية في غريب الحديث» (١/ ٣٢٨).

(٤) انظر: «النهاية في غريب الحديث» (٥/ ٢٠).

(٥) انظر: «إكمال المُعلِم بفوائد مسلم» (٨/ ٣١٧).

هذا فيه دلالة علىٰ صحة كلام الحبر.

قال ابن تيمية: «ففي هذه الآية، والأحاديث الصحيحة المفسرة لها المستفيضة التي اتفق أهل العلم علىٰ صحتها وتلقيها بالقبول ما يبين أن السموات والأرض وما بينهما بالنسبة إلىٰ عظمة الله تعالىٰ أصغر من أن تكون مع قبضه لها إلا كالشيء الصغير في يد أحدنا حتىٰ يدحوها كما تُدْحىٰ الكرة»[1].

قَـوْلُـهُ: «وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ: «وَالْجِبَالَ وَالشَّجَرَ عَلَىٰ إِصْبَعٍ، ثُمَّ يَهُزُّهُنَّ، فَيَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ أَنَا اللهُ»»: فيه إشارة أيضًا إلىٰ حقارتها أي: لا يثقل عليه لا إمساكها ولا تحريكها ولا قبضها ولا بسطها[2].

والهزهزة: تحريك اليد[3].

قَـوْلُـهُ: «وَفِي رِوَايَةٍ لِلْبُخَارِيِّ: «وَيَجْعَلُ السَّمَاوَاتِ عَلَىٰ إِصْبَعٍ، وَالْمَاءَ وَالثَّرَىٰ عَلَىٰ إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الْخَلْقِ عَلَىٰ إِصْبَعٍ»»: أي وباقي الخلائق علىٰ إصبع.

وهذا فيه إثبات صفة الأصابع لله سبحانه وتعالى.

قَـوْلُـهُ: «وَلِمُسْلِمٍ عَنْ ابْنِ عُمَرَ مَرْفُوعًا: «يَطْوِي اللهُ السَّمَاوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ الْيُمْنَىٰ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟»»: أي الظلمة القهارون[4].

قَـوْلُـهُ: «أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟»: أي بمالهم، وجاههم، وخيلهم، وحشمهم[5].

قَـوْلُـهُ: «ثُمَّ يَطْوِي الْأَرَضِينَ السَّبْعَ، ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِشِمَالِهِ»: لفظة: «شماله» شاذة، وقيل: ليست شاذة بل محفوظة.

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (٦/ ٥٦٢).

(٢) انظر: «عمدة القاري شرح صحيح البخاري» (٢٥/ ١٦٨).

(٣) انظر: «العين»، مادة «هزهز».

(٤) انظر: «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٨/ ٣٥٠٦).

(٥) انظر: «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٨/ ٣٥٠٦).

قال البيهقي: «فلم يذكر فيه أحد منهم الشمال، وروي ذكر الشمال في حديث آخر في غير هذه القصة إلا أنه ضعيف بمرَّةٍ؛ تفرد بأحدهما جعفر بن الزبير، وبالآخر يزيد الرَّقاشي، وهما متروكان، وكيف يصح ذلك؟ وصحيح عن النبي ﷺ أنه سمىٰ كلتا يديه يمينًا[1]، وكأن من قال ذلك أرسله من لفظه علىٰ ما وقع له، أو علىٰ عادة العرب في ذكر الشمال في مقابلة اليمين»[2].

قال الشيخ العثيمين: «ولكن إذا كانت لفظة «شمال» محفوظة، فهي عندي لا تنافي «كلتا يديه يمين»؛ لأن المعنىٰ أن اليد الأخرىٰ ليست كيد الشمال بالنسبة للمخلوق ناقصة عن اليد اليمنىٰ، فقال: «كلتا يديه يمين»، أي: ليس فيها نقص، ويؤيد هذا قوله في حديث آدم: «اخترت يمين ربي وكلتا يديه يمين مباركة»[3]، فلما كان الوهم يذهب إلىٰ أن إثبات الشمال، يعني: النقص في هذه اليد دون الأخرىٰ، قال: «كلتا يديه يمين»، ويؤيده أيضًا قوله: «المقسطون علىٰ منابر من نور علىٰ يمين الرحمن»[4]، فإن المقصود بيان فضلهم ومرتبتهم، وأنهم علىٰ يمين الرحمن سبحانه، وعلىٰ كل فإن يديه سبحانه اثنتان بلا شك، وكل واحدة غير الأخرىٰ، وإذا وصفنا اليد الأخرىٰ بالشمال، فليس المراد أنها أقل قوة من اليد اليمنىٰ، بل كلتا يديه يمين.

والواجب علينا أن نقول: إن ثبتت عن رسول الله ﷺ، فنحن نؤمن بها، ولا منافاة بينها وبين قوله: «كلتا يديه يمين» كما سبق، وإن لم تثبت، فلن نقول بها»[5].

---

(١) صحيح: رواه مسلم (١٨٢٧)، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.
(٢) انظر: «الأسماء والصفات»، للبيهقي (٢/ ١٣٩).
(٣) صحيح: رواه الترمذي (٣٣٦٨)، وصححه الألباني.
(٤) صحيح: رواه النسائي (٥٣٧٩)، وصححه الألباني.
(٥) انظر: «القول المفيد علىٰ كتاب التوحيد» (٢/ ٥٣٤-٥٣٥).

قَوْلُهُ: «ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الملِكُ، أَيْنَ الجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ المتَكَبِّرُونَ؟»: هذا الاستفهام للتحدي.

قَوْلُهُ: «وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: «مَا السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُونَ السَّبْعُ فِي كَفِّ الرَّحْمَنِ إِلَّا كَخَرْدَلَةٍ فِي يَدِ أَحَدِكُمْ»»: الخردل نبات صغير الحجم[(١)].

وهذا فيه عظمة الخالق ﷻ.

قَوْلُهُ: «وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: حَدَّثَنِي يُونُسُ، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: حَدَّثَنِي أَبِي، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ فِي الكُرْسِيِّ إِلَّا كَدَرَاهِمَ سَبْعَةٍ أُلْقِيَتْ فِي تُرْسٍ»»: الترس هو الدرع الذي يصد به ضربات العدو[(٢)].

قَوْلُهُ: «قَالَ: وَقَالَ أَبُو ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: سَمِعْتَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا الكُرْسِيُّ فِي العَرْشِ إِلَّا كَحَلْقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ أُلْقِيَتْ بَيْنَ ظَهْرَيْ فَلَاةٍ مِنَ الأَرْضِ»»: الفلاة الصحراء الواسعة[(٣)].

قَوْلُهُ: «وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: «بَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، وَالَّتِي تَلِيهَا خَمْسُمِائَةِ عَامٍ، وَبَيْنَ كُلِّ سَمَاءٍ وَسَمَاءٍ خَمْسُمِائَةِ عَامٍ، وَبَيْنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ وَالْكُرْسِيِّ خَمْسُمِائَةِ عَامٍ، وَبَيْنَ الكُرْسِيِّ وَالماءِ خَمْسُمِائَةِ عَامٍ، وَالْعَرْشُ فَوْقَ الماءِ، وَاللهُ فَوْقَ العَرْشِ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِكُمْ»»: أي مع بعد المسافة بيننا، وبين عرش الرحمن، فإنه لا يخفىٰ علىٰ الله شيء.

وفيه إثبات علو الله بذاته فوق العرش، وعظمة الخالق ﷻ.

قَوْلُهُ: «وَرَوَاهُ بِنَحْوِهِ المسْعُودِيُّ عَنْ عَاصِمٍ عَنْ أَبِي وَائِلٍ عَنْ عَبْدِ اللهِ،

---

(١) انظر: «القاموس المحيط»، مادة «خردل».

(٢) انظر: «العين»، و«مقاييس اللغة»، مادة «ترس».

(٣) انظر: «القاموس المحيط»، مادة «فلا».

قَالَهُ الحَافِظُ الذَّهَبِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى قَالَ: وَلَهُ طُرُقٌ»: ذكرها في كتابه «علو العلي الغفار».

قَـوْلُـهُ: «وَعَنْ العَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ المطَّلِبِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «هَلْ تَدْرُونَ كَمْ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ؟» قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «بَيْنَهُمَا مَسِيرَةُ خَمْسُمِائَةِ سَنَةٍ، وَمِنْ كُلِّ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ، مَسِيرَةُ خَمْسُمِائَةِ سَنَةٍ، وَكِثَفُ كُلِّ سَمَاءٍ مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ، وَبَيْنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ وَالْعَرْشِ بَحْرٌ بَيْنَ أَسْفَلِهِ وَأَعْلَاهُ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَاللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فَوْقَ ذَلِكَ، وَلَيْسَ يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِ بَنِي آدَمَ»»: هذا الحديث ضعيف جدًا كما تقدم في الحاشية.



فِيهِ مَسَائِلُ:

الأُولَى: تَفْسِيرُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ [الزُّمَر:٦٧].

الثَّانِيَةُ: أَنَّ هَذِهِ العُلُومَ، وَأَمْثَالَهَا بَاقِيَةٌ عِنْدَ اليَهُودِ الَّذِينَ فِي زَمَنِهِ ﷺ لَمْ يُنْكِرُوهَا، وَلَمْ يَتَأَوَّلُوهَا.

الثَّالِثَةُ: أَنَّ الحَبْرَ لَمَّا ذَكَرَ لِلنَّبِيِّ ﷺ صَدَّقَهُ، وَنَزَلَ القُرْآنُ بِتَقْرِيرِ ذَلِكَ.

الرَّابِعَةُ: وُقُوعُ الضَّحِكِ مِنْهُ ﷺ لَمَّا ذَكَرَ الحَبْرُ هَذَا العِلْمَ العَظِيمَ.

الخَامِسَةُ: التَّصْرِيحُ بِذِكْرِ اليَدَيْنِ، وَأَنَّ السَّمَاوَاتِ فِي اليَدِ اليُمْنَى، وَالْأَرَضِينَ فِي اليَدِ الأُخْرَى.

السَّادِسَةُ: التَّصْرِيحُ بِتَسْمِيَتِهَا الشِّمَالِ.

السَّابِعَةُ: ذِكْرُ الجَبَّارِينَ، وَالمتَكَبِّرِينَ عِنْدَ ذَلِكَ.

الثَّامِنَةُ: قَوْلُهُ: «كَخَرْدَلَةٍ فِي كَفِّ أَحَدِكُمْ».

التَّاسِعَةُ: عِظَمُ الكُرْسِيِّ بِالنِّسْبَةِ إِلَى السَّمَوَاتِ.

العَاشِرَةُ: عِظَمُ العَرْشِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الكُرْسِيِّ.

الحَادِيَةَ عَشْرَةَ: أَنَّ العَرْشَ غَيْرُ الكُرْسِيِّ، وَالماءِ.

الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ: كَمْ بَيْنَ كُلِّ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ.

الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ: كَمْ بَيْنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، وَالْكُرْسِيِّ.

الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ: كَمْ بَيْنَ الكُرْسِيِّ، وَالماءِ.

الخَامِسَةَ عَشْرَةَ: أَنَّ العَرْشَ فَوْقَ الماءِ.

السَّادِسَةَ عَشْرَةَ: أَنَّ اللهَ فَوْقَ العَرْشِ.

السَّابِعَةَ عَشْرَةَ: كَمْ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ.

الثَّامِنَةَ عَشْرَةَ: كِثَفُ كُلِّ سَمَاءٍ خَمْسُمِائَةِ سَنَةٍ.

التَّاسِعَةَ عَشْرَةَ: أَنَّ البَحْرَ الَّذِي فَوْقَ السَّمَاوَاتِ بَيْنَ أَعْلَاهُ وَأَسْفَلِهِ مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ.

وَاللهُ ﷻ أَعْلَمُ، وَالحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ، وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

الشَّرْح

قَوْلُهُ: «الأُولَى: تَفْسِيرُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾»: تفسيرها ما جاء في الأحاديث بعدها.

قَوْلُهُ: «الثَّانِيَةُ: أَنَّ هَذِهِ العُلُومَ، وَأَمْثَالَهَا بَاقِيَةٌ عِنْدَ اليَهُودِ الَّذِينَ فِي زَمَنِهِ ﷺ لَمْ يُنْكِرُوهَا وَلَمْ يَتَأَوَّلُوهَا»: كما نص علىٰ ذلك الحبر اليهودي، وهذا بخلاف المبتدعة من هذه الأمة الذين أولوها، وحرفوها.

قَوْلُهُ: «الثَّالِثَةُ: أَنَّ الحَبْرَ لَمَّا ذَكَرَ لِلنَّبِيِّ ﷺ صَدَّقَهُ، وَنَزَلَ القُرْآنُ بِتَقْرِيرِ ذَلِكَ»: أي بتقرير كلام الحبر اليهودي.

قَوْلُهُ: «الرَّابِعَةُ: وُقُوعُ الضَّحِكِ مِنْهُ ﷺ لَمَّا ذَكَرَ الحَبْرُ هَذَا العِلْمَ العَظِيمَ»: هذا فيه مشروعية الضحك لتقرير الأشياء.

قَوْلُهُ: «الخَامِسَةُ: التَّصْرِيحُ بِذِكْرِ اليَدَيْنِ، وَأَنَّ السَّمَاوَاتِ فِي اليَدِ اليُمْنَى، وَالأَرَضِينَ فِي اليَدِ الأُخْرَى»: كما جاء في الأحاديث المتقدمة.

قَوْلُهُ: «السَّادِسَةُ: التَّصْرِيحُ بِتَسْمِيَتِهَا الشِّمَالِ»: قيل: لفظ «**الشمال**» شاذ، وقيل: غيره، كما تقدم.

قَوْلُهُ: «السَّابِعَةُ: ذِكْرُ الجَبَّارِينَ، وَالمُتَكَبِّرِينَ عِنْدَ ذَلِكَ»: كما تقدم في الأحاديث.

قَوْلُهُ: «الثَّامِنَةُ: قَوْلُهُ: «كَخَرْدَلَةٍ فِي كَفِّ أَحَدِكُمْ»»: هذا فيه إثبات عظمة الخالق ﷻ.

قَوْلُهُ: «التَّاسِعَةُ: عِظَمُ الكُرْسِيِّ بِالنِّسْبَةِ إِلَى السَّمَوَاتِ»: كما تقدم في الأحاديث.

قَوْلُهُ: «العَاشِرَةُ: عِظَمُ العَرْشِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الكُرْسِيِّ»: كما تقدم في الأحاديث.

قَوْلُهُ: «الحَادِيَةَ عَشْرَةَ: أَنَّ العَرْشَ غَيْرُ الكُرْسِيِّ، وَالماءِ»: العرش هو سرير الملك، والكرسي موضع القدمين.

قَوْلُهُ: «الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ: كَمْ بَيْنَ كُلِّ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ»: خمسمائة سنة.

قَوْلُهُ: «الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ: كَمْ بَيْنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ وَالْكُرْسِيِّ»: خمسمائة سنة.

قَوْلُهُ: «الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ: كَمْ بَيْنَ الكُرْسِيِّ وَالماءِ»: خمسمائة سنة.

قَوْلُهُ: «الخَامِسَةَ عَشْرَةَ: أَنَّ العَرْشَ فَوْقَ الماءِ»: كما تقدم في حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

قَوْلُهُ: «السَّادِسَةَ عَشْرَةَ: أَنَّ اللهَ فَوْقَ العَرْشِ»: كما تقدم في حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

قَوْلُهُ: «السَّابِعَةَ عَشْرَةَ: كَمْ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ»: خمسمائة عام.

قَوْلُهُ: «الثَّامِنَةَ عَشْرَةَ: كِثَفُ كُلِّ سَمَاءٍ خَمْسُمِائَةِ سَنَةٍ»: أي سُمك كل سماء خمسمائة سنة.

قَوْلُهُ: «التَّاسِعَةَ عَشْرَةَ: أَنَّ البَحْرَ الَّذِي فَوْقَ السَّمَاوَاتِ بَيْنَ أَعْلَاهُ، وَأَسْفَلِهِ مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ»: كما في أثر العباس رضي الله عنه المتقدم.

قَوْلُهُ: «وَاللهُ ﷻ أَعْلَمُ، وَالحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَى

سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ، وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ»: ختم المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ كتابه بنسبة العلم لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والثناء عليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والصلاة والسلام علىٰ رسوله ﷺ، وعلىٰ آله، وأصحابه أجمعين.

تم الشرح

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

المصادر والمراجع

١- **الإبانة الكبرى**، لأبي عبد الله عبيد الله بن محمد ابن بطَّة العكبري «ت ٣٨٧هـ»، تحقيق: رضا معطي، وآخرين، طبعة: دار الراية- الرياض، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م.

٢- **اجتماع الجيوش الإسلامية**، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية «ت ٧٥١هـ»، تحقيق: عواد عبد الله المعتق، طبعة: مطابع الفرزدق التجارية - الرياض، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.

٣- **الإجماع**، لأبي بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري «ت ٣١٩هـ»، تحقيق: د. أبي حماد صغير أحمد بن محمد حنيف، طبعة: دار عالم الكتب- الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م.

٤- **إجماع الأئمة الأربعة واختلافهم**، للوزير عون الدين بن هبيرة «ت ٥٦٠هـ»، دراسة وتحقيق: محمد حسين الأزهري، طبعة: دار العُلا- مصر، الطبعة: الثانية، ١٤٣١هـ، ٢٠١٠م.

٥- **الأحاديث المختارة «المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما»**، لضياء الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي «ت ٦٤٣هـ»، دراسة وتحقيق: د. عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، طبعة: دار خضر- بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م.

٦- **إحكام الإحكام شرح عمدة الأحكام**، لابن دقيق العيد، طبعة: مطبعة السنة المحمدية، الطبعة: بدون طبعة، وبدون تاريخ.

٧- **الأربعون النووية**، لأبي زكريا محيي الدين يحيىٰ بن شرف النووي «ت

٦٧٦هـ»، عُنِيَ به: قصي محمد نورس الحلاق، وأنور بن أبي بكر الشيخي، طبعة: دار المنهاج- بيروت، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م.

٨- **الأسماء والصفات**، لأحمد بن الحسين بن علي بن موسىٰ البيهقي «ت ٤٥٨هـ»، تحقيق: عبد الله بن محمد الحاشدي، طبعة: مكتبة السوادي- جدة، الطبعة: الأولىٰ، ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م.

٩- **إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري**، لأحمد بن محمد بن أبىٰ بكر بن عبد الملك القسطلاني «ت ٩٢٣هـ»، طبعة: المطبعة الكبرىٰ الأميرية- مصر، الطبعة: السابعة، ١٣٢٣هـ.

١٠- **إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل**، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني «ت ١٤٢٠هـ»، طبعة: المكتب الإسلامي- بيروت، الطبعة: الأولىٰ، ١٣٩٩هـ.

١١- **أسباب نزول القرآن**، لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي «ت ٤٦٨هـ»، تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، طبعة: دار الإصلاح - الدمام، الطبعة: الثانية، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م.

١٢- **الاستذكار**، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر «ت ٤٦٣هـ»، تحقيق: سالم محمد عطا، ومحمد علي معوض، طبعة: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م.

١٣- **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر «ت ٤٦٣هـ»، تحقيق: علي محمد البجاوي، طبعة: دار الجيل- بيروت، الطبعة: الأولىٰ، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م.

١٤- **أسد الغابة**، لأبي الحسن علي بن أبي الكرم ابن الأثير «ت ٦٣٠هـ»، طبعة: دار الفكر - بيروت، بدون طبعة، ١٤٠٩هـ، ١٩٨٩م.

١٥- **الإصابة في تمييز الصحابة**، لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن

أحمد بن حجر العسقلاني «ت ٨٥٢هـ»، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلىٰ محمد معوض، طبعة: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولىٰ، ١٤١٥هـ.

١٦- **إعلام الموقعين عن رب العالمين**، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية «ت ٧٥١هـ»، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، طبعة: دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة: الأولىٰ، ١٤١١هـ، ١٩٩١م.

١٧- **إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان**، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية «ت ٧٥١هـ»، تحقيق: محمد حامد الفقي، تحقيق: مكتبة المعارف- الرياض، المملكة العربية السعودية.

١٨- **إكمال المعلم**، للقاضي عياض اليحصبي «ت ٥٤٤هـ»، تحقيق: الدكتور يحيىٰ إسماعيل، طبعة: دار الوفاء- مصر، الطبعة: الأولىٰ، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م.

١٩- **اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم**، لتقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية «ت ٧٢٨هـ»، تحقيق: ناصر عبد الكريم العقل، طبعة: دار عالم الكتب- بيروت، لبنان، الطبعة: السابعة، ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م.

٢٠- **الإقناع لطالب الانتفاع**، لشرف الدين موسىٰ بن أحمد الحجاوي، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، طبعة: دار عالم الكتب- الرياض، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م.

٢١- **بدائع الفوائد**، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية «ت ٧٥١هـ»، طبعة: دار الكتاب العربي- بيروت.

٢٢- **البداية والنهاية**، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير «ت ٧٧٤هـ»،

تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، طبعة: دار هجر- القاهرة، الطبعة: الأولىٰ، ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م.

٢٣- **تاج العروس من جواهر القاموس**، لمحمد بن محمد الحسيني الزَّبيدي «ت ١٢٠٥هـ»، تحقيق: مجموعة من المحققين، طبعة: مطبعة حكومة الكويت، الطبعة: الأولىٰ، ١٣٨٥هـ، ١٩٦٥م.

٢٤- **تاريخ بغداد**، لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي «ت ٤٦٣هـ»، تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف، طبعة: دار الغرب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م.

٢٥- **التاريخ الكبير**، لمحمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري «ت ٢٥٦هـ»، تحقيق: محمد عبد المعيد خان، الطبعة: دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد - الدكن، بدون طبعة، وبدون تاريخ نشر.

٢٦- **تاريخ الطبري «تاريخ الرسل والملوك»**، لمحمد بن جرير بن يزيد الطبري «ت ٣١٠هـ»، طبعة: دار التراث - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٨٧هـ.

٢٧- **التبيان في أقسام القرآن**، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية «ت ٧٥١هـ»، تحقيق: محمد حامد الفقي، طبعة: دار المعرفة- بيروت، بدون طبعة، وبدون تاريخ.

٢٨- **التحبير شرح التحرير في أصول الفقه**، لعلاء الدين أبو الحسن علي بن سليمان المرداوي «ت ٨٨٥هـ»، تحقيق: د. عبد الرحمن الجبرين، وآخرين، طبعة: مكتبة الرشد - الرياض، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م

٢٩- **تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد**، لمحمد ناصر الدين الألباني «ت ١٤٢٠هـ»، طبعة: المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الرابعة، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.

٣٠- **تحفة المودود بأحكام المولود**، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم

الجوزية «ت ٧٥١هـ»، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، طبعة: مكتبة دار البيان - دمشق، الطبعة: الأولىٰ، ١٣٩١هـ، ١٩٧١م.

٣١- **تخريج أحاديث فضائل الشام ودمشق، لأبي الحسن علي بن محمد الربعي،** للشيخ محمد ناصر الدين الألباني «ت ١٤٢٠هـ»، طبعة: مكتبة المعارف- الرياض، الطبعة: الأولىٰ،١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م.

٣٢- **تذكرة الحفاظ،** لعبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن الذهبي «ت ٧٤٨هـ»، طبعة: دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة: الأولىٰ، ١٤١٩هـ ١٩٩٨م.

٣٣- **تطريز رياض الصالحين،** لفيصل بن عبد العزيز بن فيصل النجدي «ت ١٣٧٦هـ»، تحقيق: د. عبد العزيز آل حمد، طبعة: دار العاصمة- الرياض، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م.

٣٤- **التعريفات،** لعلي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني «ت ٨١٦هـ»، تحقيق: جماعة من العلماء بإشراف الناشر، طبعة: دار الكتب العلمية- بيروت، لبنان، الطبعة: الأولىٰ ١٤٠٣هـ،١٩٨٣م.

٣٥- **التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان وتمييز سقيمه من صحيحه، وشاذه من محفوظه،** للشيخ محمد ناصر الدين الألباني «ت ١٤٢٠هـ»، طبعة: دار باوزير- جدة، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م.

٣٦- **تغليق التعليق على صحيح البخاري،** لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني «ت ٨٥٢هـ»، تحقيق: سعيد عبد الرحمن موسىٰ القزقي، طبعة: المكتب الإسلامي- بيروت، ودار عمار- الأردن، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٠٥هـ.

٣٧- **تفسير ابن أبي حاتم «تفسير القرآن العظيم»،** لأبي محمد عبد الرحمن بن محمد ابن أبي حاتم «ت ٣٢٧هـ»، تحقيق: أسعد محمد الطيب،

طبعة: مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة، ١٤١٩هـ.

٣٨- تفسير ابن عطية «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز»، لعبد الحق بن غالب بن عطية «ت ٥٤٢هـ»، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، طبعة: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢٢هـ.

٣٩- تفسير ابن كثير «تفسير القرآن العظيم»، لإسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي «ت ٧٧٤هـ»، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، طبعة: دار طيبة- الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.

٤٠- تفسير الألوسي «روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني»، لشهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي «ت ١٢٧٠هـ»، تحقيق: علي عبد الباري عطية، طبعة: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولىٰ، ١٤١٥هـ.

٤١- تفسير البغوي «معالم التنزيل»، للحسين بن مسعود البغوي «ت ٥١٦هـ»، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، طبعة: دار إحياء التراث العربي- بيروت، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢٠هـ.

٤٢- تفسير عبد الرزاق، لأبي بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني «ت ٢١١هـ»، دراسة وتحقيق: د. محمود محمد عبده، طبعة: دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة: الأولىٰ، ١٤١٩هـ.

٤٣- تفسير القرطبي «الجامع لأحكام القرآن»، أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي «ت ٦٧١هـ»، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، طبعة: دار الكتب المصرية- القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ، ١٩٦٤م.

٤٤- تفسير الطبري «جامع البيان عن تأويل القرآن»، لأبي جعفر محمد

بن جرير الطبري «ت ٣١٠هـ»، تحقيق: أحمد محمد شاكر، طبعة: مؤسسة الرسالة- بيروت، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠ م.

٤٥- **تفسير السعدي «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان»**، للشيخ عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي «ت ١٣٧٦هـ»، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، طبعة: مؤسسة الرسالة- بيروت، الطبعة: الأولىٰ ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م.

٤٦- **التفسير الوجيز**، لعلي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي «ت ٤٦٨هـ»، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، طبعة: دار القلم ، الدار الشامية - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولىٰ، ١٤١٥هـ.

٤٧- **التفسير الوسيط «الوسيط في تفسير القرآن المجيد»**، لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي «ت ٤٦٨هـ»، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، وآخري، طبعة: دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة: الأولىٰ، ١٤١٥هـ، ١٩٩٤م.

٤٨- **تقريب التهذيب**، لأحمد بن حجر العسقلاني «ت ٨٥٢هـ»، تحقيق: محمد عوامة، طبعة: دار الرشيد - سوريا، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.

٤٩- **تهذيب الأسماء واللغات**، لأبي زكريا محيي الدين يحيىٰ بن شرف النووي «ت ٦٧٦هـ»، طبعة: المطبعة المنيرية، بدون طبعة، وبدون تاريخ.

٥٠- **تهذيب اللغة**، لمحمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبي منصور «ت ٣٧٠هـ»، تحقيق: محمد عوض مرعب، طبعة: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولىٰ، ٢٠٠١م.

٥١- **التمهيد لشرح كتاب التوحيد**، د. صالح آل الشيخ، طبعة: مكتبة دار المنهاج، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٣٢هـ.

٥٢- **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد**، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر «ت ٤٦٣هـ»، تحقيق: مصطفىٰ بن أحمد العلوي، ومحمد عبد الكبير البكري، طبعة: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب، ١٣٨٧هـ.

٥٣- **التدمرية**، لتقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية «ت ٧٢٨هـ»، تحقيق: د. محمد بن عودة السعوي، طبعة: مكتبة العبيكان- الرياض، الطبعة: السادسة، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م.

٥٤- **التيسير بشرح الجامع الصغير**، لزين الدين محمد المناوي «ت ١٠٣١هـ»، طبعة: مكتبة الإمام الشافعي - الرياض، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.

٥٥- **تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذى هو حق الله على العبيد**، لسليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب «ت ١٢٣٣هـ»، تحقيق: زهير الشاويش، طبعة: المكتب الاسلامي- بيروت، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م.

٥٦- **الجامع**، لمعمر بن أبي عمرو راشد «ت ١٥٣هـ»، منشور مع مصنف عبد الرزاق، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، طبعة: المجلس العلمي- باكستان، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ.

٥٧- **جامع بيان العلم وفضله**، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي «ت ٤٦٣هـ»، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، طبعة: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولىٰ، ١٤١٤هـ ١٩٩٤م.

٥٨- **جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم**، لزين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي «ت ٧٩٥هـ»، تحقيق:

شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس، طبعة: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: السابعة، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م.

٥٩- **جامع المسائل**، لتقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية «ت ٧٢٨هـ»، تحقيق: محمد عزير شمس، طبعة: دار عالم الفوائد- الرياض، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢٢هـ.

٦٠- **جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام**، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية «ت ٧٥١هـ»، تحقيق: شعيب الأرناؤوط - عبد القادر الأرناؤوط، طبعة: دار العروبة - الكويت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.

٦١- **الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح**، لتقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية «ت ٧٢٨هـ»، تحقيق: علي بن حسن، وآخرين، طبعة: دار العاصمة- السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م.

٦٢- **جواب في الحلف بغير الله والصلاة إلى القبور، ويليه: فصل في الاستغاثة**، لتقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية «ت ٧٢٨هـ»، تحقيق: فواز محمد أحمد العوضي، طبع في الكويت، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٣١هـ.

٦٣- **حاشية ابن القيم على سنن أبي داود «تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته»**، مطبوع مع عون المعبود، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية «ت ٧٥١هـ»، طبعة: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٥هـ.

٦٤- **حاشية السندي على سنن ابن ماجه «كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجه»**، لمحمد بن عبد الهادي السندي «ت ١١٣٨هـ»، طبعة: دار الجيل - بيروت، بدون طبعة.

٦٥- **حاشية السندي على سنن النسائي**، لمحمد بن عبد الهادي السندي

«ت ١١٣٨هـ»، طبعة: مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.

٦٦- حاشية السيوطي على سنن النسائي، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي «ت ٩١١هـ»، طبعة: مكتب المطبوعات الإسلامية- حلب، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.

٦٧- حاشية كتاب التوحيد، لعبد الرحمن بن محمد بن قاسم النجدي «ت ١٣٩٢هـ»، بدون دار نشر، الطبعة: الرابعة، ١٤١٤هـ.

٦٨- حجة الوداع، لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم «ت ٤٥٦هـ»، تحقيق: أبو صهيب الكرمي، طبعة: بيت الأفكار الدولية- الرياض، الطبعة: الأولىٰ، ١٩٩٨م.

٦٩- الحكم الجديرة بالإذاعة من قول النبي ﷺ بعثت بالسيف بين يدي الساعة، لعبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي «ت ٧٩٥هـ»، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، طبعة: دار المأمون - دمشق، الطبعة: الأولىٰ، ١٩٩٠م

٧٠- حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وآثاره العلمية، لإسماعيل بن محمد بن ماحي السعدي الأنصاري «ت ١٤١٧هـ»، طبعة: عمادة البحث العلمي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٠م.

٧١- الداء والدواء «الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي»، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية «ت ٧٥١هـ»، تحقيق: محمد أجمل الإصلاحي، خرج أحاديثه: زائد بن أحمد النشيري، طبعة: مجمع الفقه الإسلامي- جدة، ودار عالم الفوائد- جدة، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢٩هـ.

٧٢- درء تعارض العقل والنقل، لتقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية «ت ٧٢٨هـ»، تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم، طبعة: جامعة الإمام محمد

بن سعود الإسلامية- المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤١١هـ ١٩٩١م.

٧٣- الدرر السنية في الأجوبة النجدية، لعلماء نجد الأعلام، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الطبعة: السادسة، ١٤١٧هـ،١٩٩٦م.

٧٤- دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، لمحمد علي بن محمد البكري «ت ١٠٥٧هـ»، اعتنىٰ بها: خليل مأمون شيحا، طبعة: دار المعرفة- بيروت، الطبعة: الرابعة، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤ م.

٧٥- الرد على الإخنائي قاضي المالكية، لتقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية «ت ٧٢٨هـ»، تحقيق: الداني بن منير آل زهوي، طبعة: المكتبة العصرية - بيروت، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢٣هـ.

٧٦- رسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية «ت ٧٥١هـ»، تحقيق: عبد الله بن محمد المديفر، طبعة: مطابع الشرق الأوسط - الرياض، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢٠هـ

٧٧- روضة المحبين ونزهة المشتاقين، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية «ت ٧٥١هـ»، طبعة: دار الكتب العلمية- بيروت، لبنان، الطبعة: ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.

٧٨- روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، لموفق الدين بن قدامة المقدسي «ت ٦٢٠هـ»، تحقيق: د. عبدالكريم بن علي النملة، طبعة: مكتبة الرشد- الرياض، الطبعة: التاسعة، ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م.

٧٩- رياض الصالحين، لأبي زكريا محيي الدين يحيىٰ بن شرف النووي «ت ٦٧٦هـ»، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، طبعة: مؤسسة الرسالة- بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٩هـ،١٩٩٨م.

٨٠- **زاد المعاد في هدي خير العباد**، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية «ت ٧٥١هـ»، طبعة: مؤسسة الرسالة- بيروت، ومكتبة المنار الإسلامية- الكويت، الطبعة: السابعة والعشرون، ١٤١٥هـ، ١٩٩٤م.

٨١- **الزهد والرقائق**، لأبي عبد الرحمن عبد الله بن المبارك «ت ١٨١هـ»، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، طبعة: دار الكتب العلمية - بيروت، بدون طبعة، وبدون تاريخ.

٨٢- **الزهد**، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل «ت ٢٤١هـ»، تحقيق: محمد عبد السلام شاهين، طبعة: دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.

٨٣- **زيارة القبور والاستنجاد بالمقبور**، لتقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية «ت ٧٢٨هـ»، طبعة: دار طيبة- الرياض، بدون طبعة، وبدون تاريخ.

٨٤- **سبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام**، لمحمد بن إسماعيل الصنعاني «ت ١١٨٢هـ»، طبعة: دار الحديث- القاهرة، الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ.

٨٥- **سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها**، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني «ت ١٤٢٠هـ»، طبعة: مكتبة المعارف- المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م.

٨٦- **سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة**، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني «ت ١٤٢٠هـ»، طبعة: دار المعارف الرياض، الطبعة: الأولىٰ، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م.

٨٧- **السنة**، لأبي بكر بن أبي عاصم وهو أحمد «ت ٢٨٧هـ» تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، طبعة: المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٠٠هـ.

٨٨- سنن ابن ماجه، لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني «ت ٢٧٣هـ»، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، طبعة: دار إحياء الكتب العربية- مصر.

٨٩- سنن أبي داود، لأبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق السِّجِسْتاني «ت ٢٧٥هـ»، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، طبعة: المكتبة العصرية- بيروت.

٩٠- سنن الترمذي، لمحمد بن عيسىٰ بن سَوْرة الترمذي «ت ٢٧٩هـ»، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر [جـ ١، ٢]، ومحمد فؤاد عبد الباقي [جـ ٣]، وإبراهيم عطوة عوض [جـ ٤، ٥]، طبعة: شركة مكتبة، ومطبعة مصطفىٰ البابي الحلبي- مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥هـ، ١٩٧٥م.

٩١- سنن الدارقطني، لأبي الحسن علي بن عمر بن أحمد الدارقطني «ت ٣٨٥هـ»، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وآخرين، طبعة: مؤسسة الرسالة- بيروت، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٤م.

٩٢- سنن سعيد بن منصور، لأبي عثمان سعيد بن منصور بن شعبة «ت ٢٢٧هـ»، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، طبعة: الدار السلفية - الهند، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٠٣هـ،١٩٨٢م.

٩٣- تأويل مختلف الحديث، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة «ت ٢٧٦هـ»، طبعة: المكتب الاسلامي، بيروت، الطبعة: الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ ١٩٩٩م.

٩٤- السنن الكبرى، لأحمد بن الحسين بن علي البيهقي «ت ٤٥٨هـ»، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، طبعة: دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣ م.

٩٥- سنن النسائي الصغرى، لأحمد بن شعيب النسائي «ت ٣٠٣هـ»، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، طبعة: مكتب المطبوعات الإسلامية- حلب،

الطبعة: الثانية، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.

٩٦- سير أعلام النبلاء، لمحمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي «ت ٧٤٨هـ»، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، طبعة: مؤسسة الرسالة- بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥ م.

٩٧- سنن النسائي الكبرى، لأحمد بن شعيب النسائي «ت ٣٠٣هـ»، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، طبعة: مؤسسة الرسالة- بيروت، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢١هـ، ٢٠٠١م.

٩٨- شأن الدعاء، لأبي سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي «ت ٣٨٨هـ»، تحقيق: أحمد يوسف الدّقاق، طبعة: دار الثقافة العربية، الطبعة: الثالثة، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م.

٩٩- شرح الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية، لتقي الدين محمد بن علي ابن دقيق العيد «ت ٧٠٢هـ»، طبعة: مؤسسة الريان- مصر، الطبعة: السادسة، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣ م.

١٠٠- شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، لمحمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، طبعة: مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م.

١٠١- شرح السنة، للحسين بن مسعود بن محمد البغوي «ت ٥١٦هـ»، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ومحمد زهير الشاويش، طبعة: المكتب الإسلامي- دمشق، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.

١٠٢- شرح سنن أبي داود، لمحمود بن أحمد بن موسىٰ بدر الدين العيني «ت ٨٥٥هـ»، تحقيق: خالد بن إبراهيم المصري، طبعة: مكتبة الرشد- الرياض، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.

١٠٣- شرح صحيح البخاري، لابن بطال أبي الحسن علي بن خلف بن عبد الملك «ت ٤٤٩هـ»، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، طبعة: مكتبة الرشد- الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

١٠٤- شرح صحيح مسلم «المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج»، للنووي أبي زكريا محيي الدين يحيىٰ بن شرف «ت ٦٧٦هـ»، طبعة: دار إحياء التراث العربي- بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢هـ.

١٠٥- شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد «ت ٧٩٢هـ»، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعبد الله بن المحسن التركي، طبعة: مؤسسة الرسالة- بيروت، الطبعة: العاشرة، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م.

١٠٦- شرف أصحاب الحديث، لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي «ت ٤٦٣هـ»، تحقيق: د. محمد سعيد خطي اوغلي، طبعة: دار إحياء السنة النبوية - أنقرة، بدون طبعة، وبدون تاريخ.

١٠٧- شُعب الإيمان، لأحمد بن الحسين بن علي بن موسىٰ البيهقي، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: د. عبد العلي عبد الحميد حامد، طبعة: مكتبة الرشد- الرياض، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٣م.

١٠٨- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية «ت ٧٥١هـ»، طبعة: دار المعرفة، بيروت، الطبعة: ١٣٩٨هـ، ١٩٧٨م.

١٠٩- الصارم المسلول على شاتم الرسول، لتقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية «ت ٧٢٨هـ»، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، طبعة: الحرس الوطني السعودي- المملكة العربية السعودية، بدون طبعة، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.

١١٠- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي «ت ٣٩٣هـ»، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، طبعة: دار

العلم للملايين - بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.

١١١- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، لمحمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ «ت ٣٥٤هـ»، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، طبعة: مؤسسة الرسالة- بيروت، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.

١١٢- صحيح ابن خزيمة، لأبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة «ت ٣١١هـ»، تحقيق: د. محمد مصطفىٰ الأعظمي، طبعة: المكتب الإسلامي - بيروت، بدون طبعة، وبدون تاريخ.

١١٣- صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري «ت ٢٥٦هـ»، ترقيم عبدالباقي، طبعة: دار الشعب- القاهرة، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.

١١٤- صحيح الجامع، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني «ت ١٤٢٠هـ»، طبعة: المكتب الإسلامي- بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.

١١٥- صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج أبي الحسين القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي «ت ٢٦١هـ»، طبعة: دار إحياء التراث العربي- بيروت.

١١٦- صحيح وضعيف سنن ابن ماجه، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني «ت ١٤٢٠هـ»، طبعة: مكتب التربية العربي لدول الخليج، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٠٩هـ.

١١٧- صحيح وضعيف سنن أبي داود، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني «ت ١٤٢٠هـ»، طبعة: مكتب التربية العربي لدول الخليج، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٠٩هـ.

١١٨- صحيح وضعيف سنن الترمذي، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني

«ت ١٤٢٠هـ»، طبعة: مكتب التربية العربي لدول الخليج، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٠٩هـ.

١١٩- **صحيح وضعيف سنن النسائي**، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني «ت ١٤٢٠هـ»، طبعة: مكتب التربية العربي لدول الخليج، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٠٩هـ.

١٢٠- **الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة**، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية «ت ٧٥١هـ»، تحقيق: علي بن محمد الدخيل الله، طبعة: دار العاصمة- الرياض، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٠٨هـ.

١٢١- **طرح التثريب في شرح التقريب**، لأبي الفضل زين الدين عبد الرحيم العراقي «ت ٨٠٦هـ»، طبعة: الطبعة المصرية القديمة، بدون طبعة، وبدون تاريخ.

١٢٢- **طريق الهجرتين وباب السعادتين**، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية «ت ٧٥١هـ»، طبعة: دار السلفية- القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٩٤هـ.

١٢٣- **العظمة**، لعبد الله بن محمد بن جعفر أبي الشيخ الأصبهاني «ت ٣٦٩هـ»، تحقيق: رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري، طبعة: دار العاصمة - الرياض، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٠٨هـ.

١٢٤- **العلو للعلي الغفار في إيضاح صحيح الأخبار وسقيمها**، لأبو عبد الله محمد بن أحمد بن قَايْماز الذهبي «ت ٧٤٨هـ»، تحقيق: أبو محمد أشرف بن عبد المقصود، طبعة: مكتبة أضواء السلف - الرياض، الطبعة: الأولىٰ، ١٤١٦هـ، ١٩٩٥م.

١٢٥- **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، لأبي محمد محمود بن أحمد بن موسىٰ بدر الدين العيني، طبعة: المطبعة المنيرية- مصر، ١٣٤٣هـ.

١٢٦- عون المعبود شرح سنن أبي داود، لمحمد أشرف العظيم آبادي «ت ١٣٢٩هـ»، طبعة: دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٥هـ.

١٢٦- غاية المأمول من معارج القبل، للمؤلف، [لم يُطبع].

١٢٧- غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني «ت ١٤٢٠هـ»، طبعة: المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥هـ.

١٢٨- غريب القرآن، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري «ت ٢٧٦هـ»، تحقيق: أحمد صقر، طبعة: دار الكتب العلمية، بدون طبعة، ١٣٩٨هـ، ١٩٧٨م.

١٢٩- غريب الحديث، لأبي سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب الخطابي «ت ٣٨٨هـ»، تحقيق: عبد الكريم إبراهيم الغرباوي، وخرج أحاديثه: عبد القيوم عبد رب النبي، طبعة: دار الفكر- بيروت، بدون طبعة، ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م.

١٣٠- الفتاوى الكبرى، لأحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية «ت ٧٢٨هـ»، طبعة: دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٧م.

١٣١- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني «ت ٨٥٢]، طبعة: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩هـ.

١٣٢- فتح الباري شرح صحيح البخاري، لزين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي «ت ٧٩٥هـ»، تحقيق: محمود بن شعبان بن عبد المقصود، وآخرين، طبعة: مكتبة الغرباء الأثرية - المدينة النبوية، الطبعة: الأولىٰ، ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م.

١٣٣- فتح القدير، لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني «ت

١٢٥٠هـ»، طبعة: دار ابن كثير- دمشق، ودار الكلم الطيب- بيروت، الطبعة: الأولىٰ، ١٤١٤هـ.

١٣٤- **فتح المجيد بشرح كتاب التوحيد**، للشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ «ت ١٢٨٥هـ»، طبعة: دار العقيدة- القاهرة، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م.

١٣٥- **القدر وما ورد في ذلك من الآثار**، لأبي محمد عبد الله بن وهب «ت ١٩٧هـ»، تحقيق: د. عبد العزيز عبد الرحمن العثيم، طبعة: دار السلطان – مكة المكرمة، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٠٦هـ.

١٣٦- **الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي**، لمحمد بن الحسن بن العربيّ بن محمد الحجوي الثعالبي «ت ١٣٧٦هـ»، طبعة: دار الكتب العلمية – بيروت-لبنان، الطبعة: الأولىٰ: ١٤١٦هـ، ١٩٩٥م.

١٣٧- **قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة**، لتقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية «ت ٧٢٨هـ»، تحقيق: ربيع بن هادي عمير المدخلي، طبعة: مكتبة الفرقان – عجمان، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م.

١٣٨- **القاموس المحيط**، لمحمد بن يعقوب الفيروزآبادي، الطبعة: الثالثة للمطبعة الأميرية، ١٣٠١هـ.

١٣٩- **الفقيه والمتفقه**، لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي «ت ٤٦٣هـ»، تحقيق: أبو عبد الرحمن عادل بن يوسف الغرازي، طبعة: دار ابن الجوزي – السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤٢١هـ.

١٤٠- **الفوائد**، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية «ت ٧٥١هـ»، طبعة: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٣هـ، ١٩٧٣م.

١٤١- القول السديد شرح كتاب التوحيد، لعبد الرحمن بن ناصر آل سعدي «ت ١٣٧٦هـ»، طبعة: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤٢١هـ.

١٤٢- القول المفيد على كتاب التوحيد، للشيخ محمد بن صالح بن محمد العثيمين «ت ١٤٢١هـ»، طبعة: دار ابن الجوزي- المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، محرم ١٤٢٤هـ.

١٤٣- فيض القدير شرح الجامع الصغير، لزين الدين عبد الرؤوف المناوي «ت ١٠٣١هـ»، طبعة: المكتبة التجارية الكبرىٰ- مصر، الطبعة: الأولىٰ، ١٣٥٦هـ.

١٤٤- الكافي، لموفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي «ت ٦٢٠هـ»، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، طبعة: دار هجر- مصر، الطبعة: الاولىٰ، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م.

١٤٥- كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عَزَّوَجَلَّ، لأبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة «ت ٣١١هـ»، تحقيق: عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان، طبعة: مكتبة الرشد - الرياض، الطبعة: الخامسة، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م.

١٤٦- كشف الأستار عن زوائد البزار، لنور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي «ت ٨٠٧هـ»، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، طبعة: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولىٰ، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩ م.

١٤٧- كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، لمحمد بن علي ابن القاضي محمد التهانوي «ت بعد ١١٥٨هـ»، تحقيق: د. علي دحروج، طبعة: مكتبة لبنان- بيروت، الطبعة: الأولىٰ، ١٩٩٦م.

١٤٨- كشف المشكل من حديث الصحيحين، لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي «ت ٥٩٧هـ»، تحقيق: علي حسين البواب، طبعة: دار الوطن -

الرياض، بدون طبعة، وبدون تاريخ.
١٤٩- **الكشف والبيان عن تفسير القرآن**، لأحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي «ت ٤٢٧هـ»، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، تحقيق: الأستاذ نظير الساعدي، طبعة: دار إحياء التراث العربي- بيروت، الطبعة: الأولىٰ ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م.
١٥٠- **الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية**، لأبي البقاء الكفوي «ت ١٠٩٤هـ»، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري، طبعة: مؤسسة الرسالة- بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م.
١٥١- **الكنى والأسماء**، لأبي بشر محمد بن أحمد الدولابي «ت ٣١٠هـ»، تحقيق: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، طبعة: دار ابن حزم- بيروت، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م.
١٥٢- **لسان العرب**، لمحمد بن مكرم بن منظور «ت ٧١١هـ»، طبعة: دار صادر- بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٤هـ.
١٥٣- **لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية**، لمحمد بن أحمد بن سالم السفاريني «ت ١١٨٨هـ»، طبعة: مؤسسة الخافقين- دمشق، الطبعة: الثانية، ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م.
١٥٤- **المجالسة وجواهر العلم**، لأبي بكر أحمد بن مروان الدينوري المالكي «ت ٣٣٣هـ»، تحقيق: أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، طبعة: جمعية التربية الإسلامية- البحرين، ودار ابن حزم- بيروت، بدون طبعة، ١٤١٩هـ.
١٥٥- **المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين**، لمحمد بن حبان بن أحمد بن حبان أبي حاتم «ت ٣٥٤هـ»، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، طبعة: دار الوعي - حلب، الطبعة: الأولىٰ، ١٣٩٦هـ.

١٥٦- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، لأبي الحسن نور الدين علي الهيثمي «ت ٨٠٧هـ»، تحقيق: حسام الدين القدسي، طبعة: مكتبة القدسي- القاهرة، بدون طبعة، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م.

١٥٧- مجموعة الرسائل والمسائل، لتقي أحمد بن عبد الحليم بن تيمية «ت ٧٢٨هـ»، تحقيق: السيد محمد رشيد رضا، طبعة: لجنة التراث العربي، بدون طبعة، وبدون تاريخ.

١٥٨- مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي، لزين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي «ت ٧٩٥هـ»، تحقيق: أبي مصعب طلعت بن فؤاد الحلواني، طبعة: الفاروق الحديثة- القاهرة، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م.

١٥٩- مجموع الفتاوى، لشيخ الإسلام تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية «ت ٧٢٨هـ»، طبعة: الشيخ عبد الرحمن بن قاسم.

١٦٠- مختار الصحاح، لمحمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي «ت ٦٦٦هـ»، تحقيق: محمود خاطر، طبعة: مكتبة لبنان ناشرون - بيروت، طبعة ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م.

١٦١- مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، لمحمد بن محمد بن عبد الكريم البعلي «ت ٧٧٤هـ»، تحقيق: سيد إبراهيم، طبعة: دار الحديث- مصر، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م.

١٦٢- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية «ت ٧٥١هـ»، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، طبعة: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م.

١٦٣- المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل، لعبد القادر بن أحمد بن

مصطفىٰ بن عبد الرحيم بن محمد بدران «ت ١٣٤٦هـ»، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، طبعة: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠١هـ.

١٦٤- مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والاعتقادات، لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم «ت ٤٥٦هـ»، طبعة: دار الكتب العلمية - بيروت، بدون طبعة، وبدون تاريخ.

١٦٥- مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، لأبي الحسن عبيد الله بن محمد المباركفوري «ت ١٤١٤هـ»، طبعة: إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء - نارس الهند، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م.

١٦٦- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، لعلي الملا الهروي القاري «ت ١٠١٤هـ»، طبعة: دار الفكر - بيروت، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م.

١٦٧- مساوئ الأخلاق ومذمومها، لأبي بكر محمد بن جعفر الخرائطي «ت ٣٢٧هـ»، تحقيق: مصطفىٰ بن أبو النصر الشلبي، طبعة: مكتبة السوادي، جدة، الطبعة: الأولىٰ، ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م.

١٦٨- المستدرك على الصحيحين، لمحمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري «ت ٤٠٥هـ»، تحقيق: مصطفىٰ عبد القادر عطا، طبعة: دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة: الأولىٰ، ١٤١١هـ، ١٩٩٠م.

١٦٩- مسند ابن الجعد، لعلي بن الجَعْد بن عبيد «ت ٢٣٠هـ»، تحقيق: عامر أحمد حيدر، طبعة: مؤسسة نادر - بيروت، الطبعة: الأولىٰ، ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م.

١٧٠- مسند أبي داود الطيالسي، لأبي داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي «ت ٢٠٤هـ»، تحقيق: الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي، طبعة: دار هجر - مصر، الطبعة: الأولىٰ، ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م.

١٧١- مسند أبي يعلى، لأبي يعلىٰ أحمد بن علي بن المثنُىٰ «ت ٣٠٧هـ»،

تحقيق: حسين سليم أسد، طبعة: دار المأمون للتراث- دمشق، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م.

١٧٢- **مسند أحمد**، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل «ت ٢٤١هـ»، تحقيق: أحمد محمد شاكر، طبعة: دار الحديث- القاهرة، الطبعة: الأولىٰ، ١٤١٦هـ، ١٩٩٥ م.

١٧٣- **مسند أحمد**، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل «ت ٢٤١هـ»، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وآخرين، إشراف: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، طبعة: مؤسسة الرسالة- بيروت، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢١هـ، ٢٠٠١ م.

١٧٤- **مسند إسحاق بن راهويه**، لإسحاق بن إبراهيم بن مخلد ابن راهويه «ت ٢٣٨هـ»، تحقيق: د. عبد الغفور بن عبد الحق البلوشي، طبعة: مكتبة الإيمان - المدينة المنورة، الطبعة: الأولىٰ، ١٤١٢هـ، ١٩٩١م.

١٧٥- **مسند البزار**، لأبي بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار «ت ٢٩٢هـ»، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، وآخرين، طبعة: مكتبة العلوم والحكم- المدينة المنورة، الطبعة: الأولىٰ، ١٩٨٨م، ٢٠٠٩م.

١٧٦- **مسند الشافعي**، لمحمد بن إدريس بن العباس بن عثمان الشافعي «ت ٢٠٤هـ»، طبعة: دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.

١٧٧- **مشكاة المصابيح**، لمحمد بن عبد الله الخطيب التبريزي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، طبعة: المكتب الإسلامي- بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.

١٧٨- **مشاهير علماء نجد وغيرهم**، لعبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب، طبعة: دار اليمامة، الرياض، الطبعة: الأولىٰ، ١٣٩٢هـ، ١٩٧٢م.

١٧٩- **المصنف**، لأبي بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان «ت ٢٣٥هـ»، تحقيق: كمال يوسف الحوت، طبعة: مكتبة الرشد- الرياض، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٠٩هـ.

١٨٠- **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، لأحمد بن محمد بن علي الفيومي، طبعة: المكتبة العلمية- بيروت.

١٨١- **المصنف**، لأبي بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان «ت ٢٣٥هـ»، تحقيق: كمال يوسف الحوت، طبعة: مكتبة الرشد- الرياض، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٠٩هـ.

١٨٢- **المصنف**، لعبد الرزاق بن همام بن نافع الصنعاني «ت ٢١١هـ»، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، طبعة: المجلس العلمي- الهند، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ.

١٨٣- **المطلع على ألفاظ المقنع**، لمحمد بن أبي الفتح البعلي «ت ٧٠٩هـ»، تحقيق: محمود الأرنؤوط، وياسين محمود الخطيب، طبعة: مكتبة السوادي، الطبعة: الأولىٰ ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٣م.

١٨٤- **معالم السنن**، لأبي سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي، «ت ٣٨٨هـ»، طبعة: المطبعة العلمية- حلب، الطبعة: الأولىٰ، ١٣٥١هـ، ١٩٣٢م.

١٨٥- **المعجم الأوسط**، للطبراني سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير «ت ٣٦٠هـ»، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد ، وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، طبعة: دار الحرمين – القاهرة، بدون طبعة، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م.

١٨٦- **المعجم في مشتبه أسامي المحدثين**، لأبي الفضل عبيد الله بن عبد الله الهروي «ت ٤٠٥هـ»، تحقيق: نظر محمد الفاريابي، طبعة: مكتبة الرشد – الرياض، الطبعة: الأولىٰ، ١٤١١هـ.

١٨٧- **المعجم الكبير**، للطبراني سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، طبعة: مكتبة ابن تيمية- القاهرة، الطبعة: الثانية.

١٨٨- **معجم الفروق اللغوية**، لأبي هلال الحسن بن عبد الله العسكري «ت نحو ٣٩٥هـ»، تحقيق: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي، طبعة: مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة: الأولىٰ، ١٤١٢هـ.

١٨٩- **معرفة الصحابة**، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني «ت ٤٣٠هـ»، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، طبعة: دار الوطن- الرياض، الطبعة: الأولىٰ، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م.

١٩٠- **معرفة السنن والآثار**، لأبي بكر بن الحسين بن علي بن موسىٰ البيهقي «ت ٤٥٨هـ»، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي، طبعة: جامعة الدراسات الإسلامية «كراتشي - باكستان»، دار قتيبة «دمشق -بيروت»، دار الوعي «حلب - دمشق»، دار الوفاء «المنصورة - القاهرة»، الطبعة: الأولىٰ، ١٤١٢هـ، ١٩٩١م.

١٩١- **المعلم بفوائد مسلم**، لأبي عبد الله علي المازري «ت ٥٣٦هـ»، تحقيق: متولي خليل عوض الله، وموسىٰ السيد شريف، طبعة: وزارة الأوقاف- القاهرة، ١٤٣٤هـ، ٢٠١٣م.

١٩٢- **المغني**، لابن قدامة المقدسي «ت ٦٢٠هـ»، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، ود. محمد الحلو، طبعة: عالم الكتب- الرياض، الطبعة: السادسة، ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م.

١٩٣- **مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة**، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية «ت ٧٥١هـ»، طبعة: دار الكتب العلمية - بيروت، بدون طبعة، وبدون تاريخ.

١٩٤- المفهِم لما أَشكل من تلخيص كتاب مسلم، لأبي العباس أحمد بن عمر القرطبي «ت ٦٥٦هـ»، تحقيق: محي الدين ديب مستو، وآخرين، طبعة: دار ابن كثير- بيروت، ودار الكلم الطيب- دمشق، الطبعة: الأولىٰ، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م.

١٩٥- مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي «ت ٣٩٥هـ»، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، طبعة: دار الفكر، طبعة: ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.

١٩٦- مقدمة ابن خلدن «ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر»، لعبد الرحمن بن محمد بن محمد ابن خلدون «ت ٨٠٨هـ»، تحقيق: خليل شحادة، طبعة: دار الفكر- بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.

١٩٧- مقدمة ابن الصلاح «معرفة أنواع علوم الحديث»، لابن الصلاح عثمان بن عبد الرحمن «ت ٦٤٣هـ»، تحقيق: نور الدين عتر، طبعة: دار الفكر- سوريا، ودار الفكر المعاصر- بيروت، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.

١٩٨- المنتقى شرح الموطأ، لأبي الوليد سليمان بن خلف الباجي «ت ٤٧٤هـ»، طبعة: مطبعة السعادة - مصر، الطبعة: الأولىٰ، ١٣٣٢هـ.

١٩٩- منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، لتقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية «ت ٧٢٨هـ»، تحقيق: محمد رشاد سالم، طبعة: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.

٢٠٠- موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان، لأبي الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي «ت ٨٠٧هـ»، تحقيق: حسين سليم أسد الدّاراني، وعبده علي الكوشك، طبعة: دار الثقافة العربية- دمشق، الطبعة: الأولىٰ، ١٤١١هـ، ١٩٩٠م.

٢٠١- **النبوات**، لتقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية «ت ٧٢٨هـ»، تحقيق: عبد العزيز بن صالح الطويان، طبعة: أضواء السلف- الرياض، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢٠هـ،٢٠٠٠م.

٢٠٢- **نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر**، لابن حجر العسقلاني «ت ٨٥٢هـ»، تحقيق: نور الدين عتر، مطبعة: الصباح- دمشق، الطبعة: الثالثة، ١٤٢١هـ، ٢٠٠م.

٢٠٣- **النهاية في غريب الحديث والأثر**، لأبي السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير «ت ٦٠٦هـ»، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، طبعة: المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.

٢٠٤- **نيل الأوطار**، لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني «ت ١٢٥٠هـ»، تحقيق: عصام الدين الصبابطي، طبعة: دار الحديث- مصر، الطبعة: الأولىٰ، ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م.

٢٠٥- **الوابل الصيب من الكلم الطيب**، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية «ت ٧٥١هـ»، تحقيق: سيد إبراهيم، طبعة: دار الحديث - القاهرة، الطبعة: الثالثة، ١٩٩٩م.



فهرس المحتويات

يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾

فائدة (١): الطاعة في تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله تكون على وجهين

فائدة (٢): المحلُّ لما حرم الله، أو المحرِّم لما أحل الله نوعان

فائدة (٣): المتَّبع للمحرِّم أو المحلِّل ثلاثة أنواع

فائدة: اختلف المفسرون في الأنداد على قولين

مسائل الباب

٦- بابٌ من الشركِ: لُبسُ الحلْقَةِ والخَيطِ ونحوهِمَا لرفعِ البَلاءِ أو دفعِه

مناسبة هذا الباب بما قبله

مسائل الباب

٧- بابٌ ما جاءَ في الرُّقى والتَّمائمِ

فائدة: لماذا لم يقل المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: باب من الشرك الرقى والتمائم؛ كما قال في الباب السابق؟

مسائل الباب

٨- بَابُ مَنْ تَبَرَّكَ بِشَجَرٍ أَوْ حَجَرٍ وَنَحْوِهِمَا

فائدة: اختلف القراء في قراءة «اللات»

مسائل الباب

٩- بابٌ ما جاءَ في الذبحِ لغيرِ اللهِ

تعريف الذبح لغة، وشرعا

فائدة: الذبح نوعان

مسائل الباب

١٠- بابٌ لا يُذبحُ للهِ بمكانٍ يُذبحُ فيهِ لغيرِ اللهِ

فائدة: اختلاف المفسرين في المسجد الذي عناه الله في قوله تعالى: ﴿لَّمَسۡجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقۡوَىٰ﴾

مسائل الباب

١١- بابٌ منَ الشركِ النذرُ لغيرِ اللهِ

تعريف النذر لغة، واصطلاحا

فائدة: النذر قسمان

مسائل الباب

١٢- بابٌ منَ الشركِ الاستعاذةُ بغيرِ اللهِ

تعريف الاستعاذة لغة، واصطلاحا

فائدة: أنواع الاستعاذة

مسائل الباب

١٣- بابٌ من الشركِ أنْ يستغيثَ بغيرِ اللهِ أو يدعُو غيرَه

فائدة (١): الفرق بين الاستغاثة والدعاء

فائدة (٢): الاستغاثة نوعان

مسائل الباب

١٤- بَابٌ قَوْلُ اللهُ تَعَالَى: ﴿أَيُشۡرِكُونَ مَا لَا يَخۡلُقُ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ۝١٩١ وَلَا يَسۡتَطِيعُونَ لَهُمۡ نَصۡرٗا وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ ۝١٩٢﴾[الأعراف:١٩١-١٩٢]

مناسبة هذه الترجمة لما قبلها

مسائل الباب

١٥- بابُ قولُ اللهِ تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ﴾ [سبأ:٢٣]

فائدة: اختلاف المفسرين في الموصوفين بهذه الصفة من هم؟ وما السبب الذي من أجله فزّع عن قلوبهم؟

مسائل الباب

١٦- بَابُ الشَّفَاعَةِ

تعريف الشفاعة لغة، واصطلاحا

فائدة (١): الشفاعة نوعان

فائدة (٢): افترق الناس في الشفاعة ثلاث فرق: طرفان، ووسط

مسائل الباب

١٧- بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ٥٦﴾[القصص:٥٦]

فائدة: الهداية أربعة أنواع

مسائل الباب

١٨- بَابُ مَا جَاءَ أَنَّ سَبَبَ كُفْرِ بَنِي آدَمَ وَتَرْكِهِمْ دِينَهُمْ هُوَ الغُلُوُّ فِي الصَّالِحِينَ

مسائل الباب

١٩- بَابُ مَا جَاءَ مِنْ التَّغْلِيظِ فِيمَنْ عَبَدَ اللهَ عِنْدَ قَبْرِ رَجُلٍ صَالِحٍ، فَكَيْفَ إِذَا عَبَدَهُ ؟!

مسائل الباب

٢٠- بَابُ مَا جَاءَ أَنَّ الغُلُوَّ فِي قُبُورِ الصَّالِحِينَ يُصَيِّرُهَا أَوْثَانًا تُعْبَدُ مِنْ

دُونِ اللهِ

فائدة: الفرق بين الصنم والوثن

مسائل الباب

٢١- بَابُ مَا جَاءَ فِي حِمَايَةِ المصْطَفَى ﷺ جَنَابَ التَّوْحِيدِ وَسَدِّهِ كُلَّ طَرِيقٍ يُوَصِّلُ إِلَى الشِّرْكِ

مسائل الباب

٢٢- بَابُ مَا جَاءَ أَنَّ بَعْضَ هَذِهِ الأُمَّةِ يَعْبُدُ الأَوْثَانَ

مسائل الباب

٢٣- بَابُ مَا جَاءَ فِي السِّحْرِ

السحر لغة، واصطلاحا

فائدة: حكم من يتعلم السحر

اختلاف العلماء في تعريف الكبيرة

فائدة (١): اختلاف العلماء في الساحر هل يُقتل بمجرد تعلمه واستعماله السحر

فائدة (٢): اختلاف العلماء في الساحر هل يقتل قصاصا أو حدًّا؟

فائدة (٣): اختلاف العلماء في الساحر هل تقبل توبته؟

فائدة (٣): اختلاف العلماء في الساحرة المسلمة هل تعامل معاملة الرجل؟

مسائل الباب

٢٤- بَابُ بَيَانِ شَيْءٍ مِنْ أَنْوَاعِ السِّحْرِ

مسائل الباب

٢٥- بَابُ مَا جَاءَ فِي الْكُهَّانِ وَنَحْوِهِمْ

مسائل الباب

٢٦- بَابُ مَا جَاءَ فِي النُّشْرَةِ

مسائل الباب

٢٧- بَابُ مَا جَاءَ فِي التَّطَيُّرِ

فائدة: الفرق بين الطيرة، والفأل

مسائل الباب

٢٨- بَابُ مَا جَاءَ فِي التَّنْجِيمِ

مسائل الباب

٢٩- بَابُ مَا جَاءَ فِي الِاسْتِسْقَاءِ بِالْأَنْوَاءِ

مسائل الباب

٣٠- بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾[البقرة:١٦٥]

فائدة: أنواع المحبة ثلاثة أقسام

مسائل الباب

٣١- بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ﴾ [آل عمران:١٧٥]

فائدة: الخوف أربعة أقسام

مسائل الباب

٣٢- بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة:٢٣]

٤٠- بَابٌ قَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿ يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا ﴾ [النحل:٨٣] الْآيَةَ

مسائل الباب

٤١- بَابٌ ﴿فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٢﴾[البقرة:٢٢]

مسائل الباب

٤٢- بَابٌ مَا جَاءَ فِيمَنْ لَمْ يَقْنَعْ بِالحَلِفِ بِاللهِ

مسائل الباب

٤٣- بَابٌ قَوْلُ مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ

مسائل الباب

٤٤- بَابٌ مَنْ سَبَّ الدَّهْرَ فَقَدْ آذَى اللهَ

مسائل الباب

٤٥- بَابُ التَّسَمِّي بِقَاضِي الْقُضَاةِ وَنَحْوِهِ

مسائل الباب

٤٦- بَابُ احْتِرَامُ أَسْمَاءِ اللهِ تَعَالَى وَتَغْيِيرُ الِاسْمِ لِأَجْلِ ذَلِكَ

مسائل الباب

٤٧- بَابٌ مَنْ هَزَلَ بِشَيْءٍ فِيهِ ذِكْرُ اللهِ أَوْ الْقُرْآنِ أَوْ الرَّسُولِ

مسائل الباب

٤٨- بَابٌ قَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿ وَلَئِنۡ أَذَقۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنَّا مِنۢ بَعۡدِ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي ﴾[فُصِّلَت:٥٠] الْآيَةَ

مسائل الباب

٤٩- بَابٌ قَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحٗا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ

ءَاتَىٰهُمَا ﴾[الأعراف:١٩٠] الآيَةَ

مسائل الباب

٥٠- بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ﴾[الأعراف:١٨٠] الآيَةَ

مسائل الباب

٥١- بَابٌ لَا يُقَالُ: السَّلَامُ عَلَى اللهِ

مسائل الباب

٥٢- بَابُ قَوْلِ: اللهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ

مسائل الباب

٥٣- بَابٌ لَا يَقُولُ: عَبْدِي وَأَمَتِي

مسائل الباب

٥٤- بَابٌ لَا يُرَدُّ مَنْ سَأَلَ بِاللهِ

مسائل الباب

٥٥- بَابٌ لَا يُسْأَلُ بِوَجْهِ اللهِ إِلَّا الجَنَّةُ

مسائل الباب

٥٦- بَابُ مَا جَاءَ فِي الـ «لَوْ»

مسائل الباب

٥٧- بَابُ النَّهْيِ عَنْ سَبِّ الرِّيحِ

مسائل الباب

٥٨- بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ﴾ [آل عمران:١٥٤] الآيَةَ